

محمد المختار السوسي

العقول

٤

الفصل

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وصلی اللہ علی سیدنا محمد وآلہ وصحبہ

القسم الثالث

من

المعسول

ويشتمل على فصلين :

الاول في اشياخ الالفيين من الصوفية

الثاني في اشياخ الالفين من العلماء ومشاهير القراء

الفصل الاول وهو ما تضمنه هذا الجزء . فيه :

1 - الشيخ سيدي يحيى بن عبد الله الدؤينى التملى شيخ سيدي عبد الله بن سعيد فى التربية

2 - العلامة سيدي الحاج الحسين الاقرانى شيخ سيدي محمد بن عبد الله ابن صالح فى الطريقة الاحمدية

3 - الشيخ ماء العينين الصحراوي شيخ سيدي الحاج بلقاسم (تبركا) يوم الم به فى الصحراء .

4 - الشيخ سيدي سعيد بن همؤ المعدري شيخ سيدي الحاج علي المعلوم بالشيخ الالفى فى الطريقة الدرقاوية

الشيخ يحيى بن عبد الله

الدوينملائنى

قبل 945 هـ = نحو 999 هـ

نَسَبُهُ :

يحيى بن عبد الله بن يبورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم

قبل ان نتكلم حول المترجم ونسبه ، نذكر ما وجدناه بخط سيدي محمد ابن القاضي الايدى كلى التملى ناقلا عن خط سيدي محمد بن محمد ابن محمد الشهير ابوه بقاضي دُيْنَمَلَاتْنِ فى القرن الماضى - وستراه امامك - مما نقلناه من كُناشْتِه ، وقد ذكر فيها فوائد تتعلق بالامكنة التي تبواها الرُكْرَاكِيُون بالسكنى فى سوس

نص ذلك مختصرا اختصارا تحرى فيه عين المراد ، ونبد كثير مما يتعلق بحكايتهم الآتية :

ان لسيدى و سَمِين « بن يعلى كما وجدته فى محل آخر » الذي هو رئيس الرجراچيين المدفون فى جبل الحديد بالشيظمة عشرة اولاد ، كلهم حفظوا القرآن ، وما تزال ذريتهم يحفظونه الى الآن ، ثم ان واحدا من هؤلاء الابناء دفن فى (اِمْدِيُون) بهشتوكة ، والثاني فى (اَتْتِيْمَلْت) بتحت الرمال - دُيْنَمَلَاتْن - فى قبيلة ايت سَمِيُون ، والثالث بماسة ، والرابع فى (تادْأَرْت) بالوادي الكبير ، وهشتوكة ايضا - كذا - والخامس سيدي داود فى تيزلْمِي ، والسادس فى (وادي نون) فى موضع (تاكُوصْت) ، من جهة ربح المطر - كذا - والاربعة الباقون فى معمورة بقيق بوادي درعة ، ذهبوا فى سياحتهم حتى ماتوا هناك رحمهم الله ، ورضي عنهم فأما دفين (تيزلْمِي) سيدي داود فابنه سيدي موسى فى (تادْأَيْنَقْت) بأيت جرار ، وابنه الآخر محمد بماسة ، ثم ان محمد بن محمد بن داود دفن فى

(تاغجيجنت) وله ولد يسمى عيسى بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن داود،
دفن في (تامريكاست) في (وادي نون) وهم بنو الكتانيين ، وهم هناك الآن

وابو الاعلام فاتح وادي افران في حياته نزل في (زاوية السُدرة)
- زويت نتزكرت - وقد خلف بعده حفيده يعقوب بن محمد بن يوسف
ابي الاعلام ، واخوته عبد الكبير وعبد المالك وعبد الكريم ، ثم خلف يعقوب
ولده يوسف ، وعبد الكريم ولده ابا القاسم ، وعبد الملك ولده عبد الرحمان
ابن الحاج ، ثم كان اولادهم هناك الى الآن

وعبد الواحد بن الحسن من رچراچه (وهو شارح المدونة) دفن في
(اسرير) في وادي نون ، في قرية المرفقة بقبلتها ، وقد خلف ولده مباركا
المدفون في (اصنبويا) في موضع (اچنجال) ببعمرانة

ومن ذرية سيدي سعيد يبقى الرچراحي علي بن احمد دفين
(ايسكراد) ببني جرار ، وله خمسة اولاد ، ابراهيم دفين (تاجاديرت)
وعبد الله دفين (تفرطت) ، ومحمد بن علي دفين (الخرشاون) في بلدة
(تاحاشت) ، واثنان مدفونان في اُفنا ببلاد (كاكار) كتب ذلك محمد بن محمد
ابن محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يبورك بن محمد بن علي
بن محمد بن عبد الرحمان بن عاصم سنة 1253 هـ .

هذا ما نقلناه مختصرا من كلام كثير جمع غالب الحكايات الملفقة
حول الرچراحيين ، ومحمد بن محمد بن محمد الذي كتب هذا سنة 1253 هـ
هو ولد القاضي ، لان والده توفي قبل ذلك ، وسترى ذلك امامك

وبين يدي الآن صحيفة اخرى طويلة ، ملخص ما فيها : ان الرچراحيين
من بقية الحواريين ، وانهم انتقلوا من جزيرة الاندلس الى المغرب قبل الاسلام
وكانوا يحفظون عن اجدادهم ان نبيا مبعوث ، فبقوا يترصدون مبعثه ،
فحين اخبروا بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمعوا رؤساء المغرب
فسافروا في جمع عظيم تحترياسة سبعة :

1 - وسمين 2 - عيسى بوخابية 3 - علي 4 - ابو بكر
اسماس . 5 - صالح بن ابي بكر . 6 - عبد الله اذناس . 7 - سعيد يبقى

ساروا في مثل الجراد المنتشر ، في شوق عظيم ، ورجاء كبير ، ففي
اثناء الطريق تخلف سعيد ولم يوبه له لعظم الجمع ، وسبب تخلفه
ان النصب قيده عن المشي فحفر قبره ، ثم أن الرّجراحيين لما اشرفوا على
وادي مكة اعلنوا كلمة التوحيد ، فدخلوا بين الجبلين ، وهم يترنمون بهذا
النشيد :

بسم الله يا الله يا رحمان يا رحيم
لا اله الا الله محمد رسول الله

فاستجاب لهم شعاب الوادي بالاصداء ، فقال اهل مكة ما هذه
الرجرجة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الرّجراحيون
جاءوا مسلمين ، ومن هناك اتصل بهم هذا الاسم ، ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : هؤلاء القوم جاءوا من المغرب ، وما جاءوا الا للاسلام ،
وفرحت بهم مكة فرحا عظيما ، وحين قابلوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو
بين عظماء مكة ، قال رئيس القوم والمتولي لادارة ذلك الوفد العظيم ، سيدي
واسمين مَچِيچُون اِچَان رَسُولُ اللّٰه - من هو منكم رسول الله ؟ -
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تَكَيّن اَتَجَان اَشْكَاد - انا هو
رسول الله ، فتعالوا الي - ثم سأله هل وصلوا اجمعون ، فقالوا نعم يا
رسول الله ، فقال : لكن اين سيدي سعيد ، فتساءلوا عنه بينهم وفتشوا
عنه بين ذلك الجمع العظيم ، فلم يجدوه فرجعوا الى رسول الله ، فقالوا له :
(اِبْتَقَن) - بقى وراءنا - فمن هنا جاءه اسم يبقى ، فيقال سعيد يبقى
فقال لهم رسول الله وقد استخرجه لهم من عنده بعد ما أتى به مفيثا اياه
في شفير القبر ، بل انه سابق قبلكم ، فسمي سعيدا السابق ، ثم طاب المقام
للرجراحيين ، فنووا ان يقطنوا بمكة ، وقد بشرهم النبي صلى الله عليه
وسلم بأن سبعة من الاولياء يتناسلون دائما في اصلاهم بين احفادهم الى
قيام الساعة ، ثم ان جبريل نزل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له :
مر هؤلاء القوم ان يرجعوا الى بلادهم ليفتحوها للاسلام ، فانه لا يفتح المغرب
الا رجرجة ودغوغ وصنهاجة ، فان لم يفتحها هؤلاء فلا تفتح ابدا ، ثم تكرر
نزل جبريل بذلك المرة الثانية والثالثة ، مؤكدا ان الفتح للمغرب لا يكون
الا على يدهم ، واما غيرهم فسيرتدون على اعقابهم كفارا ، ثم نزل رابعا فأمر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب رسالة عن اذن الله ، ومما في الرسالة

انتم خلفائي في المغرب كله ، فانما المغرب لبني رجراجة وبني دغوغ وبني
صنهاجة ، فقال القائد الاعلى سيدي واسمين : سمعا وطاعة لما يريد الله
منا ورسوله .

ثم احل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث المغرب في مقابلة
جهادهم عن اذن من الله ايضا نزل به جبريل ، ثم صدر القوم عن مكة وقد
فازوا فوزا عظيما تحفهم البركة ، وقد دعا لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين قالوا له : انا نجعل الطريق الى بلادنا ، فجعل الله لهم ثلاثة
انوار تسطع امامهم يعرفون بها السبيل ، فكانت هذه الانوار لرجراجة
ودغوغ وصنهاجة ، لكل قبيل نور ، ثم ذهب بهم النور حتى وقف بهم في
ساحل بحر عظيم ، فرفعوا الامر الى القائد الاعلى واسمين ، فقال لهم ان
دخل النور في البحر فاقتحموا ورائه ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ، ثم
تقدم القائد نفسه فنادى البحر ان اسكن ، فسكن بقدره الله ، فدخل
واسمين فاقتفى اثره فمروا سالمين الى ان خوجرا في رباط الفتح ، ففرقت
القبائل الثلاث كل واحدة الى مواطنها ، فأقبلت رجراجة الى الشياظمة
وحاحة ، ونورهم لا يزال يسعى بين ايديهم ، ثم لما استقر بهم النوى ، والقوا
عصا التيسار في ديارهم ، انقلب ذلك النور غررا في جباههم ، ووسامة متألفة
تتألا في معارفهم يشاهدها كل واحد ، ثم اعلنوا النداء العام لجميع الناس
ان يدخلوا في دين الاسلام وان يعلنوا كلمة التوحيد ، فأجابهم جميع الجن
والانس ، فآمن الجميع وبايعوا على نصره الاسلام بحسب الطاقة ، ثم دلفوا
الى جيرانهم ، فمن دخلوا في الدين كان لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، ومن
اعرضوا استعرضوا على السيف البتار ، فداموا على ذلك حتى فتحوا كل
المغرب ، فصدقت كلمة جبريل ، وكانت كلمة الله هي العليا

اول محل نزل فيه اجدادهم حين اقلتهم سفينة من الجزيرة - يعني
الاندلس - ، مدينة (كوز) وتسمى ايضا (حورا) فبنوا هناك مسجدا لا يزال
ينسب للحواريين ، واسماء الذين نزلوا اولا من السفينة مجا - سكن
بكوز ، والثاني علقمة - سكن في (تافنأشت) والثالث اردون - سكن
في (سكياط) والرابع ارتون - سكن في (كين الحجر) وكل واحد من الاربعة
معروف في محله ، وقد انتشر لهم النسل ، ولم يزالوا على دين عيسى كما
هو عليه بلا تبدل ولا تغير حتى اتصلوا بالاسلام

ثم ان رچراچة وصنهاجة ودغوغ ، اقتسموا البلاد بينهم ، فصح
لرچراچة ما حول البحر كله الى وادي شيشاوة ، الى فم القاهرة وحاحة
والشياظمة واحوازاها جميعا ، وسوس كله ، والصحراء الى الساقية
الحمراء ، وعددهم اذ ذاك اربعمائة من الاسر ، وعدد من حفظ القرآن
والمدونة منهم حينئذ ثلاثمائة رجل ومثلهم من النساء ، واما دغوغ فكان لها
من وادي سبو الى جبل مكة ، والى الجبل الاخضر ، ووادي درعة ، وجبل
فشتالة الى دمنات ، وعددهم في ذلك الوقت خمس وسبعون الفا ، وكبيرهم
سيدي ابو الاعلام (1) واما صنهاجة فكان حظها من وادي سبو الى زمور
الى رباط الفتح ، وعددهم اذ ذاك خمس وثلاثون الفا ، وكبيرهم ابن البطاح ،
روى ذلك الشيخ اليوسي في دور الرچراچيين عند مشهد سيدي ابي
زرقطون ، وقد حضر اذ ذاك خمسمائة من الطلبة والعلماء منهم اليوسي
وعبد الله بن محمد الرچراچي ، واحمد بن عباد ، وسعيد بن محمد ،
وسعيد بن عبد المنعم ، وسيدي الحرير ، وكذلك حفظ القرآن والمدونة من
بني دغوغ ستمائة وستة وسبعون رجلا ، ومن النساء خمسمائة صبية ممن
اتفق ان اسمهن ممّاس - يعني فضلا عن يسمين بغير ذلك الاسم -
واسم شيخهن عباد ، وكذلك حفظ القرآن ممن اسمهم احمد او محمد
- فضلا عن يسمى بغير الاسمين - مائة رجل ومن النساء مثل ذلك ، روى
ذلك عن الشريف مولاي احمد بن محمد الاغماتي واليوسي ايضا

ثم ان واسمين لما اشتهر وسمع به سلطان فاس اراد ان ينقله الى
فاس للتبرك به ، فكره ذلك بعض اولاده ، فخرج عشرة منهم الى سوس ،
فعبد الرحمان ابن احمد بن اسماعيل الخطيب الملقب بوسّائي في وادي ماسة
في سيف البحر وهو احدهم ، والثاني علي بن ايوب بن اسماعيل بن يحيى بن
واسمين الولي الصالح العالم العلامة ، حظّ رحله في (كدية البير) ببلدة ايت
وادريم ، فبنت له قبائل هشتوكة مسكنه هناك ، فهناك دفن ، وله نسل منه
شيوخ كبار ، والثالث عبد الله بن محمد ، ينتهي نسبه ايضا الى واسمين
ببلد (تيزلّمي) في موضع يسمى الفهم - والفهم من عداد تازروالت
(لا تيزلّمي) - والرابع عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم في دؤويملاكن
- تحت الرمال - بقبيلة آ ملن ، والستة الباقون من العشرة زاهدون في

(1) وقد تقدم ان في رچراچة آخر يسمى بالاعلام ، وهو في افران بسوس

الدنيا حتى ماتوا في خلواتهم في احواز وادي درعة ، وكل ذي مشهد قديم بسوس وحاحة والشياطمة وساحل البحر فرچراچي ، كالشيخ مكسول بساحل البحر بحاحة - هو المشهور اليوم ازاء الصويرة - بالديابات ، واحمد بن سعيد برباط في طرف الكسنت ، وسيدي ابي القاسم مع اخوانه بالوادي الكبير ببلد غشانة - ينبغي للقائل ان يراجع هنا ما كنا قلناه في الفصل الاول من القسم الثاني ، عند تعرضنا لنسب آل اُچني اِدِيَّان - وغيرهم وهم كثيرون ، كتبه من ادرك اخبارهم في رجب الفرد 846 هـ محمد ابن احمد من مرابطي هوت الطرفاء ، تاب الله عليه ، وعبد ربه عبد الله بن سعيد بن احمد التملي . انتهى ما في الاصل ، ونقله كما هو في آخر ربيع الثاني : 1018 هـ ابراهيم بن محمد بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن ايوب ، وتحت ذلك كله :

اعلم بصحة الفرع فوقه وثبوته ابراهيم بن محمد بن جعفر بن زكرياء لطف الله به ، واعلم به ايضا علي بن الحسن بن مسعود 1148 هـ نقله احمد ابن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيى بن علي بن ايوب ، لطف الله به ، وقد انتسخ مما تقدم : 1149 هـ ابراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن ابي بكر بن يحيى بن علي بن ايوب والحاج محمد ابن الحاج احمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن سعيد بن يبورك الرچراچي ، ومحمد بن احمد بن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيى بن علي بن ايوب ، ثم انتسخ من الاصل ايضا : 1186 هـ .

فأولاد محمد بن احمد بن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيى بن علي ابن ايوب ، وهم محمد بن محمد ، وعلي بن محمد ، وابراهيم بن محمد هم من الرچراچيين بلا شك ، وكذلك اولاد محمد ، وكذلك اولاد محمد بن محمد المذكور ، وهم سعيد بن محمد بن محمد ، وعبد الله بن محمد بن محمد ، وكذلك اولاد بلعيد بن سعيد بن محمد بن محمد ، كلهم رچراچيون ، وهذه انسابهم كما ترى ، فعلى الواقف على ذلك ان يعرف مكانتهم ، كتبه علي بن عبد الملك الكسيمي : 1286 هـ وتؤكد على كل من ذكر من احترام المذكورين 1315 هـ ابراهيم بن محمد بن احمد بن الحسن لطف الله به

ذلك ملخص صفحات صارت الي ، وهي مشوهة العبارة ، ممسوخة الخط ، فكأنما تستمد الالفاظ والخط والعبارة من هذه الحكاية التي هي

كلها أمشاج اخلاط ، افك على افك ، فان كون الرجراحيين من الصحابة مردود عند المحققين ولا يقول به الا من لا يمعن النظر والعجيب ان ممن يقول بذلك الشيخ المرغتي وليس ذلك بشيء ، واستحضر أنا مرة في الدرس في مجلس شيخنا ابي شعيب الدكالي الصديكي رحمه الله ، جرى ذكر صحابيتهم ، فرده شيخنا ، فقليل له : ان الخفاجي في شرحه على الشفا ، يقول ذلك ، وساق في معرض ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بلفات شتى تلك المكاملة المتقدمة بينه وبين الرجراحيين ، فتبسم شيخنا فقال انما الخفاجي يقال ، وهذا لا ننكر انه مذكور ، لكننا نقول انه باطل مكذوب ، ثم قال لو كان الخفاجي الاديب المطلع اتم اطلاع على الاداب وما اليها من العربية ، مقتصر على التفضل والتشبيب بالقدود والحدود والجولان بين الفصول والورود ، لكان ذلك به اولى ، والا فان الحديث لا يكفي فيه النقل حتى يكون ذوقه متربيا في الانسان .

اقول : عهدي بصاحبنا الكانوني ، قد جمع مؤلفا في رجراجة ، فاليه يرجع الامر ، لان من درس الموضوع ، لا يمكن ان يساويه امثالا الذين اطلوا عليه بفتة ، ولذلك نسحب ذلك الحكم الذي اصدرناه حتى يقول المطلعون كلمتهم ، ونحن وان كنا لا نكاد نشك في ان هذا هو الرأي السديد لكننا نؤثر ان يكون العارف بالموضوع المتشبع بما قيل ، هو المصدر للحكم لا ممن لا يتصدر له

اما هذه الحكاية الخرافية فهي بلاشك موضوعة بصفتها المتقدمة ، واحسب ان الدكتور طه حسين ، لو كان اطلع عليها لألم بها في كتابه (على هامش السيرة) الذي ملأه بأمثالها

والفائدة التي نخرج بها من تلك المسودة ، بعد ان نرمي كل حشفها ظهريا من كل ما يكذبه التاريخ ، ويدفعه الواقع - وذلك كله ظاهر للعارف ولا نحتاج الى ان نطول بالتنبيه عليه - هي ان نعرف بعض الامكنة التي نزل فيها الرجراحيون ، وان نعرف بعض رجالات منهم لهم مكانة مكيئة في العلوم الاسلامية ونشرها بين البربر ، ونحن نعرف ما مضى لهم من مجد في جهاد برغواطة ايام ازدهار مدينة (نفيس) ورباط (شاكر) ، فقد مثلوا اعظم دور حتى ايدهم الله باللمتونيين ، فوحدوا الكلمة ، وافرغوا المقرب كله مع غيره

في قالب واحد ، فكانت وحدة اندمج فيها الرچراچيون وغيرهم ، فلم يبق لهم الا احترامات يستمدونها من اخبار الاباء المجاهدين ولابناء علي بن ايبوب ذكر في هذا القسم نفسه فانتظر .

اما عبد الرحمان الماسي الملقب بوسائي ، فها انتذا تراه يعد من الرچراچيين وذلك قول من الاقوال فيه ، وقيل انه من البكرين من آل يعززي وِهِنْدَي فقد ذكر بين رجالاتهم ، وقيل ان اصله من رندة بالاندلس ، فيذكره بعضهم بعبد الرحمان الرندي ، وانه عمري عدوي كما عند اولاده الى الآن ، وان ابا نمر المشهور في (اسضض) ولده ، وعندنا سلسلة نسب تامة في ذلك ، وذلك هو الصحيح عندنا .

وعهدي بكتيب تحت هذا العنوان في مجموع في الخزانة المسعودية المعدرية ولم اطالعه ، ربما يحتوي على ما يلقي ضوءا على حياته وماهيته ، فليفتش عن ذلك (ثم اطلعت على ذلك ، فترجح عندي ما تقدم)

اما كون اليوسي وسعيد بن عبد النعيم ممن تلاقوا في دور رچراچة فأكذوبة فاين اليوسي المتوفى سنة 1102 هـ من الآخر المتوفى اواسط العاشر ، وكذلك كون واسمين يبقى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى ان تؤسس فاس - وتأسيسها في اول العقد الاخير من القرن الثاني - اكذوبة اخرى

والمحصل ان غالب ما في تلك المسودة اكاذيب ملفقة مكشوفة ، ولكن العجيب ان المفلين يتقبلونها كصحيفة من صحف ابراهيم وموسى ، فتراهم حين قراءتها يشهدون مما يشاهدونه من الكرامات التي تسكن لها البحار ، وتدوي بها الجبال وتستنير بها الاوجه ، وهنا يحمد الله من له بصيص من المعارف ، حين انقذه الله بنور العلم (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

ثم انني ظفرت بكلام المرغيتي في الموضوع ، فاردت ان اسجله هنا ليطالعه من يظن ان معه ادلة صحيحة ، ونص ما وجدت بخط الشيخ ابي فارس الادوزي

قال الشيخ الامام ، المحدث الهمام ابو عبد الله سيدي محمد بن سعيد المرغيتي السوسي اصلا ، المراكشي دارا ، تغمده الله برحمته ،

واسكنه فسيح جنته آمين ، مجيبا عن سؤال عن الصحابة الرجراجيين رضي الله عنهم ما نصه :

واما مسألة سادتنا السبعة الرجراجيين ، الصحابة المرضيين افاض الله علينا وعليكم من بركاتهم شيآيبها ، والبسنا واياكم من انوارهم جلايبها ، فلا يخطر لك في البال في الحال ولا استقبال ، انكار صحبتهم ، وجحود مزيتهم ، بل تأدب معهم تأدب الشيوخ الصالحين قبلك ، وحسبك الاقتداء بهم ، وان تصل بهم حبلك ، ولا يصدر منك سقوط حرمتهم ، فانها من حرمة نبيهم ونبيك المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحسبك وكفى

واما قولك : لم يذكر اهل السير ، ولا اهل الحديث انه قد وفد احد من اهل المغرب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فمردود عليك بأمر ، منها : ان كتب السير انافت على سبعين كتابا كلها من فليت شعري كم رأيت منها ، وكذلك كتب الحديث ، ليت شعري كم قرأت منها ، فهذا امامنا مالك رضي الله عنه ، قال له هارون الرشيد اريد ان احمل الناس على الموطأ ، فأبى مالك فقال : لا والله ، دع الناس في سعة رحمة الله وتوسعة من دينهم ، فكيف تحمل الناس على الموطأ وقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة الف واربعة وعشرين الفا من الصحابة ، ففرقوا في الدنيا ، وعند كل واحد منهم ما يحتمل الا يكون عند جميعهم ، او عند جلهم ، وقد سمع منهم الناس في اقطار الارض ومشارقها ومفاربها ، فلا تفعل ، ودع الناس في سعة من دينهم ، فان اختلاف العلماء رحمة لهذه الامة ، فأمسك الرشيد عند ذلك عما عزم عليه .

فأنت يا اخي اقتد بامامك ، واقتد بقوله عز وجل (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) وقوله (وفوق كل ذي علم عليم) وسلم تسلم

ومنها وهو راجع الى ما ذكرنا انه لا يلزم من عدم اطلاعك على موجب صحبتهم الا يطلع عليه غيرك ، واتبع قول القائل (ومن انتم حتى يكون لكم علم) وحسبك ان تقول ما جرت به عادة السلف الصالح اذا بلغهم ما ليس لهم به علم ، وهو قولهم لم يبلغنا هذا ، وفي قولهم ذلك اسوة لمن اراد الاستبراء لدينه والتورع عن التكلم بما لا يعني فيما لا يعني ، لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

ومنها : اذا فرضنا اطلاعك على جميع كتب السير ولم تجد فيها ذلك ان تعلم انهم فاتهم من علم السيرة شىء كثير، نقله غيرهم وشاهد ذلك ان بعضهم يزيد على بعض وينقل ما لم ينقله احد منهم ، وكم من مسألة في الحديث لم ينقلها احد منهم ، وكذلك العكس ، وكم من علم عند الخاصة ، قد فات العامة ، وكم من علم عند العامة قد فات الخاصة

انظر قصة ابن جريج التابعي رضي الله عنه حين قدم الى المدينة فأدركته الصلاة في بعض شعابها فاراد السترة ، فخط خطا ، فاذا خادما ترعى غنما فصاحت عليه وقالت : حدثتني مولاتي عن امها عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخط باطل ، الخط باطل ، فاسترجع ، وقال هذه خادما ترد عليك يا ابن جريج ، فكيف بك اذا التقيت الاحرار ، والعلماء الاخيار ، فنقل ذلك عنه عن الخادم عن مولاتها عن ام سلمة فعمل بها الائمة : مالك وغيره

ومنها : ان صحبتهم اشتهرت في بلاد المغرب اشتهارا يأبى الله ان يكون باطلا بين الخواص منهم والعوام

ومنها ان شيوخنا الذين اعتمدنا عليهم في علم الدين ومعارف اليقين ، تأبدوا على زيارتهم ، مفتنمين بذلك زيارة الصحابة ، محققين ذلك بما تقرر عندهم من علمه ومنهم : شيخنا حافظ المغرب العلامة سيدي ومولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني وغيره من اشرف اهل بلده العلماء ، ومنهم سيدي عبد الواحد بن احمد مفتي الحضرة الحمراء ومفسرها ومدرسها ومؤرخها ، كفى بهذين حجة - ومنهم شيخ الشيوخ المغربي سيدي عبد الله بن محمد الرجراجي ، وله في ذلك كلام مفيد لم نستحضره الآن ، ومنهم استاذ المغرب سيدي محمد الترغي وتلميذه استاذ المدينة الحمراء سيدي احمد الكفيف - ومن علماء درعة فسوس ففاس فتمسان جماعة وافرة لم نستحضر اسماءهم ، وشككنا في بعضها فتركنا ذكره

واما الصالحون والاولياء العارفون لا يحصى من رحل منهم لزيارتهم معتقدين فيهم الصحة وصرح بها اهل الكشف منهم تصریحا ، وادركنا منهم والحمد لله جماعة لاشك في خصوصيتهم ومكاشفتهم ، وحدثنا بها بعضهم

عن بعض ، بواسطة ثقة ، وفي هذا الزمان الاخير لقيت عارفا منهم (1) ، وقد كوشف بأصل المقامات العرفانية احياء وامواتا ، كان عزم على الحج ، وقدم زيارة السبعة الرجال ، ولم يزد عليهم من غيرهم احدا ، ورجع سريعا فتهيا للحج ، فأردت استخباره عن ذلك لاكتسب منه علما بما كوشف به ، وكان كثير الادب مع الله ، ورسوله صلى الله عليه وسلم فقلت له : انت عزمت على الحج ، وقدمت رجراجة ، والصيد كله في جوف الفرا ، فابتسم وقال يا ابن سعيد اني اجدني استحييت من الله ورسوله ومن الصحابة الذين بالمشرق ، ان تركت خلفي طائفة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بلدي تمكنني زيارتهم ، واقصد غيرهم بالسفر البعيد ، وقد فهمت عن الله ان ذلك لا ينبغي ، لان فيه نوعا من الهجران لبعضهم ، وضربا من سوء الادب معهم ليكون ذلك حجة لي في هذا الباب الذي قصدته فابكاني والله كلامه لما ظهر فيه من الحق والتحقيق ، فودعته وانا ابكي بكاء شديدا ، ثم بشرني ببشارة ، فالله ارجو ان يحققها بفضله ، وكان ايضا في زماني عارف آخر ممن له اختبار مع الله في جميع احواله وافعاله لا يزيد (2) وكان يؤكد علي ذلك اذا عزمت على زيارتهم مرة ثالثة ان اعلمه ليزورهم معي : وكان يتشوق لزيارتهم لما كوشف به من حالهم المذكور ، وينتظر الادب في ذلك ، ولم يفتح لي وله في ذلك ، فالله نرجو تحقيقه بمنه وكرمه ، وكان شيخنا العلامة المحدث الرواية الحاج المبرور يستخير الله عز وجل قبل رحلته للمشرق اغتناما لزيارة الصحابة في بلاده ، وتعلق بذلك حتى فتح له في الاذن في زيارتهم ولم يتردد ولم يتباطأ ، ولا طلب رفيقا لشدة الرغبة في ذلك قبل ان يحول بينه وبين ذلك عائق الموت ، فلما رجع رحل الى المشرق رحمه الله ونفعنا به ، وهو شيخنا سيدي ابو بكر السكتاني واطن ان عنده علما اكتسبه من بعض من لقي في المشرق والله اعلم ، فقد حدثني بلقائهم للنبي صلى الله عليه وسلم وكلامهم معه ، وردده عليه السلام بلفتهم نحو ما ذكره صاحب (المفيد) وزيادة عليه ، وقال الشيخ : قالوا : مَجْجُون اِيْجَانْ اَرْقَّاس نَرْبِّي ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم نَكْن ، اَشْكِدْ ، وكفى بذلك حجة

(1) وهو الشيخ التلمي الذي الف في اخباره

(2) بياض في الاصل كالبياض المتقدم

هاك يا اخي اسماءهم فمقدمهم سيدي وسمين في طرف جبل الحديد ، ثم سيدي ابو بكر اشماس في (اقرمود) وابنه سيدي صالح وسيدي عبد الله ادناس في المشهد وسيدي عيسى بوخابية على طرف (تاتسيقت) وسيدي يعلي بن واصلي في (امكرز) وسيدي سعيد يبقى في (طماست) ، فلا تتعرض لما لا تعلم فانك حديث السن ، قليل المطالعة ، وقليل لقاء الناس ، فحسبك ان تقول لا ادري ، فهي عبادة امثالي وامثالك علما ، ودع الناس وما هم عليه ، فانك اذا فعلت ما دلتك عليه سلمت وسلم دينك وصلح يقينك ، لاسيما في هذا الزمان الصعب الذي قل خيره وكثر شره ، وفاض فيه الجهل ، وغاض فيه العلم وعليك بخويصة نفسك ، (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فاذا فعلت قطعت عن نفسك وعن دينك المحن والفتن ، واياك والدعوى ، فانها بلوى نعوذ بالله من فتنة المحيا والممات آمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اه .

الحمد لله ومن المثلث للجزولي على الرسالة عند قول ابي محمد ابن ابي زيد وافضل الصحابة الخلفاء الراشدون الى ان قال : قال ابو زرعة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة الف واربعة عشر الفا ممن الصحابة راوه ، ولم يذكر احد فيما بلغ علمنا ممن الف في ذكر الصحابة مثل هذا العدد الذي ذكره ابو زرعة ، ولكن ابو زرعة امام متقن عارف بالحديث والتاريخ وهو من اشياخ مسلم بن الحجاج ، وذكر في احاديث غريبة ان سبعة رجال من المغرب الاقصى وطوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى المغرب وذكر بعضهم ان واسمين الرچراچي صاحب جبل الحديد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عنه الكتاب الى اهل المغرب ، يدعوهم الى الاسلام ، فجمع وسمين المصامدة على ذلك الكتاب في موضع (شاكر) وكان سبب اجتماعهم . الى هلم جراً والله اعلم بصحة ذلك . انتهى كما وجد معزوا للكتاب المذكور .



فلنعطف الآن العنان الى المترجم يحيى بن عبد الله ، فاول ما نتكلم حوله جده عبد الرحمان بن عاصم ، فقد وجدت من خط الحسن بن محمد الدؤينملا لني الفقيه الذي سنلم به فيما يأتي : ان عبد الرحمان هذا هو الجد الاعلى لجميع الرچراچيين الساكنين هنالك ، وبذلك نعلم ان ما في هذه

المسودة من ان اول نازل هو عبد الله بن عبد الرحمان ليس بشيء ، لان ما عند اولاده يوخذ منه ما لا يليقه حتى وهما ما في تلك المسودة ، ثم قال ان عبد الرحمان تلميذ ابي يحيى الكرسيفي ، وابو يحيى توفي 685 هـ فبذلك نعرف عصره ، وهو ايضا مدفون عند قبر شيخه في (تادئارت) وقد ذكرنا ان الايديكلبيين والسالميين الايسيين من الرچراچيين ايضا واخوة عال عاصم هؤلاء (ويذكر الايديكليون في القسم الرابع) والسالميون (في هذا القسم نفسه)

رأيت فيما تقدم عند ذكر نسب سيدي يحيى انه ، يحيى بن عبد الله ابن يبورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم

هكذا نسبه الفقيه الحسن المذكور مرتين ، وقال انه منقول كذلك من خط القاضي احمد بن محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بن ابراهيم ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم

ثم انني وقفت في خط بعض المعتنين انه رفع النسب هكذا يحيى ابن عبد الله بن يبورك بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن عاصم ، فما فوق يحيى الى ان تصل عاصما هناك تسعة وما هنا سبعة ، وهذا اختلاف في رجال النسب بزيادة ونقصان ، وقد اخترنا ما رسمنا اولاً لكونه منقولاً عن ذلك العالم احمد بن محمد ، وهو الاقرب ان يكون صواباً ، وخصوصاً اذا تأملنا ما بين المترجم المتوفى 999 هـ وبين حياة جده الموجود في آخر القرن السابع ، فاننا اذا تمشيناً على قاعدة ابن خلدون التي قال بها ايضا ابن حجر الحافظ ، وايدها من ان رجال الانساب يقسمون ثلاثة ثلاثة في كل قرن ، فان ذلك مطرد غالباً فنحن اذا اخذنا بما ذكره احمد بن محمد يكون الرجال تسعة من يحيى الى عبد الرحمان بن عاصم ، فيجىء ذلك موافقاً للقاعدة ، فهناك القرن الثامن والتاسع والعاشر ، فيقسم عليها التسعة ، بخلاف ما اذا اخذنا بالقول الآخر

اشادة التاريخ بالمترجم

قال العلامة الرسموكي في الوفيات :

(الم رابط الخير الدين سيدي يحيى بن عبد الله من تحت الرمال

(دثوئمنلا لن) وينسب لرچراچة ، توفي رحمه الله ببلده انتيملنت في نحو 999 هـ وله مناقب وكرامات كثيرة سنشبتها ان شاء الله عن الثقات ان فتح الله في تجريد اخباره ، وهو المامول في بلوغ السؤل (لكنه لم يفتح له ان يتم كتابه)

وقال الحضيكي في (طبقاته) مثل ذلك بلا زيادة مهمة

نظرة على ما قال المؤرخان

ان من القى بصره على ما قال صاحب الطبقات ، يدرك انه انما نقل ما قاله صاحب الوفيات ، ولذلك ينحصر كلامنا في الذي قاله الاول

اولا - ان قوله فيه الم رابط الخير الدين يعلم منه انه امي ، وانه لم يمر بالتعليم لما نعهده من العرف الجاري ان من كان ملما بالعلوم فان وصفه بها يجعل كأساس لاوصافه ، فنخرج من هذه النظرة ، ونحن نوقن ان الشيخ يحيى بن عبد الله امي

ثانيا - قوله : انه ينسب لرچراچة ، ربما يستروح منه قارئ انه يتشكك في ذلك ، والواقع ان عبارته بمثل ذلك عرفنا منها بتتبع في محلات ممن ذكرهم في وفياته : ان المقصود انه سمع بذلك ، ولم يقله من عند نفسه ، ولا عاين ما يستند اليه ، فيكون واقفا ازاء ما يسمعه وقوف السامع الذي لم يزد ولم يشك ، بل ترك الباب كما وجدته مفتوحا ، وقد رايت مما سقناه نحن انه رچراچي بلا شك ، ومثل هذه العبارة وجدناها له في الاغريابوئين ايضا ، حين قال انهم ينتسبون لابن رشد او قال ربما يرقعون اليه نسبهم - لم استحضر الان عبارته - ، ثم وقفت على ان ذلك غير صحيح

ثالثا - انه قال : توفي نحو 999 هـ فيكون شاكا في تعيين تلك السنة بعينها

رابعا - انه ذكر ان له مناقب وكرامات ووعد بتجريدها عن الثقات عند تحرير الكتاب ، ولكن ذلك - مع الاسف - امنية لم تتم ، فلم نعلم له الآن من المناقب والكرامات الا ما ترشح به الاحاديث عنه ، وهي الى الخرافات اقرب لعدم ثبوتها بالسند ، بل لا استحضر انا الآن الا ما تقدم في ترجمة تلميذه

جدنا عبد الله بن سعيد ، وتجد هناك ما تراءى في وادي (أينمور) لتلميذه ،
وتجد هنا قضية الفران ، وكل ذلك مما تتسع له حوصلتي انا - ولا اتكفل
بغيري - لو صحت به الرواية ، ولكن حيث خاب رجاء المؤرخ الرسموكي
الذي عزم على سوق ذلك ، فقد سقط البنيان من اساسه ، وذهبت تلك
المناقب والكرامات ادراج الرياح

خامسا - انه بلا شك من اشياخ اواخر القرن العاشر المقصودين
للتربية ، ونحن لا نجهل ما لذلك القرن من علو كعب المشيخة حتى ان من اراد
ان يتصدى لاحياء الشيوخ الصوفية البارزين فيه ليعتريه عجب مما يراه
لا في سوس فقط بل في جميع المغرب ، ولكن الذي يقف امامه في كون مشيخة
سيدي يحيى مشهورة شهرة واسعة ، امتد صداها بعد موته الى مسامع
صاحب : (الوفيات) اننا لم نجد له اصحابا ينتسبون اليه الا ما كان من جدنا
الشيخ عبد الله بن سعيد ، والا ما كان من المبارك بن مسعود الذي قال
فيه الرسموكي :

المبارك بن مسعود بن علي الرسموكي التاغاتي ، صاحب المداعبات
الشهيرة والمفاكهات الحسان ، صاحب ولي الله سيدي احمد بن موسى
وسيدي يحيى بن عبد الله التملي ، توفي قبيل وفاة المنصور رحمهما الله
ببلدته ، انتهى ووفاة المنصور 1012 هـ .

هذا كل ما وجدناه من اصحاب سيدي يحيى ، ويفلب على الظن ان
مناقبه وكراماته التي يعزم مؤلف (الوفيات) الرسموكي ان يوردها في كتابه
ربما كانت انتشرت هنالك من في تلميذه المبارك ، وقد ادركها صاحب الوفيات
مشهورة ، وربما كان المبارك التاغاتي قريبا للمؤلف ، فنعلم ان المؤلف من
اهل تاغاتين ، لاننا نجهل من هو من رسموكية .

هذه نظرة حول ما قاله الرسموكي في الشيخ يحيى بن عبد الله ، ولنجل
بنظرة عامة حول اسرته ، فان هنالك اجدادا واحفادا ، لثرى كيف تلك
الاسرة والمجد ، الا تزال محافظة عليه ، ام القته ظهريا ، ولنمر الجميع
تحت انظارنا بالارقام على عادتنا في البيوتات ، مع الباس كل واحد ما البسه
التاريخ صلاحا او علما او كليهما .

1 عبد الرحمان بن عاصم : تقدم ما نعرفه عنه من انه تلميذ ابي يحيى المتوفى 685 هـ .

2 يحيى بن عبد الله بن يبورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم ، وهو المترجم له ، وقد عرفت ما نعرفه عنه ، وما سوى ذلك من زمن ولادته انما حزرناه كما ترى ، واما شيخه في التصوف فلم نعرفه ، وان كنت احسب انه لا يتجاوز مثل الشيخ احمد بن موسى ، وامثاله اذ ذاك مشهورون كثيرون

3 عبد الله بن يحيى

ولد المترجم ، قال فيه في (الطبقات) عبد الله بن يحيى بن عبد الله التملي من تحت الرمال - دثوئملالئن - كان رحمه الله من كبار الاولياء العباد حسن السميت كريم الخلق ، توثر عنه كرامات كثيرة ، اقبل عليه الخلق ، ويثنون عليه ، ويرون له بركة ظاهرة ، وفراصة صادقة ، وتواضعا تاما ، توفي ببلده مريضا سنة 1047 هـ .

واصل الترجمة من (الوفيات) غيران في هذه زيادة في الاوصاف التي تراها لكن في (الوفيات) انه قال : توفي : 1047 هـ . تقريبا ، فلا ندري ، اوقع الحضيكي على جلية الامر في تحقيق وفاته ، ام سقط لفظ - تقريبا - في النسخة التي نقل عنها من (الوفيات)

4 يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان

قال فيه صاحب (الوفيات) (الفقيه سيدي يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بن عاصم التملي من تحت الرمال (دثوئملالئن) ينتسب لرچراچة ، وهو من العلماء المشهورين ، توفي رحمه الله ببلدة انتملت في نحو اواخر 999 هـ انتهى ولم يزد صاحب الطبقات شيئا ، بل نقص بعض امور

5 سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان

قال عنه في الطبقات :

سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان التملي من تحت الرمال

– دويلالان – الفقيه الشهير الفاضل قاضي بلده ، والد الفقيه سيدي احمد بن سعيد المذكورة ، توفي رحمه الله سنة : 1017 هـ .

وهنا زيادة قليلة على ما في (الوفيات) ولكنها على الحاشية بتمطيط الاوصاف لا غير ، لان صاحب (الوفيات) وصفه بالقاضي ، ثم مطت الكلمة ، ولا شك ان كل قاض فقيه شهير ، وذو فضل ايضا حقيقة او مجازا

6 محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان

قال في الوفيات :

الفقيه القاضي سيدي محمد بن يعقوب بن سعيد التملي ، تولى قضاء بلده بعد وفاة اخيه سيدي سعيد ، مات عام 1030 هـ

ثم انني فتشت عنه في نسختي المنسوخة من (الطبقات) فلم أجده ، ولا اخاله الا ساقطا ، والا فما كان مؤلفها ليذره ، ثم لا احسبه يزيد على ما تقدم

7 احمد بن سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان

قال في (الوفيات) :

الفقيه القاضي سيدي احمد بن سعيد بن يعقوب التملي من تحت الرمال – دثوينملاثن – هو رجل صالح دين عاصرته ورأيته ، وتوفي رحمه الله ببلدته ، وهو على قضائها عام : 1040 هـ ودفن بموضعه (تحت الرمال) وهو ممن شكرت سيرته ، واستملحت طريقته ، وصفت سيرته ، رأيته مرة . انتهى .

وبذلك نفسه ترجمه في (الطبقات) مع اختصار المعاصرة والرؤية ، ومثلهما وله العذر ، لانه ما دام مقتصر على ما ينقله عنه في ذلك العصر ، فكيف يصنع الا ذلك ، وقد رأيت له بعض فتاوى في كناشة ، جمعت فتاوي كثيرة عند سيدي محمد بن عبد الله بن القاضي الايديكلي

8 محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن يبورك بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن عاصم ،

تقدم لنا ما في هذه السلسلة ، وان الاخرى هي الصحيحة ، ولولا ان هذا نقله سيدي محمد بن القاضي الايديكلي عن محمد ولد هذا الذي نحن بصدد ذكره ، لما ابهنا به ، ولا جرى به قلمنا

هذا استاذ جليل ، وعلامة كبير ، كان من علماء املن في اوائل القرن الماضي فكان وحده مقصودا في تلك الجهة ، ثم علم باسم قاضي (دؤينملالن) واحسب انه قاض رسمي على يد سيدي محمد بن يحيى اغتاج المشهور خليفة القائد عبد المالك بن بيهي الحاحي ، وقد امتد بجيوش مولانا سليمان الى هذه الجهات في سنة 1224 هـ فكانت قبيلة املن منضوية تحت ضبته ، ولذلك قوى ظني بما قلته ، والعادة ان المحتلين يبقون ما كان على ما كان خصوصا رجال الدين ، ولهذا نجد لشهرته بالقضاء دعامة رسمية ، ولم ادر عنمن اخذ ، وان كنت اخال انه من الآخذين عن الهوزيوي الذي ذكر عنه ابو زيد الجشتيمي لا اعلم الآن ذا علم او مفتيا الا اخذ عنه ، الا نادرا - او كما قال - ولهذا مال حسابنا الى ما ذكرناه ، وتوفي 28-6-1231 هـ وهذا التاريخ لوفاته منقول من كناشة ابن القاضي الايديكلي ، هذا ما اعرفه عن محمد بن محمد قاضي (دؤينملالن) كما اشتهر به عند الخاصة والعامة ، وقد رأيت توقيعه في فتاوى الكناشة المذكورة آنفا

9 محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان

ولد المتقدم ، وقد رأيت له آثارا تدل على انه عالم حسن ، وانه ورث من ثراث والده كنزا ثميننا ، ولكن اخباره كما هي غابت عني ، واحسب انه ممن اخذ عن ابي زيد الجشتيمي ، او عن احد العلماء الذين لهم شهرة بعد ان انصرم وباء عام : 1214 هـ وقد رأيت له ما يدل على انه لا يزال حيا سنة 1252 هـ .

10 احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (مكرر اربع مرات) ابن

عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله

هو حفيد الذي ذكرناه قبله ، وهو اليوم كاتب رسمي في مركز (تافراوت) ، وحين كان ممن اخذ عن الالفين بالمدرسة الالفية ، فترجئه الى (القسم الرابع) ان شاء الله

11 احمد بن حسين بن ابي القاسم

لم اعرف نسبه المرفوع الى الجد الاعلى ، رأيت له فتوى في الكناشة المتقدمة وهو حي كما احسب في الثاني عشر ، ولو كان علماؤنا يؤرخون فتاواهم ورسائلهم لما وقع المؤرخ في التردد بين القرون ، ولم اعرف له سوى ذلك

12 عبد الرحمان بن احمد من بني محمد ، علامة آخر يظهر مما رأيت

له من الفتاوي انه كبير المقام في العلم ، ولا اعرف عنه شيئا ، واحسبه ممن عاش في النصف الاول من القرن الماضي ، (ثم علمت انه تأخر عن ذلك العهد، وانه مقتول بيد ايت تازكا ، نحو 1300 هـ)

13 اخوه محمد بن احمد

ولد نحو : 1235 هـ وتوفي 22-6-1298 هـ احد الافذاذ المشهورين في القرن الماضي بالصلاح والعبادة والانحياش الى الخير ، ونصيحة العباد ، يسلك الطريقة الناصرية ويهتدي بهديها ، فكان ممن يعمل اقدامه لارشاد الناس فكثيرا ما يتوجه الى ايت بوهران ، والى ازغار .

اخذ عن الشيخ سيدي احمد بن محمد التيمنجيدشتي ، ثم شارط في مسجد (اداي) في قبيلة املن 36 سنة ، فاقبل على تعليم كتاب الله مع مجاهدة تامة وكان قبل ذلك كما احسب مشارطا في مدرسة تافراوت ، لانني رأيت ان فقيها يسمى محمد بن احمد الدؤينملائي شارط فيها في اوائل العقد السابع قبل ان يتصل بها الاستاذ سيدي محمد بن القاضي نحو 1267 هـ (ثم علمت ان محمدا هذا المشارط في المدرسة اخو محمد المتقدم ، وانهما اثنان وكل واحد منهما قرأ في تيمكيدشت) أحدهما محمد - فتحا -

كان محمد بن احمد المذكور قيوما على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكلف اصحابه ما قدروا عليه منها ، فيذكر كل واحد على وسعه ، وربما خرج مع تلاميذه فيدورون على القبيلة ، فيتعهد كل واحد من رجالها بما يقدر عليه منها ، وكان ايضا يسكن نائرات الفتن متى اندلعت في تلك الجهات

ومن عاداته اذا كان يمشي مع اصحابه في طريق انهم يتعهدونها
باماطة الاذى من الاحجار والشوك ، ولم يكن قط يتأخر عن تيمنجيد شنت ،
وهناك يلتقي مع الفقراء والمقدمين ، فيتواصون بالصبر ، وكان يرى من
هناك مولعين بالمرائي ، ولكنه هو لا يفضي بشيء ، ولا يتظاهر بأنه من اهل
تلك الناحية ، ولم يعرف له ما عرف الا بعد وفاته .

هذه ترجمة القاها الى اناس بالفاظ تماثل هذه ، وهم كثيرون ، ولذلك
تركناها كما يعرفون به الرجل ، ووجدت بخط صاحبنا الفقيه سيدي عبد
الله بن محمد الكرسي في الاستكأوري ما ياتي :

(في يوم السبت الوافي 22-6-1298 هـ مات الشيخ الورع الفقيه
الولي الصالح المرضي الزكي العابد الرافض للدنيا واهلها ، المقبل على
الآخرة بكلية وعلى ما يعنيه ، المتبريء من الحول والقوة والرياسة والجاه ،
الناصح لعباد الله السيد محمد بن احمد من بني محمد من تحت الرمال ،
التملي وهو تلميذ الشيخ السيد احمد بن محمد التيمكيدشتي ، ومناقبه لا
تحصى ان اردت ان تعدها وكفى بذلك انني ذرعت في الكاغد الذي يكتب
فيه رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدته ستة اذرع ، وهو يكتب في
ورقة حتى تكمل ، فيلصق اليها الاخرى حتى تكمل فكان الكاغد ستة اذرع
بلا تخمين ولا تعصب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، انتهى)

اخبرني بعض اهل اداي التي ابطأ فيها بالمشارطة : انه حين اظله يومه
جمع اهل القرية فودعهم وودع المسجد بأن اذن في جميع اركانه ، ثم توجه
الى داره فقضي عليه ، وكان رحمه الله معروفا عند الناس بسيدي محمد
نيت محمد - فتحا - .

هذا ما وجدته عن الرجل ، ويظهر ان صلاحه اعظم من علمه ، والا
فمالنا لا نرى أثرا لعلمه ان كان حقيقة عالما متمكنا

14 الحسن بن محمد - فتحا -

هو الحسن بن محمد - فتحا - بن احمد بن محمد بن محمد بن احمد
ابن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بن
ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم

هكذا بخط يده ومنه انقل ، ثم اتبعه نسبه من جهة ام جده ، فمحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يحيى الى آخر ما تقدم في طليعة الترجمة

اخذ عن الشيخ سيدي الحسن التيمكيدشتي ، وقد رايت كتابا انتسخها هناك وهي مؤرخة بسني 1286 هـ منها شروح المتون الصفري ، ومتن ابن السبكي ، وخطه وسط ، ومما كتبه في بعض طرر كتاب من كتبه :

ليعلم الواقف ان جل الناس في هذه البلاد السوسية عيدوا عيد رمضان عام : (1301) هـ بالبارود من غير رؤية الهلال ، نشأ البارود في ساحل البحر ، وشاع في الليل من السهل الى الجبل ، فكثرت من اعتمد عليه ، وقل من امسك ، ولما وصل موسم سيدي احمد بن موسى في منتصف غوشت ، نادى مناد يسأل عمن رأى الهلال الذي وقع العيد عليه ليلة الشك ، فلم يظهر احد ، فردد الناس النداء مرة بعد مرة ، فلم يبرز احد للشهادة ، فنادى اذ ذاك مناد في الناس ان لا يصام ولا يعيد الا برؤية الهلال ، او بنقلها عمن رأى ، كما يجب شرعا ، فان هذا الزمان لا يضبط فيه الناس ولا يبالون بشرائع الاسلام ، نقل ذلك عمن سمع النداء في الموسم وهي ثقة الضعيف الحسن بن محمد الرمالي التلمي الرجراحي لطف الله به

وللفقيه الحسن هذا ولد يسمى عمر من افاضل اصحاب الشيخ الالفي من الذين عضوا على طريقته بالثنايا والرباعيات والانياب والضواحك والنواجد ، ثم جمعوا عليها وراء ذلك شفاهم ، يمصون ضرعها ، وهو اليوم في نحو الستين من عمره يشارط في قرية (ايفير نتارچانت) من قبيلة املن ، لاقيته مرارا ، ويواظب الزيارة لالغ بفناء تام في المحبة ، ومن اغرب ما رايته له ان في مجموعة تحت يده قصيدة حسنة في مدح الشيخ التيجاني ، فكان يتبع لفظ هذا الشيخ ، فيستبدله باسم شيخ الطريقة الدرقاوية الالفي ، وربما صادم القافية ، ثم لا يبالي ، توفي والده الحسن سنة 1321 هـ (ثم توفي سيدي عمر نحو : 1370 هـ)

هذا ما امكن من هذه الاسرة الدويملالنية بحسب ما نعلم ، اعاد الله علينا من بركاتها

سیدی الحاج الحسین الافرانی

نحو 1248 = 4 - 10 - 1328

نِسْبَتُهُ :

هو الحسین بن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم

استفق ایها الیراع من سنتک ، وانفض عنک ما اراه علی عطفیک منذ
الزمت ان تجری فی تراجم اناس لهم من العلوم والمقامات حظوظ غیر عظيمة ،
ولم یرزقوا فی الازل ان تتلأ سماءات تراجمهم بکواکب المعارف الوهاجة التي
لا تتلأ التراجم حقا بسواها ، فقد ودعت الآن من كانوا علی تلك الصفة ،
واقبلت علی علامة عظیم یمید الخافقان بما اوتیه من معارف زاخرة ، ومناقب
باهرة ، ومجد عظیم یخضع له القمران ، ویهتز به المشرقان .

ایه ایها الیراع ایه ، فان الحاج الحسین الافرانی لصنو العلامة ابن
العربی الادوزی، وأخو الشیخ الامام الحاج احمد بن عبد الرحمان الجشتیمی،
علما وجلالة وهمة وتفوقا ، بل له من نواح اخرى ما عجزا عنه لاقتصارهما علی
الاخذ بسوس خاصة ، فقد ثافن فی فاس ، وکرع فی مصر ، فخلط بین المشرق
والمغرب ، فانقاد له فضلها ، فارنا بحقک ایها الیراع ما یتحققه من هذه
بعض صفاته ، كما أریتنا فی ترجمة المتقدمین ما اریتنا

الحاج الحسین الافرانی خیر علامة خاض العلوم بسوس فی عصره ، لانه
ضم الی ما ورثه عن آله ، وارتضعه عن مشایخ جزولة ، ما فاز به اثناء رحلات
قام بها خارج جزولة فرجع منها بافهام نادرة ملقحة بالروح الجديدة ، وبکتب
نادرة استوعبها مطالعة فاستوعب ما يشده به اقراؤه کالاستاذ الادوزی ابن
العربی الذي یقول من این للحاج الحسین ما یاتی به فعندنا من الکتب ما عنده،
فکانت کلمة تدل من الاستاذ الادوزی علی انه لم یدرک بعد ان کل ما حوته
خزائن سوس من الکتب لیس الا کقلامة ظفر ازاء ما اظهرته هذه الاعصار من
المطبوعات فضلا عن الآلاف المؤلفة من مخطوطات المكاتب الکبری فی الحواضر
ففاز بذلك من أعمل الرحلة وثافن الرجال وبادل الافکار .

ان للحاج الحسين الافراني - والحق يقال - لمكانة مكيمة في المعارف على اختلاف انواعها ، ثم كلفه الله وراء ذلك بما تلقاه من استاذة الكنسوسي من تصوف هادىء لا ينكر احدا ، ولا يجبه بطريقته طريقة اخرى ، ومعلوم ما للاديب الصالح الكنسوسي من ذلك ، ونظرات في (الجيش) و (الجواب المسكت) ، واثناء رسائله ، توحى الى صاحبها ان الرجل خلو من التعصب الاعمى ، فذلك هو ما اقتبسه الاستاذ الافراني فضمه الى ما عنده من المعارف فكان له كل ذلك الحسنى وزيادة .

لم ينبت الاستاذ الافراني من منبت سبخ التربة ، ولا تفرع عن شجرة غير مثمرة بل نبت من بلد طيب (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) ، وتفرع عن اسرة تنتمي الى السلالة الهاشمية فيما قاله المترجم نفسه اثناء رسالة الى الشيخ سيدي مسعود المعدري كما حدثني به من راي الرسالة نفسها ، والناس مصدقون في انسابهم ، ولا يدفع ذلك الا حاسدا او متمعلم ، لان علم الانساب قد انتهى بسوس الى الاستاذ المترجم الذي اذا قال فقد قالت حدام ، على ان الفرع ليدل على طيب الاصل ، وجودة الفرند لتدل على جودة النصل ، كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتفرس الا في منابتها النخل

وكما قال بشار :

وليس المجد منتحلا ولكن * على اعراقها تجري الجياد

وسمعت ان اسرة المترجم تمت الى اسرة ادشاكوك المجيدة في تاتكرت من افران ،

ثم ان الاستاذ الحاج الحسين ليس اول من اعتنق المعارف من اهله ، بل كان قبله بعض ابناء عمومته طالعين في آفاقها ، حدثني بذلك احد اهل تلك الجهة ممن يعتني بتتبع الانباء ، واستنباط المسميات من الاسماء ، فلنذكر من ذكرهم لنا اولاً ، ثم نتخلص للمترجم

وما عن هوى كان التفزل انما * يسنن قبل الفرض ان يتنفلا

1 - عبد الله بن بلقاسم السوقي ،

كان عالما مذكورا في اواسط القرن الماضي الى اواخره ، وربما طعن في اول هذا القرن ، وكان قلمه قد يتحرك في الاحكام ورسوم الشهادة ، قسال الحاكي ان محررات يده موجودة بكثرة في تلك الجهة ، وهو على كل حال ليس بذئ شهرة كبيرة ، وانما هو وسط في معارفه ، ثم غمر بين علماء آل اساك ، وبين سيدي محمد بن ابراهيم ، ذلك كل ما يعرفه عنه من حدثني ، ثم وعدني ان يوافيني بالزيادة ، ولكن اوصد (1) الباب ، فلم يتيسر ما يراد

2 - محمد بن عبد الله بن بلقاسم السوقي .

ولد المتقدم ، لازم في مسجد السوق الفقيه سيدي محمد بن علي الايفيري التامانارتي نحو 12 سنة ، فبه تخرج حتى كانت له معلومات حسنة وان كانت لا تعدو الوسط ، وكان جيد الخط ، يجول ايضا في النوازل ، وكان يشارط في مسجد (تازايتونت) الذي كان جامعا كبيرا قديما ولم يزل على حاله ، وهو في هالة غير متسعة في العلوم حتى توفي عام 1337 هـ ، ولو كان في غير افران التي فيها امثال العلامة الطاهر بن محمد ، والعلامة محمد ابن الحاج ، والعلامة احمد بن صالح ، لامكن ظهوره ، ولكن المصباح لا يظهر مع الشموس المشرقة (اذا صرصر البازي فلا ديك يصرخ) ولمحمد بن علي وولده احمد الايفيري ذكر في مكان آخر ان شاء الله .

وقد تواتر عند الناس ان المسجد المذكور مبني في مركز قديم للمتونيين ، وهناك صومعة يقال انها ايضا من آثار مركز اسماعيلي وهناك كان قائد كبير يسمى اشغود ، ذكر لي بعضهم ان بعض الرسائل الاسماعيلية اليه موجودة الى الآن ، والجدران الهائلة التي هناك في مساكن الاسرائيليين تدل دلالة صريحة على عمارة هائلة مرت هناك ، ويقول الاسرائيليون انفسهم ان ذلك الملاح اسس قبل البعثة المحمدية بكثير ، وله عند اليهود حرمة في كافة المقرب (وقد نشر مقال في احدى المجلات الفرنسية في الرباط حول هؤلاء الاسرائيليين)

(1) كتب هذا في المنفى الذي ضرب فيه الحصار

3 - العلامة الحاج الحسين .

نشأ هناك في قرية السوق كما ينشأ أبناء البداوة لا يعبأ له ولا يتنبه الى ما اودعه الله فيه مما ابرزته الايام بعد هذا الحين ، وهكذا ينشأ الاعاظم في بساطة وخمول ، ثم لا يزال الدهر يعلي شأنهم شيئاً فشيئاً حتى يصبحوا وهم زينة الحياة الدنيا ، او كالجبال الراسخة في اكناف الارض تمنعها من ان تميد .

متعلمه للقرآن

لابد ان يكون تدرج في القرآن بين يدي اهله في قرية (السوق) بادية ذي بدء كما هي العادة المتبعة ، والعادة قلما تتخلف ، ثم حدثت انه استتم دراسته القرآنية في مدرسة (اسنجراد) من ايت جرار عند بعض مشاهير القراء هناك ، ولعل ذلك هو سبب الاتصال الذي رآناه بعد هذا الحين بين الاستاذ وبين آل ايليغ ، لما كان يشاهده من مكانهم من عهد الصغر ، ولعهود الصغر ذكريات لا تنمحي في الجوانح

اساتذته السوسيون :

1 - اول من اخذ عنه المبادئ الاستاذ سعيد بن عبد الله الاساكي الافراني ، ويوتى لي انه اخذ عنه في مدرسة تانكرت لانه كثيرا ما يشارط فيها ، وترجمة هذا الاستاذ توجد بين تراجم اهله في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) من هذا الكتاب ان شاء الله

2 - احمد بن عدئي العركوبي من ايفير مكلولن ، وكان يشارط احيانا في مدرسة تازروالت حتى توفي فيها ، كما كان يشارط ايضا في مدرسة (اسنجراد) ، وسيذكر ايضا في ذلك الفصل مع احد اهله ، هكذا بلغني انه من اساتذته في المبادئ وان كان شيخنا سيدي الطاهر بن محمد الافراني لا خبر عنده عن ذلك

3 - سعيد بن علي الابرايمي اخذ عنه ايضا في المبادئ ، لاني وجدته لقبه بالشيخوخة اثر القصيدة العينية النبوية لابي العباس الجشتيمي نسخها له ، ولم اعرف عن سعيد هذا الآن شيئاً

4 - العربي بن ابراهيم الادوزي الامام الكبير ، سمعت استاذنا الطاهر بن محمد الافراني يقول : ان المترجم صاحب استاذة هذا ست سنين .

وقد كان تلقى الطريقة التيجانية قبل ، فامرہ استاذہ المذكور ان لا يشتغل بها ، وان يفرغ جهوده لدروسه ، قال المترجم انه قضى بعد ذلك اذكار تلك السنوات كلها

5 - ابو العباس الاستاذ العظيم احمد بن عبد الرحمن الجشتيمي في مدرستهم ، وقد عاشه هناك الاستاذ عبد الرحمان السالي الايسي ومحمد بن ابراهيم التامانارتي الافراني ، ثم اتصلت صحبتهم بعد ذلك ، ومما يتعلق بهذا قصيدة للاستاذ الجشتيمي خاطب بها تلميذه هذا بعد ما ظهرت مكانته ، ونصها :

على مغنى العلاء ابي علي	سلام من اخي ود صفسي
سلام طيب الانفاس يزري	يعرف الند والمسك الذكي
ويزري بالوصال اذا تبدى	بعيد الهجر من حب رضي
ونلت بفضل ربي كل خير	من الدنيا يؤول لاخروى
وبعد فقد كساك الله فضلا	ثياب العلم ذي الشرف السنسي
فاكرمها بتقوى الله فيها	وحاذر ان تدنسها بشي
وكن ذا همة تعلو الثريا	ولا تتخط للامر الدنسي
ولازم نشر ما علمت حتى	يرى لردا حياتك خير طي
وكن متعوذا فيما جهلتهم	بجنة كل ذي علم تقى
ولا ترهب سقوط الجاه منها	فتكذب في الحديث على النبي
وقم بالحق لا يزللك حب	ولا خوف عن النهج السوي
وكن حرا ولا يسلبك حرص	على شيء كما الحر الابي
واياك الدنا وغرور وجهه	لهافي اعين الحمقى بهي
فعن قرب تؤول الى فناء	وتبقى حسرة الصب الفوي
يعض يديه عما كان قدما	يهيم به كفيلان بمسي (1)
فلا تنظر لغير الله فيها	فان العمر في العمل الزكي
ولا تأخذ بدين الله شيئا	من الدنيا الدنية يا صفي
ولكن صنه عن تلك الدنايا	والا جئت بالشيء الفري (2)
واسهم من دعائك كل وقت	رجوت به الاجابة للغيبي

(1) المراد بكفيلان وبمي ، غيلان بن عقبة الملقب ذا الرمة من عشاق شعراء العرب المشهورين

اغرم بمية بنت عاصم ، وشيب بها في شعره .

(2) الشيء الفري ، المخلوق المكذوب المتعجب منه ، قال الله تعالى ، (لقد جئت شيئا فريا)

أخيك المبتلى بالخوض دابسا من الذنب المروع في أتى (1)
عساه يفوز بالففران فضلا واحسانا من البر الولي
بجاه محمد خير البرايا نبي الرحمة المنجي الحفي
عليه وآله وصحاب صدق صلاة بالسلام من العلي

في الحواضر

أعمل الرحلة الى فاس أولا بمصاحبة رفيقيه عبد الرحمان السالمي ،
ومحمد بن ابراهيم الافراني ، وأخذ كذلك في مراكش عن العلامة اكنسوس ،
ثم بعد ذلك أخذ أيضا في مصر ، وأحسب ذلك وقت حجته الأولى ، وتفصيل
حياة المترجم في هذه الرحلة العلمية ليست عندي ، ولذلك نوجز عنها في هذه
الفترة . وقد سمعت سيدي الطاهر بن محمد يقول : كان على المترجم وصي في يده
له مال ، فصار ينفق عليه منه حتى أتم دراسته فقال له : لم يبق عندي من
مالك الا ما تؤدي به فريضة الحج ، فكانت حجته الأولى

في سوس متصديرا

تجد في ترجمة الفقيه سيدي محمد بن بلقاسم التيوي الالفي بطاقة
كتبها اليه الاستاذ الافراني هذا مورخة بذي الحجة عام 1285 هـ ، وبذلك
نستدل على انه اذ ذاك قد استقر في داره وانه صار يجول في النوازل من قبل
ذلك الحين ويتصل باهلها ، كاحمد بن محمد بن علي الايفيري الذي كان اذ
ذاك مشهورا في النوازل ، ثم علمنا ان الاستاذ محمد بن عبد الله الالفي كان
اتصل به في افران قبل 1291 هـ حين كان يأخذ في تلك المدرسة التانكرتية عن
العلامة محمد بن ابراهيم ، فقد سمعت انه ربما كان أخذ عنه اذ ذاك بعض
أخذ ، ولست في ذلك على يقين ، وانما الذي اتيقنه انه تلقن منه الطريقة
التيجانية ، وذلك يدل على شهرته بتلقينها منذ راجع اهله فاستقر بداره في
قرية (السوق) بتانكرت في اول العقد التاسع ، وكان اذ ذاك يتردد على مجلس
سيدي الحسين بن هاشم ، ومجلسه اذ ذاك بايلغ اعظم مجلس يضم افاض
علماء الجنوب السوسي ، فهناك سيدي محمد بن عبد الله الاساكي واخوه
سيدي سعيد وسيدي احمد بن محمد بن عدي المركوبي ، وسيدي احمد بن
ابراهيم السملالي ، وسيدي محمد بن صالح التادراتي الباعمراني وسيدي

(1) السيل الاتي ، الاتي من حيث لا يدري .

الحسين العبد لاوي الباعمراني ، وسيدي محمد بن محمد التوماناري الخياطي وسيدي المدني الناصري ، والفقيه سيدي محمد بن بلقاسم الالفي وكثير من نظرائهم الذين يترددون الى ايليغ ، خصوصا في الرمضانات حيث يقام حفل عظيم للبخاري على العادة ، فكان الاستاذ سيدي الحاج الحسين منتظما في سلكهم منذ مفتتح العقد التاسع من ذلك القرن ، وقد كان آل الحاج بلقاسم الافراييون - اسرة الاستاذ المترجم - عيبة آل ايليغ وكرشهم وانصارهم في افران ، فكان ذلك من بعض الحوافز للاستاذ حتى يندمج في ايليغ ، وقد راينا ايضا انه اخذ القرآن في مدرسة ايسنجراد جارة ايليغ فيرى العظمة التي يتمتع بها الرئيس سيدي الحسين بن هشام يعسوب الجوسوب اذ ذاك ، ورئيسه الطبيعي الذي منه واليه الاراء صادرة وواردة

نال سيدي الحاج الحسين هناك شفوفا يتزايد مع مرور الايام ، فكانت مكانته في التحصيل للمعارف ، واتساع اخلاقه ، ودماثة جانبه ، تتسامى به شيئا فشيئا ، فيرتضي في المهمات ، فاليه رفعت القضية التي كانت بين العلامة احمد السملالي والفقيه التادرارتي ، كما هو مبين في تراجع التادرارتيين في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) ، وذلك حوالي مجالس رؤساء (انجرض) بتامانارت ، و (ايليغ) بتازاروانت ، و (انجلميم) بوادي نون ، يزيده رفعه شان ، وترددا على الالسنة ، والناس مولعون طبيعة ان يكبروا من راوه مع الاكابر وان لم تكن له مزايا يكبر بها فكيف بمثل سيدي الحاج الحسين الذي له مؤهلات كثيرة من نواح شتى ، تعلي مقامه في اوج قلما يناله الا الافذاذ ، ثم ان تردده في جولانه لم يقتصر على رؤساء الجنوب السوسي فقط ، بل كانت له قدمات على رؤساء (راس الوادي) و (حاحة) والمدن : فقد كان يتردد على شيخه الكنسوسي حين لا يزال حيا ، ولم يتوف الا في نحو 1294 هـ ، حتى نال من ورائه معاريف كثيرين ، واطن ان وساطته هي التي فتحت الباب للاستاذ حتى اتصل بالدوائر المخزنية ممن كانوا يعتنقون الطريقة الاحمدية التيجانية ، فبذلك كله ينال شفوفا عظيما على غيره من بعض علماء جزولة القابعين في بيوتهم ولا يكادون يتجاوزونها

الى حيث ماء المكرمات نـمـير
لراكبها ان الجزاء خطـير
وان بيوت العاجزين قـبـور

دعيني ارد ماء الفاوـز ءاجـنـا
فان خطيرات المهالك ضـمـن
الم تعلمي ان الثواء هو التوي (1)

من اجل ذلك صار الاستاذ الافراني يتمتع بشهرة طويلة عريضة قبل ان تأفل شمس القرن الماضي ، ويرفل في حلة لحمتها علمه المتين ، وسداها خلقه الرصين ، وطرازها كرمه المعين فكان له في كل ميدان ذكر ، فبين يدي سلسلة من الفتاوي تضم كثيرين من علماء عصره يكون احدهم فيها كلها ، ويجسد القارئ ذلك في (المجموعة الفقهية) ، كما يجد ايضا فيها فتوى له حول مسجد جمعة (ادّاي) ، كان قديما بين الديار ، ثم بتناول الازمنة وقع الجلاء من حول المسجد في اوقات مختلفة الى ان ادى الحال الى ان بقي المسجد نائيا عن الديار ، تكلم في ذلك بين كلام آخرين من أهل عصره ، ولكن لم نقف الا على فتواه فقط ، ففيها نجد اطلاعه وتعاليه الى مصادر عالية بالنسبة الى وسطه ، ثم يتناول الى الحديث مستدلا به ، وذلك ما لم نعهده عن احد من اهل بلاده ، ثم بينما هو مرسل لقلم الافتاء على هذه الوتيرة اذا به يمد له من ناحية اخرى رواقا متسعا من القضاء ، فيقصده ارباب الخصومات ويرون منه ما لا يرون عند كثيرين من معاصريه من كرم ، يرحب بهم اولا ، ثم يفرش لهم مواطىء لينة ، ومن قلة طمع فيما لديهم من وراء فض نوازلهم ، على حين ان غالب اقرانه يماكسون من يقضون له كما يماكس البائع وراء معروض عرضه في السوق ، فاين هذا من سيدي الحاج الحسين المتساهل الذي لا يطلب ما لم يكن مقدما اليه ؟ ولا يفتح للمماكسة والمساومة حول النازلة بابا ، فبذلك كانت مثابته في افران كانها ورثت مثابات آل (اسّاكا) جيرانه الذين عرفوا بذلك قبل ان يظهر هو في الميدان ، واليك بطاقة كتبها الى معاصره ابي فارس الادوزي حول قضية :

« الفقيه البركة العلامة السيد عبد العزيز بن محمد بن محمد بن احمد المرابط الادوزي امدكم الله برضاه وازاح عر حضرتكم كل مشوش مله عن الله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركته ، هذا فلا تنس حق الاخاء ، اما بعد فاعلم اني ارخيت العنان في قضية الحامل وخصمه ، وان الغلل التي ألزمتها لخصمه سمحوا فيها كما ستقف عليه ان شاء الله واني كلفت الحامل ترك الغلل واعطاء ما دفعه خصمه اليك على ما بيده ، والتزم بذلك ، ولذلك وجهته اليك ، والمسألة بحالها ، وتشاور مع الحامل فيما هو الاصلح لك وله ، ولا تقبل من جهتك ما يضر في الدين والدنيا ، والاشارة اولى في الامر ، والكتم حتى يتم الامر ان شاء الله على حسن الحال ، والسلام ، الحسين بن الحاج احمد الافراني »

اذن هو مفت وقاض ، ولكن هل نال ما نال بالفتوى والقضاء وحدهما ؟
 كلا ، بل هناك التدريس ايضا ، فقد جال فيه ما شا الله ، فكانت مدارس
 تازروالت ، وايت رخا ، وسيدي بوعبدلي ، مَجْرٍ عواليه ، ومجرى سوابقه ،
 فيكون بالفتوى والقضاء والتدريس حاز ما حاز من الشغوف بين اقرانه
 الاعلى ، وكانت مكارمه التي احيا بها سنة حاتم تشيد له ان جالت حوله
 الاحاديث بين المتسامرين ، وبين اصحاب القوافل - وكل اهل ذلك العصر
 اصحاب قوافل لبداة المواصلات - حين يتجاذبون الاحاديث دفعا لسام
 المسافات ، ووحشة الطرق ، مالاتشيد له الاقلام والطروس ، وتقريراته العليا
 بين الدروس ، والناس مولعون باطراء من لحظته عين السعد ومن طبيعة ابن
 آدم ان يقرأ ماثر الناس في الصحف الطافحة بالالوان المتخيرة ، اكثر مما
 يقرأ عنهم في الصحف المحبرة ، وكثيرا ما ليم المترجم على جوده الفياض
 الذي لا يزال يوليه ويواليه ، ودبت اليه الانفس الكزة توسعه عتبا بحججها
 التي قال فيها الشاعر

وللبخيل على امواله علل يوسفنه ابدا ذما وتبكيها

وكما قال بعض الالفين :

دعوني دعوني ان في القلب لوعة	تاجج لا تهدأ بغير ندى الجود
اذا كان موجود البخيل بكنزه	فان الذي انفقت كنزي وموجودي
اليكم فبحر الجود بحر سفينتي	به وحده تجرى فترسى على الجودي

ومن كثرة اتصاله باهل البيوتات الماجدة في سوس علا له شأن حتى كان
 كذلك عند البيوتات خارج سوس ، فقد كان للاكلاويين فيه اعتقاد ، وهو
 استاذهم في الطريقة التجانية الاحمدية كما هو استاذ امثالهم فيها في سوس ،
 وبهذه الاتصالات تتوالى اليه الهدايا من الجميع ، كما يختار ان يتصدر في
 المجامع ، فقد جاءت يوما رسالة حكومية في شأن خلاف جرى بين الجرايين
 واهل (ايليغ) فكان هو الذي تولى قراءتها في المجمع ، فقطعت جهيزة قول كل
 خطيب .

محنته الاولى

يا لله من محن الدهر التي لا توكل الا باعظم الرجال ، وعرائين الشرف ،
 فقلما تجد صاعقة محنة ساقطة الا على راس عال من بين الاخيار ، فان كان

(فرانكلان) (1) المخترع الاميركي الشهير اكتشف لاقطة الصواعق الجوية ، فليت شعري من يكتشف لنا ما يدرا عن الناس صواعق محن الزمان التي لا تفتأ تنقض حيناً بعد حين على هامات الافذاذ ، ثم لا يشفق ولا يرثى لهم احد ، الا تكلفا من اصدقاء امس ، والا مراعاة من اعداء امس واليوم الذين يقلب بعضهم لسانه بالتفجع وان كان قلبه مليئاً بالتشفي والشماتة ، فلو تكشف الصدور عن سرائرها للانسان لتجلى له مصداق قول الله تعالى (وما تخفي صدورهم اكبر) .

كانت للاستاذ الافراني تلك المكانة المتقدمة في قلوب الناس ، فكان لاشك قذى في بعض الاعين ، في الوقت الذي كان فيه قررة لبعضها الآخر ، فقد كان له اتصال بايليج كما رايت ، وحين رجع سيدي محمد بن الحسين الايليقي من عند السلطان مولانا الحسن بقيادة قبائل منها افران ، وكان آل الاستاذ - آل الحاج بلقاسم - صاغية (ايليج) من قبل هذا العصر ، كان لابد ان الاستاذ من اهله على نمط ما قال دريد بن الصمة :

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

فشاع في افق (تاتكرت) ان الاستاذ جاد في تطلب تنفيذ كلام سلطان البلاد ، وان يتم ما صدر به امره الشريف ، ومعنى ذلك ان تكون هناك مغارم وسجن من اهل (ايليج) ذلك ما يعتقد آل (تاتكرت) الذين كانوا قلبوا ظهر المجن لايليج من يوم حوصر فيه سيدي الحسين بن هاشم عام 1302 هـ ، ذلك الحصار الذي هتك سجف هيبتة ، وما كان احد من اهل عصره يظن انه سيهتك ، لولا ان الله ما رفع شيئاً الا وضعه ، فمن ذلك اليوم انقلب آل (تاتكرت) على (ايليج) بعد ان كانوا يتفياون ما شاء الله من عقود السنين ظله الوريث ، انقلبوا بانقلاب الدهر ، وقلما يبقى الوفاء من كثيرين ممن تعرفهم منك واليك ان لم يبق لك ما كانوا يعرفونك به ، وذكر الله ابن الخطيب برحمة عطرة اذ يقول :

تلون اخواني علي وقد جنت على خطوب جمّة ذات الوان
وما كنت ادري قبل ان يتنكروا بان خواني كان مجمع خوان

(1) هو بنجمان فرانكلان السياسي ، الرياضي ، الاديب ، الاميركي ، ولد في بوسطن عام 1706 م ، ومات في 1790

كانت (تانكرت) دائما في عداد انصار (ايليغ) الى ان ثارت القبائل كلها ضد (ايليغ عام 1302 هـ) فكانت احداها ، ولذلك يفهم اهلها من الظهير الذي توصل به صاحب (ايليغ) المتضمن للاستيلاء على (تانكرت) ان المقصود به اخذ الثار ، فثار ثائرهم لذلك ، فحين كان عال الاستاذ المترجم لا يزالون يفون لايليغ اتهمهم اهل (تانكرت) بانهم يعملون لتنفيذ ما في الظهير المذكور ، وهذا هو السبب حتى غادر المترجم واهله ديارهم الى (تاغجيجت) حيث بقوا ما شاء الله ، وهناك زاره الاستاذ علي بن عبد الله الالفي في طلبته مادا اليه يد الاعانة باحمال من الحبوب ، وذلك عام 1306 هـ ، وفي مرجعه من عنده صادف امامه الشيخ سيدي المدني متوفى ففصله بيده ثم كان ممن طوا عليه ، بهذا حدثني العم ابراهيم

اختلف الذين يحدثنني عن الاستاذ المترجم ، فمنهم من يقول ان له حقيقة يدا خفية او علنية في كل تلك الهزاهز التي يصاب فيها ويجلى بسببها عن مثواه ، ومنهم من يقول انما يظلم الاستاذ ويحسده جيرانه على النعمة التي اضافها الله عليه ، فيتخذون امثال هذه الامور ذريعة الى النيل منه ، وانا ممن يميل الى هذا الرأي الثاني ، لاني آنست بنفسي كيف يظلم الناس البريء وكيف تنحط النفوس البشرية الى الحضيض فتتطلب ما هو اوهى مما عند العنكبوت فتقنع ان تنسج منه حججا وبراهين تكون هي نفسها اول مومن بانها آفكة فيما تدعى ، وكاذبة فيما تحاول ، ولكن مقصودها ما وراء ذلك من حاجة في نفس يعقوب ، ذلك ما ترجح لدي عن الاستاذ ، وانه ما كان ليخوض على كل حال مع الخائضين من اهله ، الا اذا صدرت منه كلمة او اضطره المناوئون حتى يفعل ما فعل الحارث بن عباد :

قربا مربط النعامة مني	لقت حرب وائل عن حيال
لم اكن من جناتها علم الله	هـ واني بحرها اليوم صال

نعم ان للاستاذ نظرة عامة فاق بها فقهاء عصره كافة ، وهي انه لا يريد الا ان يكون دائما في كفة الحكومة كيفما كان الامر ، ويسعى في تنفيذ اوامرها ، وبهذا عرف طوال حياته .

مراجعة الاستاذ لداره

كذبت آل (تانكرت) انفسهم الاثيمة ، فان الاستاذ ليس لهم وحدهم ، وما مجده مثل مجد ابن حبوب احد رؤسائهم الذين يخبون ويضعون بين

الذين يناوئون الاستاذ ، لان للاستاذ من وراء علمه وسؤدده واتباعه في الطريقة الاحمدية التيجانية لانصارا لو صمدوا الى ما بين قريتي (السوق) و (تيفرنست) لنسفوه نسفا ، ولكن امثال الاستاذ ممن يقابلون الحوادث بالصبر ويتلقى المقدور بالرضا ، ويترك الماضفين لعرضه ، والمتوسعين مما سينالونه وراءه بسببه لمن هو لكل ظالم بالمرصاد ، وسيطلع الصبح باخذ الثار منهم من حيث لا يحتسب الناس ، اليس الصبح بقريب ؟

اتخذت وسائل فتاب الاستاذ الى داره ، فراجع ما كان له من كرم حافل ، ومن وفود تنابه من كل جهة ، فاقبل على شأنه ، واحسب ان مشارطته في تلك المدارس كانت في هذا الطور ليرتاش فيسترد بعض ما كان لابد ان يضيع بسبب الجلاء ، فافاض الله عليه نعمه تترى ، وسالت اليه السيول من كل بطحاء ، فكان لا يهتبل الا بالكتب ، وقد بدأت المطابع تستخرج دفائن الخزائن ، وتستنبط من قرائح العلماء الجدد ، فكان زهده في الممتلكات المعهودة منصبا في نهمه بالكتب ، فلا تقع عينه على مطبوع او مخطوط - وما اكثر المخطوطات اذ ذاك في صقعه - الا اشتراه ان امكن ، مع حسن الاختيار ، فينتقي ما يفيد ، ثم لم يزل ذلك هجيراه حتى كانت خزانته اعظم خزانة في جهته التي يسكنها وكان ايضا يتردد الى الحواضر لا يغيب زيارتها ، فيسزداد تعرفا باكابر المغرب الحاضرين والبادين ، فادرك في هذا الطور عظمة ما مثلها عظمة بالنسبة اليه والى وسطه ، فقد بدأت الطريقة الاحمدية التيجانية تنتشر عنه بكثرة ، وكان وحده قطب رحاها في الجنوب ، وهناك آخرون تصدروا فيها ولكنهم لم يسعدوا سعده ، وقد رايت القائد المدني الاكلاوي وامثاله اتصلوا به في ذلك الحين فتلقنوا منه الطريقة ، وكذلك بعض رؤساء (حاحة) فتكون له في القلوب ناموس وشهرة عم اندية ما بين فاس والحمراء الى وادي نون ، فالعلماء يذكرونه بعلمه الواسع ، والرؤساء ماخوذون بسؤدده الذي يبهريهم منه اذا جلسوا اليه مما لا يجدونه في كثير من علماء قطره ، واتباعه ومعتقدوه يشيدون بما يرونه منه من ارشاد لطيف ونصائح هينة لينة تضع الهناء مواضع النقب ، ومن بعض كرامات وكشوفات ياثرونها عنه .

كذلك كان الاستاذ سيدي الحاج الحسين الافراني قررة كل عين ، وذكرنا معسولا على كل لسان ، فكان تلك المحنة انما زادت شأنه فوق ما كان عليه ، وهكذا الذهب الابريز لا يزداد بكثرة عرضه على الصلاء الا صفاء ولمعانا وجودة .

القنسى فى لظى فان غيرتنى فتيقن ان لست بالياقوت

فى الحجاز

« احقا لشمس العصر عزم على الشروق للشرق أم اقول الناس بهتان ؟
فان صح فهي شمس غرب تشرقت وحانت قيامة الندى ، ليتهم مانسوا
فبالله لا تقم قيامة معشر حياتهم كانت يداك وان بانوا »

« الجواب من بعض الالفين عن لسان حال الاستاذ »

اشرق حقا كي تبل حشاشتي ويرقأ دمع بالتشوق هتان
ازور ربوعا ليس يعتاد زورها سوى من له فى الدين سر وعلان
فاصدر ايضا نحوكم فتروننى كأن لم اكن ممن عن الربع قد بانوا

ذلك ما خاطب به الاستاذ سيدي محمد بن مسعود الاستاذ المترجم
حين سمع بانه عازم على الحج ، وذاك ما يجيبه به بلسان الحال .

سمعت مما مر انه كان حج الحجة الاولى ، ولسنا على يقين عن السنة
التي كانت حجته فيها ، وانما الذي نتيقنه هو انه حج ايضا نحو سنة 1314 هـ
فى رفقة القائد الحاج احمد التامانارتى ، وكان للاستاذ اتصال قديم كما رايت
برؤساء (تامانارت) الذين هم اخوة الايليبيين فى الرئاسة ، يتساندون مع
رؤساء (اچنليم) فيقتادون القبائل التي تنتمي لعصبية (تاجوزولت)
فلذلك تكون الديار الثلاث بكل من تامانارت و اچليميم و ايلغ تنظر نظرة واحدة
حتى الى العلماء الكبار ، كالاستاذ المترجم ، وكانت العادة جارية من قديم ان
احد العظماء اذا اراد ان يحج فانه يستصحب معه افاضل علماء وعبيادا
وامثالهم من الاخيار ، وتلك عادة حاتمية كان آخر من مثل دورها فى هذا
الوقت القائد العيادي الرحمانى الذي انفق على اربعين ، ونفقة اليوم وما ادراك
ما هي ، تدل على كرم متأصل الجذور ، وكان آل تامانارت الكرماء قديما
وحديثا يمثلون ذلك الدور مرات ، ولذلك تشرفوا بمصاحبة الاستاذ الافرانى
رحمه الله ، وبناشرين ك بعض افاضل مرابطينا (سيدي الحاج صالح) وقد
حج المترجم ثلاث مرات

مع الجيولوجي

كانت حجة الاستاذ مغناطيس شرفه العظيم ، فلم يكذب يرجع (ان كان حج في آخر 1314 هـ ، ورجع في 1315 هـ كما اظنه) حتى تبسمت له السعادة عن ثغر معسول فشاهد ثاره من التانكرتين يوخذ ، وقد رأى من اعدائه امس من يبصبصون امامه ليكون لهم خير شفيح الى القائد الجلولي الذي القى كلكله اذ ذاك على قبائل الجنوب ، فنهب بعضها ، فكانت (تانكرت) من المنهوبات ، ولم يسلم فيما سمعت ، منها كلها من حدها الاسفل - قرية السوق - الى حدها الاعلى - تيفر سنت - الا دار الاستاذ المترجم ، ودار سيدي الطاهر بن محمد الافراني استاذنا ، ودار الناصريين ، لا غير ، فانت دولة الاستاذ ، وكانت هيبتة ومعرفته في الدوائر العليا تمللي على القائد الجلولي ما تمللي ، ممن احترامه ، فجالت يد القائد سيدي احمد بن محمد بن الحسين التازاروالت في القبائل التي في مرسوم والده الحسني ، فكانت (تانكرت) تؤدي الاتاوة وهي صاغرة ، ويوخذ منها الثأر مما فعلته قبل اليوم نحو (ايليغ) وشيعة ايليغ ، وكان مركز (دار احدىادو) مثنوى جند حارس حاحي يسمي رئيسه علي امارير ، فكان للاستاذ عنده جاه كبير ، فمال الناس الى دار الاستاذ للاستشفاع ، اخبرني بعض التيمنولائيين ان احد كبرائهم اذ ذاك اسر في قصبة احدىادو ، وارسل به الى تيزنيت فاهرع اهله الى الاستاذ يتطلبون وساطته عند رئيس المركز ، فذبخوا امام داره كبشا ، وقدموا له كيسا من السكر ، وكذلك كانت عادة الاستشفاع والاستحرام اذ ذاك ، فقدم معهم الى المركز فادى ما عليه ، وعلى ذلك فليقس القاريء ، وكان احد آله من آل الحاج بلقاسم هو الرئيس الرسمي على بعض آل تانكرت ، فزرع في صدور جيرانه ما زرع مما لا بد منه لجمع الجبايا التي تفرضها القيادة العليا بتيزنيت ، فضفخوا عليه وعلى الاستاذ ثانيا ضغنا مضاعفا استثير به القديم

محتته الثانية

نفل الجرح في صدور التانكرتين ، وتاججت نيرتهم على الاستاذ الذي راوه يتمتع بما يتمتع به ، وزاد ذلك ما لا بد ان يفعله ابن عمه الرئيس ، وربما كان ايضا صهره على ابنته ، فتمت الحجج على الاستاذ ، وصح ان ينسب له كل شيء ، والظواهر كلها ضده ، ثم ما كادت الجيوش الجلولية تنزاح عن سوس اوائل عام 1318 هـ ، حتى قامت (تانكرت) تفعل فعل القبائل كلها

برؤسائها الرسميين ، فمالوا الى دار الاستاذ فجعلوا عاليها سافلها ، فنهبوا من المتاع والكتب شيئا كثيرا ، واظن اني سمعت من ينمى الى الاستاذ ان عددها ست عشرة مائة مجلد ، وهي التي تأسف عليها ، فالتحق هو بمأمنه ونجاه الله من كيد الماكرين ، وقد حرص الناس خصوصا الطلبة ان يجمعوا هذه الكتب من ايدي الناهبين او ايدي من وصلهم عن طريق الناهبين فردوا غالبها الى صاحبها هذا ، وهناك من أمثال أبي فارس الادوزي من يشنون (1) باقلامهم غارة على الاستاذ لما اصيب بما اصيب به ، فكانوا مع الدهر عليه ، والمعاصرة تمنع المناصرة .

في تيزنيت

التحق الاستاذ بتيزنيت فعرفت له الحكومة انه ما اصيب الا من اجل موالاته لها ، فاقطعته دارا امضى فيها ما بقي من حياته ، فثوى هنالك في دار عز ورفاهية ، ونقله الله من بين من يتربصون به الدوائر ، فاقبلت اليه الاعانات من كل جهة ، وعبدت السبل الى داره من باب دار كل قائد ، وخصوصا حين كان هناك النفلوسيون الذين خلفوا الجيوليين المذكورين ، وهكذا دائما تكون محن من اراد الله بهم خيرا ، فانه يكثر لهم مما اصابهم خيرا يجدونه في الحياة الدائمة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، ثم يرون ايضا عيانا ان الخير فيما وقع ، وانه ليس في الامكان ابداع مما كان كما قيل ، حتى ليعاينون من النتائج المحموده ما يحمدون به حتى المقدمات (ودون اجتناء النحل ما جنت النحل) ، وان بالمشقات نيل السيادات (لولا المشقة ساد الناس كلهم) ، وعلاوة على ذلك يفوز بطابع الايمان الذي هو الفتنة المحموده العقبي (احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)

مع أنفلوس

تغلغت جيوش انفلوس ، فاستولت بسرعة على جميع القبائل التي كان استولى عليها ابن عمه الجيولي قبله ، وقد كان الرئيس الاعلى تيجانسي الطريقة ، وكان قاضيه سيدي الحسين التاحبوسنتي كذلك ، فتفتحت الابواب من كل جهة للاستاذ ، فترادفت اليه الهدايا ، وطفحت الى غديره

(1) تجد بعض مايدل على ذلك في بعض كنايشه الذي ذكر فيها قصة الجولي

السيول ، فكانت شفاعته مقبولة وإن كانت الجريمة ما كانت ، وكان وجهه عند أولئك الناس نورا يستضاء به ، وقد سكن الآن جوار قائدهم الأعلى فكانت عتبة بابه كعبة الآمال من كل ذي آمال ، فكان قواد الجنوب كلهم اجتمعون اكتعون يترددون اليه تزلفا ، وكذلك رؤساء ازغار ، فتسابقوا الى مصاهرته تقويا بمركزه ، فتزوج من عنده القائد مبارك البنيراني ، والقائد سعيد المجاطي ، وكان القائد احمد بن محمد بن الحسين الايليقي ممن خطب اليه ايضا ، هكذا يتسابق اليه ذوو الاطماع ، وهو يماشي كل واحد بما يليق به ، ومقبل على شأنه ، ينشر الطريقة الاحمدية التيجانية ، بسمعته وبقلمه وبكرمه ، وقد اسس زاويته بتيزنيت ، قطارت في هذا الطور شهرته الى كل المعتنقين لتلك الطريقة ، فيردون اليه تبركا ، ولمشاهدة صاحب تلك الكرامات التي يتداولها اصحابه ، فممن سافر اليه اناس من فاس ما اقتحموا المشقة الا لرؤيته لاغير ، وقد كانت له في فاس مكانة عند اهل الطريقة التيجانية الاحمدية يروونه من اجل عمدتها فيسند اليه عليتهم سندها الى الشيخ الاكبر مولاي احمد التيجاني رضي الله عنه

وهكذا كانت سكناه بحاضرة تيزنيت خير اعلان لمنصبه وافضل مدياع لفضائله ، ثم انه وان نال ما نال مما يغبطه عليه الغابطون ، وتتمزع به الافئدة ممن هم لنعمته غامطون ، لم يتجاوز منطقة التواضع الذي عرف به يوم لم يكن له هذا الشأن العظيم ، والنفوس الشريفة لا تزدد بالرفعة الا تواضعا

عبرة على ارتحال الاستاذ من تانكرت

اذا كان أولئك النفاليس المفاليس في (تانكرت) يصفقون فرحا وابتهاجا يوم يرون دار الاستاذ سيدي الحاج الحسين في قرية (السوق) بلقعا يبابا ، فان هناك من يمر بتلك الدار مرور الشريف الرضى بالربوع التي قال فيها

ولقد امر على ربوعهم	وظلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب	نضوى ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت	عنها الطلول تلفت القلب

ذلك هو الشاعر الاستاذ سيدي الطاهر بن محمد الافراني بلبل (تانكرت) الصداح وقمرها الفريد ، فهو الذي تلفت قلبه بعد ان خفيت حضرة استاذة عن عينه ، فكتب اليه بهذه الابيات بعد ان تلقى منه رسالتين

انت فاشتفت من لثمها الكبد الحرى
امام جرى فى شاو كل فضيلة
وحاز من العلياء والعز رفعة
واعلى منار المكرمات فاصبحت
هو العلم المرفوع والوارث السذي
هو الشيخ مولانا الامام الرضا ابو
عليه سلام طيب من مقيم
اخي لوعة ما اسارت من ذمائه
رمته النوى - ثلت يمين النوى - فما
يمر على الربع الذي بان بـدره
يردد ان جاشت بـوادر دمعـه
« كفى حزنا للهائم الصب ان يرى
فنسأل من نرجو لكل ملمسة
فتنشر اسرار وتقضي مئارب

رسالة مولى لم يزل بالعلا اخرى
فهاز بخل السبقدون الورى طرا
غدت اعين الآمال من دونها حـرى
عفاة الندى سعيـا الى بابها تـرى
افاض الندى والعلم والفضل والسرا
علي الذي اضحى بأفق الهدى بدرا
يحن للقياه ولو مرة اخرى
سوى الكبد الحراء والمقلة العبرى
امض على العشاق موقعها المرا
فكاد الجوى يقضي عليه اذا مرا
مقالة من اوعي الهوى قلبه جمرا
منازل من يهوى معطلة قفرا
يمن بجمع الشمل فى كنف السرا
ويحدث بعد العصر - من فضله يسرا

الامام الذي تاتم الهداة به كانه علم فى راسه نار ، والهمام الذي غرر
مناقبه مثل النجم الذي يسرى به السار ، الشيخ الذي تجمعت به متفرقات
الفضائل ، والبدر الذي نور سائر الكواكب بمقابله متضائل ، والجبل الراسخ
الذي لاتزلله الزعازع ، والهزبر الذي ما هو من رزء وانجل جازع ، والسيد
الذي ليس فى سيادته منازع ، شيخنا بركة الدنيا والدين ، وبقية الائمة
المهتدين ، وحجة الله القائمة على المردة المعتدين ، نور مقلة الفضائل وانسانها،
وعتبة عوارف المعارف ولسانها ، سيدي ابو علي الافراني ادام الله هالة شمس
فضله التي لا تخفى بكل مكان ، وابقاه منارا للدين يهتدي به حيثما كان ،
وسلام عليه سلام مسلوب الفؤاد ، بطول البعاد ، مشوق الى لثم تلك الراحة ،
ورحمة الله وبركاته ، عن خير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
وقد وردت رسالة سيدي الاولى ثم الثانية فارتاض الفكر فى رياضها ، وكرع
من حياضها ، وسكر من حميا الفاظها ، وغازلته حور معانيها بالحاظها ، وجنى
من ادبها الفض ، وسبح فى بحر بيانها المرفض ، الى ما سطع من اردانها من
ساطع التفويض لله والتسليم ، وتلقى الوارد بالقلب السليم ، شيمة مثلكم من
كل عارف ، الذي هو من بحار الحقيقة غارف ، فسبحان من يجمع مقامات

اليقين ، لمن شاء من عباده المتقين ، ثم ان العبد يعتذر الى مولاه عن ابطاء الجواب ، المنافي لجميع طرق الآداب ، باني ما أخرته في الاولى والثانية الا لعزمي في كل جمعة على القدوم على حضرة سيدي لاغتنام زيارته ، والتشفي من وهج الشوق ومرارته ، فلم يزل الدهر على عادته يماطل ، ويعارض الحق الواجب بالباطل ، فكتبت هذه العجالة نفثة مصدور ، وهبة مقل غير معذور تبث بعض ما في القلب من لاعج الاشواق ، التي ضاقت عن زفراتها الاطواق ، واني ان شاء الله لم ازل على ذلك العزم متى سمح الدهر البخيل ، وسح عارض اسعاده المخل ، ومن الله تعالى نرجو تقريبه ، كما نساله تعالى كشف هذه الحوادث المريبة ، ثم ان هذه النواحي لم تزل على ما في علم سيدي من الهرج والاضطراب ، وتوالي الحوادث الغراب ، كقم نام راعيها فتولى رعيها الاسد (1) ، ففتى ما شاء وافسد .

امور يضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها الحليم

وكيف لا وقد قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم كما في مسامرة الشيخ الاكبر ما معناه : ما انتهك قوم حرمة عالمهم الا انتهك الله حرمتهم . وما نحن بينهم - والله يلفظ بنا - الا كالجمل الاجرب ، يشتم او يطرد او يضرب ، ويرحم الله البستي اذ قال :

واني غريب بين بست واهلها وان كان فيها جيرتي وبها اهلي
وما غربة الانسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل

على ان من جملة النعم علينا ، التي لا نزال نقر بها عينا ، حضورنا ببال سيدي واهتمامه ، وانخراطنا في زمامه ، فنسأل الله الذي بفضله تتم الصالحات ان يديمها لنا ، وان يبلغ منها املنا ، ويجمع على بساط المسرة شملنا ، ويصل بالتعلق به حبلنا ، ثم ان حاجة الفقير التي لا أهم له منها ، ولا محيد لطلبه عنها ، الدعاء من سيدي بصلاح الحال والانقاذ من هذه الاحوال ، والسلامة للدين والدنيا من الفتن والاهوال ، والسعي فيما يرضى ، واللفظ في كل مقضى ، ثم ان الاخ الارضى سيدي العربي بن محمد يسلم على سيدي سلام الصب الهائم ، ذي الحب الراسي والود الدائم ، ويسأل صالح الدعاء

(1) اقتباس من قول الشاعر

ومن رعى غنما بارض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الاسد

وينهي الى سيدي أن ليس عنده جزء من الحلبة (1) ، والسفر الذي عنده المتضمن لمنطقية الفاسي مع الحامل فخذة منه ، وليسامح سيدي في كسل تقصير ، وليمتعنا بما حدث من أمر المخزن ، والله المسؤول في تعجيل الفرج ، وإزالة الحرج ، بجاه النبي صلى الله عليه وسلم 14 ذي الحجة 1321 هـ ولدكم على الدوام ، الفقير الى الله ، الطاهر بن محمد بن ابراهيم التامانارتي،
امنه الله بمنه .

ومما كتب به اليه ايضا الى تيزنيت في اثناء رسالة :

سلام يزدري صوب الولي	على شيخ الشيوخ ابي علي
على البحر الخضم العارف العا	لم العلم الامام اللوذعي
منار المهتدين محط رحل العف	ساة المرشد البر الحفسي
سلام متيسم يرجو وصالا	يبرد غلة القلب الشجي
وبعد ففي فؤاد العبد شوق	الى رؤيا محياك البهي
فحبك خير مذخور اذا ما	تباهى الناس بالذخر السني
وانت اجل معتمد واهدي	اذا ضلوا ، الى النهج السوي

في الحضرة الحفيظية

انت الاواصر بين الاستاذ وبين الدوائر المخزنية العليا بسبب ما قاساه من تلك المحن من أجل موالاته للحكومة ، فكان ذلك سبب اتصاله بمسامع الجالس على العرش في الدولة العزيزية ، وبأذنه اقطعت له الدار المذكورة آنفا بتزنيت ، ثم لما ترقى المولى عبد الحفيظ الى العرش ، تسابق الناس الى بيعته ، فقام المترجم مع التيزنيتيين بذلك ، وهاك نص بيعتهم - بعد ذكر الشهود الموقعين عليها - .

« بسم الله الرحمان الرحيم ، (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه اجرا عظيما) فسبحان من لا يرضى لعباده الكفر ويرضى منهم الايمان ، والحمد لله الذي جعل الخلافة زينة للدنيا والدين ، وفصم بها

(1) نعله يعني السيرة الحلبية .

عرا العداة المعتدين ، وحقن بها الاعراض والدماء والاموال ، وانتصف بها من البغاة والعداة الهائمين في اودية الضلال ، وهياً للخلق من تكون لهم به الحماية في اصلاح احوالها وتلافيتها

لولا الخلافة لم تامن لنا سبل وكان اضعفنا نهبا لا قوانا

والصلاة والسلام على من ملا نوره الآفاق ، وطبق سره السبع الطباق ، واخبر ان الله تعالى خص بهذا الامر قريشا ، وانزل عليه في ذلك (والله يوتي ملكه من يشاء) ، والرضا عن ءاله الذين ظاهره على اقامة الحق الساطع الانوار ، وصحبه القائمين بعده الحامين للذمار ، اما بعد ، فلما كانت الامامة العظمى قطبا يدور عليها ناموس الاسلام ، وعقدا محررا ضابطا كفيلا بصلاح الخاص والعام ، كان منصبها اعظم واشرف المناصب ، واسمى نظام الخطط الدينية واسنى المراتب ، ولذلك وقع الاجماع من اهل الحل والعقد من اصحاب الكلام ، فيما قل وجل وولاة الامور والحكام ، وارباب المناصب والاحكام ، وحملة العلم من الاعلام ، وحماة السيوف والاقلام ، من مدينة تيزنيت ، واجتمع اجماعهم على بيعة من حاز اشتات الفضائل والفواضل ، واعترف بجلالته وعلو منصبه كل فاضل ، العالم المشارك المتفنن الفهامة التحرير المتقن ، شريف العلماء ، وعالم الشرفاء ، الهمام الهصور المقدام ، ذي الرأي والتدبير ، والسماحة والمجد الشهير ابو السعود والسعادات ، سيدنا ومولانا عبد الحفيظ ابن سيدنا ومولانا الحسن ابن سيدنا ومولانا محمد ابن سيدنا ومولانا عبد الرحمان ، فانعقد الاجماع بهذه المدينة التيزنيتية على بيعته ، وبايعوه اسعد الله ايامه ، ونشر للعدل الويته واعلامه ، وحضرها وجوه الاعيان وغيرهم من المسطرين اعلاه ، بيعة جارية على السنة والجماعة ، سالمة من كل كلفة وتباعة ، رضى الكل بها وارتضاها ، والتزم حكمها بالسمع والطاعة وامضاها ، لا يبغي بها الا وجه الله الكريم ، بيعة لا يحل عقدها ، ولا ينبد عهدها ، لازمة جازمة ، دائبة دائمة ، تامة عامة ، شاملة كاملة ، صحيحة صريحة ، كما التزم المقلد ايدى الله القيام بها على حسب ما تقتضيه الشريعة المطهرة ، بمفاخره المنتشرة المسطرة ، اشهدوا على انفسهم وكفى بالله شهيدا فليأخذ سيدنا رضى الله عنه وايدى هذه الامانة باليمين ، وليتلقها تلقى الخلق الراشدين ، عاملا بحديث جده سيد ولد عدنان ، صلى الله عليه وسلم (المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمان) ، اللهم يسر له الفتوحات وانصر جيوشه ، واجعل فيما يرضيك ويرضى رسولك صلى الله

عليه وسلم موارد ومصادره ، فمن حضر اوائك الجمهور ، وسمع الكلام
المسطور ، على الوجه المذكور ، قيده شاهدا به عليهم باثمه ، في الثالث
والعشرين من رمضان عام 1325 هـ »

ثم وفد على الملك الجديد بنفسه ، فقدم بين يديه هذه القصيدة
وهي من انشاء استاذنا الطاهر الافراني ، اوعز اليه استاذ المترجم ان
يقولها عن فيه ، وقد قدمها بقوله تعالى (نصر من الله وفتح قريب) وهي

لاحت تباشير الهنا لما سرى	من نحو نعمان النسيم مبشرا
هبت بانفاس الحمى من بعد ما	نزع الفؤاد عن الصبا فتذكرا
ادت الى قلب المشوق رسالة	اورت جوى بضلوعه فتسعرا
فتصوبت عبراته وتصعدت	زفراته والزند ان يقدح وري
شوقا الى من لا ابوح بسرهما	الا بفيض دم الشئون اذا جرى
نفسي الفداء لها وان ضنت فما	احرى بها عند اللقاء ان تسفرا
كملت معانيها فما شمس الضحى	تحكي محاسنها ولا ظبي العرا
بدر على غصن على دعص فما	خلقت سوى شرك لالباب الورى
عجبا لها وهي المنى لم لا ترى	اطفاء وجد لم يزل متسعرا
لم لا تبل غليل قلب شفه	برح الهوى من قبل ان يتعذرا
ان الهوى غل القلوب فما لمن	قد صار من اسراه ان يتخيبرا
« يا قلب كيف وقعت في اشراكه	ولقد عهدتك قبل ذا متبصرا » (1)
فاصبر على حكم الهوى وهوانه	رغما عليك وان جرى ما قد جرى
او مل الى ظل الهدى المولى امير	ر المومنين ودع سواه الى ورا
ملك تولى الله حفظ كماله	وحمى به الدين الحنيف وطهرا
وجلا ببيعته عن الاسلام ما	غبي محاسن وجنتيه وغبرا
يا بيعبة قد احكمت ابرامها	كف العناية فاغتدت وثقى العرى
لا تختشي نقصا ولا نكثا فهل	رد لما عقد القضاء وقدرنا ؟
ورد البشير بكتبها فكانه	قد فت في الارحاء مسكا اذ فرا
ملك تكنفت السعادة ظلله	مذ كان لم تسبق ولم تتأخرا
وافى الخلافة فاستقامت بعد ان	عفى مراسمها الضياع وغيرا

(1) بيت قديم فيه بعض تحوير ، واصله :
يا قلب كيف وقعت في اشراكهم

ولقد عهدتك تحذر الاشراكا

وافى وقد مد الضلال الى الهدى
لبى صريخ الدين بالعزم السدي
وبدا بتطهير البلاد مدافعا
ويل الفرنسييس الكفور اما درى
اندى الملوك يدا وابهاهم سننى
واشدهم بأسا اذا احتدم الوغى
الرعب يقدم جنده قبل اللقا
ورث الملوك الصيد من ءابائه
لا غرو ان جمعت له شتى الملا
دانت لهفته الصعاب وذلللت
واتت لبيعتة الوفود وطأطأت
فاذا سمعت بناقص قد صده
ابشر امير المومنين بغاية الـ
ولتهنأ الدنيا بملكك انه
فلسوف تملكها كما تبغيه من
فلانت اولى باجتنا صفو المنى
ودت ممالك البلاد لو انها
ولو انها قدرت سعت شوقا الى
سمعت بك الدنيا واهلها فلو
وعليك يا تاج الملوك تحية
وعلى جدودك سادة الاشراف من
وصلاة رب العرش دائمة على
وعلى صحابته الكرام وكل من

كف الردى فدعا به مستنصرا
لا تنثني جنياته انى انبرى
عنها عدوا قد طفى وتكبيرا
ان قد اتيح لحربه اسد الشرى
واعزهم ركنا واعلى مفخرا
واسدهم رأيا اذا ما دبيرا
والسعد يكفيه اذا خطب عرا
وحوى علاهم فارتدى وتأزرا
فردا ، فكل الصيد فى جوف الفرى (1)
شوس المكارم فامتطى منها القرى (2)
اعناقها طوعا له شم الذرى
عنه الشقاء فقل له (اطرق كرى) (3)
نصر الذي سننى الاله ويسرا
مسك به ردن الزمان تعطرا
سوس الى مصر الى ام القرى
فى الملك من كسرى ومن اسكندرا
حازتك كى تحظى بسعد اكبرا
مراكش مثنوى علاك لتظفرا
نطق الزمان لما عدا ان يشكرا
تزري بعرف نسيم روض نورا
زكاهم نص الكتاب وطهرا
خير الورى ما لاح نجم او سرى
قد ناصح الدين الحنيف وءازرا

(1) تضمين المثل المعروف (كل الصيد فى جوف الفرى) .

(2) القرى بالفتح الظهر .

(3) تضمين المثل المعروف : (اطرق كرى ، ان النعام فى القرى) ، الاطراق خفض النظر ، والكبرى طائر صغير ، او هو الكروان ، شبهوا به الذليل الحقير ، وشبهوا الكبراء بالنعام ، وذلك اذا حضر الكبراء وتكلم الحقراء فى امر لا يتكلم فيه امثالهم مع حضور من هم اعلى منهم .

وكتب مع القصيدة هذين البيتين المتضمنين لتاريخ قيامه

نصر امير المومنين به العدا الله يفيظ
قد قلت في تاريخه نصير (مولاي الحفيظ

فذلك 1325 هـ ، باسقاط همزة الوصل

وفي عام 1326 هـ ، عاود الاستاذ سيدي الحاج الحسين الكرة الى
الحضرة الحفيظة ، فقدم ايضا هذه القصيدة التي هي صنو تلك أبا وأما ،
وهي :

تبسم ثغر البرق من جانبي نجد فاذكر عهد الجزع قدس من عهد
واذكى رسيس الوجد من بعدما بدت بوارق صبح الشيب من مشرق الفود (1)
وجدد تذكّار الحمى ونعيمه وغزلانه اللائي يبحن حمى الاسد
من اللاء يصبين الخلى ويسبين الـ حلّيم ويصددن المنيب عن القصد
باقمار تم في ظلام ذوائب وكثبان ردف فوقها قضب القد
يفوقن عن قوس الحواجب اسهم الـ لحاظ فيصمين البرىء على عمد
ويبسمن عن سمطى لئال تضمننا رضا با كطل الزهر قد شيب بالشهد
على مثلها يحلو التهتك صبوسة ويحسن في شرع الهوى الزهد في الزهد (2)
رعى الله عهد الجزع ما مر ذكره على القلب الا ازداد وقدا على وقد
نأى فنأى قلب المشوق رهينة به ، وشرى النوم المهنا بالسهد
فيالك من قلب تبدل في الهوى وابدل غي الهزل من رشد الجد
تذل بين الصحو والسكر ضلة وبين الرضا والسخط والوصل والصد
ولم يرع حق الشيب والشيب وازع يرد عن الايضاع في سنن الوجد
ايجمل من بعد المشيب وحمله تذكر سعدي او حنين الى هند ؟
تهيم بها من بعد ما هي فارك وذو الوجد بعد الشيب في غاية الرد
اما في سنا الشيب الملم هداية تبصر بالرجعى الى الفوز او تهدي ؟
تدل على حسن التخلص من يد الـ بطالة او هون الهوى والصبا المردى
كما بامير المومنين ونوره اهت سدى الناس من بعد الغواية للرشد

(1) الفود : جانب الراس .

(2) وللقاضي عبد الوهاب من قطعة :

فقالوا الم نخبر بانك زاهد فقلت بلى ما زلت ازهد في الزهد

امام الانام المرتضى الناصر الرشيد
امام انام الناس في ظل عدله
حسام على هام العداة مجرد
منار لمستهده ونور لمقتده
مجير غريب الدين مؤوى طريقه
حمى بيضة الدين الحنيفى بعدما
وجاهد في الله العظيم عدوه
ونور يقين مشرق وعزيمة
ورأى اذا طاش الحليم واخرس الـ
ونصر من الله العزيز مبشر
هو الملك المنصور بالرعب والقنا
خليفة رب العرش وابن رسوله
وافضل من تزجى لرؤية وجهه الـ
من القوم اما حبههم فعقيدة
واما ولاهم فهو خير وسيلة
مناقبهم ابهى من الشمس في الضحى
وفضلهم نص الكتاب ابانه
وجودهم امن العباد من الردى
خلافتهم زين وبيعتههم تقى
هم العلويون العريقون في العلا
خلاصة مولانا الشريف ونخبة الـ
بهم فخر الغرب البلاد فاذعننت

د(عبدالحفيظ)ابن الرضى الحسن المهدي
كما نام مقموط يهدأ في المهدي
غمام ندى انجى العفاة من الجهد
غياث لمستعد وغيث لمستجد
مجدد رسم الدين بالسيف والرعد
تطاول لاستلحامها الكفر بالايدي
بهمة لا وان ولا برم نكد
كما سل مستنون الفرارين من غمد
فصيح مضى من حيث تنبو ظبى الهند
بفتح مبين جاء بالبشر والسعد
وبالجند جند الله ناهيك من جند
وصفوة آل البيت ذي الشرف العد
كريم مطايا الوفد بالنص والوخذ
ونصرتهم في الله كالشرط في العقد
الى الفوز بالرضوان في جنة الخلد
واربى لدى الاحصا على النجم في العد
وهل في كتاب الله غمز لذي جحد؟
وجودهم البحر الروا الدائم المد
ووصلهم ينجي وبفضهم يردي
ذوو النسب الوضاح والعز والمجد
غضنفر اسماعيل واسطة العقد
لعزتهم ارجاء فارس والهند



فيا ملكا عم البرية عدله
وياكعبة الآمال يا حرم اللجا
وياخير من ساس الخلافة بالندى
لك الظفر المشهور والعسكر الذي
حميت امير المومنين حمى الهدى
وصنت بحق دين جدك مخلصا

وبارى ندى راحاته صيب العهد
ويا ملجأ العاني ويا غنية المكدي
وبالبأس والتدبير والجد والجد
له العلم المنسوب بالرعب من بعد
وقمت بحق الواحد الاحد الفرد
بييض المواضي او بسمر القنا الملد

ودافعت من جنس الفرنسيس زاخرا
اتى كظلام الليل يحسب انه
ثبت له حتى اذا حان حينه
فولى وحل الويل فيه محله
وملأته ذعرا وزلزلت كيدته
وارسلت جند الله ينقض خلفه
شفيت صدور المومنين بخزيه
جزاك اله قمت في نصر دينه

تلاطم عجا بالتكاثر والكيد
بباطله يرمي جبالك بالهد
وثبت اليه وثبة الاسد الورد
وعممه بالقتل والاسر والطرده
من السيف والبارود بالبرق والرعد
بزاة على القنب السلاهة الجرد(1)
واذهبت غيظا كان مستعر الوقد
جزاء رضا يكفي المهمات من بعد

ثم ان العلامة سيدي الطاهر كتب الى المترجم بعد رجوعه من هذه
السفرة عام 1326 هـ :

بشرى لنا برجوع بدر الغيب
من بعد ان شرفت به مراکش
وتبركت اعلامها بسوروده
وتيمنت بلوائح النور التي
وارت به البحر الخضم تموجا
وشمائلا كنسيم وهن قد سرى
قامت له رؤساؤها وترجلوا
خرجوا الى لقياء اجلالا لله
وتكانفوه محبة فكانه
تلك المفاخر والمناقب والعللا
لا غرو ان خضعوا له وتضاءلوا
والشمس لا يبدو اذا ما اشرقت
ثم انثنى لما قضى غرض المنى
فطوى المراحل سائرا وتفاخرت
حتى اناخ ركابه بردانة
حيث الرياض المونقات تشقها الـ

من سفرة اوفت بكل المطلب
وزهت فزاحت السماء بمنكب
واستبشرت بندى يديه الصيب
لاحت على ذاك الجبين الطيب
بقرائد العلم الفريب المعجب
باللطف من جنات روض معشب(2)
ادبا اليه واوسعوه بمرحب
وتسابقوا سبق الظما للمشرب
شمس الظهيرة وسط ذاك الموكب
لا بالمأكل والحلي والمركب
لما راوه فهو شمس المغرب
انوارها في الجو نور الكوكب
شوقا الى وطن اليه محب
بلقاء سكان القرى والسبب(3)
حيث المنى والسؤل للمتغرب
لأنهار تجري في الفضاء المخصب

(1) القنب : دقة الخصر وضمور البطن . والسلهب كجعفر من الخيل : ما عظم وطالت
عظامه ، وفرس اجرد : قليل الشعر رقيقه .

(2) الوهن كفأس : ما حوالى نصف الليل .

(3) السبب كجعفر : القفر .

والفصن يرقص للنسيم اذا سرى
والزهر يبسم ثغره فرحا به
حيث الصداقة والمحبة والندي
وغدا ففارقها وسار كما سرى
واتى فاشرقت الدنا وتطلقت
وسعت عفاة المكرمات لبابه
وتزاحمت وراد ماء نواله
وتتابع الوفد المهنىء بكرة
صدروا جميعا شاكرين وكلهم

والورق تشدو كالمغنى المطرب
فكأنه ثغر الحبيب الاشنب
والحسن والاحسان والعز الابي
وبل الفمام الى المكان المجذب
ارجاء هذا القطر بعد تقطب
والكل ءامل رفده المترقب
كالهيم حول المشرب المستعذب
وعشية مثل القطا المتسرب
مثنى الحقائق باللسان الطنب



يا ايها البدر المنير سنائه او
يا ذا الذي سارت بطيب سنائه الـ
لك في القلوب محبة ومهابة
خضعت لك الاقيال لما شاهدوا
هاتيك انوار التقى لاحت ومن
هنتها من سفرة مقرونة
واليكها عن صدق ود مخلص
وعليك يا بدر الكمال تحية
وصلاة رب العرش دائمة على المـ
وعلى الكرام ذوي السيادة ءاله

يا ايها العلم الرفيع المنصب
ركبان بين مشرق ومغرب
فلذا اتتك لمرغب او مرهب
بسناك سرا لائحا لم يحجب
خاف المهيمن واتقاه يحجب
بسعادة لسواكم لم توهب
من منتهم لعلاكم متعصب
تزري بودق بالعشى محلب (1)
ختار سيدنا محمد النبي
والصحب والتالي بذاك المذهب

حقيقة ، ان الشاعر الافراني لمخلص الود للعلامة الحاج الحسين . ومشيد
لجنابه الفخيم ، ومتعصب له من بين اهل ذلك الوادي الذين فعلوا به
فعلتهم وانتهبوا داره ، فقام هو يلقي في ساحة التاريخ هذا المديح الرائق
الذي هو كدر منتشر تنتهبه اسماع المصيخين ، وشاعرنا قديم الاتصال ببلديه
وشيوخه وجاره الحاج الحسين فهذه قطعة كان ارسلها اليه عام 1314 هـ
من الصورة حين توجه الى فاس مع رفيقه سيدي العربي

(1) رعد مجلب بالجيم مصوت . والودق المحلب بالحاء مثله قال امرء القيس
خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق في عشى محلب

احمل اعباء النسيم سلاما الى خير من قد شاد رسم العلا ابي
كريم بني رسم السيادة بالندی فاصبح شمسا يستضاء بنوره
ادام به الرحمان نفع عباده الى من غدا بالمكرمات اماما
علي الذي سامى النجوم مقاما واعرق حينا صيته واشاما
واقعد في دست العلا واقاما وابلفه مما اراد مراما

ذلك ما يقوله شاعر افران الاستاذ الطاهر بن محمد في سيدي
الحاج الحسين ، وهل لشعراء الغ فيه من اقوال ، نعم قال شاعر منهم فيه
- وضمن اشطارا من معلقة امرء القيس - :

بحقك ان جئت الامام فقبل ومس لنا تلك الخلال فانها
تعرضن للانظار من كل جانب فما في الورى من فاق علما وحكمة
بافران قلبي الصب يثوى تعلقا فان يذكر الفرد الحسين محبر
عليه سلام الله ما حن شيق وما خطرت ذكراه في قلب مرضع
جبين محياه السنني المتهلل (نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل)
تعرض (اثناء الوشاح المفصل) وجاها وحسن السميت غير ابي علي
بسكانه لا (بالدخول فحومل) وافران يذكر خير (حب ومنزل)
لراحته يشواق خير مقبل فتلهو بها (عن ذي تائم محول)

متفرقات عنه

اضفى الله على الشيخ السيد الحاج الحسين نعمه الوافرة الوافية
من كل ناحية ، فبعد ان اسبغ عليه حلة العلم ، وتوجه بتاج التقوى ، والقى
عليه رداء فضفاضا من الشهرة والقبول ، هيا له وراء ذلك من الاخلاق
الزكية ما رفع له شأنه اخر لا ترتفع دعائمه الا على الاخلاق ، فما شئت من
مخالقة يستل بها الضغينة من الصدور سل الشعرة من العجين الرطب ،
ومن كرم يتدفق سيله حتى لا يبقى ولا يذر ، فله في ذلك اخبار غريبة قلما
يصدقها من ليس مطلعاً على حالة الشيخ ، فقد خرج يوما من داره وعليه
جبة ورداء وسلهام ، وكلها مما احكمت صنعه بنات بلدة (بزو) الصنوع
الايدي ، فسلم عليه شخص وقال له اني شريف ، معرضا بذلك للسؤال ،
والكريم يكفي عنده التعريض

واذا طلبت الى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم

فناولوه السلهام ، ثم اقبل سائل ثان ، فناولوه الرداء البزيوي الناصع
البياض ، الرقيق كانه الفِرْقِيء (1) ، ثم اقبل ثالث ايضا فناولوه الجبة ،
وكان ما يزال واقفا على عتبة الزاوية التيجانية بتيزنيت وقد قصدها بين
الظهرين لالقاء درسه العادي ، فبقى في القميص والفرجية لا غير ، ثم اقبل
على درسه والمحفل مكتظ ، فما قام الى العصر حتى جاء رسول قاضي
القائد اتفلوس بحلة وافية كاملة ، فقدمها اليه ، فانفتل الى بويت في
عرض الزاوية فلبسها فيه ، فعجل له بذلك بعض اجره ، (وما عند الله خير
وابقى) ، وهي واقعة حقيقة حدث بها بعض من حضر ، واهوى مرة اخرى
الى الدخول الى داره فقال له انسان ان كنت تحب ءال البيت فاكسني ،
فاستتر خلف الباب وجعل يلقي الى السائل بثيابه ثوبا فثوبا حتى
السراويل ، ثم اغلق عليه بابه وذهب السائل بالثياب ، وهي حكاية مشتهرة
عنه ايضا رحمه الله ، وحدثني انسان انه لا قاه يوما في الهاجرة وقد دخل
من تحت برج من ابراج سور تيزنيت يعتاد الجلوس فيه في الضحى ،
فصاحبه الى داره فقال لخادم له انظر عند من تستدين لنا قالبا من السكر ،
وجلس مع الحاكي وآخرين ، فاقبل على محادثته المعروفة ، وهي تمتزج
بالحديث والايات والنوادر ، وطبعه اريحي فكه ، فهيا لهم الاتاي بيده ، وكان
من عاداته ان يهيئه بيده لخاصة اصحابه ، ثم قال لهم خذوا راحتكم هنا
فهذه قيلولة ، وسنصلي ان شاء الله الظهر هنا جماعة ، وطلب من صاحبه
الفقيه الراضي ان يصلي بالناس في الزاوية ، وكان الابان صيفا ، قال
الحاكي ، وفي اثناء ذلك غل وغل من الباب الخارجي وصار ينادي يا ابن
الحاج بلقاسم انني محتاج الى السكر فلا اخرج الا به ، يرفع صوته بذلك
ويصرخ ، وكان هذا الواغل معتوها مشهورا ، ففتح الشيخ نافذة من علىة
له ، فناول المعتوه قالب السكر ، وما كان ينقصه الا ما شربناه منه ، ثم رد
النافذة ، فصار الخادم الذي استدان صباحا يتأفف ، ويقول اما انا فوالله
لا استدين ثانيا ، فلما خرج الشيخ عند الظهر امر الخادم باغلاء الماء ،
وتنظيف الاواني ، فصلى بنا الظهر ، وقد غلى الماء ووضعت الاواني ، فتناول
الشيخ كتابا يسرد علينا منه ما يتعلق بان فضل الله واسع ، وبعد هنيهة
سمعنا دقا بالباب الخارجي ، فاطل الخادم فاذا به يجد اعوانا من قبل باشا
تارودانت احمد بن علي الكابا ، فناولوه رسالة مع مائتي ريال (فضية
خالصة) ومعهم خمس بغال موقورة سكرا وزيتا وسميدا ، فاغرورقت عينا

(1) الفِرْقِيء بكسرتين : القشرة الرقيقة التي تلتصق من تحت القشرة الفليظة من البيضة

الشيخ ، وبعد ان ادخل ذلك الى الدار رجع يخبرنا بان اهله بقوا يوما كاملا بلا ذواق ، وانهم قد حرموا ايضا من القالب المشتري صباحا ، ثم ان ذلك فضل الله ، فقد له ذلك من الكرامات المشهورة الماثورة ، وهذه نماذج من احواله ، فانه لا يبخل بما يملك ، ولا يهتم لتاثيل الاملاك ولا لمستقبل اولاده ، وكم ليم في ذلك فقال : الله موجود في كل حين ، وفي رجوعه المرة الثانية من الحضرة الحفيظية ، - وهي التي خلدها الشاعر الافراني في بائيتيه - المتقدمة - دخل داره بخيرات من كل نوع ، البسة ودراهم ونفائس ، فما زالت يده تروح وتفدو في ذلك كله حتى اتى عليه في اقرب حين ، وقد وصله السلطان هذه المرة باربعة آلاف ريال ، وهي مال مهم جدا اذ ذاك يكفي من يرغب في الدنيا ان يؤثّل به ما يكون له ولعياله عدة وذخرا

وكان رحمه الله ءالفا مالوفا ، له اليد مع كل احد ، مع الحكوميين ومع رؤساء القبائل ، ومع الفقهاء المفتين ، وبذلك نال ما نال ، ولكنه مع كل ما ناله متواضع لا يترفع عن احد ، ولا يتكبر على احد ، وقد لبس ناموس التصوف لمكانته من رئاسة الطريقة التيجانية ، ولكنه مع ذلك ملتحم مع رؤساء الطرق الاخرى ، كالشيخ الحاج المدني الناصري ، والشيخ الحاج علي الالفي الدرقاوي ، وكان مزورا للجميع حين كان في افران وحين حل بتزنيّت ، وقد زاره الشيخ الالفي مع العلامة على بن عبد الله في كلا المحلين ، وفي بعض زيارتهما له بافران نزلا في دار الشاعر الافراني ، فخلد نزولهما عنده بقوله

هنيئاً لقلبي والهناء على مثلي	يحق وقد جادت موالي بالوصل
راى الدهر ذلي واستعار صبابتي	فرق واولى الفضل منه على بخل
فانشد قول ابن الحسين وانسي	لاولى به والشكل يذكر بالشكل
وليس الذي يطلّب الويل رائدا	كمن جاءه في داره رائد الويل «

كما ان سيدي محمد ابن الاستاذ الطاهر الافراني رحب به ايضا في احدى وفداته الى (تانكرت) منذ صالحه اهلها عام 1324 هـ ، بقوله

شموس الهدى ابدت ضياء لمن يسرى	فبرج العلا في المجد في فلك البشر
بطلعة بدر المدلهمات شيخ من	بقلب صدوق يبتغي منهج الخير
امام الوري حامي الشريعة من ردى ال	جهالة اذ مدت لها راحة الضر
ومنجد من يسعى اليه مؤملا	ندى كفه المزري على لجة البحر

ومحيي قلوب دارسات بها طل
محيا له زهر النجوم تضاءلت
امولاي اهلا بالقدوم قدومك الـ
امولاي جد للمستهام بدعوة
سلام على مثواك ما هيجت صبا
من العلم احياء الربا وابل القطر
وخلق كما فاحت معطرة النثر
مبارك يا مغنى المنظم والنثر
تكون امانا للفؤاد من الذعر
غرام اخي شوق اليكم مدى الدهر

مراسلات رسمية اليه :

كتب اليه الوزير المدني الكلاوي :

« محبنا الارضى ، السيد المرتضى ، الفقيه البركة البازل جهده في سبيل
الله ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، امنك الله وسلام عليك ، ورحمة
الله ، عن خير مولانا نصره الله ، وبعد وصل كتابك الاعز ، وخطابك الرائق
الاوجز ، جوابا عما كتبنا به لك في شان التنبيه لما حدث في ايت باعمران ،
بانك وجهت من يستقصي اخبار تلك الناحية وتحذير من يروم وقوع الفتنة
بين المسلمين ، وتمليك ارضهم واولادهم لطفاة الكافرين ، ووقوفك في
حسم مواد الفساد ، وان تلك القبائل قامت على ساق الجذ والاجتهاد وان
الكل والحمد لله على غاية ما يكون من السكون والاطمئنان لاهجين بدعوة
مولانا السلطان ، ولم تطمح نفوسهم فيما لا يرضى الملك الديان ، عدا البعض
من هَصَبَاوَة ، ذكرت ان نارهم لا تخمد الا بتخيم مدد شريف بتيزنييت ،
وان القائد صالحا الشاوي يصلح للتكليف على العسكر هناك ، وصرنا من
ذلك ببال ، فالحمد لله على وجودكم بتلك الناحية ، لقد ظهرت بركتكم
فيها ظهور الشمس الضاحية في السماء الصافية ، وانجلي منها ما كان صدى
عليها ، فجزاكم الله احسن الجزاء ، بجاه من شفاعته ترجى ، صلى الله عليه
وسلم ، ولا تعدم اجازة بحول الله من الله ورسوله ومن سيدنا اعزه الله ،
فلتزد على عملك ، فلا يضيع لك ذلك بحول الله ، ويصلك طيه كتاب بتكليف
القائد صالح على العسكر وجمع اشتاته ، واعلمنا بالمتحصل بعسده ،
والكتاب الذي وجهته لمولانا المؤيد بالله قد وجهناه طي مكاتيبنا الى جلالته ،
فلتدم في وقوفك واعتنائك بامور المسلمين ، ولا تغيب عنا خبرا ، وعلى
صميم المحبة والسلام ، في 17 صفر الخير عام 1327 هـ ، المدني بن احمد
أمنه الله »

وكتب اليه ايضا :

« محبنا الارضى الفقيه المرتضى البركة الاجل السيد الحاج الحسين الافراني امنك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد وصلت مكاتيبك جوابا عما قدمناه لك بانذار تلك القبائل وردها للجادة ، وعدم مصارفتهم مع الاجانب الذين يريدون التسلط على القطر السوسي بوسائلهم التي لا تحمد حالا ولا مثالا ، وان سيادتكم قامت في ذلك على ساق ، ووجهت المكاتيب لاربابها ، وحذرت وانذرت ، واوقعت الموعظة في القلوب موضعها ، فجزاكم الله خيرا في الذب عن بيضة الاسلام ، واثابكم بمنه بجاه خير الانام ، عليه من الله افضل الصلاة وازكى السلام ، وقد كتبنا لمولانا ايده الله في شأن وقوفك واهتمامك بامور المسلمين ، ووجهنا لمولانا ما كتبت به اليها في ذلك ، فلا يضيع لك بحول الله وقوفك ، فزد على ما انت عليه ، ولا تقصر كما هو الظن بك ، والمقصود منك ، وبالحج جهدي في اطفاء نار الفتن ، فاننا والحمد لله في غاية الاطمئنان بوجودك في تلك الناحية ، وما يطلبه القائد صالح الشراذي من تنفيذ المؤن له ولمن معه من العسكر فسيرد قريبا بحول الله ، فقد كتبنا لمولانا ايده الله في ذلك ، وقد كتبنا لك هذا من مخيمنا بسيدي ابي عثمان من بلد الرحامنة نفع الله به ، بصدد التوجه للحضرة الشريفة اصحبنا الله السلامة والعافية في الذهاب والاياب ، فلا تنسونا من صالح ادعيتكم المستطابة ، التي لا شك انها مستجابة ، وعلى صميم المحبة الى لقاء الله والسلام ، في 5 ربيع النبوي عام 1327 هـ ، المدني بن احمد الله وليه . »

وكتب اليه القائد عبد السلام الجراري

الى جميل اعتقادنا ، وخالص ودنا ، الفقيه الشهير ، العلم الكبير ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، امدكم الله من اسراره وافاض عليكم من انواره ، اما بعد فقد رجع اليها جوابكم الكريم باعذار عاقت عن القدوم ، وحالت عن المشافهة التي هي المرام المعلوم ، فعذرناكم لذلك ، والخير فيما اختاره الله ، وها مبيضة شاننا صحبة الحامل ان شاء الله ، فما ظهر لسيادتكم فيها من زيد او نقص فاعمل بمقتضى نظرك المصيب ، وبقي على سيادتكم ان تكتب للفقيه سيدي محمد بن ابراهيم السباعي التكروري بكتابته هو للحضرة الشريفة على شأن ايت برا ييم المشار له في المبيضة ، فقد بنينا معه على ذلك كلامنا وشرط ان يرى خطك المبارك المعهود لديه ، فلا بد ان يصلنا مع المبيضة وكذا حفيدنا القائد عمر الدليمي اكد غاية ان

تكتب للحضرة الوزيرية بولايته على هشتوكة كافة ، بما لا يخفى على سيادتكم ، ويصل مع الحامل ، واما تعيين السفر ان شاء الله ، فالى عشرة ايام فما دون ، والله يتولى امورنا جميعا ، وينزلنا كنفا منيعا ، وتشير اشارة لطيفة لجانب الوزير بتعجيل اوبتنا من غير طول لبث ان شاء الله ، كما تومىء اليه ان يلزم على ولاية ايت برايم ان تيسرت يكون عندما يكون المدد ان شاء الله بتيزنيت ، وعلى المحبة والاخوة والسلام ، في 9 جمادى الاولى عام 1328 هـ ، عبد السلام بن محمد الجراري لطف الله به »

ونبه ايضا الفقيه السباعي بان ما وقع من كتابة الظهير لعياد لم يكن عن قصد منه ولا ارادة ، وانما ذلك سهو وغفلة للقاعدة التي في المبيضة، وتكتب ايضا الى الحاج التهامي بمراكش ان يصحبنا بكتاب منه الى اخيه الوزير موصيا له بجانبنا ان شاء الله ، ولم يوجد من الكاغد اللائق الا القليل الواصل ، والسلام

نعم واما خبر هشتوكة وحاجة فقد توسط في صلحهم الشيخ ماء العينين ، فانفصل الفريقان ، واما ناحية المخزن اعزه الله فلم يتجدد لنا عنها خبر يقين ، وسمعنا ان المتوكي واهله قاموا بحركتهم في (فسم امسكروض) اغاثة ليحيا ، وان الشداح طلب الاغاثة من هشتوكة ولم ير في الحال ذلك »

اقول ان ما يتعلق بعبد السلام وما كتبه له المترجم يوجد في ترجمته في (القسم الخامس) بحول الله

آثاره :

ان للاستاذ حقا آثارا قيمة في كل انواع العلوم التي حذقها ، بله فتاوي رايت بعضها ، وفي (المجموعة الفقهية) فتوى له تتعلق بمسجد (اداي) اكثر فيها النقول وسلك فيها مسلكا لم يعهد من اقرانه ، فقد تعالى الى الاستدلال بالحديث وتلك منقبة تعرف له فتشكر ، وهناك ذكر له في فتاوى اخرى ، وآسف على ضياع فتاوي امثاله ، والا فانها لتدل حق الدلالة على سمو فقهه ، وكان جيد الفقه مستحضرا للنصوص ، فهذا سيدي المحفوظ الادوزي يخبرنا انه فتش يوما على نص فلم يجده ، فاعمل الرحلة من مشارطه مدرسة (سيدي بوعبدلتي) الى (ادوز) ليسأل الاستاذ محمد

ابن العربي ، فلاقى المترجم فى موسم (تادايڤنت) فاستنزله ، فافضر
 اليه باستعجاله ، وان مسألة كذا قد اعوزه محلها ، فقال له انزل فانها فى
 المعيار فى الباب الفلاني منه ، قال فتعجبت لاني انتخلت المعيار بزعمي ، ثم
 وجدها كما قال له المترجم ، وبهذا اتصل ما بينهما ، وان كان ما بين السيد
 الحاج الحسين والادوزين ليس بذاك على ما هو معروف عن المتعاصرين ،
 والسيد الحاج الحسين هو الذي اوعز الى الابراييميين ان يشارطوا
 سيدي المحفوظ فى مدرسة (سيدي بوعبدلي) بعد ان خرج هو منها ، ولكون
 سيدي المحفوظ يصله يناله لوم من الاستاذ ابي فارس فى ابيات ذكرت فى
 محل آخر رحم الله الجميع

وكان الافتاء والقضاء يحومان دائما حول الحاج الحسين الى ان مات،
 وكان فى ايام اتفلقوس احد اركان القضاء بتيزنيت ، ولكنه على كل حال
 ليس فى مسلاخ كثيرين من اقرانه الذين يمتصون بذلك اموال الخصم ، ثم
 غمرت شهرته حتى علا مقامه عن ذلك ، والا فقد كان فى (افران) وفى
 مدرسة (تازاروالت) وفى مدرسة (سيدي بوعبدلي) قطب النوازل
 والفتيا يقصد من جهات بعيدة ، وكان فى (ايليغ) معروفا من قديم ، فقد
 حدثني بعضهم انه هو الذي يتولى التقدم فى كل مجامع القبائل عند الشريف
 الايليغى ، فبذلك كانت آثاره فى النوازل كثيرة ، والاتصال بالرؤساء مما
 يعظم به الفقيه اذ ذاك .

فمن آثاره ما ينشده ويتمثل به فى رسائله ، فقد تمثل فى رسالة الى
 استاذنا سيدي الطاهر الافراني بقول صفوان بن ادريس الاندلسي

« واخوان صدق لوقضيت حقوقهم ولو كنت اقضي حق نفسي ، ولم اكن ، وما اخترت هذا البعد الا ضرورة قضى الله ان تنأى بي الدار عنهم ووالله لو نلت المنى ما حمدته »	لما فارقت عيني وجوهم الزهرا لما بت استحلي فراقهم المـرا وهل تسجيز العين ان تفقد الشفرا اراد بذاك الله ان اعتب الدهرا وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا»
---	---

وكتب فى رسالة اخرى اليه متمثلا

« ولا تلق بالاخبار من غير خبرة ولا تاخذ الاخبار عن كل مخبر

ومن آثاره أيضا رسائل لم يمكن لنا اليوم ان نقف منها الا على ما
وجدناه في خزانات الالفين ، وهالك ما تيسر

1

كتب الى الاستاذ محمد بن عبد الله الالفى مؤسس مدرسة الف ،
وهو اذ ذاك بمدرسة بومروان

« ازكى التحايا وانماها ، وابرد البركات واشهاها ، على من هو بمنزلة
الروح من الجسد ، ومن استحكم واستمسك في الصدر بحبل من مسد ،
مظهر من مظاهر الحق ، وينبوع من ينابيع الصدق ، ابو عبد الله سيدي
محمد بن عبد الله بن صالح البومرواني ، هذا

سلام على الاخوان والصحب والرهط	يفوح شذاه بالعنابر والقسط
زقنا واياكم سلامة ديننا	ودنيا من الاهوال والمكر والسخط
فان تسألوا عن حالنا بعد بعدكم	فانا بحمد الله في غاية البسط
وصحة جسم واغتنام قراءة	بلا كلفة ما بين صحبي ولا شرط
تركنا الهنوم كلها من ورائنا	فلا شغل غير الرفع للشوق والحط

على ان محبتكم قد استولت على القلوب ، بشهادة علام الفيوب ،
ونحن على ما قال سيد العشاق عمر بن الفارض في قوله

اخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي يضركم لو كان عندكم الكل
واحوالنا بخير والحمد لله ، بيد ما ينزل بساحتنا من الاوغاد
الاجلاف ، والحثالة الخفاف ، اصحاب التكالب على الدنيا عصمنا الله من
هذه الغربة

وما غربة الانسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكـ
والخبر لا يفهم الا بالمشافهة ، وقد وصلت الينا هديتكم على يد
التوماناري فمكنته من الاجزاء الثلاثة الكائنة عندنا ، والنسخة البخارية
اخذها من لدنا سيدي سعيد بن عبد الله لكونه مشارطا برخاوة ، والثاني

منها قد استولى عليه من كان عندنا من التلاميذ - الى ان قال -
واصحب الينا معك شرح المحقق ابن زكري على الفريدة ، والسلام »

2

وكتب اليه ايضا

نحمد الله على ان هدانا واياكم للايمان ، حتى امتدت منا اليه
الايمان (1) ونشكره على ما انعم به من صحة وعافية ، واروى من نطفة
صافية ، واسلم على الفقيه الاجل المحترم المبجل ابي عبد الله سيدي محمد
ابن عبد الله ، وعلى والده الرجل الصالح الطيب الجوانح ، وعلى جميع من
ضمه المجلس السعيد ، من كل من منه يستفيد ، اما بعد

فطرب نفسا وقر بذاك عينا	فسوف ترى الامور كما تمنى
فلولا الدر منتقل بكف	لكف ما راى عزا وصونا
ولا مس النحور من الفواني	ولا تاجا يرصع فيه زينا
فان الماء ياسن في غدير	الى ان يفتدى حمأ فسنا (2)
اذا لم يجر او تضربه ريح	مطيبة له ذوقا ولونا
فذا مثل الرجال فمن تجده	اخا نقل تجد عزا مسنا (3)
واما الداجنون فمثل شاء	عجاف هزل فالقوم زمنى
فهم جسم بلا عزم وحزم	وان تبصر لهم عينا واذنا

اجل لا تبتئس من مدرسة ابي مروان ، فان تصريف الاقدار ليس
للمرء فى تحويله كما يريد يدان ، وسوف ترى انك بخروجك من بلدك ،
وانتيائك للمعينين ليدك ، تكتسب عزا ، وتعرف كيف تتحمل وحدك هما .

وانما رجل الدنيا وواحدھا من لا يقول فى الدنيا على رجل

فالتجارب مسنء العقل حتى يحنك ، وان فارقت التجريب فى شرح

(1) الايمان الاولى بكسر الهمز ، العنقد ، والثانية بفتحها : جميع يمين اليد .

(2) حمأ - محركا - الطين الرقيق ، والمسنون المتغير

(3) المسنء : آلة الشحذ ، بكسر الميم وفتح السين .

شبابك فاقرع على عمرك سنك ، ولو اطلعت على الغيب لما شككت في حكمة
الله تعالى ، ويجب على المومن ان يمرن نفسه على الرضا بكل ما قدر ، يسر
في نظره او عسر ، فالامور عند مواردنا تتشابه ، ولكنها عند مصادرها
تتبين حتى يستحسن احدنا ما كان اولاً عابيه ، (فالله يعلم وانتم لا
تعلمون) ، (وهو احكم الحاكمين) ، حفظك الله بما حفظ به الذكر الحكيم ،
واخذ بيدك حتى لا تنزلق فيما تاتيه فتليم ، بمنه وكرمه

قد رشحوك لامر ان فطنت له فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

• • • • •

فكن رجلاً رجله في الثرى وهمة هامته في الثرى
فان اراقه ماء الحيا ة دون اراقه ماء المحيا

ولا تنسنا من دعائك في كل وقت

3

وكتب اليه ايضاً

« اخونا الفقيه النبيه الارضى سيدي محمد بن عبد الله الالفى ثم
البومرواني وعليك السلام ورحمة الله ما تنبه وسمان ، ووسن يقظان ، هذا ،
فليفرخ رونك (1) ، وليلتئم صدعك ، فما انت اول محسود ، ولا انت اول
سيد ينفض اليه (2) راسه المسود ، فلتغبط بما جرى ، فلولاً نعمتك ما
عراك ما عرا ، وذلك افشى للسمعة ، والقَطُّ اضوا للشمعة

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وقديما قيل لا يرمى الا شجر له ثمر ، والله در ابي حيان اذ قال:

عداتي لهم فضل علي ومنة فلا ابعد الرحمان عني الاعادي
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكسبت المعالي

(1) اي فليزل فزعك .

(2) انفاض الرأس : تحريكه

وبعرك النوائب ، تخلص التجارب ، وفي الاكدار ، تظهر الاحرار ،
وعلى البصائر غشاوة لا تنكشف الا بالخطوب ، وخوض الكروب

جزى الله الشدائد كل خير وان كانت تفصصني بريقي
فما شكري لها مدحا ولكن عرفت بها عدوي من صديقي

ومعلوم في كل عصر في التاريخ حسد الفقهاء بعضهم لبعض (1) ، لان
كل واحد منهم لا يريد ان يكون غيره سماء وهو له ارض ، حتى نصوا على
عدم قبول التجريح بين المتعاصرين ، لانهم غالبا غير متناصرين ، غير انك
وان بليت يجب عليك التجلد ، فقد يغنى احيانا التبلد

ولقد امر على اللئيم يسبني فاعف ثم اقول لا ينبغي

• • • • •

لو كل كلب عوى القمته حجرا لاصبح الصخر مثقالا بدينار

والنهاية في ذلك للمومن قوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) فالمخالقة اصل معاشرة الناس ، فبها
يتقي منهم كثير من الناس ، وانما اكرت عليك لتفتنم شبابك ، وتعرف
كيف توصل وتفتح بابك ، فلك علينا حق النصيحة ، والنفوس اليوم بمحض
النصح شحيحة ، ثم ان هذه الرسالة لا احل لك ان يقرأها احد ، لئلا يفسد ما
هو بيننا وبين ذلك الفقيه ممتد ، والحزم اس الامور ، والله يلطف بنا فيما
جرى به المقدور »

4

وكتب ايضا الى الاستاذ علي بن عبد الله الالفي ، واحسب انها مكتوبة
في نحو 1306 هـ .

نسمات السلام والبركات كاريج الحقائق العطرات
تتوالى على مقامك في كل زمان لديك ملتزمات

(1) في كتاب العلم لابن عبد البر باب واسع في ذلك .

الفقيه الذي له في قلوبنا مودة راسخة الاصول ، واخونا الذي له فينا ما يكون للاصول والفصول ، من هو لدينا مكين الاخاء ، شجرة مورقة بالعلم والادب والسخاء ، ابو الحسن سيدي علي بن عبد الله ، امام التدريس ، والحائز والحمد لله من العلوم ما حازه محمد ابن ادريس ، الى عقل غادرته التجارب مصقولا ، وكيف لا يزداد عقلا من حاز الى المعقول منقولا ، وبعد فارانا الله واياكم سلامة الدين والدنيا ، وجعلنا من الذين بايعوا الله ثم لا يعقب بيعهم ثنيا ، اما احوالنا هنا بعد انتقالنا فيظهر انها سائرة على وفق الرام ، ربما نكون احيانا في عنفوان البشر كانما نحن على تعاطي المدام ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وهو الفعال وكل فعله مختار ، فقد وصلنا ما ارسلته اخلف الله عليك ، وجعل كل ما تامله منساقا اليك ، على انني لا احب منك ان تتكلف ، لاننا بصفاء القلوب لا بما في الجيوب نتعرف ، لكنك لله درك ابيت الا ان توفي للمروءة حقها من كل جانب ، حتى تكون لكل من له بك اتصال اكثر اداء للحقوق واعطف من الاقارب

نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الاوطان في زمن المحل
فما زال بي احسانهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم اهلي

فلا تنسونا يا سيدي من دعواتكم ، لاسيما بعد ان تقرؤوا في الاوراد وظيفاتكم ، فاراكم الله من اولادكم قرة الاعين وبهجة الصدور ، وخذ من الحامل ما هو شبه هدية واعذرنا فمثلك من يعذر يا ابا الحسن ، والسلام عليك وعلى الشيخ الحاج علي والاهل جميعا »

ظفونا بهذه الرسالة عند من لا يحسب ان تكون عنده ، والحمد لله على ذلك ، وبالله كيف يفرط في آثار ادبائنا الكرام

5

وكتب اليه ايضا

الاخ في الله الفقيه العلامة الاديب سيدي علي بن عبد الله الالفي ، السلام عليك ورحمة الله وبركته ، اما بعد ، فنحن على خير نجر الذيل مما يفيض الله عينا من الخير العميم ، ومن اضرب النعيم ، والانسان اذا فكر

فى احواله يجده ىرقل فى نعم الله العظيمة ، من الصحة وهى اجلها ومن الامن على نفسه وعن ماله وولده ، ومن صحت له هذه النعم ثم لا يعترف انه ىسبح فى نعماء الله فانه لنكود شديد المحال واما انتم فكيف احوالكم وكيف انتم مع ذلك الانسان الذى اخبرتمونى باخباره قبل اليوم ، فهل انفصلت الدعوى بينكما بخير ، او طاف الدهر على عادته فى الكرام بضرى واوصى سيدى بالمخالقة ، فان المخالقة فى هذا العصر بل فى كل عصر من احسن الحصون ، فمن احتمى بها فسيكفى من ان يتناول اليه الدون وفى الحديث انا لنبش فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم ، وفى القـرءان (ادفع بالتي هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم كفلك الله بما كفل به اصفياه المحفوظين ، وجعلك سيد اقراىك وان كانوا غابطين او محفـظين (1) ، وقد مر بنا الشيخ سيدى على بن احمد فاخبرنا عنكم بخير ، والسلام »

6

وكتب الى صاحبه فى الطريقة ، الفقيه السيد عبد الله التامانارتى اليزيدى واصحابه هناك

اخونا فى ذات الله عز وجل ، المقدم البركة السيد الحاج عبد الله ابن محمد التامانارتى الجـرـضاوى وجميع الفقراء التيجانيين من تلك الناحية ، امدكم الله برضاه الاكبر ، وافاض عليكم من الفيوض الختمية ، والاسرار الكتمية ، ما يغنيكم فى الدنيا والآخرة ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هذا فلا تنسوا حق الاخاء ، اما بعد ، فاعلموا من هذا الكتاب انكم ظفرتم بفضل الله والحمد لله بسبب متين من السعادة فتمسكوا به ، فانا يكفيكم جميع المهمات الدينية والدنيوية ، وهو عهد سيدنا الشيخ التيجانى رضى الله عنه ، فقد افاض الله عليه وعلى اتباعه فيضة عظيمة من السعادة فقد الحقت اهل هذا الزمان بمن قبلهم بلا مشقة ، لما علم سبحانه عجزه عن سلوك الطريق على الوجه المطلوب المصطلح عليه ، اخذ بايمانهم فاوقفهم بالباب ، وطوى لهم المسافات التى لاتقطع فى الاعمار ، جعلنا الله واياكم ممن شملتهم هذه الرحمة ، واظلتهم هذه المنة ، وايضا اعلموا ان بحر الذنوب قد

طما وكثرت امواجه ، وتراكت ظلماته ، حتى عجز الخلق عن الخروج منه الا صديقا او اجل منه او من يقارب مقامه ، وما عدا هؤلاء فقد تمكن العجز فيهم عن الخروج عن الذنوب ، وان الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لاحد عن الانفصال عنها ، فانها تنصب على الناس كالطر الغزير ، لكن اكثروا من مكفرات الذنوب ، وأكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق ، فانها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة ، كصلاة التسبيح الواردة في الحديث ، فاوصيكم ونفسي بما اوصانا الله به وامر به من حفظ الحدود ومراعاة الامر والنهي على حسب جهدكم واستطاعتكم ، فان هذا زمن انهدمت فيه قواعد الامر الالهي جملة وتفصيلا ، وانهمك الناس فيما يضرهم دنيا واخرى ، بحيث لا رجوع ولا يقظة لما يرد القلب الى الله ، وللوقوف على حدود الله امرا ونهيا ، ولا طاقة لاحد بتوفية امر الله من كل وجه في هذا الوقت الا لمن لبس حلة المعرفة بالله تعالى او قاربها ، ولكن حيث كان الامر كما ذكر ، ولم يجد العبد مصرفا عما اقامه الله فيه ، فالابقع خير من الاسود كله ، فاتركوا مخالفة امر الله ما استطعتم ، وقوموا بامر الله على حسب الطاقة ، واجعلوا لانفسكم عدة من مكفرات الذنوب في كل يوم وليلة ، وهي أمور كثيرة وآكدها (الفاتح لما اغلق) كما تقدم ، ومن ذلك المسبغات العشر لمن اتخذها وردا صباحا ومساء ، ومنها (الفاتح لما اغلق) ، واقلها مائة في الصباح والمساء ، فلا يلحقها في هذا الميدان عمل من أي عامل ، ولا ينتهي الى غايتها امل من أي آمال ، والسلام »

وكتب ايضا شبه ما تقدم الى شخص يسمى محمد بن القرشي ،
واحسبه القائد الاوريكي

« اخونا في ذات الله تعالى ، خديم الاعتبار الشريفة السيد محمد بن القرشي ادام الله توفيقكم واغناكم عن الناس ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، عن خير مولانا ادام الله نصره ، اما بعد فاعلم ايها الاخ ان بحر الذنوب قد طم وكثرت امواجه وتراكت ظلماته ، حتى عجز الخلق عن الخروج عنه الا صديقا او اجل منه ، او من يقارب مقامه ، ومن عدا هؤلاء فقد تمكن العجز فيهم ، ولا قدرة لاحد على الانفصال عن الذنوب في هذا الزمان ، فانها تنصب على الناس كالطر الغزير ، فليشتغل العاقل بعد تصحيح صلاة فرضه بمكفرات الذنوب وليكثر منها ، وأكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق ، فانها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة ، وصلاة التسبيح

الواردة في الحديث ، وان كل معصية لابد لها من عقوبتين ، عقوبة دنيوية وعقوبة اخروية ، اما العقوبة الدنيوية فلا ترفع عنه الا باحد امرين الاول اخراج صدقة لله يعدها من مال حلال أو كالحلال فيما يرفع بلاء المعصية، والثاني من الامرين الرجوع الى باب الله بالضراعة والابتغال ، والسذل والانكسار ، والتضرع بالدعاء بطلب العفو منه سبحانه وتعالى وبطلب رفع بلية تلك الذنوب ، فانها ترفع بسبب ذلك عنه ، واما العقوبة الاخروية فلا ترفع عنه ولا بد منها الا ان يعفو عنه سبحانه وتعالى اما بسبب واما بغير سبب ، واسباب العفو كثيرة ، تطلب في كتب الحديث، ومما هو من المكفرات ملازمة الانسان كل يوم ثلاث مرات

« اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ، ورحمتك ارجى عندي من عملي » ،
ولذلك تعين على كل عبد ان يسعى فيما يخلص مهجته من النيران بالتوبة الصادقة من ذنوبه ان قدر ، والا فبالاكثر من الذكر وغيره من الاعمال الصالحة كما قال البوصيري

فتزود التقوى فان لم تستطع فمن الصلاة على النبي تزود
صلى عليه الله ان صلاة من صلى عليه ذخيرة لا تنفذ

فان الاعمال الصالحة تخففها او تجعلها مغفورة عملا بقوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات « الآية ، وبالجمله ، فأكثر أيها الاخ من مكفرات الذنوب راجيا المغفرة ، معتقدا ان الله لا يخيب لك املا ، ولا تقنط ولا تياس من روح الله (انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) ، هذا وعليكم بالاكثر من الفاتح لما أغلق فانها الكنز الاعظم في هذا الباب ، والسلام ، 6 من جمادى الاولى عام 1327 »

عمدا نوعنا بين آثار الاستاذ المترجم ، فاتينا بآثاره الادبية وغيرها ليطلع القارئ على ما امكن من نواحيه المتعددة ، لاننا نعد انفسنا جانين على حياته اذا لم نشد الا بناحية واحدة منها واغفال غيرها مع امكان ايضاحها ، والمؤرخ ينبغي أن يكون كالنور الذي يجلي الالوان كما هي ، والا فانه مقصر ما دام ذلك ممكنا

ثم بين أيدينا رسائل له أخرى الى الالفيين ليست لها في نظر الاديب تلك النظرة التي يلقبها على ما تقدم من الرسائل الاولى ، ولا للمؤرخ المتبع لحياة المترجم فيها ما يراه في الاخيرة فطوبيناها

كبراء أصحابه في الطريقة

للشيخ الحاج الحسين كما ترى مقام محمود في كل ناحية ، فاینما توجه يخدمه السعد ، ويقتاد راحلته التوفيق ، ولعل أعظم منقبة اشتهر بها عند أصحابه كونه سببا لانتشار الطريقة التيجانية في كل جوانب سوس ، فاننا نعرف من أصحابه من تقدموا فيها فكانوا اطنابها واوتادها وعمدها اليوم، وفي مقدمتهم الفقيهان الالفيان الاستاذ محمد ابن عبد الله واخوه علي بن عبد الله ، فقد اجازهما في ذلك اجازة محفوظة عند اولادهما اليوم ، ولم يتيسر لنا ان نعرضها على القارئ ومن أصحابه ايضا الفقيه ابراهيم بن محمد بن حسين الطاطائي ، فقد أخذ عنه الحديث والطريقة واجازه فيهما معا - ولعلنا نذكر تلك الاجازة متى تعرضنا لترجمة هذا الفقيه بين الطاطائيين بين تراجم التيمجدشتيين - ومنهم الاستاذ محمد بن علي المعروف بـ"باجيچ" (وتعريبها الرعد) ، ومنهم العلامة استاذنا الشاعر الطاهر بن محمد الافراني ، وناهيك به في كل وصف من أوصافه ، ومنهم سيدي سعيد بن الطيب الاجماري ناشر هذه الطريقة في ذلك الوادي ، ومنهم الشيخ محمد - فتحا - النظيفي نزيل مراکش ، فانه من اشياخه الذين اعتمد عليهم في الطريقة وقد قال في ذلك من رجز

ثم اجازني بها الرباني	حسين نجل احمد الافراني
بحر زخير كرما وعلمنا	لله دره ابا وامنا
فما له من الشبيه والنظير	في قطرنا السوسي من غير نكير
رايته في عالم الامسوات	وقال لي مالك عندي ياتني
يا رب فاحفظه من الشيطان	وحزبه من انس او من جان

ومن اصحابه الفقيه سيدي ابراهيم من اُجِنِي المضا من رسموكة
وسيدكر ان شاء الله بين اهله المضائيين في هذا القسم نفسه

ومن اصحابه سيدي الراضي خليفته في زاويته بتيزنيت من بعده ،
وهو المذكور بخير عند عارفه ، توفي ، بعد ان واظب على ذلك زمنا ، في

8-10-1348 هـ ، ومنهم سيدي احمداً منجّو ض (تعريبها الاقرع) الفقيه الماسي الذي ذكر في عداد اليعقوبيين ، ومنهم سيدي علي الايسيجي الذي تصدر في هذه الطريقة ، وقد رأيت له تأليفا في كراريس حول الشيخ المترجم ، مرت عليه مرورا بلا قراءة ، فلم ادر كيف هو ، وانما احسبه لم يوف للشيخ ما يستحقه مقامه ، وانه معذور في ذلك ، ومن اصحابه ايضا الاستاذ الحاج الاحسن بن ابي جمعة الباعقلي الذي تصدر اخيرا بالبيضاء - يقول انه من اصحابه ، ولكنني سمعت من استاذنا الثقة الطاهر الافراني انكار ذلك - وهناك من اصحابه ءآخرون منتشرون في الجنوب يحملون الوية تلك الطريقة اعان الله الجميع على ما فيه خير

وقد كان المترجم يعرف كيف يساير ، حتى ان الذين حاولوا مجادلته كالاستاذ احمد بن محمد الالياسي الماسي الذي انتقد بعض امور في الطريقة لم يعد ان اجابه بحوار حسن ، وسيرى القاريء ذلك في (القسم الخامس) في ترجمته ، وكذلك الشيخ ماء العينين اذ وقعت بينه وبينه مرادة ، لان ماء العينين كان يلقي اورادا عدة من جملتها التيجانية ، وذلك مما لا يقبل عند اصحاب هذه الطريقة لانهم يرونها اعلى من ان تجتمع مع طريقة اخرى وانها تفنى عما سواها من الطرق ، ولسعة صدر المترجم لم يعد ان بين للشيخ ماء العينين شروط الطريقة في ذلك ، ولم يتأثرا بما وقع بينهما ، حتى انه أبّنه الشيخ ماء العينين احسن تأبين لما صلى عليه يوم توفى كما سترى ذلك ووقع مثل ذلك ايضا بينه وبين الاستاذ محمد بن العربي الادوزي ولكن كل ذلك لم يخرجهم عن وقاره

« ترياق القلوب »

للشيخ الحاج الحسين الافراني مؤلفات منها فيما يتعلق بالتصوف كتاب سماه (ترياق القلوب) وقد قرطه شيخنا الاستاذ ابو محمد الطاهر بن محمد الافراني بقوله :

اذا اضنى الحجا داء الذنوب	فلذ بكتاب ((ترياق القلوب))
كتاب حاز من تحرير علم ال	طريق الاحمدى اوفى نصيب
فنظم من (جواهره) عقودا	ابانت (بغية) الفطن اللبيب
وسدد نحو منكروه (رماحا)	يذل لوقعها انف المريب (1)

(1) في ذلك تورية بكتب في الطريقة سميت بهذه الاسماء

حوى ما قد تفرق في سواه
فأصبح جامعا راقى حلاه
تفجر من عيون القوم عينا
يبين ، فلفظه قد صيغ تبرا
تضوع من خلال حلاه معنى
حلا ذوقا وفاح شذى وازرى
ولم لا وهو من املاء شيخ
حوى كل العلا ففدا اماما
وطبق صيته الدنيا فاسرى
هو البحر الخضم فمن اتاه
هو الشيخ الامام ابو علي ابا
مفاخر كالنجوم الزهر حسنا
هو المولى الذي ما زال حبي
فمن لي ان يحيط لسان مدحي
فلألو انني جاريت فيه
فأبقاه اله الخلق كهفا
بجاه اجل من يلجأ اليه
رسول الله افضل من نرجى
عليه ما سرى سحرا عليل الـ
وعاله والصحاب الفر طرا
وازكى رحمة واتم روح
ابى العباس احمد من تجلت
عليه سحائب الرضوان ما حـ

من الآداب والسر الفريب
من التحقيق والنصح العجيب
يروى كل ذي قلب جديب
بلبة غادة خود لعوب
يروق كما تنفس نفح طيب
بوشي قدامة وابن الخطيب
رمى القرطاس بالسهم المصيب
لاهل العصر شبان وشيب
بها مسرى شمال او جنوب
افاض له بدلو بل ذنوب (1)
من احمد صاحب الباع الرحيب
واخلاقا كما الروض الخصيب
لجانبه له حكم الوجوب
بكنه ثنائيه الفض الرطيب
مديح ابي نواس في الخصيب (2)
يلاذ به لتفريج الكروب
اذا ما اكرت نوب الخطوب
شفاعته لدى اليوم العصيب
نسيم صلاة علام الفيوب
وكل فتى الى التقوى قريب
على قطب الهدى غوث الكئيب
به عنا غيابة كل حوب
من مشتاق الى لقيا حبيب

وقرظه ايضا بعض الالفين ، ولعله الاستاذ علي بن عبد الله ، بقوله :

هذا لعمرى سيد الكتب
يجد فيه كل ما يبتغي
فيه (الرماح) و (الجواهر) و (الـ
فانه الترياق للقلب
صاحب قلب بالهدى صب
نفحة) يحوي الكل في الجيب

(1) الذنوب بالفتح الدلو الملى .
(2) يشير الاستاذ الافراني الى القصائد الرائعة التي مدح بها ابو نواس الخصيب بن عبد الحميد العجمي المرادي عامل العباسيين على مصر .

ما شئت من ادوية وصفت
ابى على شيخ سوس ومن
نطاسي القلوب يعرف ما
يدعو الى الله فيقصده
ادامه الله لنا هاديا
بجاه شيخ الكل احمد شم
من حاذق في علمه طب
انجب من اكابر نجيب
يحجبها عن حضرة الرب
صديان يقصد الى العذب
ومنقذا من عمق الجب
س الدين في المشرق والغرب

احسب ان هذه القطعة للاستاذ الذي نسبنا اليه ، وقد نقلتها من
اوراق التيسسينتي .

وفاة المترجم

اذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا اذا قيل تم

دخلت سنة 1328 هـ . على الشيخ السيد الحاج الحسين ، فوجدته
في شغوف وعظمة ومقام سام الى الغاية ، وقد واتته السكنى بتيزنيت
فاستراح من التانكرتين ومن مجاذبتهم الحبال ، فأقام في تلك البلدة الطيبة
محترما من كل طبقات الناس ، وكان له اصحاب من الرؤساء كالباشا احمد
ابن علي الكابا باشا تارودانت ، ورؤساء تيزنيوت الذين صارت بعد ذلك
الوقت قيادة جانب كبير من سوس الى السيد محمد بن ابراهيم منهم ،
وامثالهم ممن يتسابقون الى خدمته بكل ما تتوقف عليه الحياة ، فاستطاب
شيخوخته التي اوفى فيها على الثمانين ، ثم مالت شمسه الى الافول
اعظم ما كانت اشعاعا واستنارة واشراقا ، فقد ختمت انفاسه رحمه الله
يوم السبت رابع شوال عام 1328 هـ ، فكانت له جنازة حافلة ، وكان امام
الصلاة عليه ضيف تيزنيت اذ ذاك الشيخ ماء العينين ، ثم ابّنه بخطبة
ارتجالية بين يدي جنازته ، مضمنها الاشادة بقدر الرجل وتنبيه التيزنيتين
على هذه النعمة المعنوية المسبلة على مدينتهم الجديدة حيث ينتابها اعظم
العلماء ساكنين ، ثم يشوون فيها مقبورين ، وكأنه رحمه الله يتكلم حول
نفسه ، لانه التحق بمن صلى عليه بعد اسابيع قليلة ، وكانت تلك السنة
والسنة التي قبلها مدرجة لعلماء كبار من هذه الجهات فقد رحل الشيخ
احمد بن عبد الرحمان الجشتيمي في سنة 1327 هـ ، وفي هذه 1328 يرحل

المرجم فيتلوه الشيخ ماء العينين فالشيخ الحاج علي بن احمد الالفى ، وذلك ما حدا شاعر سوس ابا محمد الافراني الى ان يقول فى مرثيته للشيخ ماء العينين :

عاه فقد الشيوخ اهله الـ ساسلام ماتوا فاستطال الفيهب
نضب المعين وفاضت الامواه قل لي كيف نبقى بعد ما هي تنضب
ذهب الالى اكتسب الهدى بوجودهم عزا فأصبح خائفا يترقب

كذلك راحت من الشيخ الحاج الحسين غزالة وهاجة فى افق الجنوب سنوات كثيرة ، وعقبى كل شمس وان اشرقت ان يكون منتهاها الافول

مرآتيه :

قال فيه ابو محمد الطاهر الافراني

اليك فقد اودى فتى العلم والندى وبدر الهدى الشيخ الحسين بن احمد
توى فتوى فرد هو الكل همة وعزا واقداما وعزما وسوددا (1)
قل لعفاة المكرمات تحيروا فقد ذهب المعروف وانقشع الندى
وللكتب قرن فى القماطر حسرة وللحبر مات الحبر فلتبدا (2)
وللدين والدنيا وكل رئاسة مضى طبك الآسى فصبرا لكل دا
هو البدر لما حاز وصف كماله بهاء رمته بالسرار يد الردى
فتبا لدهر ما رعى ال سيد تأزر بالعلياء والمجد وارتدى
وانفق فى كسب الفضائل جاهدا مدى عمره حتى غدى غاية المدى
وحاز من المجد الموثل ما يقي له لو ان مجدا خلد الدهر سيدا
فكم هجر الاوطان فى طلب العلا وكم خاض من بحر وكم جاب قدفا
وكم من هجير صامه متعبدا وكم سحر قد قامه متجهدا
وكم غاص بحر العلم يبغى (جواهر الـ معاني) فحابه بما ملا اليدا
وجاد بـ (ترياق القلوب) فلم يدع حدى قلب من قد جاءه يشتكى الصدى
وكم زاد عن ورد الطريقة من قذى رمته بها كيما تكدرها العدا
وسل الظبى يفري غلاصم ذي العنا د فريا ويردى من تعدى والحددا

(1) توى : هلك .

(2) الحبر الاولى بالكسر ومعناها المداد ، والثانية بالكسر والفتح والمراد بها العالم الصالح .

الى ان غدا والحمد لله وردها وحاز وراثه الخلافة فاستوى الى همة تعلو على زحل فلم وعزة نفس لا تلين قناتها وزهد واعراض عن العرض الذي وجد وحلم واحتمال وعفة وخلق كما هب النسيم معطرا فله منه عالم طالما هدى وانقذ بالعلمين طرا ذوى عمى وحل عويص المشكلات وقيد الـ الى ان دعاه الله للفوز بالرضى فخلف وجدا لا يريم وحيرة فما رزؤه الا كرزء سميه الـ فلو قبل الموت الفدا لاشتهى جميع فقدس رب العرش فى الخلد روحه وجازاه فى الفردوس افضل ما جزى وارضاه عنا من خزائن فضله بجاه رسول الله صلى عليه رب وجاه ابي العباس قطب الوجود شيـ عليه سلام يملأ الكون طيبه

بتهديبه اصفى واعذب موردا على عرشها يسدي الرغائب والجدا ترم مطلبها الا واقبل مسعدا لغمز ولا ترضى الدنية والردى يعيد تقى الدين والعرض اسودا وصون وعزم كالحسام مجردا وجود كما طم العباب وازبدا الى الحق طلاب الكمال وارشدا واغنى واقنى كل من راح واغتدى شريد فكم روى الحديث واسندا قلبى ومن جد السرى حمد الفدا كما حار ظام فى الفلا شفه الصدى شريف كوى كل القلوب واكمد (1) عنا وتمنى ان يكون له الفدا وبوآه رضوانه وتغمدا اماما هدى للرشد من بعد ما اهتدى وثبتنا قولا وفعلا ومقصدا ه ابدا ازكى صلاة واحمدا سخنا احمد اعلى المشايخ مصعدا مقاما ثوى فيه كريما ومقعدا

وقال تلميذ له اسمه محمد بن عبد الله - كما نقلته من كناشة بعض اصحابنا - ولا ادري الآن من هو محمد بن عبد الله هذا ، والقصيدة اكبر مما اوردنا ، وقد اخترنا منها ما يظهر انه مقبول

كسف البدر فى السما والنجوم
اظلم الليل بالدياجى فاين الـ
اصحيح ان قد توفى شيخى
كان لى والصحاب طرا كظل

فدموع الاجفان طرا سجوم
بدر يا ناظرون اين النجوم
يا لحزن بين الضلوع يدوم
وارف تتقى لدنه السموم

(1) بالشريف سميه : سيدنا الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما .

نرتوي في العين بين يديه فصل المجملات وضح اشكا
 ما هو الشيخ قد مضى فمن الها
 من يبين لنا المقاصد من ير
 مجبا كيف يحمل الشبر طودا
 كم عيون مفتحات به ، كم
 من طريقتنا عليه نجوم
 لا نرانا في جانبيه نهيم
 دي لنا في طريقنا يستقيم
 وي اذا جاءنا الظماء الهيم
 كله همة الهدى والعلوم
 مهج اخطيت بما قد تروم

هاتان المرثيتان ما اعرفه في الشيخ سيدي الحاج الحسين الافراني
 ولم نقف للادباء الالفين فيه على شيء، ولعلم رثوه فلم نقف على مراثيهم فيه.

اولاده

رزق الاستاذ بنات متعدّدات ، تزوجت اثنتان منهن في تانكرت ، واخرى
 عند القائد سعيد المجاطي ، واخرى عند القائد مبارك البشيراني ، واخرى عند
 الفقيه البركة سيدي احمد بن محمد المزواري الرسموكي نزيل تازموت
 بضاحية تارودانت ، واخرى في ماسة ، وهناك اخريات ، اما ذكور اولاده
 وكلهم من السراري ، فأكبرهم سيدي محمد الذي هنا الاستاذ الطاهر
 الافراني والده يوم ولادته بقوله :

هنيئاً بنجم زار افقك يا بدر
 بدا بعد ما عالت رسوم العلا الى
 وقرت به عين السيادة واشتفت
 وقامت شوادي السعد تشدو خطيبة
 وليد اتى من بعد ما قد تشوقت
 دعت فاجاب الله جل جلاله
 فيا ايها البحر الخضم ومن به
 بقيت وذاك النجل حتى يقال في
 ولا زالت الدنيا وانت امامها
 ولا زال كل الكون يشني لسانه
 تضيء به الآمال ما بقي الدهر
 عفاء فدام الانس واتصل البشر
 صدور الهدى واهتز انسا به الفخر
 تقول هنيئاً قد بدا الولد البر
 اليه العلا شوقا يضيق به الصدر
 دعاها كما شاءت ، له الحمد والشكر
 يزان اذا ما حبر النظم والنثر
 كما لكما شمس الظهيرة والبدر
 توالك برا لا يحيط به حصر
 عليك كما يشنى على الوايل الزهر

كما هنا الاستاذ ابو الحسن علي بن عبد الله الافي بأخرى هي

هنت يا شيخ المشايخ بالتقى
 ويكنز كل فضيلة ومزية
 وبحبر امته وبحر زاخر
 وبغية العجلان والندب الذي
 وبقرة العين النجيب محمد
 ان كان زهرا ناضرا فمقره الر
 او كان عينا فهو عين العلم او
 او كان درا فهو من بحر التقى
 ابقاك من ارقاك اوج سيادة
 حتى تعينه بعين مهابة
 وترى الزمان واهله في خدمة
 باجل خير الخلق صلى ربه
 وعلى مجادة ءاله الشم الذرى
 وبمن على اعلام علم مرتقى
 وبمقلد السر المصون المفلح
 بنفيس علم والعلام متدفق
 تعنو لعزته وجوه السبق
 مفنى المجادة والكمال المونق
 وض الاريض وغصن ايك مورق
 بدرا ففي برج السيادة يرتقى
 او كان بدرا فهو من افق رقي
 يا عون عان عفو عان مملق
 من جمع اخوته الكرام اللحق
 لولاء نعمته كمولى مفتق
 ازكى الصلاة عليه ما دهر بقى
 وعلى صحابته الكرام الصدق

وكان سيدي محمد هذا قد التحق بالاستاذ سيدي الطاهر يأخذ عنه
 وعن ولده سيدي محمد ، ولكن لم يتمش كثيرا في معلوماته ، ثم رجع الى دار
 ابيه فوجد من الاحترام ما قد يفتر به امثاله ، ثم لم تزل به بركة والده الى ان
 استقام فكان عميد زاوية والده في تزيت ولم يزل على ذلك الى ان توفى يوم
 السبت سادس عشر من صفر الخير عام ثمانية وستين وثلاثمائة
 والف (1358 هـ)

قال فيه المؤرخ ابن الحبيب السكرادي فيه :

« ومنهم الفقيه العلامة المرشد المقدم المفيد ابو عبد الله سدي محمد بن
 الحاج الحسين الافراني ، جلس على كرسي ابيه في التعظيم والوقار ،
 وصادق المحبة والوداد للناس كافة ، مع رسوخ قدمه في الطريقة التيجانية ،
 احد فضلائها ، ذا جد واجتهاد في سلوك طريقة الرشاد ، سخي كريم مقبل
 على شأنه تارك ما لا يعنيه »

ثم اخوه احمد الذي كان رفيقنا بمدرسة تانكرت ما شاء الله ، الا انه
 ايضا لم يتمش كثيرا ، وكان من الطف الناس اخلاقا ومعاشرة ، ثم ان الباشا
 الحاج التهامي الاكلوي صاحبه معه لما كان في تزيت عام 1335 هـ الى مراکش

على نية ان يستتم تعلمه في مدرسة أخليج ، غير ان ذلك لم يقدر له ، ثم خالط طبقات من الرؤساء وصار يحضر مجالس انسهم فجره السيل في مجر البطالة والملذات ما شاء الله ، الا انه يحافظ على صلاته وعلى ورد والده وكثيرا ما يزورني بمراكش فيجدني مغمورا بالدروس فيقول لي هنيئا لك ما انعم الله به عليك ، واما انا ففي حمأة ، ثم يحكي متأسفا ما يراه من اولئك الرؤساء ، وكان من اجود الناس ، لا يبقى ولا يذر ، فلا يزال محتاجا ، مع ان اولئك الرؤساء يعينونه دائما ، وله صحبة مع الباشا الحاج التهامي الاكلوي فمن دونه كئال الحاجي من الشياظمة ، وءال قائد نكنافة ، والوريكين ، ثم تزوج في مراكش ، وكانت له جولات مع القائد محمد بن ابراهيم التيوتي ، الى ان عزل الحاج حماد بن حيدة بن ميس عن باشوية تارودانت على يد القبطان الفرنسي بوركينيون ، ثم لما مات اخوه محمد انتقل الى تيزنيت حيث استقر ، وتحسنت سيرته الى ان توفي منذ سنتين

قال المؤرخ علي بن الحبيب السكرادي في حقه :

« ومنهم اخوه الفاضل والسيد الكامل ابو العباس سيدي احمد بن الحاج الحسين الافراني ، لما ترعرع تحول الى مراكش واقام بها

ان الكريم اذا اقام ببلدة سأل النصار بها وقام الماء

ثم اخوهما الاديب السيد محمد الحبيب ، قد قدر الله له من بين اخوته ان يضم الى ما ورثه عن والده من مكانة سامية متوارثة ما لا يقل عنها سموا مما اكتسبه بالنزوح للحواضر ومخالطة افاضلها ، فقد تمكن من اللغة العربية واطلع على ادابها ، والم باللغة الفرنسية ، فمن اجل ذلك ، ومن اجل ما هو مطبوع عليه من حسن الخلق وخفة الروح والتيقظ وصفاء الطوية والنظر البعيد الصائب ، استطاع ان يجعل لنفسه مكانة في الحواضر ، اذ استطاع ان يكون مسيرا للناحية الداخلية في معهد جسوس الذي اسسه السيد الحاج احمد بئلا فريج بالرباط ، فسيره على احسن ما يكون مما تتطلبه المدارس العصرية بنظام وحزم وصرامة واستقامة ، الى ان كانت حوادث سنة 1937 م التي اعتقل فيها السيد الحاج احمد بئلا فريج وغيره من الوطنيين ونفي الى كورسيكا فاحتل الجند الفرنسي المدرسة ، فاخرجوا

منها السيد محمد الحبيب بعد ما ناله منهم ما لا بد منه لامثاله من الالهانة في تلك المواقف ، فانتقل الى الدار البيضاء ، فتيسر له ان يشتغل فيها بالتجارة ما شاء الله ، وكان فيها من الاريحية وحسن الخلق والنشاط كما كان في المدرسة حتى اذا خلت دار والده من اكابر اخوته انتقل اليها فعملها ولما من الله على المغرب بالاستقلال وعاود معهد جسوس نشاطه من جديد ، كان من اول من فكر المعهد في استرجاعه ، فاستقدم من تيزنيت لهذا الغرض وما يزال هناك الى الآن 1379 هـ ، اعانه الله ووفقه

قولة المؤرخ ابن الحبيب فيه :

ومنهم اخوه قطب الدائرة ، وعليه مدار فلك الفضل وبه الامثال السائرة ، الفقيه الاجل ، العالم الامثل ، سيدي محمد الحبيب بن الحاج الحسين الافراني ، صدر الاسرار ، ومركز دائرة الفضل في تلك الاقطار ، لم يفتخر بئابائه ، ولم يبتهج بنضارة اصله ونمائه ، اذا نسج حلله على منوالها فهو من الطراز الاول ، او نظم الشعر فهو مهلهل ، ولم يزل مقيما برباط الفتح وقد امتطى فيه ظهر المجد ، ونزل فيه ببطن تهامة ونجد وأوى لها حيث لا عاصم اليوم من الخطوب ، الا ذلك الحصن المحبوب ، (1) ولا زال به يدرس دروسه ، ويحطب في حباله بطبع الذ من محادثة الحبيب ، واعذب من مفاكهة الصديق الاريب ، فلم تزل السعود في خدمته قائمة ، وعيون النواب عن معاليه نائمة

اشرب هنيئا ان فهمت حديثنا انت الكليم وذلك الميقات

اقوال المؤرخين فيه :

قولة الرفاكي في المترجم سيدي الحاج الحسين الافراني

اذا كنت ايها القارئ لهذه الترجمة التي سنحت من قلم من لم يعرف الاستاذ ولم يعاشره ، وانما كان معتمده على ما تلقفه من الالسنه ، والتقطه من بين الاحاديث ، فاليك ترجمته ممن عرفه حق المعرفة وعاصره ، وهو مع

(1) يظن ان من في الرباط ناج من احوال الاستعمار التي اجتاحت المغرب كله حتى وصلت الى امثال هؤلاء في مخابثهم في الاكواخ والقرى السوسية ، مع انه ربما كان من في المدن اكثر تضرا بها من غيره ، خصوصا من كان في اعشاش الوطنية كالسيد محمد الحبيب

ذلك مولع بالقاء الحقائق مكشوفة كما هي لا يرحم احدا ، ولا يبالي بالمجاملات والمداريات ، فاصح اليه لعلك تجد في كلامه ما يؤيد ما ذهبنا اليه ، بل ربما يأتي بما لم نلم به ، قال :

ومنهم شيخ الطريقة التيجانية ، المربي بالمنح الصمدانية ، الشيخ الفقيه ، المحدث النبيه ، الراوية المسند ، الثقة المرشد ، المفتي الحكم ، الضابط الناطق بالحكم ، النسابة الذي يحق له اللقاء ، والبحر الذي لا تكدره الدلاء ، معظم الشرفاء ، المعدود من الظرفاء ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، الذي ليس له في الكرم ثاني ، مجلسه روض ذو ازهار ، وحديثه اشهى من ضرب الانوار (1) ، لا يمله جليسه ، ولا يستثقل فكاهته انيسه ، يقطع الغدو والاصيل ، بمجالسة كل فاضل جليل ، لا يخلو من عالم يوضح الحلك ، او صالح يحتلب منه الحشك (2) ، ايامه من غفلات الدهر مختلسات ، وانتظم فيها شمل طالما منى بالشتات ، سوقه ممتلىء بالافاضل ، يملئون الحقب بالفضائل والفواضل ، الى كتب غريبة ، وانتقال مصيبة ، الا ان الدهر المشتت ازاله من مقره ، واحاله عن محل نقره ، اكلت داره بافران ، ومزق ما فيها مما لا تعد له اثمان ، فاخذ في مدينة (تيزنيت) المقر ، وبها بنى زاويلته واستقر ، وحاله ينشد ، بقلب حرد :

يا سائلي عن مزعجي عن وطني	ما ضاق بي جنباه ولا نبا
قلت القضاء مالك امر الفتى	من حيث لا يدري ومن حيث درى
لا تسألني واسأل المقدار هل	يعصم منه وزر او مدرى
لابد ان يلقي امرؤ ما خطه	ذو العرش ، مما هو لاق ، ووحى

بينه وبين سيدي محمد بن العربي الادوزي منافسة ، قال فيه الحاج الحسين (ان ابن العربي لمن حكّمه كتيست (تعريبها العنكبوت) اذا صادت ذبابا ، فانها تأكل كل ما في جوفه) ، وقال الحاج الحسين (ان الحاج الحسين ممن قال الله فيهم : ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم نكن نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين) وهذا مثل قول ابى زيد الجشتيمي في التيمنجيد شنتي :

(1) الضرب بفتح الراء : العسل ، ومعروف انه من الانوار .
(2) الحشك محرّكة : شدة الدرة في الضرع او سرعة تجمعه .

يا من يرد في الناس اداس¹ كرت² زني مقامه عند الاله ايمزي

(يعني يا من يريد من الناس ان يحرثوا له ، ان مقامه عند الله صغير)

فقال فيه التيمچيدشتي :

يا من يرد في الناس اداسن احكم مقامه عند الاله ايمزي

(اي من يريد من الناس ان يحكم لهم ، مقامه عند الاله صغير)

او كما قال ، لقد طال عهدي به ، وهذا من باب (من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) رحم الله الجميع وسامحه ، فكلهم على هدى من ربهم ، ومع ذلك فنعم الله على صاحب الترجمة تترى ، اينما حل فعليه تطرا ، تاتيه الوفود من كل جهة ، من فاس ان تنظر وجهه ، فيعطي لكل زائر حقه ، ويمده بما يملأ حقه ، ولو انه احتل بين الفرقدين ، لادى للمساكين . ما له عليهم فضلا من الدين ، مائدة الله في ارضه ، ومقر الاضياف في طوله وعرضه ، لا ملك له على الحقيقة ، وانما يفرق للنزال المفروض سكره ودقيقه ، وعلى ذلك استمر اعوام ، الى ان اتاه ملك الختام ، فناداه على رؤوس الاعيان ، فاجاب النداء من غير توان ، فترك الاكباد في احتراق ، والانصار لا فتراق ، فانفض الجمع الذي لا يخال ينفض ، وانحل سلك فرائده ومجلسه أقض ، ولم يعقب الا من عمره بالبرابط (1) ، وبكاه الشريف والمرابط ، ولا يعقب الجمرة الا الرماد ، ولا التفاق الا الكساد ، ولا النوم الا السهاد ، ولا سيما اولاد الاموان (2) ، فمغنطيس السواد يجرحهم للهوان ، والناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، قضى نحبهم ، واجاب ربه ، في الرابع من شوال ، ودفن بعد الزوال ، يوم السبت ، الدال على السبت ، عام 1328 هـ ، وصلى عليه الشيخ ماء العينين ، ودعاه لمجرد صلاته عليه للحين ، فلبث بعده الى الثاني والعشرين من شوال ، فحضر الدعوة عند الكبير المتعال

يا صاحبي لا تفتقر بتنعم فالعمر ينفد والنعيم يزول
واذا حملت الى القبور جنازة فاعلم بانك بعدها محمول

(1) جمع بربط : عود الطرب
(2) من جموع كلمة امة .

فبقى المسلمون عليهما في البكاء ، وايقنوا جميعا ان لا منجى من الفناء ،
تتابع الرزايا على المسلمين في هذا العام ، وانكسفت شمس الاعلام ، وانقض
الجهل والظلام ، قرأ رحمه الله على شيخ الجماعة سيدي العربي الادوزي ،
ثم على ابي العباس الجشتيمي ، ثم انتقل لفاس ، فاخذ عن علمائها ، وسلب
الإرادة لسيدي محمد بن احمد اكنسوس المراكشي وعليه عمدته ، قال له
بعض اصحابه ان هذا السكر فيه اتلاف المال ، فلو اقتصرت على شربه مرتين
غدا وعشيا ، فقال له : ان الله عودني التفضل علي ، وعودته التفضل
علي من لجأ الي ، فخفت ان قطعت العادة ، قطع عني المادة ، وأصل هذا الكلام
لبعد الله بن جعفر رحم الله الجميع بمنه ويمنه ، الى ان قال فلما مات ابي
رحمة الله عليه في ذي القعدة عام 1326 هـ ، عزاني الشيخ الافراني برسالة طير
بها عن القلب زناير الهموم ، وفض عنه القوم ، فكلامه اكسير الفرح ، ونور
قلمه يجوب الترح ، فنبه القلب من رقدته ، وانقذه من غمائم غفلته ، وابى
رحمه الله من جملة احبابه ، يعده من اصحاب ركابه ، وان كان حزبه مفارقا
لحزبه ، بحيث لا يعده من سربه ، فكتبت اليه هذه الايات ، والقلب
عن الفتيتات :

سيدى حسين ان حبك ذاهب	تلقاه يوم العرض والحسبان
فاسمح له مستمطرا من ربه	اتحافه بالعفو والغفران
لا تنسه وقت الانابة في الدعا	لينال امنة ضفطة القبران
انت الذي منيته وحبوته	بالبشر والاعطاء والاحسان
فلذاك كنت خدينه وعريفه	وقرينه في النوم واليقظان
فحنينه وشكاته تصفى لها	اصفاء من سادوا من الذكران
عودته الرحمى حياته ان قطع	تها في الممات ففاية الخسران
والظن بل منى اليقين بانكم	لا تبخلوا بالروح والدمعان
عزيتني وازلت شجوى يا لها	من منة تتلى على الازمان
لم اقرا من احد سواك نفائة	انفى بها ما حل في القلبان
فجزاك مولانا الحفى فسر كم	يشفى ، اطالك ربنا العمران

ذلك ما ذكره عنه الرفاكي ، وقد نقلنا كلامه كما هو بالفاظه (وجموعه)
قولة المؤرخ علي بن الحبيب السكراي فيه

« ومنهم شيخ الاسلام ، وعلم الاعلام ، صاحب الرياضيات ، المفتوح عليه في سائر العبادات ، من تظاهرت الآيات والاخبار ، وتواترت الآثار ، وتطابقت الدلائل الصريحة ، وتوافقت على فضله اللسنة الفصيحة ، الفقيه الامام ، والشيخ الهمام ، مربى المريدين ، وتاج العارفين ، قطب زمانه ، وواحد اوانه الشريف سيدنا ومولانا الحاج الحسين ابن سيدنا ومولانا الحاج احمد ابن سيدنا ومولانا الحاج بلقاسم الافراني قدس سره ، قد جمع الله في هذا السيد مجامع السعادة ، العلم والدين والعقل والادب وحسن السمعة والتودد الى الناس ورفع الكلفة عنهم ، ولاشك انه من وراث الشريعة وحملة احكامها يعلمها الناس ، وبه وصل الواصلون الى الله تعالى ، ولي الله على الحقيقة ، وحرمة محفوظة عند الخليقة ، اعلم الناس وافضلهم ، اعز الله به مقام الدين في القطر السوسي وشيد به اركان الملة المحمدية الاحمدية ، وجمع الله به وبانجاله وراثته شمل الدين ، وارشد به اهل الفلاح واليقين ، امد الله روحه بفيوضات رضاه ، وبمشاهدة وجه مولاه ، هذا السيد رحمه الله ورضى عنه ، مناقبه ومعاليه ومزاياه اشهر من قفا نبي ، واعين المعاهد بوطنه تبكي ، اذ هو الدرة المكنونة في الجيوب ، ومفناطير القلوب ، مروى حيازم القدوم ، حتى طاوعته المعاني والفهوم ، واني وان لم ارو من مزن علمه الهتان ، فان الاذن تعشق قبل الاذن في بعض الاحيان المكين حقا ، المحسن للمعاني دقا ، فاننا نستمطر من بحر جوده حلل فضفاضة ، وشربة مفاضة ، ادركناه وعاصرناه وفاوضناه في بعض المسائل العلمية ، ونحن في ذلك الوقت بصدد العلم مشغولون ، وبتقييد اوابد متهيئون ، حتى فاتنا الري من معين اسراره ، مباشرة وان لم يفتنا والحمد لله من وراثته وانصاره

كان اماما في الفقه والتفسير والحديث ، متبحرا في العلوم النقلي والعقلية ، ادبه حدث عن البحر ولا حرج ، وله تصانيف منها المؤلف المشهور (ترياق القلوب) ، كتاب جليل في مجلدين في التصوف ، و (الخواتم الذهبية) في سفر ، وشرح عجيب لقصيدته التي رد بها على المنتقد الماسي ، وكان رحمه الله عالما باللغة والاصول والانساب ، صبورا جوادا ، بلغ في الجود غاية المدى ، عارفا بالله ، حاملا للواء النور الاحمدي التيجاني ، اذ رضي الله عنه من خاصة اولياء الله الكبار ، واصفيائه الابرار ، وجديده بمن ردد اخباره ، واستمع آثاره ، ان يدخل ديره ، وينال بره ، والتعلق

بأهل الله ، والانحياش اليهم تعلق بجناب الله ، فأخبارهم وسيرهم
هدى ونور ، وشفاء لما في الصدور ، ودواء للقلوب ، وجلاء للكروب ، إذ
هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الصحبة المعنوية ، ومعجزاته
الباقية افنى عمره في طاعة الله ، وحج بيت الله الحرام ثلاث حجج

ومن مناقبه الغريبة رضي الله عنه معرفة اسم الله العظيم الاعظم
الباطن الخاص بالمحبوبين من اوليائه الكبار ، وقد اخبرني بعض العلماء
من خاصته انه استفاد منه انه تحصل له المشاهدة لذات عين الرحمة
صلى الله عليه وسلم يقظة ، وغير مستغرب في هذا الزمان ان يهب الله
لاصحاب القطب المكتوم مع قليل من العمل ما لا يدركه غيرهم مع كثرة
الاجتهاد لانها طريقة الفضل

فما هو الا البحر بالسر قد جرى	وفي كل روح في الوري ينفث السرا
احاط بأسرار المعارف كلها	فحار يرى من بين اهل الهدى بحرا
وحاز من العرفان كل لطيفة	فأضحى لنا في كل داج يرى بدرا
له نظرة يشفى بها كل معضل	وعن كل قلب بالهدى يكشف الضرا
ومهما تبدي بين قوم بمحفل	تراهم كأن الطير في رأسهم قرا
له تخضع الهام العظام مهابة	وان يره ليث طفى في وغى فرا
إذا ذكر الحكام بالعدل في الوري	لعمرك تلفيه هو الآية الكبرى
فلمد شب لم يعدل عن الحق والتقى	ولم يقض الا بالهدى للورى طرا
وبين يديه في العلا نشرت له	من العدل رايات تقلده الفخرا
ولو ان ما يأتي ببعض مديحه	وابدى من المدح المحالات ما اطرى
واني عن ايفاء مدح جنابه	ارى عاجزا لا استطيع له حصرا
وحسب اعتذاري عنه بالعجز دائما	وظني فيه انه يقبل العذرا

وقائه مع شيخه السائحي لا يحاط بها كثرة ، فانظر مناقبه فقد
جمعها تلميذه البركة ، المحمود في السكون والحركة ، الفقيه علي بن احمد
الاساجي امتع الله به وجعل النفع بعلمه وادبه ترى العجب العجاب

وافران قبيلة وافرة قديمة ، يقال ان وادي افران عمر قبل زمن
موسى عليه السلام ، والمترجم رضي الله عنه شريف النسب ، افراني

الدار ، وبها ولد عام ثمانية واربعين ومائتين والف ، ووفاته يوم السبت الرابع من شوال عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة والف

وكان رحمه الله كثيرا ما يكتب في اول رسائله لبعض احبته هذين البيتين

ماذا ترى في محب ما ذكرت له الا بكى او شكى او حن طربا
يرى خيالك في الماء الزلال اذا رام الشراب فيروى وهو ما شربا (1)

وقد زار الاديبي سيدي محمد سيداتي زاويته فانشد عند ضريحه،
وهو غير سيداتي برودانة

حلت بمثواك المحل الا رفعا زاوية فيها الكمال تجمعنا
حسنتها حيا وميتا ايها الـ نذب الحسين بما شذاه تضوعنا
بالعلم والتقوى وحب المصطفى ولحب آل المصطفى كنت الوعا
بالعلم والايتار تفبط دائما وببذل حكمتكم وحكمكم معا
وخصت من سر التيجاني بالذي يخفى وبالنور المبين تشعشنا
بالله يا اهل المكارم والعلا منوا على من جاءكم مستشفعا

وقال الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الالفى يصف تيزنيت
ويضمن قوله وجود المترجم (2) فيها

انظر الى تيزنيت في قاعها كأنها الجوزاء وسط السما
كيف وحسن حسين حفها وملك سوسنا بها قد سما

ذلك ما تيسر لنا في ترجمة هذا الشيخ الجليل ، العلامة النبيل
سيدي الحاج الحسين الافراني ، الذي غرب ذكره وشرق ، واتهم
واعرق ، واستولى مقامه على السبع الطباق ، وهو بعد ذلك ما زال ينشد
بلسان الحال

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

(1) من قصيدة لابن سهل
(2) توفي محمد الالفى قبل ان ينزل المترجم في تزنيت . والمقصود المعروف هو الحسن الملك
بانيها . وهكذا البيت الموزون :
كيف وحسن حسن حفها وملك سوسنا به قد سما

الشيخ ماء العينين الصحراوي

17 - 8 - 1246 هـ = ليلة 21 - 10 - 1328 هـ

نسبه :

ماء العينين بن قاضل بن مامين بن الجيه ، الى آخر سلسلة النسب
المعلومة

هذا الشيخ من الشيوخ العظام الذين تمت لهم شهرة فائقة عظيمة من
حو 1270 هـ. فقد اسعده الحظ فنال ما ربما اذا سمعه من لا يعرفه
يستغربه او يعده من البهتان ، وشهرته تركز على اربعة امور بل خمسة
اولها ان ذلك وراثة عن ابائه الشم الفطاريين الذين تسلسل فيهم العلم
والصلاح ابا عن جد ، منذ اجيال متعددة ولا شك ان الاحفاد العظاميين اذا
حافظوا على اسس الاجداد فبنوا عليها فان بناءهم يكون امتن واشرف من
بناء غيرهم من العصاميين

انه السرى اذا سرا فبنفسه وابن السرى اذا سرا اسراهما

لان من كان عصاميا عظاميا لا يمكن ان يساويه من كان عصاميا فقط ، وثانيهما
انه ادرك من المشاركة في العلوم ادراكا عظيما تدل عليه تآليفه التي ماغادرت
علما من العلوم الا اقتبست منه حديثا وتفسيرا وعريية واصولا وبيانا
بله التصوف الذي هو عش ذلك البيت ، فعليه تأسس من اول يوم ، وبه
اشمخر بناؤه ولا اقرب من الشهرة للعلماء المشاركين الذين نفذوا في
العلوم ، متى واتاهم الحظ واسعدهم الدهر وثالثها انه شيخ من شيوخ
الصوفية الذين لهم يد عليا في ذلك الفن علما وعملا ، ولا ادل على ذلك من
ذلك الجهم الفقير الذين تلمذوا له من فطاحل الصوفية والعلماء الكبار من
الصحراويين فقد بلغ اخيرا من حلقوا حوله في (الصمارة) عشرة آلاف بين
ذكور واناث يتدارسون العلوم ويعمرون الاوقات بالاذكار مع حصول

النفع التام لهم به وكل من احنت له علماء قطره همامتهم من اشباح
الصوفية فانه ظافر وراء ذلك باستتباع الدهماء التي لا تعرف غالبا الا تقليد
الجم الفقير من العلماء ، ومتى سالت الاباطح بالخاصة والعامه الى انسان
فان هناك من الشهرة الطنانة ما يملأ الخافقين ، ويفغر المسامع ورابعها
انه اتصل من قديم بملوك المغرب فكان يفد عليهم باصحابه من الصحراء ،
فقد وفد على مولاي عبد الرحمن سنة 1274 هـ في طريقه الى الحج فمولاي
محمد بن عبد الرحمن ، فمولاي الحسن ، فمولاي عبد العزيز فمولاي عبد
الحفيظ اخيرا ، فكان يصدر عن تجلة عظيمة واکرام لا نهاية له ، خصوصا
في الدولة العزيرية ايام الوزير احمد بن موسى ، فكانت الدولة تهتز له متى
ورد الى المغرب والناس اتباع الملوك ، واصدء لاصواتهم ، فمن تقرب اليه
الملوك شبرا تقرب اليه الناس باعاً ومن كانت اليه منهم لفقة ترى الرعية
تكاد تسجد لجهته ، فقد كان السلطان مولاي الحسن منذ لفت وجهته
السياسية الى الصحراء يوالي عليه الاعانات التي لا انقطاع لها ، ويقصد
بذلك ما يقصده السياسيون في امثال تلك الاحترامات ، ثم جاء احمد بن
موسى فوصلت درجة احترام ماء العينين في الحكومة بسببه الى مقام لا مزيد
عليه ، ويكفيك ان السفن المغربية تتوالى الى الطرفاء اعانة للشيخ بالحبوب
وبالكسا الفاخرة وبكل ما يكتسى به كل من مع الشيخ ، حتى انهم كلهم
يتمخطون لا في الكتان فقط بل وفي الملف ايضا وفي الثياب العليا واما اذا
توجه بركابه الى مراكش فان المغرب يقوم ويقعد في الاحتفالات به بايعاز
من الحكومة وبغير ايعاز منها فان للرجل مكانة مكيئة في
القلوب كلها قلوب الخاصة والعامه لدينه وعلمه وشرفه
وسنه حتى اذا اطل على الحمراء تركب الحكومة عن اخرها
لملاقاته ثم يتسابق الناس في الاهداء اليه كما تتسابق الشريفات من دار
المخزن للفوز بغسل ثوب من ثيابه تبركا واما احمد الوزير فانه يظل قائما
على راسه اعتقادا له حسنا في الشيخ ثم لا يرد له طلبه قدمها اليه فهذا
الامر الرابع اجل الامور التي اشتهر بها الشيخ ماء العينين تلك الشهرة الغربية
حتى صار من انقطعوا اليه من المريدين الافاً كما قاله الامين الشنكيطي في
مؤلفه (الوسيط) ، وخامسها تطاول سنه وتعميره عقودا كثيرة من السنين
ومجده مطرد وحظه في ازدياد ، ودهره يتقرب اليه في مطلع شمس كل يوم
بحظوة جديدة مع كرمه الجم وزهده في الاقتناء الا ما كان من الكتب فان
له نهما غريبا في تحصيلها والشيخ ممدح كثيرا من الصحراويين ومن

الحضريين الفاسيين فمن دونهم وقد جمع الشيخ النعمة في مجلدين (1) هذه الامداح من زهاء 520 شاعر فبهذه الامور الخمسة التي تأتت للشيخ ماء العينين طارت له تلك الشهرة الهائلة في اواسط المغرب كله ثم لما اختتم عمره بالهجرة امام المحتلين الى سوس كان ذلك كطفرة اخرى في ميدان شهرته ولكنه ما كاد يتنفس من الجنوب بمفادته للصحراء . حتى صدمته تلك الصدمة في بسيط تادلة وهو متوجه الى حضرة مولاي عبد الحفيظ فردته الصدمة رغم انفه ولم يجد طريقا يجتاز فيه الى فاس كما لم يجد ايضا طريقا يرجع فيه الى الحمراء فاضطر ان يركب متن الاطلس ، وان يقطعه عرضا حتى نزل براس الوادي الى مئواه بتزيت بفد ما صالح بين قبائل هشتوكة فهكذا ابى الله الا ان يرى في آخر عمره ما يعرف به ان الدهر قلب وان حظه حول وان الله ما رفع شيئا الا وضعه سنة الله التي لا تتبدل امضى رضي الله عنه حياته كلها في العلم وقي تدريسه والتأليف في عالم الفنون حتى نظم (الزهر) وحتى تعالى الى جميع ما اتفق عليه الفقهاء فانتشرت به علوم جمة وتخرج به فطاحل عظام من الصحراويين وتجمعت له اعظم خزانة صحراوية فكان مئواه المتنقل في الصحراء مدرسة حافلة ، وزاوية متنقلة لها دوي بالذكر يسمع من بعيد كما لعلمائها اشتغال بالمباحثة في العلوم ، تتعطر به السنة المحدثين ، وتطير به الركبان ، فلولا ان الله اعقب بالشتات ذلك الجمع العظيم من اصحابه ، وتلك الخزانة الهائلة التي يصاحبها معه في تنقلاته لكان لذلك تأثير عظيم بعده ولكن هبت السياسة باعصارها الصداق على كل ذلك فنسفته فصار هباء منثورا ونعوذ بالله من ساس يسوس سياسة ، كما يقول الاستاذ الامام محمد عبده . حدثني الباشا ادريس منو قال ورد مرة الشيخ ماء العينين الى الحمراء في الدولة العزيرية فلقى بترحيب عظيم ، واكرام نادر ، وقد اهدى اليه كل من يجول في الحكومة من اصفر عون الى السلطان الاعلى كل بمقداره ، لان للناس فيه من الاعتقاد ما لا يكيف ، ومن لم يقدر الا على الحمالة التي يتقلد بها فانه ينزعها من عاتقه فيزور بها منه والاعراب اصحابه ينشرون بلا حد كرامات كنا اذ ذاك نصدقها كلها ، فيزداد الشيخ في اعيننا تقديسا (اقول) . في تلك المرة شفع في الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني فسرح من الحمراء بعد نكبتة المعلومة بعد استنطاقه بين بلبي العلماء حتى تاب فجاء الشيخ ماء العينين فكانت يده هي التي سرحته

(1) يوجد ذلك كله في الخزانة العامة بالرباط .

الى فاس وفي تلك المرة ايضا تعرض له في الطريق رؤساء القبيلة السباعية ، فاستشفعوا به ان يطلق الوزير احمد بن موسى اخاهم الفقيه محمد بسن ابراهيم السباعي ، حكى لي صاحبنا ابن القائد محمد بن بلاء الرحمانسي قال كنت اذ ذاك مسجوناً مع السباعي فدخل ولده مولاي احمد الى السجن ، فأرسل الي فبشرني بان الشيخ ماء العينين شفّع في الفقيه فدخلت ابشر الفقيه بذلك فطلبت منه ان يرسل تحية الى ماء العينين يشكره على ما قام به . فثار في وجهي فقال لا والله لا اشكر الا الله وحده فافاض علي بالتقريع على حثه لشكر غير الله حتى ندمت على ما قلت له ، ثم ان السباعي لم يطلق الا بعد سفر ماء العينين ، لان احمد قال له ان من السياسة تأخير اطلاقه الى ان تذهب ، والا فان الناس سيكبون عليك في الاستشفاع حتى يتجاوزوا الحد .

وحدثني الباشا منثو ايضا قال رجع الشيخ ماء العينين الى مراكش ايضا حين كان مولاي عبد الحفيظ خليفة اخيه هناك فوجدنا هبت علينا نسمات من الحياة الجديدة العصرية وقد تزلزلت اعتقاداتنا فيه وفي امثاله وقد بدأت اعيننا تتفتح فكنا نتبع اثاره بالانتقاد ، فانفتح لنا ما كان مغلقا بالاعتقاد وكان معنا بعض الشنكيطين كالشيخ محمد الخضر ، فهم الذين يخبون في ذلك ويضعون ، ومن جملة ما اثاروه انه يصلي قبل غروب الشفق فراقبنا ذلك حتى صبح عندنا (قلت) ان صلاة الشيخ ماء العينين العشاء قبل غيبوبة الشفق امر مشهور عنه وقد رأيت في ذلك تأليفا او تأليفين ، وذلك امر معلوم حكمه في الفقه لا نطيل به . قال الباشا ومن الشنكيطين عالم ورع الى الغاية لم اعده يرسل لسانه في احد يسمى محمداً الاغصف وهو من الذين يصاحبهم الخليفة مولاي عبد الحفيظ ، ويؤلفون له ويذاكرهم في مجالسه العلمية ، وحين اكثر الناس في انتقاد الشيخ ماء العينين ، اقبلت اسائله عن احواله فأشار الي ان اشتغل بذات نفسي وان اضع رجائي في الله وحده ولم يعد ان لوّح لي ، ولم يصرح ، بعد ان امرني ان لا اذكر ما افضى به الي لاحد ايا كان ثم مر في تلك المرة حتى لاقى السلطان فرجع ، وذلك قبل ان ينتقل الى سوس وفي احدى هذه المرات حوالى 1314 هـ نزل امام المدرسة البونعمانية فأخذ عنه العلامة ابن مسعود ولكنه اعرض عن ورده بعد حين قائلاً لم اجد فيه ما اتطلبه من الذوق الصوفي العالي الا ما كان من القناعة باقل طعام

هذا ما ادركته منه والواقع انه لم يقدر له الفتح على يده والا فانه من اعظم المشايخ رضي الله عنه . وكانت الحكومة اقامت للشيخ زاوية في الطلعة بفاس حسنة انقطع اليها زما الشيخ احمد الشمس حتى انتقل الى الحجاز حيث فاظت نفسه كما اقامت له اخرى في رياض الزيتون ويوجد هناك امام دار ابن داوود ضريح لاحد اولاد الشيخ شيدته الحكومة وهناك اخرى في مكناس ردتها حكومة الاحتلال مركز البريد في المدينة القديمة في (دار السمن) كما توجد ايضا كتب مطبوعة على نفقة الحكومة بفاس وكل ذلك في ايام احمد بن موسى الذي له اعظم اعتقاد في الشيخ . حتى ليقال انه نال بركته في تمام كتبه له بها نال ما نال من الشفوف يقال ذلك والله اعلم بصحته . والشيخ معروف باتقان سر الحرف كما يظهر من كتبه وكانت مثابة الشيخ بالصحراء ملجأ الخائفين في ذلك الحين ، فهذا الكاتب ابن الاعرابية كان مسجوناً بالصويرة ثم هرب منها بأن لبس لبسة حسنة دسها اليه بعض الناس فتمشت الحيلة على الحراس فأفلت على رجليه الى ان لحق بالصحراء . فرجع الى مكانته بشفاعة الشيخ . ثم لم يزل الى ان استتب الامر لمولانا عبد الحفيظ فانتظم بين كتاب حضرته بفاس ثم سجن لزلة اخذت عنه قال الباشا منو : كانت مني يوما نوبة الحراسة حين اشتد علينا الحصار من البربر لفاس . وقد ثار مولاي الزين بمكناس فصرت ادور مع اصحابي فرأينا اناسا يحصدون غربي فاس ، وبينهم انسان يتقدمهم كثيرا الى جهة مربوط البربر فأوعزت الى الاعوان فأتونني به وشاهدته القى من يده منجلا فارتبت فتناولت المنجل فأزلت نصابه فاذا برسالة مكتوبة بيد عارف للامور ، ذرب حاضر الذهن يعرف كيف توكل الكتف يوصي فيه مولاي الزين والبربر ويريه كيف يصنعون ان ارادوا ان يتغلبوا على مولاي عبد الحفيظ . فدلهم على عورات وحاك لهم حبالا واوصاهم وصايات . فعل السياسي اللبق فأرسلت صاحب المنجل الى السجن ، واتييت بالرسالة الى السلطان فما كاد يتمها حتى قال ما هذه الا رسالة ابن الاعرابية المسجون ثم استنطقنا صاحب المنجل فقال اعطاها لي رجل في السجن فأسل اليه السلطان فجاء في هيئة حسنة ووجه طلق ، يقطر بشرا ، وهو ذو وجهة تأخذ العين قال الباشا منو فقلت للسلطان ما هذا بوجه المنافق . وبعيد ان يكون الرجل من اصطنع الرسالة فقال السلطان سترى ، ثم ادناه اليه فانطلق لسانه يقول الحمد لله الذي منحني ما اتمناه دائما، ففي هذه الساعة ادركت كل مناي اذ مثلت بين يدي سلطان عظيم امتزجت

محبه بقلبي ، وتتوجت بأبهي اكليل حين التفت الي ، فانا العبد الامين
والخادم المطيع فليقترح سيدي على عبده كل ما شاء ليراه قبل ان يرتد
اليه طرفه ، فيا طالما جرى الوشاة بيني وبينه ، وفي اليوم يفصون بريقهم
ويموتون كمدا ، فاسترسل ما شاء الله في ذلك الكلام العذب برباطة جأش ،
وذلاقة لسان فقلت في نفسي لا والله ليس صاحب هذه الهيأة الجميلة
وصاحب هذا اللسان الرطب بالثناء الا ذا قلب سليم ، وطوية نقية فتركه
السلطان حتى قال كل ما اراد . فقال له بملاطفة وقد اراه الرسالة اقرأ هذه
وامعن فيها فصار يقرأها بوجه غير منتقع محافظ على سحته ، ولم
يظهر عليه ادنى تأثر ، فكان كلما ابصر جملة من جمل الرسالة التي تحتوي
عليه ، يقول لعن الله من ينصب لسيدنا الجبائل ، ومزق الله صدر من لم
يفعم بولاء لسيدنا السلطان العظيم العديم النظير ، فسكت عنه السلطان حتى
استتم الرسالة ، فقال له ايمن ان تعرف لمن هذا الخط ؟ فقال له وقد
اكثر التأمل لم يظهر لي الآن انني اعرف من يخط مثل هذا الخط ، فقال
له السلطان اولا يمكن ان يكون خطك انت ؟ فقال كلا يا سيدي معاذ الله ان
يقف مثلي الذي امضى كل حياته في خدمتكم مثل هذا الموقف وان اصرف
بنانا طالما صرفته في ارضاء سيدنا فيما يسخطه . فكرر عليه السلطان . وهو
ينكر انكارا تاما وهو متثبت لا يحوم حوله دهش فقال له السلطان ،
انني عامرك ان تقف بين صفى الكتاب هنالك ، وسأستدعي من يزعم انه
يعرفك ويقول انك الذي مكنته الرسالة ، فان ميزك بنفسك بين الكتاب
فتيقن ان هذا اخر يوم من حياتك وان تخطاك فاعتقد ان هذا اول يوم
من ايام سعادتك ، فتثبت ولا تظهر اي دهش فاني برىء من دمك يقول
له السلطان ذلك ، ثم امره والكتاب ان يصطفوا من بعيد ، فأمر بذلك الرسول
وقد كان عزل وحده في محل ان يوتى به فأمره ان يأخذ بين الوافقين من
مكنه الرسالة ، فذهب مستقيما حتى تناول ذيله ، فأمر به السلطان فاما له
لفيف من الجند فأطلقوا عليه فذهب ضحية الخيانة يوم لا يجد الشيخ
ماء العينين ولا تفني عنه شفاعته شيئا وانما طولت في قضية ابن
الاعرابية لانها غريبة ، ولانه مشهور بين الكتاب مذكور بينهم في مؤلف غريب
الجديد ، ولم يلم بهذه القضية التي بها اختتمت انفاسه

وحدثني الشيخ سيدي ابراهيم بن مبارك البصير الاخصاصي التادلي .
قال كنت مرة انا واخي سيدي محمد عند الشيخ ماء العينين بالصحراء . فجاذبته

الكلام يوما : في حكاية سنذكرها برمتها ان شاء الله في ترجمة سيدي ابراهيم هذا في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) فقال ان اولاد الشيخ ماء العينين كائنك بهم بين قائد وامير ، قال سيدي ابراهيم فلم يمض غير قليل حتى رايت ذلك فصحت مكاشفة اخي سيدي محمد وكان معروفا بالكشف ، له فيه غرائب ، وحدث القائد حيدة ان الذي حداه اولا حتى كان من اول المستجيبين الى الهيبة ، ان الشيخ ماء العينين قال له وقد بات عنده سنة 1328 هـ مرجعه من تادلة مردودا عن فاس وقد نزل على داره من قمم الاطلس الكبير ان سمعت عن ولده الهيبة خبرا فكن له خير معين ، وحدث ايضا القائد موسى الوجاني ان الشيخ ماء العينين قال له ايضا ان توقف عليك اولادي بشيء فلا تفرط فيهم فكان ذلك هو السبب حتى عاواهم اليه يوم اخرجوا من تيزنيت ومن هنا يعرف القاريء ان فكرة الثورة على العرش المغربي ليست بنت وقتها سنة 1330 هـ بل كانت مما تدوول قبل ذلك العام وان كان كشف الشيخ لا يتهم فيه بشيء . الا انه اخبر بالواقع ، ولا شك ان هذه الثورة محمودة لانها دفاع عن الوطن ضد الاجانب ، ولا اكاد اصدق ان الشيخ ماء العينين يميل الى مثل الثورات المعهودة ضد الحكومات ويبعد ذلك عنه كل البعد ، وانما الذي يشرئب الى ذلك بادىء بدء هم اولاده فان صح عن الشيخ انه تلفظ باشارة من ذلك فانه يحمل على ان ذلك كشف بالواقع لا تطلع اليه وشتان ما بينهما

الشيخ الالفي وماء العينين

حل الشيخ وطائفة كبيرة تناهز بكل من انضاف اليها من غير المتجردين 150 بتزنيت في ربيع الاول سنة 1328 هـ ففي يوم ذهب هو ومن معه من الفقراء ومن انضم اليهم من فقراء (تزنيت) والوافدين عليه من الضواحي وبينهم العلامة ابن مسعود الذي امره الشيخ ان يقول قصيدة يخاطب بها الشيخ ماء العينين ، واخرى في مخاطبة كبير اولاده مولاي احمد الهيبة ، كان امره بذلك في الهاجرة فأمره ان توجدا قريبا فقال قائل للشيخ او لم يضق هذا الوقت عن قوله للقصيدتين فقال ان النظم اسهل على ابن مسعود من شرب الماء ، او كما قال ثم خرج الشيخ قبل الزوال من محله الذي نزل فيه من دار سيدي محمد بن الفقيه احمد بن مبارك الطاحوني وامامه هذا الجمهور العظيم من الفقراء فاعلنوا بذكر (الله الله لا اله الا الله) على

عادتهم بصيفة يقولونها جهرا بلسان واحد ، فيرتج الجو بذلك ارتجاجا هائلا .
ولذلك الذكر بتلك الصيفة تأثير غريب ، فعلى هذه الكيفية دخلت الشيخ
واصحابه على الشيخ ماء العينين الذي كان في انتظارهم ، وقد جلس لهم في
مستظل كبير هياؤه من الطنافس والحنابل على اعمدة طويلة في براح متسع
لكثرة الناس جدا . وقد احتشد اليه تلاميذه هو ايضا ، فاصطف الفقراء
بين يدي مجلسه فدخل الشيخ وولده سيدي محمد ، والعلامة ابن مسعود .
فسلموا على الشيخ ماء العينين ، وهو مستند لكبر سنه فرحب بهم
ثم تلا الشيخ الالفي عليه هذه القطعة من انشائه

اقول نجوم بل بدور سواطمع	تبصر خليلي بل شمس طوالع
بافق خلافة الرسول محمد	فنارت بنورها النواحي الشواسع
فزالت غياهب الضلال عن الوري	بها اذ حوتها في الربيع الرابعع
وذاك مجدد وغوث وقطبنا	فمن مائه جرت عيون نوابع
لكونه ما العينين عين شريعة	وعين حقيقة فليس منازع
فقد وافق اسمه المسمى فرد زلا	له فهو برزخ لبحرين جامع
فجمع وفرق والفنا والبقا معا	فعنده للكمال كله طابع
ومن هبة له تقبل نجله	وفي شبه له اباه بدائع
علي المديح من علي الى العلي	عال فريضة ومل الاصابع
سلام اله العرش منهمر على	سيادتكم فادعوا فربي سامع

ثم القى عليه الاستاذ ابن مسعود قصيدة لم يحضر عندي منها الا
ما ياتي

سرى في الدجى فالتاح من وجهها بدر	لأنواره توارت الانجم الزهر
فهام بها قلب الخلي بنظرة	علاه بها من الجوى السقم والضر
فكيف بمن غذاه من سكرة الهوى	لبان ولم يقطمه عن حبه صبر
متى لاح برق او سرى طيب نسمة	من الجزع هاجه لكازمة الذكر

ثم خرجوا من عنده فاعلن الفقراء ذكرهم ءائبين الى منزلهم وقد حدثني
بعض اصحاب ماء العينين انه قال لمن معه بعد خروج الشيخ من عنده ، من
سره ان يرى احد المشايخ الكمال وفردا من افراد الصوفية الاقذاذ فليسر
الشيخ سيدي الحاج علي يقول ذلك وقد رأى من اصحابه هيئة صوفية

قديمة ترجع بذهنه الى ما يذكر صاحب (الرائية) ادب جم وسكون
ومرقة وسبحة وعكازة وتهذب وفناء في الطريقة فكان ذلك ما حمله على
ما قال او ربما ظهر له شيء آخر فلا يعرف الصوفي الا الصوفي وحكى
ايضا بعض خلصاء المترجم انه قال لهم لو كشف الفطاء عن حال هذا
الشيخ السوسي لما تبعنا احد فان له لهمة عظيمة وليس الشيخ الالفي هو
الالفي الوحيد الذي اتصل بالشيخ ماء العينين فقد كان الحاج بلقاسم الالفي
اتصل به في الصحراء قبل هذا الوقت بكثير ، وببركة اشارته تيسر له ما
تيسر هنالك كما ذكرناه في ترجمته من القسم الاول . وهو شيخه في التصوف
(ولهذا ذكرناه هنا تبركا)

في ذلك الوقت حض الشيخ الالفي ءال تزيت على الاحتفال بهذا
الشيخ النازل بين ظهراينهم ، المهاجر من بلده الى بلدهم وكان له بين
التزيتيين صاغية ، فنفعت تلك الوصية في الضيف ، فقبل بكل تجلسة
زائدة عما كان له . فرضى الله عن الجميع .

نبذة اخرى مما يتعلق به

قال شيخنا سيدي سعيد التناي لم يكن في عصر الشيخ ماء العينين
من له مثل تصريفه في الارواح ، فان له يدا طولى ، ويوجد من بين كتبه مثل
(نعت البدايات) ما يدل على انه اتقن ايضا ما يسمى بسر الحرف وهو علم
قديم ذكره ابن خلدون ، ثم الم بذكره ايضا فريد وجدي في (دائرة المعارف)
فحكى حكاية غريبة حضرها الجم الفقير ، تدل على ان لذلك عارفين لا يزالون
في مصر احياء واما نزعة المترجم في الطرق فانه لما رأى تشاكس اصحابها
وتناطحهم ، ففأمرهم فيما بينهم اراد ان يمزج ما بينها وان يواخي بين
اصحابها فكان يلقي اذكار كل الطرق قاطبة حتى الاحمدية المعروفة بأنها
وحيدة لا تقبل الشريك فبذلك ثارت مكالمة بينه وبين العلامة الحاج
الحسين الافراني ، ولكن الشيخ سائر في طريقه غير باعل بكل من ينتقد عليه
ذلك

ثم ان لاصحابه ايضا فيه اعتقادا ربما يتجاوز عند بعضهم الحد كما
يقع من اتباع كل شيخ ذي شهرة مشرقة ومغربة . وقلما تسمع من اتباعهم عند
ذكره الا (شيخنا وشيكم ماء العينين) فجعلوه شيئا لكل احد على رغم

الانوف . وعادة اصحابه ان يلوا سبوحهم على معاصمهم ، وقلما يتقلدون بها .
ولهم ولوع برفع الصوت بلا اله الا الله وحدانا فلا تمر بمنزل ينزلونه الا
سمعت لهم زجلا ممتزج الاصوات بذلك . وغالبهم اناس تظهر عليهم سيمى
الخير ، والاشتغال بما يعني ، والاقبال على ما هم بصدده من مدارس العلوم ،
او الاشتغال بالاذكار . والحاصل ان لهم احوالا في باب العلم والاذكار
انفردوا بها

ومن عادة الشيخ ماء العينين انه مزواج كثيرا فكان كلما ولدت
له زوجة يفردها بخيمة ويدر عليها مئونها سواء بقيت تحته او طلقها
فبذلك ترك كثيرين من الاولاد ذكورا واناثا ، وكثرة الزواج والطلاق عند
الصحراويين غير مستهجن ولا قاذح في المروءة بل هو عندهم امر عادي .
فقد رأينا من اتباع الشيخ ومن ءاله حين انتشارهم بسوس كثرة التزوج
والطلاق فقلما ينزل احدهم في قبيلة بالسكنى الا تزوج فيها ولو لم ينو
المقام فيها الا قليلا - ثم انه ان واتته الزوجة صاحبها معه والا طلقها
فربما يغادر اولاده ثم ينسأهم فلا يعود للبحث عنهم

وللشيخ ماء العينين كرامات كثيرة يثرها اصحابه واخبار كثيرة
واختيارات في مسائل علمية والحاصل انه كان شخصية عظيمة الى الغاية
في عصره وفي مصره . واخوف ما اخاف بعد ان تشتت اصحابه وانتهبت
خزائنه ان يبقى غفلا من تاريخ خاص مسهب يستوفي من اخبار حياته
الطويلة ما لا ينبغي ان يحرمه التاريخ . فقد كنت رأيت لبعض اصحابه تراجم
له في بعض مؤلفات فيه وجيزة . ولكن مثل ذلك غير كاف في مثله . ولا ادري
ايوجد اليوم من بين اصحابه الباقين من يقوم بمثل هذه المهمة ام اقفرت
الخيم وطويت الهمم وطرح القلم وقد سمعت ان لبعض اهله كتابا في
كلماته المأثورة وءاخر في كراماته ولم ارهما وذلك ناحية فقط من نواحيه
واعظم ما سيعرفه به المستقبل انفته الاسلامية من الانضواء الى الاجانب
فكان هو الرقم الاول في اعاديهم في الصحراء وطالما حاول مقاومتهم هناك
على يد مولاي عبد العزيز ولكن اتى الوادي فطم على القرى

بعض اعماله في الصحراء

حدثني بعد ما كتبت كل ما تقدم الحاجب السيد محمد بن ادريس بن
يعيش الذي هو من اتباع الشيخ قال

ان والذي القائد ادريس بن يعيش هو الذي كان اخذ عن الشيخ هو الوزير احمد بن موسى في وفدته الاولى على الملك مولاي الحسن نحو 1304 هـ وذلك في مراكش والثانية كانت في سنة 1314 هـ على مولاي عبدالعزيز وكان الشيخ نازلا على والذي في دارنا في القنارية باذن من الملك ثم اتصلت المواصلات بين الملك وبين الشيخ بالهدايا والمؤن بكل انواعها دقيقا وحبوبا وسكرا يرسل ذلك على القوافل من الصويرة الى الساقية الحمراء ثم لما تهيأت الطرفاية للسفن بعد ما اخرج منها الانكليزي الذي كان بنى فيها دارا انزل مولاي عبد العزيز فيها القائد حميدة الديلمي الشراذي ومعه جند . وامين يسمى الطاهر بن عبد الملك - وهو الذي يسمى بعد هذا العهد الطاهر الخطية . وقد تولى التدريس في ابن يوسف الى ان توفي - فاذا صار السفن تحمل من الصويرة رأس كل ستة اشهر هذه المئونة الى الشيخ والى من هناك من الجند ومن هناك تنقل على جمال الشيخ الى الساقية الحمراء قال حدث اصحاب الشيخ ان الشيخ تحمل من الساقية الحمراء . ليفد على الملك مولاي الحسن وبعد ان سار ليلتين امر بالرجوع فتعجب من معه ولم يقدر ان يسأله هبة له عن السبب ثم تبين ان الله اطلعه على وفاة الملك وقد كان مولاي الحسن حين كان في اكلميم سنة 1303 هـ كتب اثناء رسالة الى الشيخ

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ثم لما استقر مولاي عبد العزيز بمراكش مرجعه من فاس 1314 هـ ، وفد عليه الشيخ . فاهتبل به الملك اهتبالا عظيما فاتخذه شيخا فتلقن منه ورده بايعاز من احمد فامر ببناء زاويتين له في مراكش وفي فاس وبنى اصحابه اخرى في سلا ثم تكررت وفادات الشيخ على مولاي عبد العزيز ثلاث في عهد احمد بن موسى والرابعة بعد موته قبل ان يتوجه الملك الى فاس ثم ثلاث مرات وهو في فاس والذي يحفزه على كثرة هذه الوفادات قضية الاحتلال الذي يهدد تلك الناحية الصحراوية

قال ان الشيخ لم ينزل من (الساقية الحمراء) في (الصمارة) الا في عهد مولاي الحسن ثم احدث 1316 هـ دورا في (الصمارة) فأرسل اليه مولاي عبد العزيز حين كان يبنها ما يحتاج اليه البناء واما ما قبل ذلك فلم يكن يسكن الا في الخيام يوم كان في (الساقية الحمراء) قال : كانت امي

حاملا بي حين وفد وفدته عام 1304 هـ فسأله والدي كيف يصنع فقد
خاف على امي ان يأخذها الطلق في اثناء الطريق الى مكناس والملك اذ ذاك
متهيئ للسفر اليها فإشار اليه الشيخ ان يصاحبها معه فسلمها الله
فولدت بعد دخولهم مكناس بليلتين ثم تبركت بالشيخ عن اذن والدي في
احدى وفاداته على مولاي عبدالعزيز بمراكش وكان ينزل في رياض احمد بن
موسى وقد كان والدي سماني محمدا الحسن اقتداء بالشيخ حين سمى
احد اولاده بهذا الاسم والمسمى به مات في فاس ودفن في الزاوية في
الطالعة وله مكانة في الورع قال : كنت يوما امام الشيخ وانا صغير
فقال لي يا محمد الحسن اين وصلت لوحتك فقلت له حزب (ومن يسلم
وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) فوجدت بركة
الشيخ من بين اخوتي فحفظت القراءان وحدي وقد كانوا حضروا حين
سألني ولم يسألهم عن شيء قال ثم اننا شاهدنا من احترام المخزن كله
للشيخ عجا فقد كان الوزراء يخرجون عن اذن الملك لملاقاته فخرج في
عهد مولاي الحسن محمد الصغير الجامعي العلاف - وزير الحرب - والفقيه
علي المسفيوي وزير الشكايات وفضول غريط وزير البحر - وزير الخارجية -
وابن العلام قائد المشور فيخرج الكل في العسكر فيلاقون الشيخ في باب
الرب ثم اذا اصطف الناس امام الشيخ يدعو معهم ثم يمال به الى
محل النزول والكل معه والنفقة على خزينة الدولة ثم تكون الملاقاة مع
الملك يوم الجمعة بعد الصلاة والشيخ يصلي ازاء الملك وهذه هي العادة
في عهد مولاي الحسن وفي عهد مولاي عبد العزيز وفي عهد مولاي عبد
الحفيظ اثر ما بويع في مراكش . وقد صادف الحال الشيخ عاتيا ليزور مولاي
عبد العزيز ومعه كبار الصحراء من بين القبائل ، فاذا بمولاي عبد الحفيظ
يبايع فارسل مولاي عبدالعزيز محمدا الفاضل بن يعيش - اخا هذا الحاكي -
الى الشيخ ان يمر بمولاي عبد الحفيظ لعله يرجع عما ادعاه وله الامن
ولكن لما وصل الشيخ الى هذا وجد الامر قد تم فكان احد انصار هذا
الامير عند الناس فلم يمكن الا ان يكون احد الناس فرجع وقد اكرمه
الامير الجديد غاية الاكرام وقد كان مولاي عبد العزيز اشار على الشيخ لما
ضاق به الصحراء واتسع فيها الخرق على الراقع ان ينتقل الى تنزيت .
فأقطعه دار المخزن هناك

قال واما تفصيل ما وقع في الصحراء فانه كثير وملخص ذلك

ان الشيخ لما ضاق به وبكل ما هناك الفضاء على اتساعه بدبيب الاحتلال اليهم من الجنوب صاروا يتطلبون السلاح من مولاي عبد العزيز في حياة احمد بن موسى فنوى الملك ان يرسله ليتسلح به رجال القبائل . فانذرت فرانسة الملك انه ان ارسل السلاح وهجم علينا هناك مهاجمون فانا سنعتبر ذلك اعلانا للحرب مع المغرب ، فسنبالكم بالمثل في جميع النواحي فحين رأى احمد بن موسى الداهية ما يجره ذلك صار يماطل اهل الصحراء مع الحاح الشيخ عليه في ذلك ثم لما مات احمد بن موسى وتولى غريظ كان عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية فتجاذب مع چايار قنصل فرانسة في ناس امر الصحراء فادعى چايار ان قبائل الصحراء لا يد للمغرب عليها فارادت الحكومة ان تكذبه فوقعت المكاتبة مع الشيخ في ذلك فأعلن الشيخ ان جميع قبائل الصحراء بايعت الملك مولاي عبد العزيز الى ما وراء شنكيظ والآن لابد ان يجيئنا خليفة السلطان مع ظهائر القواد الذين يتكلمون عن القبائل الكبرى . قال الحاكي : فاذا ذلك في سنة 1323 هـ ذهب مولاي ادريس ابن عبد الرحمن حفيد مولاي سليمان ومعه الفقيه الغرفي وزيره والمدني الصحراوي كاتبه ومعهم هذا السيد الذي يحكي لنا وفي يده ظهائر تصل اربعة عشر لكبار القبائل بأنهم قواد على قبائلهم قال ومعي سرا 500 بندقية مع ذخيرتها في باخرة اسبانية ركبناها من الصويرة . حيث وجدنا السيد عبد الرحمن بركاش باشا هناك فخرجنا في الطرفاية وقد صاحبنا معنا كل شيء يتوقف عليه الحي حتى الماء الذي يفقد في الطرفاية (1) وقد اكرينا وحدنا الباخرة على ايدي الامناء من الصويرة ثم واعدنا الباخرة لتقلنا في الرجوع موقتين لذلك وقتا معينا ثم التقينا هناك مع ثلاثين جملا مع خيول وبعد ستة ايام وصلنا الصمارة قال وقد كان الرسول خرج قبلنا من فاس الى الشيخ ليوجد لنا ما نتوقف عليه هناك فذهبنا من فاس الى العرائش ثم الى الصويرة بحرا

وصلنا منزل الشيخ فاجتمع كبار القبائل فتوصلوا بظواهرهم فقال لهم الشيخ ادفعوا لخليفة السلطان ما في ذممكم من الزكاة فاجتمع من ذلك احد عشر مائة من الابل فارسل الى (ندز) فبيعت هناك ثم ذهب مولاي

(1) فالحمد لله الذي يسر الماء هناك بعد استرجاع المكان من اسبانية بعد الاستقلال حتى تمكّن منه اهله .

ادريس الخليفة الى المحل المسمى (تِجْكَجَا) قال واذ ذاك انكفر
الفرنسيون عن مهاجمة تلك القبائل بعد ما ابلغوا رسميا طاعة اهل تلسك
الجهة لخليفة السلطان . ولم يزل مولاي ادريس هناك الى اواخر ايام مولاي
عبد الحفيظ ثم رجع فسكن في مراكش الى ان توفي نحو 1340 هـ . ولا
يزال ولد له يسمى محمدا حيا الى السنوات الاخيرة

ثم ان الشيخ نفذ اشارة مولاي عبد العزيز فتحول الى تزنييت وقد
تمكن مولاي عبد الحفيظ ودخل فاسا فسافر الشيخ الى فاس محاذيا
سفح الاطلس لانه لا يأمن في السهول فارسل الفرنسيون المحتلون للبيضاء
وما اليها الى الملك بفاس يندرونه بأنهم يعدون كل من يمد يده الى ماء العينين
عدوا لهم يعلنون عليه الحرب . فاما ان يعتقل في فاس ان جاء اليها واما ان
يرد على عقبه فأوعز الملك الى عبد الله بن يعيش اخي الحاكي بان يتلقى
الشيخ في الطريق برسالة من الملك ليرجع عن فاس ثم لما وصل الشيخ
تادلة اراد الفرنسيون ان يتسربوا اليه ليلا ليستحوذوا عليه ولكن الله
حفظه منهم فنشأت عن ذلك حرب بين اهل تادلة وبين الفرنسيين اصطلى
فيها هؤلاء بنار مستعرة في يوم مذكور . ثم رجع الشيخ متوقلا للاتلس فطلع
من ايت عتاب الى ان نزل على رأس الوادي بسوس فحط رحله في تزنييت .
حيث لفظ نفسه الاخير وشيكا

ملخص حياته

بعد ما كتبت ما تقدم ظفرت بكتاب كبير في حياة الشيخ وفي كل ما
يتعلق به لمريه ربه فلخصت منه ما ياتي :

ولد الشيخ ماء العينين في الحوض في القبلة يوم الثلاثاء 27 شعبان
1246 هـ . ثم لازم والده ملازمة المريد لشيخه لا ملازمة الولد لبيه ولا التلمذ
لاستاذه فبذلك نال ما نال من العلوم العجيبة ، وتأليفه الكثيرة المختلفة في
الفنون تشهد له (وقد عدها مؤلف الكتاب) فلما كان له 28 عاما توجه الى
الحج وقد فارق اباه الذي هو شيخه الوحيد في العلوم وفي التربية يوم
الخميس 12 جمادى الاولى 1274 هـ خرج من الحوض فمر بشنچيط
وبأدرار الى وادي نون فالى الصويرة فمراكش حيث ولى العهد سيدي محمدا
ابن عبد الرحمن فلاقاه واكرمه . ثم دخل مكناس ليلة 27 رمضان من السنة

فتلقاه مولاي عبد الرحمن ملك الوقت بكل اجلال ثم امره ان يركب من طنجة بعد ما اكرمه عامل طنجة بمثل ذلك فدخل مكة عند الفجر يوم الاحد 22 من ذي القعدة فوجد هناك شيخا كبيرا من الصوفية يسمى عبد الرحمن افندي فأكرمه غاية الاكرام وحدثه بأنه كان يعرف مكانة والده قبل بل اعطاه اوصاف جسمه كأنه عاشره وقد حرص الشيخ ماء العينين في حجته ان يتتبع كل الاثار في الحرمين معا فقيده كل ذلك بتدقيق في (رحلته) وقد خرج من مكة يوم الخميس 18 من ذي الحجة الى المدينة فدخلها يوم الاحد 5 المحرم 1275 هـ. فلم يبق هناك الا ثلاث ليال ثم غادر المدينة 8 المحرم فتوجه الى مصر فحين حل في الاسكندرية اصابه الجذري فبقى هناك ازيد من خمسة اشهر ثم ركب البحر الى طنجة فدخلها في 24 من شعبان 1375 هـ ثم مر بمكناس حيث امر الملك ان يكرم غاية الاكرام وان يكتري له ولن معه الى مراكش بعد ما لبث في مكناس خمسة ايام ويوم دخوله لمراكش يوم الاثنين 28 من رمضان فصلى صلاة العيد مع ولي العهد وقد رحب به فزار الشيخ اثار المدينة كصومعة الكتبية وذرعها . ثم بقى في مراكش الى ان غادرها 12 من ذي القعدة ثم دخل الصحراء فمر اولا بمدينة (تيندوف) حيث عالمها محمد المختار الجاكاني. فطالع من خزانته وتشرف به مسجد المدينة الذي كان بانه محمد المختار يتمنى قبل اليوم ان يحل به الشيخ ثم صار يتقلب في قبائل تلك الصحراء فتلقاه بكل احترام وفي شوال من سنة 1276 هـ كان في وادي نون وفي رجب 1277 هـ. فارق تاجاكانت وقد زار ايضا أدرار كما كما زار الرئيس احمد بن عايدة وزار احمد بن علي في آل الفاغ الخطاط وتزوج منهم والده مربيه ربه في شعبان 1277 هـ وعدد من تزوجهن الشيخ مائة وست عشرة امرأة وفي ذي القعدة من هذا العام مر بالسيد محمد الكنتي. وفي ذي الحجة قدم على العروسيين بالساقية الحمراء. فأسكنوه وشاركوه في اموالهم وقد تزوج منهم وخدمهم اثنتي عشرة امرأة وفي عام 1281 هـ. زار اباه بعد سبعة اعوام فارقه فيها ثم ودعه بعد ليلتين فرجع الى الساقية الحمراء وفي 1286 هـ. توفي والده وفي 1294 هـ. ولد له احمد الهيبة في مفتح رمضان . وزار اذ ذاك والدته ثم رجع الى تيرس واذا ذاك وقعت غزوة في نصارى الداخلة وقدم عليه احمد بن محمد بن عايدة في شأن العدو وحين كان مولاي الحسن في وادي نون 1303 هـ. استدعاه اليه فكان من جملة الرسالة

وابرح ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الديار من الديار
ومنها

ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعينة الكبير

ثم سافر سنة 1304 هـ الى مراكش فتلقيه الملك بالاجلال فحين
جالسه الشيخ قال له اني زرت جدك مولاي عبد الرحمن فجعلني ابنا
واباك فجعلني اخا فقال له مولاي الحسن وانا اجعلك ابا ثم رجع وسكن
في الساقية الحمراء حيث كان قبل واذ ذاك ابتدأت المعارك والمجاذبات
بين العدو وبين اهل تلك الجهة. والشيخ يصمد في الكفاح. ويصمد الجراح.
وقد اسند له الملك النظر في تلك الناحية في الطرفاية والداخلية وما بينهما.
وفي سنة 1311 هـ. تاهب لزيارة الملك ثم رجع في الطريق فظهر ان الملك
توفى وفي سنة 1314 هـ. ارسل اليه ايضا فزار مراكش وتلقاه المولى
عبد العزيز واحمد بن موسى بكل اجلال كما كانت القبائل تتلقاه في الطريق
من وادي نون الى مراكش وقد قدر ما اجازه به الملك هو ومن معه بمليون
درهم قديم زيادة على المئونة الدائمة التي تصله الى الصحراء وفي هذه
السفرة سرح الشيخ محمد الكتاني والفقير السباعي على يده وعدة اسفار
الشيخ الى الحكومة في العهد العزيزي سبعة اربعة الى مراكش وثلاثة
الى فاس. ثم واحدة الى مولاي عبد الحفيظ اول ما بويع وفي السنة التي
سافرها 1322 (رحلة) كتبها مربيه ربه وقد سافر معه في هذه الاسفار
كلها التي كانت بعد 1314 هـ. وهناك ديوان من القصائد تلقى الادباء
الحضريون الشيخ بها وقد ركب البحر مرتين في رجوعه الى الصحراء
من الصويرة الى الطرفاية وفي سنة 1326 هـ. كان الجهاد في ادرار
ونواحيه وهناك اسماء غزوات كفزوة دامن وغزوة ابي خرس وغزوة
اكجوجت وغزوة ابو الرجميمات وغير هذه

وفي سنة 1327 هـ ارسل الشيخ ابنه احمد الهبة الى مولاي عبد
الحفيظ بفاس واذ ذاك اطلق على يد الهبة الشيخ عبد الحي الكتاني من
السجن بعد قتل اخيه الشيخ وبعد رجوعه الى الشيخ ابيه هاجر الى تنزيت
فدخلها اوائل ربيع الاول 1328 هـ وذلك باذن الحكومة ثم تابع سفره
يفصد فاسا فاذا به منع من وصولها على طريق تادلة فرجع على طريق الاطلس

إلى ان نزل في سوس بموضع يسمى بوجنمّاز فمر بدار القائد حميدة في
أوائل شوال فوافاه اجله ليلة 21 من شوال وقد كان صحيحا صلى المغربين
مع الناس على العادة . وهو نشيط منبسط . ثم نام قليلا فقام لتجهده المعتاد .
فخرجت من عنده خادم ثم رجعت فاذا به التحق بالرفيق الاعلى بفتة
وهو وحده

هذا مختصر حياة الشيخ لخصته جدا من كتاب لابنه مريه ربه
رحمه الله ورضي عنه وقد اعتنى فيه باخباره وكراماته ، وهناك كتاب آخر
يسمى (مجمع البحرين) في اخباره أيضا ، ويظهر ان اهله اعتنوا بكل ما يتعلق
بالشيخ ، فذهب عنا بعض ما كنا نخافه - كما ذكرنا قبل - من ذهاب الشيخ
واخباره في غفلة الناس .

تأبينه

لانتعرض هنا لتأبينه من أصحابه الصحراويين فذلك غير داخل في
مهمتنا ولسنا مسؤولين عنه . على اننا لو تناولنا اليه لما وجدناه الآن بين
أيدينا وانما مقصودنا ان نذكر ما عسى ان تسمح به قرائح سوس فقد
قام العلامة الافراني بهذه المهمة والقى بعد وفاته هذه القصيدة من غير
ان يكون بينهما معرفة الا لحمة العلم وكفى بها رحما قال

المجد يعول والسيادة تندب	والعلم ما عينيه حزنا يسكب
قال العواذل ماله فاجبتهم	والحزن يخرس والمدامع تعرب
لما توى شيخ الشيوخ وعالم الا	سلام ما العينين ناح المغرب
العالم العلم الامام المرتضى	بدر الهدى وسراج المذهب
بحر طماغيث همي ليث حمى	دين الهدى ناب له والمخضب
هادي الانام مجدد الاسلام	وى الفضل والنور الذي لا يحجب
رب التأليف العديداً التي	صار الركاب بها تقاد وتجنب
كم قد رءاها جاحد ففدا على	رغم يطيل بمدحها او يطنب
مدد سرى من فيض سر الله لى	س يناله بجهاده متطلب
تلك المكارم والمفاخر لا كما	يعني بجمع حطامه من يلعب
ارث النبوة اشرقت انواره	فيها فصار بها يجيء ويذهب
فلذلك اذعن كل جبار له	مهما بدا وعنا له المتقلب

حتى دعاه الى المفاز الالهيه
ما كان الا مثل علق تاهبت
قل للعفاة اولي الحوائج مات رك
مات الامام المستضاء بنبوره
مات الذي امواله وعلومه
عجبا لقبر ضم سودده وقد
ايضم شبر القبر بحرا ما له
عاه على فقد الشيوخ اهله الاس
نضب المعين وغازت الامواه قل
ذهب الالى اكتسب الهدى بوجودهم
مات الامام ابو علي اليفرنسي
ذو المكرمات الفر والفضل الذي
وبآثره في شهره شوال قد
شمس وبدر منيا بالخسفف في
حقا لانهما قريبا سوود
فالله يجبر صدع ملة احمد
ويرد كيد عدوها ويحوطها
بنبيها صلى عليه الله ما

فاجاب مسرورا بما يتطلب
له يد الحوادث والنفائس تنهب
من الدين ما العينين فابكوا وانحبوا
مهما دجا ليل الضلال المكرب
لذوي الخصاصة والجهالة توهب
ضاق الفضاء به وضاق السبب
حد يقدر ان ذاك لمعجب
سلام ماتوا فاستطال الفيهب
لي كيف نبقى بعد ما هي تنضب
عزا فاصبح خائفا يترقب
المرتضى غيث العلوم الصيب
ما ان يحيط به البليغ المسهب
اودت بذا الشيخ الامام النوب (1)
شهر معا فليعجب المتعجب
ماتا فوالدة العلا لا تنجب
بالفضل منه فصدعها متشعب
ويسد ثلثة دينها او يرأب
هاجت كمين الشوق ورق تندب

وكان العلامة الحاج الحسين الافراني توفي قبل المترجم بايام فصلى
عليه كما تقدم في ترجمته ثم لحق به وذلك ما ذكره في اثناء القصيدة،
ولشاعرنا ايضا بيتان في هذا المعنى ارخ بهما وفاة العلامتين وهما

مات الامام الشيخ ما العينين بعد وفاة اليفرني الحسين
وكان ذاك عام - حط الشرف - فاصبحت عين العلوم تذرف

وكانت وفاته ليلة الجمعة 17 شوال 1328 هـ وصلى عليه سيدي عبد
الله التمراري امام مسجد تزيت اذ ذاك كما وجدته مقيدا بخط احد
المعتنين ، وهذا ما تيسر من ترجمة الشيخ

(1) النوب كُفر بتخفيف الواو . ولكن الشاعر قد شدَّدها

اولاده

ان الشيخ احمد الهيبة واخوته مربيه ربه والشيخ النعمة والشاعر الفحل محمدا الامام وابن العتيك والمحفوظ سبطا ماء العينين ليدخلون تحت شرط كتابنا هذا في (القسم الخامس) لانهم من اصدقاء اهالينا عند تصدرهم في الرياسة ، فاحببت ان اجمعهم هنا في ظل ترجمة والدهم الكريم ليجتمع ما يعرفه عن هذه الاسرة العالمة في صعيد واحد فلذلك مزية لا ينكرها المطالع وءاسف كل الاسف حين لم اتصل الآن بما يفيدني كثيرا عن النواحي التي تراءى مجهولة من هؤلاء الافراد ولكن يجب ان لا يقف ذلك امامنا حجر عثرة فلنقدم على ذلك مكتفين بما وجد فعلل ما نستقله الآن فيما نذكره عنهم ربما لا يجده القارىء مجتمعا في كتاب ءاخر عربي قبل هذا من هذه الناحية التي نعتني بها (ثم اني اتصلت بهم بعد فاقتبست منهم ما اريده باختصار) .

احمد الهيبة

ولد ليلة الاثنين الاولى من رمضان سنة 1294 هـ كما حدث به بنفسه وقد وجدت انا بخط والده في طرة نسخة من الاستقصاء كانت في ملكه ازاء ما ذكره المؤلف احمد بن خالد من ان ولده محمد العربي ولد مختونا ما معناه (كذلك ولد لي ولد سميته احمد الهيبة مختونا ايضا) هكذا عبارته او ما يقارب ذلك . وقد طال العهد برؤية ما رايت

تربى احسن تربية . وحصل على ابيه وعلماء حضرته في العلوم تحصيلنا حسنا ، خصوصا العلوم الادبية فانه من افاضل الادباء . يقول في النسيب وفي غيره فيحسن وربما يتناول احيانا الى الاجادة ، وفي ملحقات كتاب (نعت البدايات) المطبوع اشعار له يظهر منها نفسه وقد سمعت شيخنا العلامة سيدي الطاهر الافراني يثني احسن ثناء على ذوقه الادبي

كان يفد مع والده الى الحواضر فهناك تعرف بالناس وتعرفوا به . فقد حكى لي الباشا منو انه كانت له به معرفة اذ ذاك ربما كانت خاصة (ومنو من حاشية مولاي عبد الحفيظ من صفره الى كبره) فبسببها كانت له دالة عليه يوم احتلاله الحمراء وقد عرف الهيبة من بين اخوته بدمائة الاخلاق وبالكرم . وبتطلعه الى ان يشغل مركزا تشير اليه به الاصابع ،

كما كان ايضا لوالده نحوه عاطفة خاصة فهم منها اصحابه انه خليفته من بعده رغم ان هنالك من يكبره سنا من اخوته

حدثني سيدي ابراهيم ابن البصير الاخصاصي ثم التادلي وكان ممن يفد كثيرا على الشيخ ماء العينين بداره التي بناها في وسط الصحراء في (الصمارة) فعرف من احوالهم ما لا يعرفه الا من له بهم اختلاط قال ان كثيرا من اولاد الشيخ لمقبلون على التمول من طريق والدهم بسبب ان والدهم الشيخ يجود بكل ما عنده حتى لا يبقى عنده شيء فيستديسون بوساطة اولاده وكانوا يسلفونه من عندهم فيخيلون له انهم تسلفوا من الاباعد ثم اذا رد السلف يزيد الشيخ كثيرا من عنده فيستفلون كرمه في ذلك فيمعنون في تائيل الاموال قال وربما كان احمد الهيبة ممن نجا بينهم من ذلك فاحبه والده لهذه الخلعة المحموده فكان يوثره بالنفائس وبالعطايا فيخلف الله عليه فيبارك له فيما تحت يده ، مع فوزه بالشفوف على اخوته فقد رايت عند زيارة الشيخ الالفي اياه وحده دون اخوته ان الحامل عى ذلك هو شهرته من بينهم

بعد وفاة والده

اغمض ذلك الشيخ الجليل عينه في (تزيت) فصلى عليه اصحابه المئون مع الناس الحاضرين ، وكان الشيخ احمد الهيبة هو امام الصلاة فيما ذكر لي بعضهم عن ظن ولم يتحقق او كان الامام الشيخ الحضرمي زوج بنته ، او الفقيه سيدي عبدالله التمراري - كما تقدم - اقوال لم نمحصها ، ثم ووري ازاء دار المخزن هناك حيث سكن مع ءاله في حياته وقد نزلوها باذن من ءال السلطان عبد الحفيظ اقطاعا كما في رسم ذلك عندهم فنصبوا خيمهم وفساطيطهم في براحاتها ، ثم التف اصحاب الشيخ على ولده احمد الهيبة . فقدموه بين اخوته وقد قاموا له بكل ما كانوا يقومون به لوالده من الاجلال والاعظام فلا يقوم الا اذا جاء اعرابيان يكتنفانه من جنبه فيضع ذراعه على عاتق كل واحد منهما حسبما كان يفعل بالشيخ ماء العينين المسن الضعيف الجسم في ءاخر حياته ولما كان لتلك الهيئة من التجلة لوزمت ايضا في مجلس ولده الهيبة ايضا وان كان لا يزال شابا جلدا قوي العضلات ثم اذا وصل يوم الجمعة يخرج بين اصحابه وقد اكتنفوه بجمع كبير . حتى يصلي . فيرجعون به على تلك

الهيئة وتلك الباكورة التي اجتناها اثر وفاة والده من اءخر سنة 1328 هـ ثم صاروا يتدرجون في ذلك شيئاً فشيئاً حتى كانوا يحملون السلاح الى المسجد فيتمشون امامه صفوفاً احياناً على هيئة مخزنية ليست بمعتادة عند الناس في تلك البيئة وقد حدثني ابن عمنا الفقيه عبد الله بن مسعود ان الهيئة كان في جهة (تامانارت) 1329 هـ فمر بأدائي في ثلاثين ركباً

ارهاصات امارته والحوافز اليها

لاشك ان سنوات 1328 هـ سنوات قاتمة الجو من ناحية السياسة المغربية فهناك احتلال البيضاء وهو حادث عظيم الواقع على المغرب ارتجفت له كل الفرائص وتشنجت له كل الاعصاب ثم ثورة مولاي عبد الحفيظ ، فكان الناس يبنون عليها آمالاً عظيمة ردت بغض السكون والطمانينة الى الافئدة ولا سيما حين انتصر على ابي حمارة الزرهوني فظن الناس ان الدولة الحفيظية دولة راسخة. يمكن ان يعتمد على سياجها الذي يحسبه الناس منيعاً سميكا لا يتخطى ولا ينفذ فيه ولكن سرعان ما انهار ذلك يوم طوقت فاس بالحصار البربري المشهور ، فازدادت أرجاء المغرب واوصاله تفككا ، فرجعت المخاوف جذعة الى النفوس، فساد القلق. فصار الناس لاحساسهم بموقع المغرب بين الدول العظام التي تتجاذبه يقلبون ابصارهم في الافق لعلمهم يرون بارقة جديدة يمكن ان ترد السكينة الى القلوب ولو الى حين ثم زاد الجو اعتكاراً بدعاية سيئة ينشرها المفرضون المندسون من جواسيس العدو عن شخصية مولاي عبد الحفيظ، من انه - وحاشاه - ذو جبروت والحاد واستهتار ونبد لشرائع الدين فأثرت تلك الدعاية الكاذبة في الشعب الجاهل الغر المتدين بالجهل ، الغافل عن سنن الكون وعما يتطلبه هذا العصر من القوة والعقل الحصيف ، وكأنه يجهل ما لرجال الدولة العلوية من الفيرة على الاخلاق والدين والمغرب فتحت هذه الدياجي الكثيفة الظلام صار الاعراب يتناجون في اخبيتهم في (تزني) فيرون من انفسهم مقدرة على انقاذ الموقف ويتصورون انهم يقفون في ميادين الابطال وانهم اهل للبروز بجمع كلمة الامة ببركة الشيخ الذي ينتمون اليه رضي الله عنه ولهذا الايمان العميق في القوم امكن استغلالهم من حيث لا يشعرون ، ولم يكن اهل النظر البعيد من السوسيين يرون لهؤلاء السادة الافاضل هذه المكانة ، فقد رأيت عند

الاخ سيدي محمد رسالة كتبها اليه العلامة ابن مسعود يوصيه اثناءها ان لا يستجيب الى دعوة ان وجهت اليه من آل ماء العينين بتزنيست والرسالة مكتوبة اواسط سنة 1329 هـ فاما ان يكون ابن مسعود تسربت اليه خفية نبأة من ذلك السر الذي يتناجى به بين آل الشيخ في تزنيست وذلك هو القريب واما ان يكون ممن نفذت فراسته اليه - وما هو عن مثل ذلك بمدفوع (اتقوا فراسة المومن) - وكيفما كان فلا نشك في ان الخطوط الاولى لتلك الحملة التي برزت اواسط سنة 1330 هـ كانت تها من اواسط سنة 1329 هـ وايضا ان للسياسة الخارجية تأثيرا في بعث ذلك الامل فمنذ حادثة اكادير الشهيرة وهي التي جاءت فيها البارجة الالمانية فكادت الحرب تندلع بسببها ومنذ قرب اعلان الحماية الفرنسية على المغرب وقد تززع جيش مولاي عبد الحفيظ ، دخلت اصبع المانيا الى تلك الجهة تفتش عن جديد تشغل به افكار الدول - فرنسة واسبانية ومن ورائهما انكلترا التي تنافسهما في المغرب - فنحن نوقن ان ثورة مولاي عبد الحفيظ نتيجة لهذه المجاذبة الدولية ، وعندنا من ذلك اخبار محققة - لسنا الآن بصدد ذكرها هنا لانها اجنبية عن الموضوع (1) - وحين اخفقت تلك الثورة في النتيجة التي يأملها من اججوا نارها ، اقبلوا يفتشون عن ثائر آخر لعلمهم ينالون به غرضا من اغراضهم ضد الدولة التي فازت فتهيأت لاعلان حمايتها على المغرب ثم كان ما كان فاحتلت فاس فقضى الامر وتمت لها الصفقة خصوصا بعد المذبحة الفاسية المشهورة وقد كان آل القائد سعيد الجيولوجيون الحاحيون لهم اتصال بالشيخ ماء العينين تبركا به فامتد ذلك الاتصال لاهله الى ما بعد حياته ، كما كانت لهم حماية من دولة المانيا وكان القائد مبارك منهم هو الذي وصل بها حلقة. فكان الخبراء الالمانيون السريون يجوسون نواحي اكادير الى تارودانت بسببه ثم لما توفي 1329 هـ خلفه اخوه القائد عبد الرحمن في تلك السياسة فكان هو الذي وصل الاسلاك بين آل ماء العينين وبين هذه الدولة الاجنبية فبذلك تكونت الجرثومة الاولى التي نبتت بها دولة الهيبة وتقوت به فكرة ثورته حتى خرجت من حيز الفكرة الى حيز العمل وكثير من الناس في المغرب يجهلون هذا السبب ولكنه موجود بلا ريب .

(1) وهي مذكورة في كتاب (حول مائدة الفداء)

كيف بوسع

اول ما بدأ به احمد الهبة هو ما يبدأ به عادة كل من ينوي نيته ، فقد كان اصحابه يستميلون القلوب ويبثون بوساطة من يختلف اليهم من الدوسيين وفي طليعتهم بعض آل تزيت الدعاية المتسعة ، وتاميل الناس في الثمرات التي سيجنونها من وراء ذلك زيادة على تثليج الصدور بنصرة الدين والاستماتة في سبيل الله وقد كانت هذه الدعاية تدعم بغمز قناة امراء الوقت بتفريطهم فصادفت الدعاية من عياد خليفة القائد عبد السلام الجراري وهو المعروف بانحياشه الى الصحراويين دائما ومن بعض اناس فيلين اذانا صاغية ، وكان الفقير مبارك أبو الباكور من التزيتيين هو الذي تولى كبر هذه الدعاية ، واعظم المتحمسين لها وقد صار من الخاصة المنتقاة لدى ابناء الشيخ من الشلحيين - ابناء ممّاس - كما يدعوهم به الاعراب في مداعباتهم معهم - ثم دخلت سنة 1330 هـ وقد صارت الدعاية تتسرب الى المجمع وصارت بين قبول ورد قاما من يسمون اذ ذاك العقلاء - وقليل ما هم - فانهم يعرفون ما وراء الاكمة ، وما سيجره ذلك على سوس ، وان السياسة سليسة بنت سليسة ، لا يطبق اصطلاها ابناء سوس الضعاف القليلوا الخبرة بمزاولة ذلك الذي هم عنه بمعزل لا يعرفون فيه كيف يبرمون ولا كيف ينقضون وفي ترجمة شيخنا عبد الله بن محمد الالفي في (القسم الاول) رسالة تدل على ما لاصحاب هذه الفكرة وهم الذين يسميهم اهلينا العقلاء واما من لا يفكرون في العواقب (كما يسمونهم اذ ذاك) فانهم اصاخوا لهذه الدعوة واستجابوا لها على ان الحمية الدينية والفيرة الوطنية هما على كل حال الاصل الاصيل في ذلك والحافز للدهماء ، حتى اندفعوا اندفاعا في 18 جمادى الاولى فانعقد أول مؤتمر من المستجيبين لهذه الفكرة وهم افراد من بعض القبائل منهم من يعبر عن رايه الخاص ، ومنهم من يعبر عن رأي قبيلته فبعد اخذ ورد انتهوا الى ان مولاي أحمد الهبة يكون مقدما للناس فقط ، ان اتفق الناس وقاموا للجهاد ، ولم يتجاوزوا اكثر من ذلك ، ولكن بعد تفرق المؤتمر نادى ابو الباكور من عند نفسه جهارا بان الهبة امير المؤمنين كما أعلن بذلك الاعراب افتياتا على المؤتمر حتى ان الاعراب يوم الجمعة مختتم جمادى الثانية قاموا الى الخطيب الفقيه سيدي محمود التزيتي فاوعدوه ان لم يعلن بذلك في الخطبة ، فاستاء كثيرون ممن حضروا المؤتمر ، حين وقع هذا الافتيات عليهم ، بعد ما اعلنوا ما اعلنوا ،

وفي تلك الايام اجتمع في (تالعينت) مؤتمر آخر من القواد الرسميين
والمسنين المثبتين الذين لم يسلسوا قيادهم الى ما أسلس له أصحاب
المؤتمر الاول كالقائد عبد السلام الجراري قائد اولاد جرار فانه كسار
يخالف خليفته عيادا في التشجيع لتلك الفكرة بتلك السرعة وبينما المؤتمر
الثاني يتداول في ذلك الحادث اذا بركب من علماء هشتوكة قدموا السر
تزيت في 36 بغلة ، يقدمهم الفقيه سيدي الحاج عابد والاستاذ سيدي محمد
أغبيو وقد اجتمعوا اولاً في هشتوكة ، فصالحوا بين الرؤساء هناك
مخالفة يجتمعون اليها بالجيوش ، ثم اقبلوا برياسة سيدي الحاج عابد
بحماسة زائدة ، اثارها منه النخوة الدينية المشهور بها في الناس ، المنسوبة
له ولصالحين بين من وفدوا معه من اصحابه ، وقد جمع همته ، ونزل من
الجبل ، فاعلن دعاية عريضة طويلة للهيبة فكان اول بطل من الابطال اذ ذاك
ولما كان له بين الهشتوكيين من عظم الحرمة ، وشفوف المنزلة ، لم يتخلف
احد منهم عن قبول ذلك فاقبل يقتاد اصحاب الطياليس من العلماء في
ركبهم المهيّب حتى حطوا ركبهم في تزيت وقد اعلن الاعراب وابو الباكور
والخطيب سيدي محمود ما اعلنوا ، فاشاد ذلك هو اشادة اثار من
السامعين موجة من الحماسة الدينية ، والنصرة الوطنية ، فاهتز ازغار
كله لذلك ، فلم يسع المؤتمرين بتالعينت الا ان ينضموا الى الناس ، وقد
جرفهم السيل الطافح الذي اتى فطم على القرى ، وما السيل العرم
الجارف الا جيشان الافكار ضد الاحتلال هكذا تم الامر وصار كل من
تأخر كالقائد الحاج محمد الاغباليوي الماسي والحاج ابراهيم الايفشاني
الافقي ، والشريف سيدي محمد بن الحسين التازارواقي وامثالهم امام
الامر الواقع ثم تهامل الناس في ذلك الاسبوع الى تزيت فقرأ القراء في
مجلس عام غاص بالحاضرين قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا) فدوت
مدافع كانت هناك موجودة فارتج بدويها الجو ، فغلت الدماء في
الشرايين ، وتصور الحاضرون كأنما مدت دولتهم سرادقها على كل
المغرب الاقصى ، ثم تفرق الحاضرون على ان يعقد مؤتمر عام آخر يستدعي
له الجفلى كل الرؤساء والعلماء ورؤساء الطرق لاجالة قداح الرأي فيما
هو المعمول الآن وقد تم الامر وقد نودي في صلاة الجمعة بالامير الجديد
في آخر جمادى الثانية بعد ما انعقد مؤتمر آخر بتزيت تحت رياسة الامير
الجديد فبعد ان تمت الصفقة عن اتفاق الحاضرين اعلن ان الزحف
الى احتلال مراكش هو الذي سيكون باكورة الاعمال ، فاجرى النظام

فعميت الرؤساء على القبائل وكان ذلك ساذجا ، لان الرؤساء هم هم بانفسهم وانما اجرى ذلك كعادة لتوطد قدم الامارة ، وحين كان للفقهاء يد طولى فى هذه الحركة برزوا الى الميدان فكانوا اصحاب الشورى على حين ان القواد الرسميين الذين كانوا اولا هم تبع ، وان قدم بعضهم اليوم قائدا على اخوانه ، وفى ذلك اليوم تعين القائد المدني على الاخصاص واحمد بن الطالب على اخوانه ايت عبلا والقائد سعيد البعقيلي فى وزارة الامير - ثم عين عدد الفرسان الذين سيرافقون الحملة الى مراكش ، فكان ذلك على حسب كبر القبائل وصغرها ، فالكبيرة خمسون فارسا والصغيرة بقدرها ثم تسابقت القبائل تهدي الى الامير الجديد والهدايا هي عربون اعلان الطاعة والهيبة يقابل الجميع بطلاقة الوجه ، وبوعود اوسع من فيافي بني اسد فى صحراء العرب وللبعقلين جد فى هذا الامر . فلذلك استولوا على الوزارة ، ثم عينوا مائة رجل او اكثر مسلحين يكونون الحرس الخاص فى جوانب الامير حكى لي حاك انه كان اذ ذاك هناك ، فاشتاق الى ان يرى وجه الهيبة ، فقبل له اجلس هنا على راس عال بعد صلاة الجمعة حتى ترى امامك رجالا قصار القامات ، متسخي الثياب متسلحين يقدمون كبكبة من الخيل ، عليها غرايب سود ممن لبسوا الالبسة السوداء ، ومن بينهم واحد عليه مظلة يرفعها عبد يسمى صَنَبَا فاعلم انه مولاي احمد الهيبة فى حرسه الخاص ، قال وكان اول من اهدى اليه طلبة بعقيلة فى نحو 100 كيسين من السكر فاضافهم فاجازهم بثلاثة اكياس ، فانقلبوا مفتبطين

القبائل تترى الى تزنيـت

بين عشية وضحاها اصبح اسم مولاي احمد الهيبة على طرف كل لسان ، وقطب الاحاديث فى كل ندوة ، وحضرته فى تزنيـت قبلة كل ءمال . فسالت الطرق اليها من رؤساء القبائل وطلبتها والمتفقرين منها حتى عبت اليها السبل فى رجب وحتى اصبح المثل بين يدي الامير الجديد مصدرا للشرف يتناول به السابقون وحافزا عنيفا لمن هم بعدهم لاحقون حتى اصبحت تزنيـت كخلية النحل فراجت التجارة ، وفتحت الكنوز واستجدت الالبسة كانما تستمد من الآمال التي استجدت فى الناس بنجاح فكرتهم هذه بهذه السهولة وقد انحسر هنالك من العلماء والرؤساء الاستاذ علي بن عبد الله مع الاخ سيدي محمد الالفيين ،

والشاعر شيخنا الافراني وسيدي البشير بن المدني الناصري وسيدي
المحفوظ الادوزي وسيدي ابو بكو الايجيو آزي الاقاوي والاديب المانوزي
وسيدي احمد بن الحاج عبد الحميد الايلاني وكل من يحمل بنانه قلما.
ولم اعلم ممن تخلف عنه من العلماء المشهورين الا العلامة عبد العزيز الادوزي.
والا الاستاذ احمد بن مسعود البونعماني وسيدي سعيد بن الطيب
الاجماري وسيدي الهاشم التيميچيدشتي وامثالهم من القليلين الذين
عقلتهم الفكرة الصوفية . ففنعوا بما بين ايديهم فلا تجد ميكروبات الطمع
من الشهرة متعششا في ادمغتهم وفكرتهم ان وقت الدفاع عن البلاد قد
ازف ولكن يرون ان اهل سوس ليسوا بمثابة تولي العرش المغربي وقد
كان الامير الجديد يبسط يده لهؤلاء العلماء الذين لبوا دعوته ويعدهم
ويمنيهم ولا اسهل من انقياد علماء الدين اذا عظموا ووعدوا بالمقامات
السنية فكان الهيبة حقا يمثل دورا مجيدا من الكرم فكل ما يتوصل به
من الرؤساء الذين يقدمون الهدايا ، يعطف به على الطلبة والمتفكرة ، وأمله
بذلك ان يستولى على القلوب في اليقظة ، وعلى الاحلام في المنام فتم له ذلك.
فما شئت من كشوفات واحلام تدوي بها النوادي ، وتتموج بها الاحاديث ،
حتى ليصدق من كانت له وقفة ومن يسمع يخل خصوصا من امثال
العلامة الصالح سيدي الحاج عابد المسلم المخلص وقد كانت قبائل
بعمرانة والاختصاص وافران ومجاط ووليتة وجبال جزولة واقا وازغار
كلها من السابقات بالهدايا ثم لا يكتفى في ذلك بالهدية العامة التي تقـدم
باسم القبيلة بل كثيرا ما يجتمع اناس فيقدمون باسمهم الخاص هدية
تزلفا وتعرفا بالامير الجديد ، وتبركا به وهو في نظرهم هبة من السماء
لانقاذ البلاد وهدى العباد وكذلك ارباب الزوايا قدم الجميع هداياهم
واعترافاتهم بالامارة الجديدة. فلم تتأخر منهن زاوية وربما كان من المهدين
هؤلاء ما يضحك الثكلى. ويصير طرفة يتندر بها الناس. فمن ذلك ماحدثني
به بعضهم قال جلست في تلك الايام فاذا باناس قصار من ايت صواب ، على
رأس كل واحد منهم خنشة صغيرة من الكتان خلقة فيها حففات من التين
اليابس . اتوا بذلك هدية ثم انهم اعلنوا بالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم يتقدمهم بضعة اقزام فلم يبق هناك من لم يغلبه الضحك ورأيت
ايضا اخرين قدموا باسم قبيلة ايت والياض في شبه ذلك وقد قدموا
ايضا هدية تافهة بصورة مزعجة تستثير الضحك من الحزين ، وجاء ايضا
رجل قاميء القامة اهوج من قنن الجبال ما نزل منها قط الا اليوم. فأخذ

بيده حفنة من اللوز ليقدمها بيده الى الامير وهو مستو على اريكته في
فسطاط فحاول الاعراب ان يحولوا بينه وبين المثل بين يدي الهيبة
ولكنه جاذبهم حتى ترك في ايديهم خرقا من قميص كتان عليه فوصل بين
يديه ونصفه مكشوف فلم يبق هناك من له عينان الا غلبه الضحك واقبل
ايضا طالب يقدم طائفة من الطلبة بيده علم احمر جميل فوق مفرسه من
العلو جامور صغير من نحاس - ومثل ذلك غريب في سوس - فأسر بعض
الحاضرين من شياطين الطلبة الى بعض الاعراب ان لا يرجع الطالب بعلمه
فان السلطان بمثله اولى فأزيلت الراية من صاحبها مرغما وهو يبكي
فكانت هي الراية الكبرى على رأس الامير الجديد ، كأنها (الدرّفس)
الراية الفارسية المشهورة واخبرني بحكايات تشبه ذلك . ولو تتبعنا ما
بهديه البسطاء لاميرهم الجديد لوجدنا حتى الجراد المشوي ، لانه مما
بتهاداه الناس في وقته وقد تذكرت الآن ما كنت اسمعه من ان بعض القواد
السلحيين السوسيين كانوا يقدمون الى المشهور ايام مولانا الحسن في
مراكش فيعلنون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم خنيفات (1)
مخطط ما وراءها فيكونون كالسينما الحية هناك ما شاء الله ولكن مولاي
الحسن يقابلهم بما يستحقون ويعذرهم ويصبر على جفوتهم وكذلك
يفعل السياسيون الدهاة وما مقصودي بسوق كل هذا هو الاحماض
فحسب بل تصوير الحالة ومقدار اهتبال الناس بمن جاءهم كمنقذ للامة
بعد ما مد اليها الاحتلال مخالفه

تحية الادب السوسي للامير الجديد

لا فض فوك يا ربيب المدرسة الالفية ايها الاستاذ الشاعر المفوه سيدي
الطاهر الافراني فقد خلدت الادب الالفى بنفثاتك الرائعة وقضيت
للمدرسة التي خرجتك بأنها مدرسة ادب اندلسي حي قبل ان تكون
مدرسة بيوع الاجال ومناسخات الفرائض وجدول الصفة المشبهة

وفد الاستاذ الطاهر في اول الوافدين مع صاحبه الاديب البشير ابن
المدني الناصري واخيه القرشي فكتب الى الامير يستأذنه في الدخول
بهذه الابيات :

(1) الخنيف : ثوب ابيض غليظ من كتان . كذا في القاموس . وهو يطلق في سوس على سلهم
اسود غليظ من الصوف

وتعطرت بثنائه الاقلام
سرب الضلال لركنه الاسلام
رويا سنا يجلى به الاظلام
من لم ينلهم في هواك ملام
شرف الاصيل تحية وسلام

يا خير من مدت له الاعلام
واجل من يأوى اذا ما راعه
بالباب وفد حثهم شوق الى
ولدا ابن ناصر الامام وطاهر
فعليك يا تاج الملوك ودرة الـ

ثم لما مثل بين يديه القى على مسامعه هذه القصيدة الرنانة التي لاشك
تنبه ادباء عال ماء العينين الى ان في سوس ادبا رائقا جزلا يستمد من نفحات
اشبيلية يوم كانت لاشبيلية اداداب

والسن بيض الهند بالفتح تنطس
ووجه الهدى طلق الاسرة مشرق
وبرق تباشير الرجا متالىق
واسسها يمن وراى موفق
على الطوع عهد المومنين وموثق
سيادة بحر بالندى يتدفق
امام هزبر العزم يقرى ويخلق(1)
واكرم من تحدى لجدواه اينق
نماه الى ادريس عزو محقق
محياء انوار الهدى تترق
مكارم من راقوا واوج العلا رقا
اذا سوبقوا في حلبة المجد سبق
لدين الهدى تاج به ازدان مفرق
هو المنهل العذب الزلال المصفق(2)
لحضرتة يهدى الثناء المخلق
غصون النقا وهنا حمام مطوق
اجابوا وان هموا بامر تحققوا
وان ملكوا عفوا ومنوا وارفقوا

بنود بريح النصر والعز تخفق
وروض المنى غض الازاهير مونق
وكوكب سعد الدين باليمن طالع
بيعة نصر احكم السعد عقدها
وابرمها امر من الله شده
خلافة سلطان الهدى شمس هالة الـ
محط رجاء القصد مأوى لراغب
اجل امرء مدت له راحة الرجا
رضيع المعالي درة الشرف الذي
خليفة رب العرش احمد من علا
سليل الكرام الصيد اقطاب دارة الـ
اهلة افلاك الحقائق من هم
فمن مثل مولانا ابن مامين انه
ومن مثل در التاج وارثه الذي
هو الشمس ما العينين مولاي خير من
عليهم تحية الرضا ما شدا على
هم العرب الفر الميامين ان دعوا
وان عاهدوا وفوا وان قدروا عفوا

(1) فَرَى الجذر : قطعه. وخلقه : قدر كيف يقطعه ، وهو مثل يضرب لمن يعرف كيف يسوس الامور

(2) تصفيق الشراب : تصفيته

يدور لدى النادي بحور لدى الندى
 اذا سئلوا اهتزوا ارتياحا الى الندى
 من القوم اما حبهم ففريضة
 بالليل اما عرضهم فمطهر
 نجوم سماء المكرمات تشابهوا
 جرى ان مولانا الخليفة فيهم
 قد زادهم فخرا خلافته كما
 نايعة جاءت على خير طائر
 بها افتر ثغر الدين وانشرح الهدى
 قد طلعت في مشرق العدل شمسها
 نزلت يد الايمان واليمن عقدها
 فدلهم النور المبين عليك فاست
 فانت امير المومنين المظفر الم
 وانت احق الناس بالملك من يرد
 فخل مقولات الملاحم جانبها
 وتائل عدو الله فالله ناصر
 وسر ظافرا بالنصر سفيك حيثما
 فكفك مفتاح الاقاليم لم تزل
 هنيئا امير المومنين ببيعه
 جمعت بها شمل الهدى بعد شته
 واسقيت روض الملك فاخضل عوده
 وزدت الردى عن سرح ملة جدك ال
 سيجزيك يا خير الملوك كما جرى
 فانت لدين الله احوط كافل
 بقيت بقاء النيرين مظفرا
 اليك امير المومنين زففتها
 فان تك من حلى البلاغة عاطلا
 وان قصرت في قدر مدحك انسه

سيوف اذا جدوا اسود اذا لقوا
 وان مدحوا غضوا حياء فاطرقوا
 وبغضهم الكفر الصراح المحقق
 واما ثنائهم فهو خمر معتق
 فخارا فكل في السيادة معرق
 كبدر حوالية الكواكب احدثوا
 يزيد جمال الفصن والفصن مورك
 وللدين والدنيا اليه تشوق
 واعلن بالتكبير غرب ومشرق
 وقد كاد ليل الظلم والكفر يطبق
 واجمع اهلوه عليه واصفقوا
 بدلوا وهل يخفى من الصبح رونق؟
 طاع واهل الله جند وفيلق
 نواءك فهو فاسد الرأي اخرق
 وسلّ ظبات السيف فالسيف اصدق
 وحاب بمال الله فالله يرزق
 توجهت والحفظ الالهي محقق
 ترقبها مصر ونجد وجلق
 انتك على شوق تغذ وتعنق (1)
 ورتقت ثوب الدين وهو ممزق
 وهبت صبا اسحاره وهي تعبق
 نبي وعقبان الضلال تحلق
 ملوكا على دين المهيمن اشفقوا
 وانت بعهد الله اوفى واوفق
 وعقدك مشدود ومدحك مطلق
 مهنئة لا عن صبح ترقق (2)
 ففي اذنها قرط الثناء معلق
 لبحر وهل ياتي على البحر منطق؟

الاعشاذ والاعناق : من انواع الجري

الترقيق عن الشيء : التكنية عنه . والصبوح بالفتح : ما يشرب صباحا . وذلك مثل
 والمقصود انه لا غرض له ولا حاجة

كفاهما افتخارا بالسلي ان جريدتهما
اذا ما جلاها المنشدون تطوعتهما

وقال ايضا يخاطبه :

هذي مرابع ليلى قاقض ما وجبا
واربع على الربع واذكر جيرة رحلوا
وارو بالدمع ان شح الحياض منا
ايام نلهو بوصل البان لاعذل
من كل غيد اءان شيمت فبدر دجى
اذا اثنت غار غصن البان او بسمت
لله ايامها الاعي سلفين كما
مرت كما مر طيف زار مكتئبا
ما ان تذكره وان سلا زمنا
فيا مرابع ليلى هل تعود لنا
ويا مرابع ليلى لا برحت كما
ويا مرابع ليلى لا عدك حيا
نفع بلا ضرر صفو بلا كدر
عين الشريعة بل عين الحقيقة بل
غيث الارامل بل غوث العوالم بل
شيخ هو التاج والاكيل في رتب
فهو المقدم في كل المظاهر لسم
بد السوابق في علم وفي عمل
اما العلوم فبحر طم زاخره
سل عنه تلك التأليف التي برزت
له عنا كل من عانى الفنون فان
ان قيل فقه فمالك وان ذكروا
وان جرى الشعر والنثر المحبر فال

بهدىك يا ابدى المصور مطلق
كما تساع من دارين مسك مفتسق

ونث من سر (ما العينين) ما احتجبا
وخلفوا الوجد والاشواق والكربا
ساعد فيها على اللذات شرح صبا
يخشى ولا كاشح واش ولا رقبا
وجها وفرعا وان شمت فنشركبا (1)
غار بها الدر او رنت تغار ظبا
هبت بنفح اللوى والرقميتين صبا
فسره نائما فحين هبا صبا
(الا شكى او بكى او حن او طربا) (2)
فيك الليالي بامثال الذي سلبا
عهدت ملعب غزلان مريع ربا
كما همي سر (ما العينين) منسكبا
امن بلا حذر ، فيض فما نضببا
هامى الانامل بل بحر ندى عذبا
انسانها بل سناها الكاشف الحجا
العليا فزان جمال فضله الرببا
تلحق بغايته الابدال والنقبا
فلم يصله مجل لا ولا كربا
لذا رمى جوهر الابحاث منتخبا
ازاهر الروض بل زواهر اشهببا
جارى الى غاية ما احرز القصببا
نحوا فمنه الخليل يجتدى الطلببا
سديد من بحر يفترف الادببا

(1) الكباء بالكسر : العود الذي يتجر به
(2) شطر لابن سهل من قصيدة له مشهورة في ديوانه المطبوع

اما التفاسير والآثار فهو ابو
لا يتم علم القوم قاطبة
الى مناقب اجلى من ذكاء واكثر من ال
لو رام ذو لسن احصاءها لقد
سر كما صاب يوما صوب غادية
اذا دعا لمحسب فالهناء وان
احيا من المجد رسما بعد ما دثرت
بهمة لا تنى مهما انبرت لمدى
وعزمة حدها امضى وانفسد من
خط المراحل فى سير القلوب الى
قطب هو الجامع الفرد الذي خضعت
نور لمقتبس جدوى للتمس
بك المعارف والاسرار محتسبا
وطاب ذاتا وسرا ظاهرا وثنيا
وشاد ما اسه اباؤه وهم
توارثوا نوره من بعده ففدا
هم الحماية حماة الدين اسد وغى
قاموا وقد خذل الانصار وامتعضوا
وقلدوا امرهم لله درهم
ليث الكريهة من لم تدر راحتته
اندى الملوك يدا اهداهم رشدا
اوفاهم ذمما اعلاهم همما
اعلى بني هاشم عزا ومن فخرت
خير الخلائف احمد المظفر من
فالله يسعد مولانا وينصره
مولاي دونها بكرا اذا برزت
همت بنشر ثناء الشيخ قدسه

بجدتها واليه تنتمي نسبا (1)
فى عصره كان اما برة واما
نجم لا ياتي عليها نبا (2)
بما تواتر منها يملا الكتبا
فانبت الكلا المتلف والعشبا
دعا على ظالم فحرب ووبى
منه الطلول وكادت ان تصير هبا
الا اذا ادركت من نيله الاربا
اسنة شرعت لفرض وظيفا
ان حط فيما وراء الحجب القبا
له المراتب وانتقاد الذي صعبا
نعمى لمبتئس رحى لمن نكبا
فليس يظما من فى بحر شربا
واحرز المدح موروثا ومكتسبا
ما هم وورثته ابناءه النجبا
حيا وكان براى العين قد غربا
سم. العدا انجم العليا بحور حبا
للدين اذ غيرهم خام فما انتدبا (3)
امضاهم فى الوغى سهما اسد شبا
الا النداء واليراع والقنا القضا
اعلاهم نسبا اولاهم حسبنا
اسماهم علما اقواهم غلبنا
به البهاليل ءال ما من العربا
صور اللوا خير من اولى ومن وهبا
ما رنحت سحرا ريح الصبا عذبا
تاهت على غادة مقصورة بخبا
الرحمان حق الثناء لو تمدثبنا

(1) العلوم ابن بجدتها لا ابو بجدتها نعم ابو عذرنا . ويصلح ابو عذرنا على الاصل لعله
هو المقصود اصالة .

(2) ذكاء بالضم ممنوعا من الصرف : الشمس .
(3) خام عنه : تكص وجين .

فاقبل واغض وسامح واسترن وحن
عليكم وعلى الاطهار اصلكم الـ
ثم الصلاة على اهل الوجود وعين الـ
وعاله وعلى الصحب الالهة ما

وقال ايضا هذه النونية

دعت للهوى بعد الصبا اعين العين
خرائد ابدى الخدر منهن غادة
غزالية وحشية غير انها
تميس بعطف كالقنا متأطرا
وتسفر عن ابهى من الصبح زانه
وتبسم عن احوى اللثات موشرا
خدلة ساق علبة الردف بضعة
تتبه بافراط الجمال كما زهت
امام الهدى بدر الدجنة احمدا بـ
نجوم توالى في سماء العلا فيسا
اضاءت بهم كل البلاد واشرق
حووا كل فن من فنون العلا وفزت
هنيئا أمين الله حقا بجمع ما
فانك غوث بل وغيث فاينما
وانت الامام المرتضى والخليفة
اضاءت بك الدنيا وعم بك الهنا
فاصبح جند الله بالله غالبا
فهاذي مقاليد العباد اليك عن
فقم وتوجه حيث شئت فلا ترى
بقيت لدين الله منتصرا به
عليك سلام الله ياكعبة الندى

فالعذر باد ومن للغير ان يشا
سزاكي سلام يوفى قدر ما وجبا
جود افضل من مشى ومن ركبا
لاحت كواكب غدر ان السما حبا

فلبيت اذعانا وطوع المهادينسى
كشمس على غصن على حقف يبرين
تتبه على الغزلان بالدل واللين
وتسطو بسيف من ظبا اللحظ مسنون
ازج كعطف القوس او عطفة النون
كدر تنظيم فى القلادة مكنون (1)
مهففة يسلوبها كل محزون (2)
بدولة مولانا الرضا خطة الدين
من مولاي ما العينين من عال مامين
لهم من نجوم مشرقات ميامين
بنورهم الصحرا الى مشرق الصين
من بعدهم بارث تلك الافانين
تفرق من ازهار تلك البساتين
حللت فثم كل بشر وتامين
المعان بتايد ونصر وتمكين
بعز ذوى التقوى وعز المساكين
بجدع عرائن الاعادي الملاعين
تراض وطوع يا اجل السلاطين
سوى كل ما احببت فى كل ما حين
ومعتصما ءامين ءالاف ءامين
كما حل وسمى بروضة نسرين

(1) مقصوده انه مكنون فى الصدف اولا . واحوى اللثات مؤشر هو الثغر وتلك اوصافه . واللثة بالكسر : لحم الانسان ، والحوة هنا : حمرة الى سواد . والاسنان المؤشرة : اذا تساوت ولم يتراكب بعضها على بعض
(2) امرأة خدلة : غليظة الساق مستديرتها .

واذكى صلاة الله ما هبت الصبا
واصحابه الزهر الهداة وءاله
على جدك المختار طه وياسين
واتباعه ما شوقت اعين العيين

وقال لما جاءت قبيلة ايلالن للبيعة

ابا مولاي قد وافت هلاله
فهم جيل عن الاحكام اعصى
ولكن سعد مولانا اذا ما
ادام الله امرك في اعتزاز
فليل السعد قد ابدى هلاله
وانأى من ثريا والفزالة
رمى غرضا قصا فهو الجباله
تدين له الجابر لا محالسه

وقال حين جاءت هواره بمائة فارس :

نور الهداية والتوفيق قد سطعا
فقر عينا وطب نفسا فانت بها
بشرى بدولتك الغراء او سيرتك الـ
فالله ينصر مولانا ويسعده
والنصر بالرعب والتمكين قد جمعا
اولى وحبك في الاقطار قد زرعا
مثلى ونجم سعودك الذي طلعا
سعدا ويدنى من الامال ما شسعا

وقال ايضا وهو يستأذنه في الوداع ليلم بأهله

اقسمت بالمجد والعلواء والهمم
اوت الى ذروة العز التي فخرت
اهدى الورى رشدا اندى الملوك يدا
بدر السعادة درة القلادة حضـ
اجل متزور بالمجد معتجر
مولاي احمد محمود السجية مـ
فالله يكلاه حفظا ويسعده
ما غرد الطائر الشادي ضحى وحدا
هذا ورؤياك في الدنيا هي الفرض الا
فالحمد لله اذا روى بها ظمائي
فانت في دولة الاقبال شمس هدى
وقد دعاني الى توديع سيدنا
بقيت للدين والدنيا وسيفك منصـ
ان الخلافة قد اوت الى حرم
بفضلها العرب العربا على الامم
اصفى الموارد ارواها لكل ظم
رة السيادة مكنى العزم والكرم
بالحمد منتصر بالله معتصم
شهود المزية بدر كاشف الظلم
حظا وينصره بالسيف والقلـم
حادي السري سحرا بالاينق الرسم
قصى وخير المنى وغاية النعم
والحمد للعيس بعد العزم والهمم
تاج الملوك ملوك العرب والعجم
داعي الضرورة لامس من السام
ور وسيبك يحكي وابل الديم

هذا وقد ذكر المؤرخ الرفاكي انه كتب اذاك الى الهبة بهذه القطعة
اول ما ورد عليه :

نسبته حقا الى الإخضرار	بيابكم زور عبيد الدار
في امر ما اهمه واجرضه	غرضه من فضلكم مفاوضة
مستشفيا لرمد العينين	مستحرما به بما العينين
ما حن محرم الى الطسواف	عليك منه اطيب الاعراف

فأجاب بخط يده

ابناءنا وناقاة وجملا	يا مرحبا بكم واهلا سهلا
لم تره بثينة ولا جميل	يومكم يوم سعيد سلسيل
بلا تريث ولا اشتباه	غرضكم يقضى بفضل الله
افوحه انشره واعذبه	عليكم من السلام اطيبه

ولبعضهم يوم جاءت قبيلة ايت صواب - ولعله سيدي الحبيب
السكرادي -

غداة هدى قبيل بني الصواب	لقد عاد الزمان الى الصواب
واوداء عميقات صعاب	قبيل في جبال شامخات
لا منع من مبيتات العقاب	وان بلادهم والكل يدري
نام غداة جاء بنو الصواب	امير المومنين اتاك كل الا

وقال الاديب محمد بن محمد التوتلي التملي من ابناء الادب الالفى يهنيء
الامير بالبيعة وقدمها اليه في منتصف رجب بعد البيعة العامة :

فمحت ضياء البدر بله الكوكب	شمس الهداية اشرقت من مغرب
قد اصبحت تقذي بحزن مكرب	قرت بها عين الهوى من بعد ما
عرق الضلال فزال كل الغيب	ذرت ففاض شعاعها واستاصلت
فحكى لدى التمثيل عنقا مغرب	يا طالما ضن الزمان بمثلها
ايها فقد اعطيت خير المنصب	تيها بها يا مغرب قد حزتها
قعساء عزت ان تنال بمطلب	تيهن بفرد كامل ذي هممة
ما ان له في الكون ثاني المذهب	خير الخلائف احمد المولى السذي

نجل الكرام السادة الغر الالى
 ماء العيون ونورها وسوادها
 عقد على جيد الزمان مرصع
 اضحى يتيمته فاصبح سابقا
 بحر خضم زاخر لكنه
 ورث المكارم كابرا عن كابر
 خلق كما هبت بروض خميلة
 او مثل زهر فتقت اكمامه
 حمدا لمن اولاهم وحباهم
 قد اصبغ الدين اكتسى من عدلهم
 وبه افتخرت فلم ابال وان يكن
 عجا لقلب لا يريد تشوقا
 دم ناصرا ومجددا ركن الهدى
 وارج قلوب المومنين فما عسى
 بكتائب كالسحب اما اقلعت
 نذر العدا صرعى تحوم حوائم الـ
 من كل قرم للحروب يرود ما
 يغدو ويصبح للوغى غضبان لا
 اقيت للدين الحنيفي مسعدا
 وتميط عنه بعد لك المقبول ما
 واليكها حسانة عذراء لم
 وتميس في برد الفصاحة تبتغي
 منى على مثواك خير تحية

سادوا الورى طرا بسر معجب
 عين الحقيقة بغية المتطلب
 بجواهر الاحسان لا كالمذهب
 كل الورى من محسن او مذنب
 عذب الزلال لقصد في المشرب
 لا يعتنون بغير مجد انسب
 ريح الصبا سحرا بنشر طيب
 در الفمام بطله والصيب
 كل المفاخر دون سعي متعصب
 عزا ومجدا ءامنا من مسلـب
 فخر يشين فهبن اول مطنب
 وتشوفا للقائه المستعذب
 بسيوف بيض الهند رابع مكسب
 يجدي سوى حزم وعزم اصوب
 كاسود غيل القفر مهما تطلب
 عيان تفري هامهم في السبب
 يزري لدى الهيجا بيرق خلب
 يعنى بغير مدرع ومذرب
 وتذود عنه كل داء معطب
 يفشاه من خوف البوار المكرب
 تمسس وتأنف غير اكفا الخطب
 حسن الرضا منكم بثقم اشنب
 تذكو شذاها يزدرى بالطيب

هذا وقد وقفت على قواف كثيرة للادباء السوسيين وللمترامين منهم
 على الادب وسأحرص ان اذكر في ترجمة كل واحد متى تعرضنا له
 بمناسبة ما - ما يمكن تسطيره وان كنا لا نبالي باقوال الغالب التي تعد من
 سقط المتاع

الافيون عند الهيبة

اما الاستاذ علي بن عبد الله فانه وقد اليه مع العلامة الافراني في وفد
 كبير من اول وهلة وليس عندنا ما يستحق الذكر في ذلك واما الحاج

ابراهيم الايفشاني فانه بعد ما توقف مع المتوقفين في امره فانه سرعان ما اندمج في الناس من غير ان يفد على تزنيته وانما اوفد احمد ولده ثم رجع في هشتوكة ولم يسافر الى مراکش فكان من ذبول الرعيل اللاحق على ان تردده في ذلك لم اعلمه الا من كتاب (الروضة) للرفاكي وانما الذي اعرفه اني وقفت له على رسالة كتب بها الى الفقيه علي بن احمد الاستكاري ثم التهالي ونصها :

(ومن ابراهيم بن احمد الفشاني الى الفقيه البركة سيدي علي بن احمد چستكار بمدرسة تاهالا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فلا زائد الا الخير والحمد لله هذا واعلمك يا سيدي بأن جميع قبائل السهل وما جاوره من حاحة الى وادي نول بايعوا المولى احمد بن سيدي محمد ماء العينين على الجهاد وغيره من كل ما اراد فيهم وانه سيد معظم ذو بركة فالله ينصره ويجبر كسر المسلمين به ءامين ءامين على ان يخرج اخاه خليفته مع عشرين فارسا لكل قبيلة من الحد الذي ذكرناه يريد مدينة تارودانت فالله ينصره ، وليعلم سيدي ان خبر الغرب وصلنا امس وقد استرجع المسلمون فاسا (1) ويسلم عليكم الفقيه الاجل - الذي في سماء المعالي حل - سيدي علي بن عبد الله ويعود سلامنا على الفقيه الشريف سيدي محمد الكثيري وادعوا لنا بخير والسلام)

اما اخونا سيدي محمد الذي هو الثالث فيمن يمثلون الغ اذ ذاك فانه ما ذهب الى مولاي احمد الا بعد ان توطد له الامر وقد كان اذ ذاك صغيرا وانما انساق مع السيل الجارف حكى لي من معه اذ ذاك ان الوقت وقت حصاد ، والاخ مع كل الفقراء المتجردين وينيفون على الثمانين في المعدر يحصدون زرع الزاوية من هناك . ثم طلّعوا الى الزاوية ثم نزل مع الالفين باستدعاء الامير الجديد برسالة خاصة وقد كان الاخ اشترى فرسا قبل طلوعه الى الغ قال ومن الغ ذهبنا الى تزنيته في اناس قليلين فوجدنا الاعراب يقيمون الدنيا ويقعدونها بالارجاف بكل من تأخروا عن البيعة كالقائد الحاج محمد الاغبّالوي وامثاله فدخلنا في عشية الى فسطاط مولاي احمد . فاستدعاني اليه (يقول ذلك الاخ سيدي محمد - وهو اذ ذاك كما بقل عذاره) فصار يمسح على رأسي كما يفعله الاكابر بالاصغر

(1) لا صحة لذلك .

ويرحب بي . واول ما باداني به ان قال لي قد وجدت والدك الشيخ سيدي الحاج علي كما خرج من عندي الآن . . وانت مني بمنزلة المحب المكرم ولد من بين اولادي . فهذا الامر لا يقوم الا بامثالك فلا بد منك وسأجعل لك مقاما عليا . واسنى لك مرتبة لا تتسامى قال الحاكي يقول ذلك لنا ونحن جالسون نسمع فوق في قلبي شيء بمجرد ما قال لي ان والدك خرج من عندي . ولست ممن يدفعونه عن تلك الكرامة فانه اهل لكل كرامة ولكن لا ينطق بمثل ذلك مثله الا مغلوبا على حاله . وهو ليس كذلك في ذلك الوقت ثم انفتلنا من عنده فنسمع الاعراب يقولون ان المدفع الكبير يهلل يسمع ندائه بلا اله الا الله كل سامع قال فذهبت لاكتشف هذه الاكذوبة الحديثة فوجدنا المدفع في محل بين بابين يلج الريح في ثقبته فيتكون لها صدى فيموه الاعراب بما يقولون . وربما يختبي احدهم في علية عليه . تقابل الثقبه فيهلل . فيأتي الصدى من الثقبه فيخدع ضعاف العقول بذلك هكذا حدثني ايضا عن هذا المدفع ثقة صدوق . وهو الشريف سيدي ابراهيم بن محمد بن اليزيد التازروالي صهري وهو ممن لا يقع له بشنان ، ولا يطرق له بالعصا - ودينه يمنعه من افتراء امثال هذا . على ان قضية المدفع مستفيضة يتحدث الناس باكذوبتها . وما يتصنعه جهلة الاعراب بوساطته سمعناها من كثيرين . وانما الذي انفرد به ما حدث به اول كلامه فكانت غريبة من احدي القرائب الموهات التي ستسمعها امامك

انفتل الاخ من عنده وقد انساق مع الناس وتها مع كل من معه من الفقراء الى ان يصاحبو الامير الى الحمراء فنزلوا بتزنيث فدفع لهم فسطاطين احدهما كبير الى الغاية . يخلق فيه جميع الفقراء . فكانت عدتهم 85 وكلهم من اصحاب الوالد وكبراء الطريقة الدرقاوية وفيهم من الافذاذ امثال شيخنا سيدي سعيد وسيدي مولود . ومن بينهم مبارك بن الحسين (ثائر تافيلالت بعد هذا الوقت) ولا شأن لهؤلاء الفقراء في زهرة الحياة الدنيا الا انهم مجروفون بالسيل العام متبعون لابن شيخهم فيما يأمرهم به ولم يفارقوا مرقعاتهم وعكايزهم واسبحهم . وقد عمروا اوقاتهم باذكارهم لا يبالون بما يموج به معسكر مولاي احمد من حين انخرطوا فيه بتزنيث الى ان تفرقوا شذر مذر في الحمراء كما ستري

مولاي احمد الهيبة يفادر تزنيث

خرج مولاي احمد من داخل تزنيث في مختتم رجب الى خارجها فمسكر

امام باب من ابوابها فصارت القبائل تجتمع عليه . وفي كل عشية يجلس بعد العصر المجلس العام متصدرا فوق كرسي في فسطاط وحاجبه محمد الامين الصحراوي والوزير القائد سعيد البعقلي واقف وذلك الحرس الذي ذكرناه من بعقيلة قد وقفوا سماطين من باب الفسطاط الى بعيد والاعراب فيما بين اولئك يموجون بلا نظام فكلما قدمت جماعة هدية يعلن الوزير بقوله (يقول لكم سيدي بارك الله فيكم واصلحكم). فيبادر الحرس البعقلي عند ذكر اسم الامير فيصرخون بلهجتهم الشلحية يقولون بلسان واحد (الله يبارك في عمر سيدي) وكل ذلك تقليد من الوزير ومن هؤلاء لما كانوا راوه من السلطان مولانا الحسن . حين زار سوس المرتين ولكن الوزير والحرس يقولون تلك العبارات العربية المصحفة قديما من السن ءال السلطنة برطانة شلحية يرتطنون بها تلك العبارات العربية المسكينة التي بليت مرتين . مرة بتصحيفها على السن الاعوان في دار المخزن ، كما هو المعتاد . ومرة اخرى حين تلو كها هذه الالسنه الشلحية التي تتكلف النطق بها عن تلقين فيكون ما يدور كذلك في تلك العشايا مهازل تستخرج الضحكات من اعماق الحناجر كما يحكي الحاضرون العارفون المتندرون الذين لا يعتبرون بما سكر به الناس من نخوة الدين والاستماتة في الكفاح دون بيضة الامة ، هذا والمدافع في كل حين ترسل طلقاتها الى عنان السماء فتصطك بها الاصمخة وترتج بها الاعصاب فتزداد بالجيشان بسالة وان ظهر في بسيط سيدي بو عثمان فيما بعد انها من البسالة التي ذكرها المتنبي

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والنزالا

مريبه ربه يتقدم الى الامام

تموج خارج تزيت بالمتوارددين من القبائل حتى كان الناس كلهم حشروا هنالك . فما شيت من خيل ورجل وفقراء وفقهاء وطوائف الطلبة واصحاب الالاعيب وقد تذكر الناس ايام السلطان مولانا الحسن في المرتين اللتين نزل هناك فيهما وان كان الحال كما قال القائل

يا بارقا باعالي الرقتين بسدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنوب

رايت في رسالة الحاج ابراهيم الايفشاني المتقدمة ان القبائل وظفت على نفسها 20 فارسا لكل قبيلة تتقدم مع الخليفة مريبه ربه ليفتح بهم الطريق

وليكونوا مقدمة للجيش الذي سيقوده الامير بنفسه وكان مسير مربيه ربه
في الرابع والعشرين من رجب قبل ان يخرج الهيبة من داخل تزيت الى
خارجها

القائد حيدة في تزيت

رايت الناس يتسابقون الى الاتصال بالامير الجديد وقد كانت حاجة
من اوائل الناس المعترفين به ولكن لم يات احد منهم ولا قدم قائد
كبير من مشاهيرهم وانما سرب القائد عبد الرحمن الجيلولي الى الامير
كل ما يحتاج اليه من المال والفساطيط والاثاث ومثل ذلك في شبه سر
وقد نسج الرأي على ان يكونوا اخر من يتصل به ظاهرا وان يكون ذلك
بمراكش وان تسلك الى مراكش طريق (أْمْسْكْرُوض) لا حاجة ولب ذلك
كله من تلك اليد الخفية التي تحرك هذا الامر من وراء ستار. تحاول ان لا ينكشف
امرها الى ان يتوطد الامر كما يراد وقد اتخذت المانية كل الاحتياطات لهذا
السر ، حتى انها استخدمت في ذلك ايضا مولاي عبد الحفيظ نفسه فقد جاء
اذنه برسول خاص الى الهيبة ، ينهي اليه انه مغلوب على امره في فاس
فليفعل هو واهله ما يقدرون عليه (حدثني بها ابن يعيش الحاجب وسمى
الرسول) وذلك غير بعيد واما رؤساء رأس الوادي فانهم بعد ما عرفوا ان
قبائل الجنوب استتب امرها صاروا يتسللون الى تزيت فكان جميع القواد
والرؤساء فيها وقلما تخلف واحد منهم كالشيخ الحسن التيوتي
والقائد العربي الضروري . وصغار قواد الجهة وكذلك الشيوخ المشهورون
لم يتخلف منهم احد ثم لما جاء ولد كَابَّا باشا تارودانت في هيئة مخزنية
وروعة تبهر الابصار باللباس والخيول الفارهة والرجل المنظم والقباب الرائقة .
اهتزت تزيت لقدومه . فكانت بيعة باشا تارودانت الممثل الرسمي لحكومة
السلطان عبد الحفيظ خير بشارة تحمل البرهان الناصع الى الهيبة بأن امره
في سوس قد رسخ . وان امارته قد ضربت اطنابها

وقد قال الاديب سيدي الحسن بن عبد الرحمن الاكراري يوم ورد
ابن كَابَّا

الحمد لله قد اشرقت الشمس وخامر الناس عن اجمعهم انفس
وخامر الناس بشر لا نظير له فانها مناهل منهم الى اميرهم طيس (1)

(1) الطيس : الرمل .

اقبل بهامتك العلياء بيعتنا فالجن قد هزه لنصرك الانسر
هذا رئيس ردانة اتاك وما تنظره بعد وهو للملا الراس
الناس سكرى ببيعة الامام فكم يعتاده من سكره الميس (1)
بقيت للدين حصنا لن تشير الى سواك في غربنا اصابع خمر

واذ ذاك احس الناس بان القائد حيدة قد تخلف عن البيعة وامر
رأس الوادي لا يتم الا به فاما العقلاء ممن يتشيعون للهيبة فبقوا في
انتظاره على احر من الجمر واما بعض الاعراب فمال على عادته الى
الاراجيف ، فيزعم ما كان يزعمه في القائد الحاج محمد الاغباليوي فيقول
ان الضفادع والذباب قد تسلطت عليه كأن الجراد والقمل والضفادع التي
كانت في اول الزمن معجزة نبي الله موسى ما انسا الله فيء اجال نسلها الا لجعلها
في اآخر الزمن كرامة تلوكها السنة هؤلاء ثم بعد ان سافر مريسه ربه
تواردت الانباء بأن القائد حيدة قادم وكان الهيبة على اوفاز ليتبع خليفته.
ولكنه تلكا حين سمع بقدوم حيدة حتى يأتي

في يوم طلع القائد العظيم في زينته وعلى اصحابه رونق انسى الناس
الرونق الذي عانسوه من اصحاب كآباً فكانت الخيول المطهمة ، والسروج
الموشية ، والبغال الموقرة . والرجال الاماليد الاقوياء والفساطيط الجديدة.
مما اعشى الابصار يوم جاء حيدة واصحابه . وقد كان اهل ازغار يعرفون هذه
العظمة لحيدة يوم زحف مع القائد انفلوس سنة 1318 هـ فجمعوا ذكرى امس
الى ما يشاهدونه ايضا اليوم فكان القائد حيدة مثلاً اعلى للمخزني التليد
الذي اوتي من العظمة ما اوتي من منظر يستوقف الابصار ووقار في
المجالسة يستمد من الخيال . فجلس له الامير في العشية مجلساً احتفل له ،
فقدم القائد خيولا مطهمة من نوع الجنائب التي تختار للملوك لتكون زينة
لموكب الامير ، وهل يعهد الناس اميراً بلا جنائب تقاد امامه ؟ ثم تقدم بعض
الشعراء (ولعله سيدي الحبيب الجراري) الى الامير يهنئه بهذا النصر التام
ببيعة القائد حيدة قائد قواد راس الوادي :

ليهنيك يا مولاي نصر مؤزر وفوز بكل القائدين معز
تواردت القواد حتى اتاك من اذا لم يجيء فالملك اجزم ابتد
اتى الضري مع كئ لكن حيدة به وحده النصر العظيم المؤزد

فحيدة رأس الكل والغير ارجل
له الرأي حقا والسياسة لا يرى
الا ايها المولى الذي تم امره
لقد نلت هذا اليوم عزا ومنعة
فقم لترى مراکش منك ضيفما
فانت لنا المهدي لا شك ويح من

وحيدة قاموس وغيره انهر (1)
سوى ما اللبيب الحاذق العقل يبصر
ولما يجمل رأي ولا جال عسكر
وملكا عظيما شأنه لا يسطر
عن المغرب الاقصى جميعه يزأر
لذلك من بعد البراهين ينكر

ذلك ما قاله هذا الشاعر الذي لم يكتف ان يكون صاحبه اميرا حتى
سيره المهدي المنتظر وهذا غريب من هذا الشاعر لاننا ما كنا نعرف هذه
الفرية يلو كها الا بعض الاعراب وقد اخبرني مخبر ثقة . انه اجتمع مع محمد
الامين الذي كان حاجبا للهيبة ومع ماء العينين الذي اشتهر بعد ذلك في
كتابة القائد المدني الاخصاصي . فقال الاخير منهما اننا لا نشك في ان هذا
السيد هو المهدي المنتظر وان الدنيا برمتها ستفتح له ابوابها عن رضا في
اخبار حكاها لي لم استحضر تفاصيلها كيف هي واخبرت ايضا ان بعض
الاعراب هبوا الى رباط ماسة حين مر هناك بالرميل وفي الملاحم ان ذاك المسجد لا
يستخرجون مسجدا مردوما هناك بالرميل وفي الملاحم ان ذاك المسجد لا
يستخرجه الا المهدي واحسب ان هذه الاحاديث هي التي بعثت شيخنا
ابا محمد حتى قال في القافية المتقدمة :

فخل مقولات الملاحم جانبا
وسل ظبات السيف فالسيف اصدق
حقا قال ابو تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

واخبرني سيدي التهامي بن احمد الايليغي انه كان اذ ذاك صغيرا
فسمع الكبار في الفاتحة يقولون ان المهدي قد خرج في تزيت وسيقطع رأس
كل من لا يصلي ، قال فنذهب نحن الصبيان الى المسجد للصلاة خوفا من القتل .

ثم ان القائد حيدة نال من الامير في اللحظة مقاما ساميا عظيما حدثني
الاخ احمد رحمه الله ان رجلا ممن يداخل القائد حيدة ومن بطانته الخاصة

(1) انهر يقصد به جمع نهر مع ان المعروف ان انهر جمع نهار . وانما يجمع نهر بانهار
وجموع اخرى ليس فيها انهر فيما نعلم .

حدثه ان الذي حمل حيدة حتى كان من المتأخرين في بيعة مولاي احمد انه كان يعرف اهل سوس ضعافا من كل جهة فلا يقومون بهذا الامر ، سمع معرفته اذ ذاك لاحوال المملكة المغربية وما يتهددها من الخارج وقد ادرك ما هنالك من قوة وعتاد لا يمكن في العقل ان يقوم امامهما قائم . قال ولكن لما اكثر الناس في الهيبة . واثالوا الى بيعته من كل جهة وصار الواردون والصادرون يقولون ما يقولون . حاك في نفسه ان الرجل ربما كان ذا سر رباني وذا قوة خارقة للعادة ، وربما يكون قوله وما يدعو اليه صحيحا وما اثر فيه ذلك التأثير الا كثرة اقوال الناس فيما يحكونه عن مولاي احمد ولذلك عزم اخيرا على ان لا يبقى وحده من بين قواد رأس الوادي خوفا على نفسه اولا واغتناما للدخول في المسلمين ثانيا وقد كان الشيخ ماء العينين حدثه حين مر به في سنته الاخيرة . انه ان سمع بشيء عن ولده احمد فليكن له خير معين قال الحاكي : فبهذه الامور جمعنا انفسنا واصحابنا فذهبنا معه في قوة قل من اتى بها قبلنا من القواد وفي عشية وصولنا استدعاه مولاي احمد في الليل فبعد ساعة رجع الينا بغير الوجه الذي ذهب به فقال اه علينا وعلى انفسنا وعلى اموالنا وعلى اولادنا فقد اغرقنا الرجل واغرق نفسه قال الحاكي فقلت له ايه احك لنا ما دار بينك وبين الامير فقال تعرفون اننا نفتش عنم نتشبت باذياله لينقذنا مما نحن فيه فاذا بهذا الرجل قال لي اول ما لاقيته مرحبا بك يا فلان فانك منذ الآن والدي . وامري كله بيدك فسقط في يدي فنحن نفتش عنم نستند اليه وهذا الرجل يفتش عنم يستند اليه وذلك دليل على انه صفر من كل ما يقال فيه . فماذا عسى ان اصنع به انا وانا ارى نفسي محتاجا الى من اسلم اليه امري . قال هكذا حكى لنا ثم كتمنا امرنا وقد وجدنا انفسنا امام الامر الواقع فماشينا الامور على مقتضياتها مسافرين للاحوال كما هي - هكذا حكى لي - والمتأمل لا يفهم بادىء ذي بدء مما قاله الهيبة لحيدة الا كلمة طبيعية فانه لو كان هناك سر خاص يمنع منه الاستناد الى عاقل مجرب لينفسح الميدان ليظهر السر واضحا ولكن حيدة الجاهل الفبي فهم ما فهم

الهيبة يتهيا للخروج من تزيت الى مراکش

كان اهل تزيت اول من ابرم امر الهيبة وقد اقطعهم من الوعود ما اقطعهم اجمالا وتفصيلا منها ان جميع سروج خيولهم ستستبدل بالجديد

بمجرد دخول الحمراء ومنها انهم هم المقربون واهل الشورى وعيبة الاسرار وقد خلف اخاه النعمة على تزيت فاوصاه باهل تزيت خيرا وقد نظم هناك القضاء فكان الفقيه سيدي علي بن عبد الله الالفسي وسيدي الحبيب السكرادي البوسليماني وولده الفقيه سيدي علي والفقيه العربي بن محمد بن العربي الادوزي وسيدي المحفوظ الادوزي ، وسيدي الزبير البوعمراني ، وسيدي الحسن بن عبد الرحمن الاكراري والفقيه الحسن العفياني ، والفقيه محمد اعمو التيزنيتيان هؤلاء وءآخرون قضاة يفصلون القضايا الشرعية وعلى رياستهم الفقيه المحفوظ الادوزي . وقد حكى لي الفقيه العفياني التيزنيتي انه كانت له دالة على مولاي احمد فدخل عليه في هذه الايام التي علا فيها كعبه فقال له كيف انت ؟ فقال في امر عظيم فقد نفست السيدة ولا اجد ما انفق فتبسم فامر له بخير كثير من كل نوع وحكى لي ايضا انه دخل عليه ايضا فسامته والمجلس حافل فصار يحرك السبابة والابهام يشير الى الدراهم يفعل ذلك في حجره وهو ينظر اليه من غير ان يراه احد . فتبسم فأعطاه ثانيا قال وسألني مرة محمد بن عبد العزيز - وكان من انقى الناس كثيرين من هؤلاء السادة الصحراويين ولا يكذب منهم للدعاية الا قليلون - اصحيح انك تأخذ من الخصوم في النوازل ما تأخذه ؟ فقلت له نعم فقال ان ذلك حرام فقلت له ان اولادي تحل لهم الميتة ومن اين المعيشة ؟ نعم ان جعل لنا اميرنا مئونة كافية فاننا نكف عن ذلك فقال اصبروا حتى تفتح المراسي لسيدنا فقلت له ان المصارين المتعودة للعشاء والغداء هي التي لا تعرف الصبر فقال سارد الامر الى سيدنا ثم استدعاني الامير فجرى ذكر ذلك فقال لي مولاي احمد خذ ما كنت تأخذ فاني قد اذنت لك ومن هذه القضايا تعرف نواحي من سياسة هذا الامير الجديد، من المساهلة للاخذ بزمام القلوب .

في طريقه الى الحمراء

جاء القائد حيدة فتسمى كبير المحلة والقائد العربي الضروري فتسمى العلاف وكان اعرابي يسمى الطيب هو الامين الكبير وقد خلف الهيبة اخاه الشيخ النعمة على تزيت وعلى كل القبائل الجنوبية فخرج مولاي احمد ءآخر يوم من رجب او اول شعبان فكانت منازلها الى ان دخل مراكش 14 منزلة وفي كل منزل يمون اهلها المحلة . والعام مخصب والخير

كثير - والناس في فرح وبهجة عظيمين وقد انتشوا بنشوتين نشوة الدفاع عن الوطن ونشوة الملك الجديد الذي في ايديهم . وقد تراءى لهم العالم كانه في اكفهم مطويا ، وفي كل مبيت تفرق المئونة حتى يكتفي الناس . من كثرة ما يقدم الناس عن خواطرهم بلا ازعاج وكثيرا ما يأتي الناس باواني مطبوخة من خبز وطواجين وكسكسو وادام والجيش جراد منتشر وقد انضم اليه كل من اراد ان يعيش تحت ذيل الامير الجديد ثم سار الناس في امرن وطمانينة ونظام في الجملة ، لان من وكل اليهم حفظ النظام قد مروا على ذلك في المعسكرات المخزنية . فكان الناس لا ينزلون الا حيث انزلوا تتقدم الاثقال والفساطيط فتنزل اولا ثم يأتي الناس بخيلهم ورجلهم بعد ذلك وقد نظم حيدة ذلك بقدر امكانه وقد سألت بعض من هناك اذ ذاك فقلت له الم يكن لصوص ؟ فقال ان الناس لهجوا بكرامات مولاي احمد حتى انه لمخوف في شربة ماء . لو نهى الناس عن شرب الماء . فقد كانت تلك الايام كأنها ايام نزهة من كثرة الخير والامان والاماني المعسولة التي يتذوقها الناس سمعت من شيخنا سيدي سعيد التناني رحمه الله يقول اكثر الناس اذ ذاك في كرامات مولاي احمد . واما انا فلم ار من ذلك الا واحدة ان كانت تعد له كرامة . وهي فقدان الذباب في المعسكر من لدن خروجنا من تزيت الى ان دخلنا مراکش . مع ان الفواكه واسباب الذباب موجودة

اما اسماء المنازل التي نزلوها اذ ذاك فهي هذه كما املاها من يعرف الطريق وكان في الجيش اذ ذاك - وعليه العهدة ان وقع فيها غلط ما - .

1 - اتبآن في ضواحي تزيت .

2 - فوق وادي ماسة . وهنا وقعت واقعة وذلك ان بارجة ظهرت امام اكادير فارسلت قنابرها عليه . الا ان الله حفظ اكادير ، ولم يصب فيه الا صبيان اثنان ، فبادر الهيبة فأرسل نحو اربعمائة من الفرسان الى اكادير تحت قيادة الحاج مسعود بن ابراهيم البعقلي ثم لم يحاول من في البارجة الخروج فرجعت . ثم تابع الملك الجديد سيره . ولا ريب ان الخوف من مهاجمة البواخر في ساحل حاحة هو احد الاسباب حتى تنكب طريق حاحة الى طريق امنسكروض .

3 - ادا ومنحمد بهشتوكة

4 - الاثنين باولاد التيمة بهوارة فوق وادي سوس وهناك استاذن عليه شاعر حضرته ابو محمد سيدي الطاهر الافراني بهذه القطعة . لقضا: غرض يحتاج اليه :

يا خليفة ربه يا مجير الدين يا خير من اتى الوفد بابيه
ان بالباب عبدك الخادم الطا هر يرجو اللقا لينهي خطابه
فعلبك السلام يا ملك الار ض وبحر الندى وبدر الغيابة

وكان يوالي عليه من القطع والقصائد في طول الطريق وفي وسط الحمراء
ولكن غالب ذلك ذهب مأسوفاعليه يوم الهزيمة . فالقى السوسيون كل مامعهم من
متاع وزاد حتى القى الاديب ما معه من مسودات ادبياته ، وهذه القطعة
نفسها مما ذهب لولا ان واحدا من رفقاء الاستاذ يسمى (أومحمد) قد كان
حفظها فأملأها في الرجوع فكان (اومحمد) سبب تخليدها فليخلد اسمه
معه . قال الاستاذ سيدي محمد بن الطاهر ابن شاعرنا هذا انه ذهب في
ذلك نحو 500 بيت وفي بعض هذه المنازل جاء باشا تارودانت وهو كابا من
العبيد المخزنيين

5 - امسكروا وض . وهناك امر الامير القائد سعيد بن محمد
الباطي بأن لا يرافقه تنازلا عند رضا المجاطيين الذين اعلنوا انه لا يمكن ان يضمه
مهم مجلس . ولا يقرنه معهم قرن . وهناك ايضا استدعى الامير الاخ محمد
فطلب منه ان يتخبر مع قبيلة اداوزيكي ليفتحوا الطريق للجيش
طلب منه ذلك لما اخبر به من ان تلك القبيلة كان عندها الشيخ الالفي مقدسا .
ثم قال للاخ انك رئيس تلك القبيلة منذ الآن فجرت المخابرة فأسرعوا الى
الاجابة واطهروا كل النصيحة حين سمعوا انهم افلتوا من قبضة القائد
التوكي وخلفائه الذين كانوا منهم في مغارم اثر مغارم

6 - اسيف ييج ويحسب من ادا وتنان وقد بادرت ايضا هذه
القبيلة التي ما كانت تعرف الا العصيان دائما للمخزن الى الدخول فيما دخل
فيه الناس ، وكذلك كل تلك الجبال من ادا ومحمود وغيرهما وقد اخذ
الناس شبه سحر فتهافتوا للمثول امام الامير الجديد ولم يتخلف احد
للنصرة الوطنية التي تحركت في كل القلوب وللنخوة الدينية وكرهية الاستعمار .

7 - تيمزجاد يوين في اثناء قبيلة ادا وزيكي ثم اهتز الحوز كله
باخبار الهيبة وقام الناس وقعدوا ، واستطال المحكومون على رؤسائهم من
القواد الكبار ، وقد طرق اذانهم ان هذا الامير ينادى ان لا قائد على احد
فتفتحت عيون العامة وجاشت قوى القواد ولولا خوف القائد المتوكي
من العاقبة ولولا انه يخاف ان ينبز بغير الاسلام ، وهو ما لا يرغبه لنفسه بعد
تظاهر بالصلاح وحب الخير ، وعلان شأن القرعان والعلم وذويهما . لولا

ذلك ما امكن للهيبة ان ينحدر من ثنية امي تتأثوت ، ولكن رأى الناس كلهم
قد التفتوا الى تلك الجهة . فلفت عنقه معهم مرغما ولا يعرف ما يصنع
الا ذلك ، وهو يرى عيانا انه لا يمكن ان يعتمد الا على قبيلته متوكة وحدها ،
واما سواها من القبائل التي استولى عليها فقد اشرابت الى الانفلات من يده .
ورأى ان السياسة تقضي مماشاة الحال الى ان يظهر كيف هذا السيل
المتموج من جهة سوس . وقد سبقه صدى هائل مقيم مقعد من الاخبار عن
قوة ملحوظة ، وغير ملحوظة . وقد راعه ان يتفق كل عال سوس هذا الاتفاق
الغريب . ثم هو ايضا بدوره من الذين يرون ما يرون في الدار البيضاء وفي
غيرها من الاحتلال ثم الحماية وقد رجع وشيكا من فاس بعد ما عانس من
ضعف الدولة الحفيفية ، وخصوصا بعد توقيع الحماية فبهذه الاسباب
وعشرات من امثالها رأى ان لا يقف صخرة الوادي في وجه هذا السيل
الطافح لئلا يكون اليوم عرضة للالسن ، وغدا عرضة للعنة التاريخ وللرجل
حقا غير اسلامية لا تنكر وقد كان ارسل اولا جواسيسه الى تزيت حتر
كان على بينة من امر الهيبة ، وذلك على يد مولاي احمد من آل الشريف
الهشتوكي ولذلك تريت فانساق مع الواقع فأوعز الى خليفته العربي
فلاقى الهيبة في هذا المنزل - تيمزجادويين - فقدم الهدية وادى الطاعة
ثم وقف مع قبيلة اداوزيكي ليكون هو الدافع للمثونة لانها محسوبة من
قبائلهم فقاومه رجالات منهم فصارحوه الشر فانكمش ثم ان هذا
الذي صنعه المتوكي غاية ما عليه . وكل ما يطلب منه . فهو ثاو بمراكش مع
اقرانه من اساطين قواد الجنوب ولا يمكن له الا ان يرسل احد خلفائه
فها هو ذا الخليفة العربي قد ادى عنه الطاعة . فكان يجب ان يهتبل به . وان
ترعى له حرمة وان ينزل منزلته التي ينزلها ولكن بعض الاعراب
الفوضويين الذين لا يعرفون الا ان يسكروا فيعربدوا من الرشقة الاولى من
هذه الكأس . قد ساموا العربي باهانة عظيمة ما كان ليخنع لها لو كان يجاز
الى غيرها من سبيل . فقد صار السفهاء من الاعراب يقابلونه بالشتيم وجهها
لوجه وينادونه بلقب (المصوبن) اي الراضي بذمة غير المسلمين مع سب
عنيف ، والزيكيون والبَنَسِيرِيُون ينظرون ويسمعون فيشمتون به لانهم
قاسوا على يده ما قاسوا حين كان يحكم عليهم خليفة تحت يد القائد عبد الملك
المتوكي والخليفة العربي اشجع رؤساء متوكة وما كان ليطرق اطراف
الشجاع لو رأى مساغا لنابيه وهل هذه السياسة من الاعراب الا سياسة
خرقاء فاسدة ؟ وهب ان ذلك من السفهاء فقط فأين السلطة العليا اذن
او ليس ذلك من الادلة الواضحة على الفوضى ؟

8 - ثم في قبيلة اتينسيرن

9 - ثم في امي نتانوت وهنالك قدمت قبائل حوزية طاعتها منها قبيلة كدميوة وقد قدمت للاخ فرسا فتقترح ان تكون منضمة اليه كاد اوتريكي فمن تلك الثنية اطل الهيبة وجيشه الى السهل الافيج في الحوز وما وراءه وهيئات ان يطوى تلك البسائط ويستولي عليها من لم يجل جولة الابطال . ونحن نتذكر الآن تلك الرسالتين اللتين كان الثائر ابو محلى والشيخ يحيا الحاحي تراسلاهما في (امي نتانوت) ثم فصلت القضية بمبارات الاسنة وصفائح الصمصام ، حيث لا تفني العبارات المنمنمة بالاقلام فان كان ثائر اوائل القرن الحادي عشر الشجاع سقط في احواز (جليز) فسرى من ثائر اوائل القرن الرابع عشر ذي السبحة والتميمة كيف يكون في احواز (جليز) وليس بيننا وبين 25 من رمضان الا شهر فقط فنشاهد الواقع ماثلا بين اعيننا - ولا جديد تحت الشمس فالوقائع تشابه ان كانت اسبابها ومقوماتها من وتيرة واحدة

10 - في السباعيين ازاء دار القائد ارعاً وقد كان تقدم بطاعته

الى الهيبة ، وقد استبشر هو وقبيلته بهذا الامير الصحراوي الذي سيجدعون به رغما انف المتوكي الشلحي الذي هو عدو السباعيين الوحيد وقد كان لهذه القبيلة تعارف كبير مع آل الشيخ ماء العينين وكثير من العلماء السباعيين قد اعتنقوا الطريقة المالعية من قديم ولذلك ابتهجوا من اعماق صدورهم حين تلقف ولده الهيبة الصولجان وتسلم الامارة يرون من ذلك امانى معسولة كانوا قبل يتذوقونها من بعيد تخيلاً ، ولهذا مال الامير وجيشه فنزلوا في ذلك البسيط . وتنكبوا طريق القاهرة فمروضة مع انها اسهل واطل باشجارها ، والوقت صيف شديد الحرارة الى الغاية ، وقد ارسلت ساقية ماء من وادي القاهرة نحو منزل الجيش ازاء دار القائد ارعاً ولكن لم يصل الماء الا بعد ما مضى هزيع من الليل وقد قاسى الناس من عدم الماء شدة ولاقوا عنتاً وقد سمعت ان الخليفة ابو السلام المتوكي تلقى الامير مبايعاً في هذه الدارة

11 - في مزوضة تيامن الامير مع جيشه في اليوم الثاني الى الدير الذي يوجد فيه الماء حتى نزلوا دار القائد هناك وفي هذه الليلة رئي هلال رمضان وقد هنا شيخنا الامير بدخول رمضان بقوله

ايا شمس الضحى يا بدر تم
ويا ملكا أعز الدين عزا
ويا من جوده جود ورؤيا
هنيئا بالفتوح اتتك عفوا
هو الشهر العظيم القدر تعط
فكم من رحمة تنهل فيه
وكم من جنة تجلى وجن
فشهر الصوم حصن الله يغني
ومن ينهك حماه ولم يصنه
فما رمضان فى الازمان الا
يفيخ بفضلله قوما لنصح
ادام الله سعدك يا اماما
تطيع لامره الميمون طوعا
ولا زالت صوارمك المواضي
عليك من التحية ما يباهى

ويا غوث الورى يا سيف عزم
افاق به الهدى من غشى هضم
محياه المنور خير غنم
على قدم الرجاء وشهر صوم
سى المنى فيه ويمحى كل جرم
وكم غيث من الافضال يهمى
يفل وكربة تكفى وهم
ويقنى من يعظمه ويحمي
رمته اسنة تدمي وتصمي
كمولانا لى نفع وحطم
له ويحل تقمته بقوم
احل الدين عزا فوق نجم
وكرها فرقتا عرب وعجم
تصيب شياطين الاعداء برجم
ذكى الورد والمسك الاحم

وكذلك هناك الفقيه الرفاكي بقافية اخرى توجد فى ترجمته بين
الاجرارين فى (القسم الرابع)

وحكى لى القائد محمد المزوضى الذى هو القائد هنالك اذ ذاك ان
الهيبة ما كاد ينزل من ايمى نتانوت حتى تمشت الفوضى ، وتتابعت المناداة على
الرؤوس انه لا قائد ولا رئيس . فلا تسل عما وقع فى الناس . واما كل من
كان قبل ذلك رئيسا فانه اصبح فى حرج شديد وخوف على نفسه وماله .
وهذا هو الفساد بعينه ولكن مقصود الهيبة ان تفرح به العامة وان تكون
فى صفه فيبقى الرؤساء وحدهم وقد صح له ذلك اياما ثم تعجلت بلوى
الفوضى فأصبح الناس فى خوف ونهب الى ان جرف ذلك من مع الهيبة
نفسه

12 - فى فرّوجة نزلوا هناك فى هذا اليوم الاول من رمضان
واما مربيه ربه فقد وصل مراکش وفتحت له ابوابها فدخلها

13 - تاصفصافت هناك لاقاه رؤساء مراکش والقواد الكباد

منها كما سنبينه وهناك سمع من مع الهبة ان المراكشيين بايعوا احد ابناء
مولاي رشيد فقال رأيهم قريبا فقال شاعر الحضرة الافراني

قد قام نجل رشيدهم	لكن تخطاه الرشيد
فما قام يوما او اقل	فلم ينل ما قد قصد
فذكرت بيتا مفردا	فيما تقدم قد ورد
ما قام عمره وفي الولا	ية قائما حتى قعد

وهذا الذي سمعه الشاعر ومن معه كذب لا اصل له قطعا فلم تحاول
بيعة احد في مراکش اذ ذاك وانما حاول عسكر قليل مقاومة ثم انضم الى
الهبة بعد ما ثار على رؤسائه

14 - صهرج البقر

15 - مراکش .

هذه هي المنازل التي نزلها الهبة من تزيت الى مراکش كما حدثت بها.

كيف فتحت مراکش ابوابها بهذه السهولة ؟

حكى لي باشا مراکش اذ ذاك سيدي ادريس منثو قال كان القائد
المدني الاكلاوي هو الصدر عند السلطان مولاي عبد الحفيظ منذ بويغ وكان
عيسى العبدى وزير الخارجية والمتوكي وزير كذا - ولم استحضره على
التعيين واحسبه المالية - ثم سافر السلطان فوق ما وقع حتى نزل
بفاس . وقد هرب منه القائد المتوكي من وادي ام ربيع . وبعد زمن جاء القائد
المدني الى مراکش ليشارف امورها ، وليطلع على الباشا الحاج التهامي رئيس
الحمراء ثم لما اندحر الجيش العزيزي في الرحامنة وتمهد الجنوب وقد
راجع المتوكي الطاعة الحفيظية بعد ما صاحبه القائد المدني الى فاس فسد
ما بين السلطان وبين الوزير المدني بسبب ثورة البربر على السلطان وقد
نسب له سببها لما يسومهم به بعض كتابه من المفارم فرجع القائد المدني
معزولا الى مراکش ثم ندبني انا السلطان لاتوصل بسلطة الحمراء كلها
وقد جعلني باشا الحمراء وكبير القواد في الجنوب وفوض الي وعزل
الباشا الحاج التهامي ثم وقع السلطان الحماية فبدا للسلطان ان يرجع

الباشا الجلاوي الى رياسة الحمراء بسبب وساطة بعض رجالات الحماية
فقاومت انا ذلك لانني لم اتوصل برسالة سلطانية الي وقد
عرفت ان السلطان مغلوب على امره ولما بيني وبين الوزير المدني وصنوه
الباشا من شئنان قديم عاندت في الامر معاندة المستميت المخاطر وفي يوم
جمعة اعلمت بأن الباشا سيقرا ظهير توليته على الحمراء فاستعددت
واوعزت الي المساجد ان لا يقرأ فيها شيء . فبقينا في هذه المشادة الجنونية .
ونحن نسمع بأن السلطان يتزلزل عرشه ، ولما بيني وبين السلطان عبد الحفيظ
من الاخوة وحق التربية ءاثرت المغامرة حتى اسقط كسقوطه قال وفي اثناء
هذه المشادة قام قنصل الدولة الحامية ضدي واعترف انني كنت اعامله
معاملة غير حسنة . على حين ان ما بينه وبين الاجلاويين متلائم الى الغاية .
فكنت اتردد في ارجوحة الله اعلم بها وكنت مع انضمام قواد الحوز الي .
والقائد الناجم الرئيس على بعض قبائل الحوز عضدي الايمن وهو ما هو
بسالة وقوة والجند السلطاني تحت يدي اشعر بضيق شديد وقد
اكفهر الجو في المغرب كله . حتى لا يدري امثالي ممن لم يتخذوا قبل يدا عند
رجالات الحكومة الحامية ما ياتون ولا ما يدعون . ثم اننا - ونحن في هذه
المشادة الجنونية . ومراكش كأنها سفينة نوح - شيع متنافرة . فهناك الاجلاويون
في جهة وانا ومن الي في جهة اخرى والقائد المتوكي من جهة اخرى يتلون
تلون الحرباء . ونحن كمن على الارجوحات المتعددة وقد بدأت الفوضى في
القبائل الحوزية ودب الخوف الى كل قلب ، وفي اثناء تلك الدياجير طرقتنا
ما طرقتنا من ثورة الهيبة . فكان امره اولا مما نستهيئ به . ولكن لم يمض شهر
حتى ملأ كل قلب وغمر ذكره كل اذن ثم سمعنا انه قادم فبينما نحن
ينظر كل واحد في نفسه وفي شيعته اذا بالقائد المتوكي قدم اليه خليفته
العربي بالطاعة فكانت اول خيط في الاحبولة التي سنسجها
بارادتنا وغير ارادتنا وقد كنت مرة وراء باب في داري فسمعت اصحابي
يقولون ابحسب الباشا اننا نقاتل معه السوسيين المجاهدين ؟ فلا والله
لا نمد اليهم يدا ثم دخل الفشل في شردمة عسكر كان تحت يدي فتملص
من ربة النظام ولما كان بيننا نحن الرؤساء الساكنين بمراكش ما بيننا من
التفاقم صار كل واحد منا يتربص بالآخر حفرة يلقيه فيها اية كانت فاشتد
فيما بيننا الحذر الى ان وصل بنا ذلك الى الوسوسة . ثم لما نزل مربيه رب
في الصفصافة في باب مراكش تلاقينا معه في يوم شديد الحر ونحن لا يمكن

لنا الا ان نماشى الوقت لما بيننا اولا من الخلاف ولما لابس العامة كلها من
الدعاية الحافزة الى الجهاد والى الثورة قال : ثم ان مربيه ربه طلب ان
يدخل الى القصبة فأشرت عليه ان يبقى خارجا ومقصودي انا في ذلك
شيئان اولهما نصيحة له ولامره ان اراد ان يمشي بها في طريق مستقيم
وثانيها ان كل الديار المخزنية بالقصبة السلطانية قد امتلأت بالشريفات
وبخدمهن ، وامرهن موكل الي ولم يدعني ضميري ان يبتذهن مبتذل
ثم لما رجعت من عند مربيه ربه ارسل الى الخليفة السلطاني مولاي ابو بكر
نقيق مولانا عبد الحفيظ فوجدته والبندقية في يده غضبان يزفر نارا
فيقول ان هذا الانسان اراد ان يدخل داري وانا فيها فلا والله لا يطأها حتى
يطأ على جثتي . فقد ارسل الي الآن بذلك وقال انه قادم ، فهدات ابا بكر
فخرجت فاذا بمربيه ربه قد دخل في خيله . فقلت له ان هذا غير لائق
فالرجل الآن في داره . ولا بد له من وقت ينقل فيه امتعته . ثم قلت له مل
بنا الى هذا المحل . فادخلته الى قبة فأرسلت اصحابه فأتوا بسرعة من
داري بالفراش وبما افطر به من الحريرة والاطعمة المهيأة ، والمغرب قد اظلت .
فتركته هناك نازلا ثم جرت على الخليفة ابي بكر فأمرته بعد ان يفطر ان
ينهاى لدار عينتها له جميلة فأرسلت اصحابي فنقلوا متاعه ويعلم الله كيف
مضى عنا ذلك النهار وقد سبق في وسط النهار أن جرى الى جار
فأخبرني بأن خيلا دهمت اجدال للنهب لان الفوضى التي اثارها الاعراب قد بدا
قرنها . فيترامى اللصوص على الناس في وضح النهار فاسرجنا الخيل
انا واصحابي في حمارة القيظ . فأسرعنا حتى رددنا بعض المنهوب والنهار
من الحرارة اتون مسجور ثم لم نكد نستريح حتى جاءنا شاغل آخر ممض
وفي العشي جاءنا امر هذا الاعرابي الذي يحلم بالمبيت على ارائك الملوك ثم
لا يسمع ولا يبصر ، وهو مع ذلك لا يعرف للسياسة معنى - هذا ما قاله
احكيه محافظا على عبارته - .

قال ثم لما نزل الهيبة في تصانفصاقت اجتمع من بمراكش من القواد
الكبار على ان يخرجوا دفعة واحدة مجتمعين بعد ما راوا الناس كلهم عن
آخرهم لم يتخلف احد منهم بالمدينة فقلت لهم يا اصحابي انني سألقي
اليكم كلاما فيه منفعة عامة . اياكم ان دخلتم على هذا الانسان ان تقابلوه كما
كنتم تقابلون الملوك باداء التحية الرسمية - التبندقة - وانما تصافحونه

لا غير قال : فخرجت مع القائد المدني ، والباشا الحاج التهامي ، والقائد عبد الملك والقائد العيادي ، وءاخرين في موكب كثير عظيم ، فلما وصلنا اذن لي بالدخول لان لي اذ ذاك التقدم بمركزي فمددت يدي اليه . فقلت اهلا بسيدنا الشيخ الهيبة ناديته كما كنت ءالف ان اناديه به وصافحته كما كنت ءالف ان اصافحه ففرح بي ثم صار يتكلم معي واصحابي القوار واقفون خارجا فقلت له لا ينبغي ان نجلس هكذا وهؤلاء كبار الحوز وعظماء مراکش واكابر الناس واقفون خارجا فأذن لهم في الدخول فراعني منهم ان يندقوا كلهم كما كانوا يحيون الملوك العلويين فرأيتهم يلحظني شزرا ، وقد ادرك انني من بينهم المخالف لما ينتظره منا ، فعلمت انا اذ ذاك ان هذا امر تدبر بليل ضدي ، ولكني لا ابالي لانني ما قدمت عليه حتى ارسلت لاخواني الهشتوكيين ومن بينهم الحاج الحبيب الفقيه الشهير فقلت لهم انني لا ادخل في يد صاحبكم الا اذا ضمنتكم انتم ان لا ينالني منه سوء فحادثوه في ذلك واعلنوا له انني واحد منهم فان مست مني شعرة ولو باهانة او كلمة تسوء . فان كل الهشتوكيين سينفضون منه ايديهم . ويناصبونه العدااء . صارحوه بذلك علانية . فأعلن انني لا ازداد عنده الا مقاما عليا ، ومكانة فوق مكاتي التي انا عليها فبهذا تمكنت في نفسي فلم اخف منه . ولا اوجست من نفسي نحوه شيئا وانا اعرف الناس بخور عزائم امثاله من ابناء الزوايا في ظل السبح والاحترام المصطنع - هذه عبارته احافظ عليها وهو يتحمل عهدها - قال ذلك اول ملاقاتنا بالهبية وقد حثنا على الجهاد ونفض اليد من الاجانب . وقد كنت انا ارسلت كل الاجانب التجاريين وغيرهم الى ءاسفي قبل وصول الهيبة بيوم ، ولم يبق الا سفير الدولة الحامية . او عزت اليه دولته ان لا يخرج من مراکش . وان كان ما كان وقد ابى ان يسافر معهم فتأواه مع اصحابه القائد المدني واخوه الباشا الحاج التهامي - وسنرجع الى اتمام ما وقع حول ذلك - ثم ان قائد المعسكر الاعلى القائد حيدة حدث انه حين عاين هؤلاء الاكابر في حضرة الهيبة اتصل به ، فقال له انني الآن سأبدل لك اعظم نصيحة عليها وحدها يتوطد امرك فاما ان تقبلها واما ان تردّها ان اهل سوس حين اوصلوك الى هذه البلاد تمت مهمتهم ولم يبق من قوتهم ما ينفعونك به عرفت ام لم تعرف فانهم امام اهل الحوز كالدجاج في السلة لا يبدئون ولا يعيدون . فان اردت تمام امرك . فعليك الآن بهؤلاء الذين رأيتهم فتقد بهم قبل ان يتعشوا بك ، فقد رأيت ما صنعوا باولاد مولاي الحسن فكيف تأمنهم عليك بعد ذلك

فوض الي فيهم الامر ، فلا تعرفهم الا معتقلين تَفْذِبُهُم البغال الى قنة من قنن الجبال الشامخة بسوس . فاذا ذاك يمكن لك ان تصطنع من هم اقرب الى نصحك . فأوعز اليهم متى جاءوك ان يبيتوا عندك ، ثم لا عليك وراء ذلك . فقال الهيبة (امان الله عليهم هم مسلمون ، وما كنت لاغدر المسلمين وهذا ختل وخديعة) هذا لفظه رحمه الله نسجله كما هو للتاريخ . قال حيدة فقلت له في نفسي . لو اردت ان تسلك هذه الطريق لما ولجت هذا الباب الذي ولجت . وهل تتم الامارة الا بالحزم والعزم وبكل ما يقتضيه الحال من ختل وقتل - وكأنه ينشد له :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

قال سمعت منه ما قال ، فعرفت ان الرجل على وشك الوقوع في الحباله ، فنفضت منه يدي النفض الاخير فصرت اتطلب لنفسي المخارج فاتصل بالجانب الآخر

قال الباشا منو فاوضني الهيبة في الدخول الى القسبة فقلت له لا والله ليست هذه سياسة فان كنت جيئت الى الجهاد في الشاوية فسر اليها واياك ان تدخل فيفسد امرك وتسعى في عاقبة وخمة فقال لابد لنا من الدخول . وكان مقصوده ان يدخل ليقع على بيوت الاموال ، وانا ادري ان لا بيت مال هناك فرجعت فدرت بالديار التي فيها الشريقات فغلقت ابوابا بالبناء عليها من الخارج وسددت النوافذ لئلا يجد طلاب الفسق اين يطرقون . فاوعدت عبيد الدار ايعادا شديدا ان وصل الى من في الداخل احد . ولو كان ما كان الا عن اذني كررت عليهم ذلك مرارا

في وسط مراکش

راى الهيبة ما راى من تفجر كل من بمراكش اليه بقضهم وقضيضهم وهو رحمه الله لطيب سريره اذن لكل ما يقال له . فاما آل سوس الذين كانوا الحجر الاساسي في امره . فقد تناساهم منذ اتصل بالقواد الحوزيين الذين يوالون اليه من الهدايا ما يبهره فقد كان السوسيون يألف منهم هدايا قليلة كالتين اليابس وحفئات اللوز ، وربما مثل حفنة الجراد والآن وصل لبلاد الثروة ولرجال الاطماع فصار كل قائد او شيخ متطاوّل الى قضاء غرض يفمره بآلاف من الريالات بله الخيل المطهمة والسروج

الغالية وهو يعد كل واحد بقضاء غرضه كالقائد اِرْعَا مثلاً يتطلب مركزاً عظيماً في امارته يعلو به شأنه شأن المتوكي والاجلاويين ، وكالقائد عبد السلام البورنوشي يزدلف اليه لنيل القيادة على كل الرحامنة وكرجالات كثيرين امثالهما يفيضون عليه سيلاً مفعماً يتطلبون الانتقام من القواد الكبار كالمتوكي والاجلاويين وامثالهم على ان القائد المدني الاجلاوي سلك ايضاً ذلك المسلك ، فكان في كل يوم يقدم هدية خاصة للامير ولحاجبه ولحاشيته حتى ملك القلوب . فاستطاع ان يتصل بما ينوئ فيه وفي امثاله من الاسرار فبهؤلاء وبملاقاتهم والتوصل منهم بثألاف مؤلفة من الدراهم اشتغل منذ نزل من اُمِّي نتانوت لبَسِيْط الحوز فبقى كل من وراء تلك الثنية الى وادي نول نسيا منسيا في باله - على ما يقوله الناس - الا ما كان من الاعراب الصحراويين فهم الكرش والعيبة وارباب الشورى واهل الامر والنهي ، والمتقدمون في كل شيء . والمنعم عليهم بنعم دارّة لا تنقطع . ولو كان الاعرابي حديث العهد بالاتصال به ، هذا ما يحس به السوسيون ويدركونه من الهيبة . منذ نزلوا من اُمِّي نتانوت . ولا يوجد منهم من يعذره ويحمل اعماله هذه على محامل حسنة وسترى مغبة هذا الاهمال وعقبى هذا التفاقم بين الامير والسوسيين . فما هو ذا قد اتصل بعد السوسيين بمثل ادريس منو والاجلاويين والقائد المتوكي والعيادي ومن اليهم

قال الباشا منو هكذا عزم الهيبة على ان لا يبقى خارجاً وهو يصيح لمن يقولون له . انك ان لم تستحوذ على مراکش بدخولها فلا يومن عليك خارجها . وقد القى ظهرياً ما اشرت به عليه حين قلت له يجب عليك ان تبقى خارجاً ومعك اصحابك وقد انتظم كل من معك في جيشك ازاءك حيث تراههم ويرونك اما اذا دخلت فستكونون متوزعين في نواحي المدينة الواسعة فتفرقون فيها حتى لا يحسب لكم حساب فيمكن ان يتلاعب بكم جميعاً من حيث لا تشعرون ، ولكن لم يتبع ما اقول له لانه يتهمني وهو - وان اتهمني بحق لانني ما دافعته الا عن الدخول على الشريفات في دار المخزن - لقد القى مع ذلك وراءه من رأيي ما هو الاجدر له ان يتبعه لو كان مفكراً يقرأ العواقب من العناوين ولكن الرجل فائض الايمان غائض السياسة

صاح صائحته فتحمل الى القصبة فازدحمت الابواب باصحابه يدخلون ايضاً الى ظلال الجدران الوريقة ، والحرارة شديدة الى الغاية . والشهد

بهر صوم فاحتل الهبة القصبه فسأل عن مخزن الزرع قدلته على
(أمراس) القمح الهائلة التي بقيت من أيام مولانا الحسن مصونة فجعل
عليها أصحابه يفرقها في الناس ثم نزل أصحابه في جميع الديار الخاوية
المنسوبة للمخزن حتى تجاوز الأعراب الحد . فيريدون أن يستخرجوا
الناس من ديارهم ليسكنوا فيها ولكنهم أزاء تصلب الناس قد يقنعون
بديارهم معدودة ثم يرجعون . وكذلك ظهرت منهم أمور في منازلهم غريبة .
وقد نزل التزبتيون والآخر محمد وأعراب كثيرون في الباهية . وقد حاول
الأعراب مد فساطيطهم في باحات قصورها . كما اتخذوا منها القباب المزخرفة
مطابخ يوقدون على الفسيفساء ويسودونها بالدخان ونزل القائد المدني
الأخصاصي في الدار التي كانت دار البلدية أخيراً في جامع الفناء وسواد
الناس في الفنادق وديار الكراء في أكدال ونزل سيدي الطاهر مع سيدي
البشير الناصري في زاوية الشيخ ماء العينين في (رياض الزيتون) وهم
الموسيون الذين لا يعرفون مثل تعدي الأعراب وجل الأعراب في
فساطيطهم في أكدال وتلك الباحات الفسيحة أمام بو الخصيصات وحوالي دار
الخزن هكذا دخل الكل المدينة ففرقوا فيها كما يقع لنهر هائج
السيول اندمج في البحر المحيط فانه يفقد حتى لا يحس به . ولا يحسب
له حساب .

قواف جديدة في الأمير

قال شيخنا سيدي الطاهر يهنيه باحتلال المدينة :

مست سعاد فئذنت بوصال	وشفت فؤادا بالوواعج صال
ذوقت بما وعدت وكانت قبل ذا	موصوفة بتمنع ومطال
رأت اليك خريدة تسبي النهى	مختالة بجمالها الختال
غمضاء ان سمرت فبدر طالع	حسننا وان لقت فجيد غزال
قد كحوط البان رنحه الصبا	قد صاغه ماء الشباب الحالي
تند النواظر عقلة المستوفر الـ	شحشاح وسواس الفؤاد الخالي (1)
بهنانة مهضومة وردية	الوجنات مسكية اللمي والخال (2)

(1) الشحشاح : فسر بالمواظب وبالفيور .
(2) البهانة : الضحكة الخفيفة الروح

اما سعاد فوصلها سعد كما
بقيام مولانا امير المومنين الهيب
سر العلا ابن الشيخ ما العينين من
الفاضل ابن الفاضل ابن الفاضل
شرف كما اتضح النهار وسودد
في همة تعنو لها شمم الذرى
ورزانة لا يستخف جبالها
وشمائل كالروض صافح زهره
وسعادة تحميه او تكفيه او
وندى كما صاب الحيا لا يختشى
وثبات جاش في الهزاهز لا يرى
يحمى الحقيقة عند مشجر القنا
ما هم يوما همة الا وشد
لم يثنه عما يهيم بنيله
لما رأى دين الهدى سامته ايدى
ورأى الخلافة ضعفت اركانها
نهضت عزيمته فدارك ما وهى
وسرى الى الحمراء لامتهيبًا
فتزينت بقدميه وتيمننت
لم انس يوم دخولها المبدى سنا
كم ضم من عز لدين الله او
جيش كمسدول الدجا وقواره
في موكب ضاق الفضاء بجمعه
والمالك البطل الهمام كأنه
مهما دجى ليل القتام جللاه من
وجه كما طلعت ذكاء وعزة
يا ايها الملك الهمام اللذ بدا
المجد مجدك والسيادة قبلة

سعدالز مان بدولة الاقبال
ة البادي السننا المتلال
آل ابن مامين بدور كمال
ابن الفاضل ابن الفاضل المفضل
متناسق كنظام عقد لئال
لا ترضى الا عزيز منال
ماهب من ريح صبا وشمال
كف النسيم معطر الاذبال
تقتاد كل معاند بقسذال
فقرا ولا يعتل عند سؤال
متزلزلا لزعازع الاهوال (1)
ويبين عند تقمقم الابطال (2)
مصمما تصميم سهم نضال
ملل ولا يعرف مس كلال
الكفر بالاذلال والاضلال
ثوب الردى وتتابع الزلزال
منها بعزيمة ماجد صوال
وكلا وليس بعاجز مكال
بوروده الموفى على الامسال
دين الهدى الجالى ظلام ضلال
فخر يجل علاه عن تمثال
ككواكب تحت القتام العالى
متموج بكباكب الابطال
وسط المواكب تبّع الاقبال
اشراق غرته شروق هلال
كالسيف يجلى منه بصقال
متوشحا بجلالة وجمال
لك والوقار كساك ثوب جمال

(1) الهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس

(2) التقمقم : الفرق في الماء .

هنتها مراكشا وحلولها
فامدد يمينك نحو فاس وبعدها
واخطب جميع ممالك الدنيا تنل
وارم المشارق والمغاب كلها
واليكها من خاطر متبلد
بفشي ثناءك عنبرا نمت به
فهليك يا ملك الملوك تحية
ماحن مشتاق وما هبت صبا

متفيئا منها بخير ظلال
مصر فسعدك كافل بمنال
منها القبول فانت اعظم وال
تاتيك عفوا دون نصب قتال
حصر رمته يد النوى بنبال
نسمات فكر في رياض مقال
موصولة الفدوات والاصال
فاشتاق نازح غربة لوصال

وقال بعض السوسيين ايضا في ذلك

مراكش تحنى امامك هامها
ومئصة الدين الحنيف تسل من
فالحق رفر فبنده في حالق
دم صيب الحمرا وصارمها لكى
نالله عونك دائما في رتبة
ما انت الا النور مهما لحت في
نالله ينصر سيدي ويحوطه

وتمد نحو يدي رضاك زمامها
عزمات ملكك يا امام حسامها
شمخت ذراه فترتضيك امامها
ينسى الانام جهامها وكهامها(1)
سعد السعود وراءها وامامها
جنبات أيّ نحا ازلت ظلامها
نصرا يزيد من الجيوش لهامها

وربما كان القائل هو الاديب سيدي محمد التوتلي المتقدم لانه
كان في صحبة شيخنا سيدي الطاهر اذ ذاك وللقيه الرفاكي فيه ايضا
قصيدة تذكر في ترجمته ان شاء الله في (القسم الرابع)

عمل الهيبة واصحابه في مراكش

اهتز العالم بدخول الهيبة لعاصمة الجنوب وكان لصدى ذلك في
الجرائد السيارة ماله ، فصارت الجرائد الشرقية تستكنه النتائج
وتستبشر خيرا ، وقد رأت الامر من بعيد بالمرءة الكبيرة وقد زاد
المفرضون من الاجانب الذين كانوا من الحوافز لهذا الامر طينا غريبا
فوق ما كان في الواقع والبسوا فعل الهيبة هذا حلة اخاذة تستحوذ على

(1) السحاب الجهم : لا ماء فيه . والسيف الكهام لا يقطع .

المشاعر ، وتحسب لهذا الثائر الجديد ألف حساب ، بذلك تصرخ الجرائد على اختلاف لهجاتها ومبادئها فاولئك المفرضون في فرح وسرور يعلنون للعالم ان مسألة المغرب عادت جذعة وانه هاج هيجان البركان ضد الحماية الممضاة بفاس واما الدولة الحامية . فقد قامت بدورها توعد الى جيشها الرابض في ضواحي البيضاء ان يبادر لخنق هذه الثورة في مهدها قبل ان يندلع لهيبها اكثر مما اندلع فصار الجيش يستعد للوثوب الى ما وراء نهر ام الربيع فيتقدم اولا لكبراء مراكش بالمخابرة الاخيرة لانجاز الوعود ووصل الايدي وصلا تلتحق به الحمراء بالبيضاء وذلك على ايدي الكلاويين بمراكش وامثالهم ، ذلك ما يدور في العالم حول الهيبة وهذا ما يروج حوالياه بين الحمراء الى البيضاء . وسننظر ما يدور هو فيه وما يجول فيه هو واصحابه لنذكر اهو من الرجال الذين خلقوا للسمير والبيض ام هو من الرجال الذين خلقوا للمناغاة فوق المنصات للفيد البيض ؟

دخل الهيبة القصة فصار باديء بدء يفتش عن مخازن الدراهم عله يجدها ، فلم يقع منها على شيء فلم ير الا اثاثا ومتاعا وخرثيا وفرشا قد جعل كل ذلك مصونا في الاصونة مودعا في مخازنه كما هي عادة مال المخزن من المحافظة ، وجعل كل شيء مصونا كما ينبغي وللعلويين في ذلك يد غريبة في الصيانة ، كثيرا ما يتحدث بها ربيب نعمتهم الباشا منو ذلك كل ما وجده الهيبة مع الالهراء المملوءة بالسلاح في الامكنة التي دخلها لانه لم يدخل الى الدار الكبرى ثم بهره ماناله بسهولة من تسنم العرش وقد رأى اهل الحضر على اختلاف طبقاتهم يمثلون بين يديه في خضوع والقواد الكبار الذين ملأ صيتهم مسامع السامعين ، يؤدون له التحية الملوكية ، فاراد ان يلبس لهذه الحالة لبوسها فأول ما شوهد منه غلظ الحجاب وقد قام بذلك الدور محمد الامين الموسوم برسم حجابته ، فكان يتجر بالاستيذان فلا يلتقى مولاه الا من ادى صرة متدفقة ينوء دون حملها ، فوجد من القواد المثرين كالباشا الحاج التهامي وصنوه المدني والقائد المتوكي والعيادي والقائد ارعنا وبعض قواد دكالة شرطه على ما هو عليه ، فكانوا وحدهم من يفوزون بملاقة سلطانه واما السوسيون المدقعون كلهم بقوادهم ورؤسائهم وفقهائهم فأنى يرونه ؟ ام كيف يخلصون اليه من تلك الابواب المكتظة بالاعراب المسلحين الذين يرتدون

الجميع وقصدهم ان يشيدوا هيبة في الصدور عظيمة ، وذلك حقا ما في مقتضيه المقام ولكن ذلك عند السوسيين رأي فائل سيء العاقبة ، هذا ما يلاقيه السوسييون واما الاعراب فبالعكس فسرعان ما يذهب اليه منهم ذاهب فيشافهه في الحين ، وقد فتح له ابناء عمه الاعراب الابواب على مصاريعها حكى لي حاك من كبراء السوسيين انه تردد كثيرا لملاقاة الهيبة حتى تيسرت له فاراد ان يساره فالتفت الهيبة الى بعض من معه فخرجوا ، فبقى بعض الاعراب امام الامير وخلفه وعن جنبه حتى ان احدهم استدبره واحنى راسه حتى كاد يمس قذال الامير افي هذا الجو تكون المسارة كما يفهمها صاغية الامير ؟ مع ان الذي يذكره له الرجل تتعلق بامر القواد الكبار الذين يوالون اذ ذاك مؤتمرات اثر مؤتمرات ، بنراءون كيف الخلاص من هذا الكابوس النازل عليهم ففقدوا معه أمناء في نفوسهم وفي اموالهم وفي اعراضهم وبعضهم مثل المدني الاكلوي لا يزال كل يوم يتصل به فصار هذا الحاكي يبلغ كل ذلك الى الامير فاجابه الامير بانه منصور بامر الله وباذنه . فلا يبالي بهم ولا بالمئات من امثالهم . ولا شك ان ما قيل هناك يباع لمن يتجسسون تلك الاخبار ببضعة دراهم من الظامعين الحاضرين وذلك عنهم متواتر وحكى التزنيثيون الذين سافروا معه وقد كان وعدهم بما وعدهم به من السروج الانيقة يوم يدخل مراکش ، انهم مالا قوه قط منذ توارى في القصة عن الانظار وانهم بعد ان تهيا لهم ان ينزلوا بالباهية كان هناك اعراب يختلفون الى الامير فيلاقونه في الحين فتقضى حاجاتهم والتزنيثيون لاملاقة ولا قضاء حاجة وفي يوم ورد اعرابي صحراوي عريان يتكفف فناوله احد التزنيثيين كسوة وفي اليوم الثاني رجع الاعرابي في لباس فاخر وقد لاقى الامير فعلت منزلته بسرعة فقضيت له كل حاجة - فذهب الى التزنيثيين الذين تناول منهم الكسوة امس ، يجازيهم خيرا ويعدهم بقضاء حاجهم بواسطته عند الامير فقال هؤلاء بعضهم لبعض ارايتم كيف منزلتنا اليوم من اميرنا هذا فقد جاء هذا الصحراوي امس وبين عشية وضحاها علا كعبه وشفت رتبته . ونحن الذين اسسنا لهذا الامر من اول يوم قد عدنا فيه اذنا با بعد ان كنا نحن الرؤساء ونقضى نحن فيه الحاج ، اذنا بنا في موقف يقف علينا فيه مثل هذا الاعراب الحديث القدم فيمن علينا ان يقضى هو حاجتنا

فبينما نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة تَتَنَصَّف

فلا والله لانرضى بهذا ولا نقاد ببرة الخسف فاجفل غالبهم
ءائبين بغير اذن الامير من الحمراء الى ديارهم بسوس ، وليس التزنيون
وحدهم من وقعوا في ذلك فانكفأوا الى بلادهم ، بل غالب السوسيين وقعوا
في تلك المهانة فخرجوا من ابواب الحمراء ينشدون ديارهم ولم ينتصف
شهر رمضان حتى خرج كثيرون من عامة السوسيين ، ولم يبق الا الرؤساء
ومن لا يزال يطمع في الخير امام لان الكل هناك في دار غربة وما كانوا
يستندون الا الى اميرهم فاذا سقط بهم مستندهم فماذا يصنعون هناك
بعد ؟ حقيقة يتوصلون من امراس المخزن بالمؤن على مراتبهم في الطريق الى
الحمراء . ويتوصلون بعد ذلك ببعض اعانات اخرى ضئيلة ما داموا يترددون
الى الامين الطيب الصحراوي - وهو الامين العام من تزنيت - ولكن حين
فقدوا وجه اميرهم وارتطموا في الحضر وما هم من الحضر ولا الحضر
منهم وحين صاروا يسمعون ما يسمعون من اعتكار الجو من ناحية
الشاوية وقد راوا ان لافائدة يرقبونها بعدما خاب الظن في الامير تفككت
وحدثهم وانحلت عراهم فتتابعوا زرافات ووحدا الى سوس فامتلا
طريق (امي نتاتوت) بالراجعين بل بالفارين ان اردت صفتهم الحق ،
حتى شيخنا ابو محمد الافرائي قد سئم ونوى الرجوع وهناك رسالة
ظفرنا بها كتبها اذ ذاك من الحمراء الى الاستاذ الالفى المقيم بتزنيت ، يذكر
فيها انه ضيق الصدر يستاذن في الرجوع ، ولو وجد ما يربطه لارتبط ،
ونسى سوس وما اليه . وقد وقع له ذلك في الاسبوع الاول فكيف بما
يليه من الاسبوعين الاخيرين وستعلم من الرسالة امورا كثيرة مما هناك
اذ ذاك نصها

(شيخنا علم الاعلام ، وزينة جيد الاسلام بركة الدنيا والدين وبقية
الائمة المهتدين سيدي ابو الحسن الالفى حفظ الله حوزته من الاغيار
وادام مامنحه من الاقبال في الايراد والاصدار وسلام عليه ورحمة الله
وبركاته سلام عبد متوحش حيران سيم من اعباء البين وثقل الغربة
عن الاوطان هذا وقد وصلت رسالة سيدي فاستفدنا منها مالا نجهله
من اقبال الخليفة عليه واغتباط الخاصة والعامة بمقامه بتلك الحضرة
فنحمد الله على احياء تلك المراسم بكم ، وانتعاش امر الدين المتلاشي

سببكم ثم سلامة الاحوال وعموم الامن ، وشمول العافية للاهل والاولاد
والجيران ، متعنا الله بدوامها ثم ليكن في كريم علم سيدي ان السلطان
النصور بالله دخل مراکش يوم السبت 3 رمضان (1) من غير دفاع بعد ان
خرج من بها من العسكر والكبراء للقتال ، بعدد وعدة فلقى الله الفشل
في قلوبهم ، فاختلفت كلمتهم وخذلهم الله بما اسروا من حب الكفر
ونهب قشالي العسكر ودور النصارى وهدمت وامتلات ايدي العامة
من متاعهم وفرح اهل المدينة فرحا لا يكيف وتلقوا بزينة وابهة ودخل
السلطان في جيش لا يعرف كنهه الا بالمشاهدة فاستقر به القرار ، واطمأنت
الدار . وذل انصار الكفار وفر جميع من بها الا 5 كمنوا بدار التهامي
الاجلاوي الى يوم الثلاثاء ، فاضطر الى اخراجهم فقبضوا وسجنوا بدار
المخزن وسرح السلطان يوم الخميس المساجين الذين في السجن اجمعين .
ثم ان العدو الكافر اذله الله اقتحم بلد الرحامنة ، فاحرق بعض دواويرها
فاستغاثوا بالسلطان فاغاثهم بنحو 1200 فارسا مع خليفة واقتحموا
ايضا بلد دكالة ، فاكلوا دار القائد محمد التريعي وكان ممن يجاهدكم في
الله . ولا يقبل امرهم ، وسلمه الله وخلصه براس طمرة ولجام وهاهو
ينتظر القدوم على الحضرة كما ان حركة حاحة والشياطمة منتظرة ، وقد
بيع لولد لمولاي الحسن يقال له مولاي يوسف بفاس ونصبه العدو
دريئة وقد قيل انه وصل الرباط ، وبالجمل فاعدو قد كلب والله يقى
شره ويكفى المومنين امره والتجسى والكلوي لم يظهر نصحهما
للمسلمين الا انهما مسلوبا الحيلة مبغضان الى قلوب الرعية ، ولا كيد
بهما اصلا واما العبد فمذ دخلنا المدينة ، ضاقت صدورنا وغلب شوقنا
وعرضنا على السلطان ان ياذن لنا في الاياب فتعلل بسرد الحديث
نشغلنا به والله يلطف بنا في كل حال ويحفظنا في كل حل وارتحال
بمنه . ونسلم على انجال سيدي واخوانه وجميع الاقارب والجيران والسلام
رمضان عام 1330 هـ ابناكما الضعيفان الفقير الطاهر والبركة سيدي
البشير امن الله الجميع)

وهاك ايضا قطعة خاطب بها الهيبة وقد ضاق به الحال حين تنوسى
كأشاله

اي وصل امام سور مراکش . واما الدخول الحقيقي ففي الخامس منه

اياملكا سما بفضل وافضال
عليك سلام من خديم احله
تنوسي لا قوت ولا منزل فحل
يريد لقيا المولى لينظر حاله
وينشد شعرا ضم تهنة بما
فقد جاء مرات فحجب لم ينل
على انني ما حلت عن سنن الهوى
فعذرا امير المؤمنين فانما
وازكى صلاة الله ثم سلامه

وفاق بجود واسع الذيل هطار
ترامى النوى ركني خمول واهمال
منزل هون في فضاء بأجندال
ويكشف شكواه بفضل واقبال
تيسر من فتح ومن سؤدد عاز
وصالا سوى ما نال من هدء اوصال
ولا كنت خوان العهود ولا السال
تضايق بي امري فبحت باوجال
على المصطفى المختار والصحب والاز

تلك رسالة شيخنا وتلك قطعته اللتان فيهما ما فيهما فاما ما ذكره
من ان مقاومة حصلت من عسكر خرج بمراكش فلا حقيقة لذلك والامر
كما تقدم وشيخنا يعذر لانه كتب ما سمع وقد رايت انه كان سمع ايضا
بيعة ابن للرشيد وكل ذلك غير كائن واما اختلاف كلمة من بمراكش
فحقيقة وقد ذكرنا ذلك واسبابه كما هي واما وقوع النهب في مراكش
فان ذلك من الفوضى التي تماشي هذا السلطان المنصور بالله - كما سماه -
على ان الفوضى لم تكن حتى احتل مراكش فقامت ببعض الاعراب
الخطافين النهايين فوضى غريبة لم ينسها تجار مراكش الى الآن
فالخبازات يقف عليها اعرابي فيجمع ما يريد في ردن قميصه القضاض
الاسود ثم يذهب ويقول لربة الخبز اتبعيني الى دار المخزن تأخذين الثمن
فقد تذهب وتجول ما تجول حتى تعيى فترجع وقد تغمض فتذهب لحال
سبيلها باكية بكاء من لا يرجو نصيرا ويرد اعرابي على تاجر في دكانه في
القيسارية ، فيريه تلك السلعة وتلك وتلك وهو يتناولها منه حتى يملأ
ذراعه . فينفتل من باب الدكان . فيقول له الاعرابي ما يقول ابن عمه للخبازة
تكرر ذلك مرات كثيرة ، حتى تناذر التجار . فأغلقوا دكاكينهم ويقع هذا
لكل ذي مبيع وهذا امر مستفيض ان لم يكن كله حقا ، فلا بد ان يوجد غالبه
زيادة على ان من الاعراب من يأكلون في نهار رمضان . ويقولون اننا مجاهدون
وبعضهم يميل في وسط النهار الى ديار الفساد والناس ينظرون فيرغم
الساقطة التي تألف احترام رمضان ، فيرجع بائمه واثمها بحجة انه يستحل
ذلك بجواز تكاح المتعة الذي كان مألوفا عندهم او ما يقرب منه وقد
حدث كثيرون ممن نعرفهم ثقات ان الاعراب يقفون في ابواب دورهم فيعلن
احدهم انه جاء لينزل في هذه الدار باذن من السلطان ثم يراده رب الدار

حتى يتناول منه شيئاً فيذهب وقد حدثني سيدي عثمان المسفيوي وهو
لسان صدق انه انفصل مع اعرابي طلب منه ذلك بنصف ريال لا غير اخيراً
وعلى هذا فليقتس الانسان هذا ما يقاسيه العامة واما الخاصة فسان
القواد الكبار ما طلع احدهم الى دار المخزن حتى يستدير به سفلة الاعراب
بصرخون به (يا المتصبر) يا كافر يا عدو الله وربما رشقوه بحجارة او
خذفوه بالحصى حكى الباشا منو انه شاهد ذلك يوماً على القائد عبد
الملك المتوكي وقد اكثر عليه سفهاء الاعراب قال فدخلت على الهيبة
فقلت له وانا غضبان والله ما هذه بحالة المسلمين فالقائد عبد الملك كبير
نومه ورجل ذو شيبة في الاسلام وقد ادى الطاعة افجميل ان يسام
جهاراً بهذه المهانة المخزنية ؟ فخرج الامر ان لا يعاود بذلك من الامير الحسن
النية الذي يظن به كل خير ولكنه لا يستطيع ان ياخذ بزمام الامر
وما هناك الا المواعظ الحسنة فتلك كل ما كان في حين انه كان يجب
التنكيل برعاع الاعراب الذين يمثلون تلك الادوار الشائنة ولكن اين السلطة
فما هناك الا الفوضى قال الباشا منو وقف ببابي مرة اعراب يريدون ان
يمثلوا حولي مثل ذلك الدور ، فحملت فيهم . واشرت لاصحابي ان يهشموهم
ان لم يذهبوا بحال سبيلهم في الحال . فحين راوا ما راوا انخنسوا فذهبوا ،
تلك هي الفوضى الحقيقية التي قامت في الحمراء بعد دخول الامير الجديد
واما ما ذكره من انتهاب ثكنات الجند فهو حقيقة لان الجند قد انتشر
نظامه وتمرد عن الطاعة ومسته ايضا الفوضى فصار كل واحد امير
نفسه فخلت الثكنات - وتفرق من فيها شذر مذر الا قليلا لا يستحق
الذكر ، وذلك ما حكى الباشا منو الذي كان الجند تحت يده واما النصاري
الذين ذكرهم فهم الذين تقدم لنا ذكرهم قنصل فرنسا ومن معه فقد
اروا الى دار الحاج التهامي اياما ثم اراد ان يسر بهم سرا الى اسفي
فوشى بهم واش - قيل انه القائد المدني الاجلاوي وقيل غيره - الى الهيبة .
فألقى عليهم القبض خارج سور مراکش فسجنوا في دار بالقصة فكانوا
شجى في احلاق قواد مراکش الذين يعلمون ما يتهددهم ان مست شعرة
من احدهم وما قضية الطبيب الفرنسي القليل بين ظهرائهم بمنسيية
عندهم وقد احتلت وجدة بسببها واما الاعراب ومن اليهم من الجهلة
الاعمار الذين لا يعرفون ما وراء ذلك فانهم يتهددون بقتلهم قال الباشا
منو ذهبت انا بنفسى الى الهيبة ابين له الموقف وان هؤلاء امرهم اعظم

مما يتوهم ، فصرت ارغبه في تسريحهم بما يقترحه من الفدية (1) ولكنه تصامم امام ما اقول . واما الحاج التهامي فانه جمع عنده في داره باستدعاء خاص غالب رؤساء سوس فاقام لهم حفلة كبيرة فصار يمت اليهم بالاخوة وقال انه من آل وچاچ - زعما منه - فيرجو بهذه الرحم ان يتوسطوا عند الهيبة ان يطلق الاسرى هؤلاء وقال لهم انا اضمن له عقد معاهدة بينه وبين الدولة الفرنسية ان تبقى رابضة في مكانها اليوم خمسين سنة فاجابوه الى التوسط في ذلك ولكن الهيبة ابى كل الباء وكأنه لم يرد ان يبت في امرهم بشيء انتظارا للقائد عبد الرحمن الحاحي فان كثيرا من الامور العظام اذا نوقش فيها يقول لا نبت في شيء حتى يأتي القائد عبد الرحمن الحاحي ، وحين خابت هذه السياسة التي تأسست على المخبرات مال الحاج التهامي ومن اليه الى الجد في الامر ، وعلموا ان القضاء في ذلك للحوادث التي لا بد ان تقع قريبا واما ما ذكره شيخنا في رسالته من امر التريعي فانه وعال دكالة وكذلك اهل تادلة قد بايعوا الهيبة اجمعون واما بيعة مولانا يوسف فقد وقعت 29-8-1330 هـ وقد تنازل السلطان مولاي عبد الحفيظ عن العرش . فأبحر من الرباط الى طنجة . وقد القى بعد ابحاره طابعه الملوكي الخاص في وسط الامواج فخلفه مولانا يوسف الرجل الصالح الذي لا يليق في ذلك الدور الا هو فاستطاع ان يحافظ على العرش لمن بعده فأرسل رسله الى جميع البلدان ومن بينها مراكش حدثني الباشا منو قال جاءت منه رسالة البيعة وقد ندبني الى اخذ البيعة له من قبلي فقلت للرسول وقد وصل بعد ما احتل الهيبة بمراكش ، ها انتذا ترى الحالة . والجواب هو ما تراه بعينك . فان الامر قد خرج من ايدينا فدفعت له 20 ليبرة ذهبية ، ولكنه ذهب الى السلطان مولانا يوسف فافتري علي وقال اني قلت فيه ما لا تنطق به شفتاي فكان ذلك احد اسباب نكبتني - وحدث الباشا منو ايضا انه دخل مرة على الهيبة ففتح معه التساؤل عن الشريفات فصار يسألني عن ابكار منهن وجدت بعض العبيد قد القى اليه اسماءهن واحدة واحدة فصرت ابين له ان الجميع متزوج وقد عقد النكاح ولم يبق الا الرواح فألح في السؤال عن اية واحدة منهن ليتزوج بها فقلت له ليس منهن واحدة بلا عقد نكاح ولكن ان اراد سيدنا الزواج فالافضل له دار الشرف والحسب والنسب والجمال والعفاف واداد البركة ودار العلم ودار الولاية فهي افضل له فقال ما هي هذه

(1) ذكر ان المبدول فيهم مائة وخمسون الف ريال .

الدار ؟ فقلت له دار اولاد مولاي عبد الله بن حسين بتامنصلتوحت فقال
 زوهم هناك ؟ فقلت لا اعلى من دارهم ، ولا اروع ولا ابرع حسنا فاقتنع
 وحدث ايضا انه وجد يوم دخول الهيبة الشرفاء ابناء مولاي الحسن قد لبسوا
 لباسهم الحسن الرسمي ، فجاءوا مجتمعين ليسلموا على الهيبة . قال فأخذتني انفة
 فويت عليها كشحي فقلت في نفسي كان يجب على امثال هؤلاء ان يكونوا
 باخر من يسلم على من نزا على عرشهم المغربي لا ان يكونوا اول من يبادر
 لاداء التحية الملوكية له ولكن ليس عندي ما اقول

كان مربيه ربه الخليفة الاول للهيبة من البارزين بمراكش فيخاطبه
 الناس وممن خاطبه شيخنا الافراني بقوله

<p>وان كان يخفيه اللسان وقلبه من الوجد لبتها من الجفن سحبه لجاجا واغراء الى الوجد عتبه سلاح فتصبيه ويعسر طبه فيغنو له العاصي ويسهل صعبه محمد الفيث المربيه ربه طموح وعزم لا يقلل غربه وخير وزير من تمكن قربه تو قد نيران الوغى فهو غضبه يبيد ضلال الكفر ان جاش حزبه وبحر ندى يفني المقلين سيبه كما ذب جفن العين عنها وهدبه ابي يقيه العار في الحرب ضربيه مذكّر كما اتقضت من الليل شهبه (1) اطاع ولم يخلد الى اللهو جنبه الى ان علا فوق السماكين كعبه ويسطو على صلد فينباع صلبه فذا ابدا دأب الزمان ودأبه فيذهب في كسب المكارم كسبه</p>	<p>هو الشوق يديه من الدمع سكه اذا برقت من منحني الضلع برقة وان عذل اللاحي فأكثر زاده وما الوجد الا ان يدين بطاعة الم وما المجد الا ان يخاطر في العلا ولا الفخر الا ما توشح برده همام سما للمكرمات بهمة وزير امير المومنين شقيقه خليفته الارضى وساعده وان مقدمة الجيش الجهادي من به شجاع يبيد المعتدين حسامه يذب عن الاسلام بالسيف جاهدا يقود الى الهيجاء كل غضنفر تطير به عقبان خيل سلاهب هو المرء لا حزما اضاع ولا هوى تجافى عن اللذات في جانب العلا بهم فيمضي كالسنان مصمما كريم يداوي ما جنى الدهر جوده يشتت شمل الفقر بذل نواله</p>
--	---

(1) السلهب كجعفر : ما عظم وطال عظامه . والمذاكي من الخيل : التي اتى عليها بعد
 قروحها سنة او سنتان .

بليغ اذا انشا وشى واذا مرى الـ
 له سبق في شأو الفضائل كلها
 اذا اسود جنح الحادثات فوجهه
 فيا ايها المولى الذي كان من حيا
 اليك عروسا بنت فكر عد اعلى
 تهنى مولانا وتثنى وترتجى
 عليك سلام الله يا كعبة الندى
 بيان براحات الحجى ثج حله
 فمن امه يبغى العلا فهو حسبه
 سناها وان دار الهدى فهو قطبه
 المعارف والسر الالهى شربه
 قريحته الهم المبحر كربه
 قبولاً يغطي عيبها الجم ثوبه
 وغيظ العدا ما آنس الصب قربه

ثم ان مربيه ربه خرج الى الرحامنة في جيش يضم ءالافا ليدافع
 جيش الدولة الحامية الذي يزحف شيئاً فشيئاً نحو الحمراء بعد ما سبقه
 جيش صغير تحت قيادة الاغصف بن مصباح ابن عمهم في اثني عشر مائة
 فارس الى اربعاء الصخر ، فاندحر

ذلك كل ما ظهر من الاعراب في موقف الدفاع ، واما الهيبة فقد جلس
 يتمطى في قصور السلاطين وفرشهم ، ويسرح انظاره في بساتين اُجْدالهم ،
 وقد صلى هنالك ثلاث جمع يخرج في العربة المعهود ان يخرج فيها مولاي
 الحسن تجرها الخيل ، والموسيقى تصدح على رأسه الى ان يصلي ، ثم
 يرجع ثانيا الى حيث يتملى بالمدينة الحلوة وقد حدثنا شيخنا ابو شعيب
 الدكالي الذي كان قاضيا على الحمراء حين احتلال الهيبة أنه دخل عليه
 يوما فجاذبه القول في الحالة الراهنة ، فقال له شيخنا ان هذا العصر عصر
 القوة والمغالبة . فأجابه الآخر بديهة وقد هز سبخته ، فيقول وقد مد بها كفه
 بهذه السبحة افتح القاهرة ودمشق واجتمع مع محمد بن عبد العزيز
 في حضرة مربيه ربه ، فقال له ابن عبد العزيز : انكم كفار لرضاكم بغلبة الكفار
 عليكم فقال له الشيخ : رويانا في كتاب كذا عن فلان عن فلان عن فلان عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الانسان لاخيه يا كافر فقد باء
 به احدهما والامور التي يقع بها الارتداد كذا وكذا قال الشيخ خليل
 فتلا النص من متنه - فبأي شيء تكفرون المسلمين ؟ فصال عليه بحفظه
 حتى اسكته وحدثني ايضا الباشا منو بمثل ذلك عن الهيبة فذلك هو
 فكر الهيبة الساذج الفكرة ، الحسن النية ، وتلك امانيه ، وقد اوعز يوما
 الى المراكشيين ان يطبخوا كلهم دار الدار اناء اناء من الاطعمة ، اعانة في
 اطعام المجاهدين ، فرأى اهل المدينة ما لم يعرفوا له نظيرا فكان ذلك ايضا
 مما استثار الناس

تلك هي اعمال الهيبة في مراکش وتلك هي اعمال اصحابه
الصحراويين نكتبها كمؤرخين ولا نتعمد ان نكون لا له
ولا عليه ومهمتنا ان نوضح لمن بعدنا ما يتحدث به الينا كثيرون
مما حضروا اذ ذاك هناك من السوسيين والمراكشيين ننقل ذلك عنهم امانة
بؤداة كما هي فأدرکنا حق الادراك اي رجل هو الهيبة واي رجال هؤلاء
الذين جاشوا معه وقد تفككوا ينتثرون من حوالیه ، فظهر انهم كانوا
اجمعون ذهبوا الى هذا السفر بلا مقصود ينوونه ، فكيف يمكن ان يفلحوا ؟

الحاحيون في مراکش

في اليوم الرابع والعشرين وهو يوم خميس من رمضان - او في اليوم
قبله - دخل القواد الحاحيون ، القائد عبد الرحمن الجيلولي ، والقائد محمد
انفلوس ، وقواد حاحة الاخرون ، مراکش في خيل كثيرة ، وقد قدموا ليفوا
بالوعد الذي وعدوه للهيبة يوم يحتل الحمراء حلوا يوم الخميس
نارادوا ان يستريحوا يوم الجمعة ثم يقدموا هداياهم يوم السبت حين
يجلس لهم الهيبة مجلسا عاما يظهر لهم فيه مكانتهم عنده كما سيظهرون
كذلك مكانتهم بين الاقوياء ولكن لم يصبح يوم السبت حتى اصبح ما
ليس في الحسابان ، وما لم يخل انه ياتي بهذه العجلة

نزل القائد عبد الرحمن دار ابن داود باشا مراکش القديم ، كما
نزل انفلوس وءاخرون في منازلهم التي يملكونها ، وفي امكنة اخرى ، وقد
اهتزت بهم مراکش . فلا تسمع الا من يذكر الابهة التي ورد بها الحاحيون
وقد رأى القارىء ان هذا الامر افتتح بايدي الحاحيين يوم نسجوا على مناويلهم ما
نسجوا من اول يوم ثم ها هو ذا يختتم يوم يطأون بأرجلهم حضرة
اميرهم يوم يظنون انهم اليوم سيجنون ثمار ما غرسوه امس ، ويحلم
القائد عبد الرحمن بالصدارة ، كما يحلم كل من اليه بالمقامات العليا في هذه
الامارة التي هم اسسها واركانها وشرفاتها كما يزعمون

الصفحة الاولى

كانت القبيلة الرحمانية هي باب مراکش من الشمال وكان لها قواد
تعددون كانوا كلهم في مطلع الدولة الحفيفية منهم القائد عبد السلام
البربوشي والقائد ابن الطاهر ، والقائد العيادي وءاخرون وكان لالاخير
شُفوف عليهم جميعا من نواح شتى . وقد برز بروزا عظيم في الدولة

الحفيظية - ثم كان له مقام عظيم حين انهزم الجيش العزيزي وبعد الحروب المتوكية الشهيرة ، فعلا اسمه ، وصار يذكر بين الاجلاويين والمتوكيين والكنتافيين فهذا مركزه الذي وجدته فيه عام 1330 هـ ثم لما احتل الهبة مراکش - والتفتت وجوه القواد الكبار للاخذ ببيعة المولى يوسف وقصد تأيد بالدولة الحامية . كان القائد العيادي اول من بادر الى ذلك بالعمل المنجز بعد ما لاقى من الهبة تقريبا - فيما سمعت - وقد استدعاه مرة فسأله عن الباب المفتوح من داره بجانب السور الخارجي الى جهة الرحامنة فربما كان ذلك احدى الحوافز التي ازجته الى مد اليد عيانا للجيش الذي يقطع وادي ام الربيع ليزحف الى الجيش الزاحف من مراکش وقد تقوى ببعض الرحامنة الذين مع العيادي فأرسل شئوبوبا من القذائف على رأس مربيه ربه - فلم يقف هو ولا اصحابه يوما كاملا يعذرون فيه ، بل انهار جدارهم بسرعة غريبة ، فتسابقوا نحو الحمراء وتسمى هذه الواقعة بواقعة سيدي بوعثمان وقد تقدمتها اخرى في اربعاء الصخر تهشمت الحملتان فانقضى الامر وكان ذلك يوم الجمعة 25 رمضان . فطار الخبر الى الاعراب فصعقوا صعقة عظيمة هي اول ما نبههم مما هم فيه سادرون

كيف هرب الهبة من مراکش ؟

رايت ان الحاحيين قد دخلوا مراکش يوم الخميس الرابع والعشرين بقوة كبيرة وشارة مرموقة وابهة مخزنية اخاذة ولا يعلم الا الله ما كانوا ينوونه وما يحملونه في حقائبهم من الاوامر الجديدة ممن يوحون اليهم ولا ريب انه لو انفسح المجال اياما لا بد ان يقوموا بدور عظيم في القواد المراكشيين الكبار على الاقل فتتم فكرة القائد حيدة ولكن بينما الهبة والقائد عبد الرحمن الحاحي في ابرام ما يصنع نهار الجمعة اذ دهمت اخبار الانكسار التي لاشك سترتجف بها فرائص الهبة ارتجافا تنسيه مرارته كل ما كان يتملى به من حلاوة الامارة منذ نادى ابو الباكور التزيتي بأنه سلطان وكل من تربى تربية الهبة ، ولم يشاهد قط مواقف المجاذبات في عمره ، فلا يخال وقد طرقة ما وقع لاصحابه من الرحامنة الا ان نفسه تطير شعاعا ، وان سحره ينتفخ حتى يملأ صدره ، وان نفسه سيتوالى لها ، وقد جحظت عيناه ويسقط في يده فلا يدري ما يأتي ولا ما يذر وللبفتات روعات .

كان الشيخ الامازري البعقلي احتل هو ورجل من اخوانه صومعة الكتبية ، يراقبون دار المتوكي تحتهم . وذلك مما يدل على ان الهبة واصحابه

كانوا على خوف شديد من المتوكي وامثاله ولكنهم الآن وقد دهمهم السيل الطافح من الخارج قد ينسون كل ما في داخل الحمراء وحين لم يأمنوا لا داخلا ولا خارجا فلا سبيل لهم الى الامن الا باجفالهم الى ما وراء الاطلس . لعلمهم ينجون من مخالب الاسود ، وبرائن الصقور ، والايمان وحده الذي اتصف به الهيبة غير كاف ، والا لما نزل قوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) فالمخاطبون بذلك اكثر الناس ايمانا

كان الباشا الحاج التهامي الاجلاوي ومن معه قد ابرموا مع الجيش الزاحف ما ابرموا بغاية الدقة وجعلوا بينهم ما جعلوه امارا ، ثم تقوم في الحمراء شيعتهم بثورة ضد الهيبة بمجرد ما يقرب جيشهم وقد حدثني الباشا منو انه توصل عشية الجمعة برسالة من قائد الحملة كتبها اليه والى المراكشيين يخبرهم فيها انه ان مست شعرة من الأسرى الذين عند الهيبة . فان مراكش ستفادر عبرة في وسط افريقيا ، - بهاذ اللفظ - قال منو فبئت مهموما في ليلة ليلاء ما بت مثلها في عمري لا ادري ما اصنع

بات الناس ليلة السبت وغالبهم لا يزال في امله سادرا وقد طرق الاذان ما طرقها من الانهزام من سيدي بوعثمان . ولكن لا يحسب غالب الناس ان الهيبة سيهرب بهذه السرعة وانما كانوا يحسبون انه سيجدد جيشا اخر لمانجرة الجيش القادم ومدافعتة ولكن القائد العربي الضروري كان قرأ الرسالة من عنوانها . فخرج قبل الناس ، فتسرب في وادي النفيس . وكان يخاف ان يسد طريقه دونهم فيؤخذ الكل باليد كان الاخ محمد وصله من عند الهيبة رسول في الليل فأمره ان يبكر اليه بمجرد ما يتسحر من غير ان يبين له شيئا على ان الهيبة اذ ذاك كما طرقه خبر الانهزام ولما يستقر قراره على الهروب لان ذلك ما عزم عليه حتى وصله مريه ربه . ولم يدخل مراكش الا نحو نصف الليل ، ثم ان الاخ ذهب مع بعض رفقاءه قبل ان يصلوا الصبح قال واحد منهم خرجنا من الباهية قبل الفجر وقد كان سيدي محمد بن احمد التزنياتي طلب من محمد الامين حاجب الهيبة ان يمكنه سلاحا على عدد الفقراء كلهم . وعددهم اذذاك 85 ، لان اصحاب النية الحسنة ينوون ان يخرجوا لمدافعة الجيش القادم وقد طفحت عليهم نكرة الجهاد الدينية ، ونوى الناس المخلصون ان يموتوا في سبيل الله ، قال الحاكي فذهبنا فوجدنا الطرق ما بين الباهية وبين (ابي الخصيصات) ملووءة بالناس ولكن لم نفهم من ذلك الا ان الناس يقصدون ما تقصده

قال فوصلنا امام دار المخزن فوجدنا الاعراب يتجهرون بخيولهم وقد وقفوا هنالك وقد طلع الفجر وبدا الاسفار فصلى بعض الناس بامامة بعض الاعراب قال فالتفت فاذا بالرئيس سيدي محمد بن عبد الرحمن الجيمي قد خرج مع كل اصحابه ببغالهم وخيولهم واثقالهم وزعم الحاكي أنه ما أتى حتى احرق فساطيطه التي لا يمكن ان يحملها قال فسألني عن سيدي محمد الخليفة - يعني الاخ - فقلت له ها هو ذا واقفا فأرسلني اليه فأخبره ان الناس يهربون وانه هو بنفسه قد جمع متاعه ثم قال له أما انت فلا تفارقك منذ الآن فانفتل سيدي محمد بن احمد التزيتي وهو على فرس عدا ، يجري بها من هناك حتى دخل الباهية فوجد طائفة الفقراء قد صلوا الصبح ، فاشتغلوا بالذكر على عادتهم فصاح فيهم قوموا قوموا فان الناس كلهم هاربون فأجفل الجميع فصار اصحاب البهائم يجمعون الاثقال بسرعة ، وقد قيض لهم انسان حاذق مارس الجيوش والاسفار مع ساداتنا الملوك العلويين (وهو الفقير محمد الحجّار المراكشي من اصحاب الشيخ) فقال لهم ان اول ما تعتنون به هو الزاد فانه اول ما يتوقف عليه المنهزم ، فامتثلوا ذلك ، فملأوا البغال بالزاد ، واواني الطبخ . ثم مال الفقراء الماشون الى الاواني والامتعة الباقية ، فوضع كل واحد منهم يده على شيء ، وكان سيدي سعيد التناني اثبت من هنالك جاشا واربطهم قلبا يدور عليهم ويحثهم ان لا يبقوا شيئا فكان آخر من خرج من الباهية بعد ان لم يبق شيء من المتاع ، وقد حكى لي رحمه الله انه بمجرد ما خرج من هنالك مشى بتؤدة فكأنه أحد الحضرين وكانت سحنته وهيئته تشبه اهل الحضر فبقى هنالك عند بعض الفقراء الفاسيين وهو الحاج العربي برادة ثم انتقل الى الزاوية الرميلية الى ان سكن الحال بعد ايام فخرج مع القائد جرنما وأما غيره من 85 من الفقراء فقد خرج الكل في ذلك الصباح مع الناس فارين مبعثرين في الطرق ، وقد تشتتوا وكان ذلك اليوم اول يوم تمزق فيه شمل تلك الطائفة المباركة التي كانت تضم رجالا صوفية كبارا مهذبين . قد تألفوا على الاذكار وعلى الاشتغال بالله وانتظموا فيما هم بصدد انتظام العقد الفريد وقد كانوا نسوا الدنيا بما هم فيه من الاجتماع والتألف الذي كانوا عليه منذ ايام شيخهم فها هم اولاء اليوم يتفرقون فاذا كان بعضهم تراجع الى ما كانوا عليه من الانتظام ، حتى كانوا ايضا نحو ثلاثين فانما ذلك مثله كمثل اضاءة المصباح قرب انطفائه الانطفاء الاخير ، وممن هرب يوم ذلك مبارك بن الحسين تائر تافيلالت بعد هذا الوقت وقد ذكرنا اخباره (في القسم الرابع) .

ثم ان سيدي محمد بن احمد التزنياتي تناول ما هناك من الدراهم
فجری حتى لحق بالآخ كما لحق به اصحاب البغال بعد خروج الآخ من الباب .
وقد قال ذاك الحاكي وجدنا الباب مفعما بالجمال الساقطة الاحمال والبغال
حتى انني ما خرجت الا بين ارجل جمال قائمة في زحام

هذا ما جرى لهؤلاء اتينا به ليعرف القارىء ما قاساه الناس واما
الهيبة . فقد حكى لي الباشا منو كيف وقع له قال بت ليلة السبت في كرب
عظيم الى الغاية من اجل اولئك الاسرى . وقد تقوى عندي ان الهيبة اما
هارب واما ماخوذ باليد ، ففي اثناء الليل ارسلت عبيدي هذا ، واثار اليه ،
وصاحبي رحالا وءاخرين ، فقلت لهم اذهبوا حتى تطلوا على الدويرة التي
فيها الاسرى فان وجدتموهم احياء ، فاقتحموا عليهم وابقوا واقفين
وحولوا بينهم وبين كل من يريدهم بسوء ايا كان وارسلوا لي واحدا منكم
بسرعة اكن عندكم وان وجدتموهم مقتولين فارجعوا الي قال وكنت
على عزم ان اهرب الى سوس ان وقع فيهم واقع لانني اعلم نية الجيش
الزاحف . وقد ادركت ما يقصدونه خصوصا مني ، ولا يعصب ذنبهم بسوى
راسي . وان كنت بذلت ما بذلت للهيبة في مقابلة تسريحهم قال فجلست في
دهليز داري واجما انتظر رجوع من ارسلتهم فاذا باحدهم يجري الي
يشرني بسلامة الاسرى فطرت فرحا . فخرجت اليهم مع اصحابي . فجاءني
احد البوابين يقول : ان مربيه ربه يدق الباب الخارجي وذلك في اثناء الليل
فأمرته بفتح الباب فمر مربيه ربه جاريا بفرسه يدق باب دار المخزن
دقا عنيفا ما شاء الله فكأن الهيبة قد نام ، او كأنه أعرس باحدى بنات ءال
عبد الله بن حسين التامصلوحتي التي يسأل عنها وعن امثالها - ثم التقيت انا
بالهيبة فقال يا فلان ما هذا ؟ فقلت له هذا ما كنت احثك على اجتنابه يوم
تود ان تدخل المدينة فقال ما هذا الا عمل (المصوبرين) فقلت له ان
الواقع لا يرتفع فانج بنفسك الآن ثم خرجت فوقفت جانبا والاعراب
يموجون يستخرجون البغال والجمال والاحمال الموقرة دراهم وغيرها ولو
كنت اردت اذ ذاك ان احتوش كل ما بايديهم لاحتوشته مع اصحابي الكثيرين
بسهولة ولكن حاشا ان أمثل ذلك الدور المخزي ثم عند الاسفار خرج
الهيبة مع نسائه ومن انثال اليه من اصحابه . فتوجهوا لجهة صهريج البقر
فقلت لانسان منهم اياكم ان تسلكوا طريق امي تتانوت فلا منجى لكم الا في
طريق وادي النفيس فمررت ازاء دار باب المخزن بشريفة من ءال ماء
العيتين ، قد مالت بها البغلة ، وقد غادرها اعرابيان شابان فصرت اناديهما

وارجوها ان لا يتركها ثم امرت احد اصحابي فاعانها حتى ركبت ثم رجع الاعرابيان اليها فساقا بها البغلة ثم دخلت دار المخزن فوجدت طرطور الهيبة وفيه من التمايم حواليه كثير ، وكأنه نسيه من الفزع الذي استحوذ عليه ثم ذكر ان الطرطور توصل به الباشا الحاج التهامي فكان مثاله الى المتحف الوطني بباريز قال : كان كل هذا مع شروق الشمس ، وانا استحث كل من القاه ان يعجل لخوفي ان يدركهم الفرسان الاجلاويون والمتوكيسون والرحمانيون فيوقعوا بهم وقد رقت نفسي على هؤلاء المساكين السوسيين الذين لا يعلمون شيئا قال : واذ ذاك وصل الجيش الزاحف ازاء (تانسيفنت) فأرسل قذيفتين مرتا فوق الحمراء ترسلان والهيبة ومن معه في خيل كثيرة يجتمعون حول صهريج البقر فوقفوا نحو ربع ساعة ، ثم رأيتهم مالوا الى جهة وادي النفيس ، فأسرعت اذ ذاك الى الدويرة التي فيها الاسرى ، فبمجرد ما رأوني تعلقوا بي . وطاقوا حولي وهم في ثياب فضفاضة اهلية خلقة وقد طالت شعورهم وابطأوا عن الاستحمام ، فكانوا من اعجب ما تراهم العين شعثا ووسخا ونثنا فصار القنصل منهم يجازيني خيرا على ما فعلت حين ارسلت اصحابي في الساعة الاخيرة محافظة عليهم والا فلا يومن ان يميل احد سفلة الاعراب فيقضي عليهم من غير ان يتأمل في العواقب ولا يقصد الا ان ينكأ بهم من كانوا يتطلبونهم من القواد الكبار. ثم عقد لي راية بيضاء من خرق وكتب كلمات في ورقة فأمرني أن أبادر بذلك الى قائد الجيش الذي ينزل في ذلك الوقت في (چليز) فانفت بيني وبين نفسي ان اكون اول من سلم من اهل مراکش وخفت ان يوتر عني ذلك في التاريخ. فأبيت عليه. ثم دخل في الحين القائد المدني والباشا الحاج التهامي فتناول الاول الراية فأداها الى قائد الجيش بيده فشاع انه هو الذي انجى الاسرى بعد ما ايده بعض الاسرى انفسهم كذبا وبهتانا هذا ما حكاه الباشا منو بتفصيل ، واما القائد عبد الملك المتوكي فقد حكى عنه القائد محمد چرما الحاحي انه حضر عنده تلك الليلة وهو يقدم رجلا ويوخر اخرى فلا يدري ايخرج مع الخارجين من المسلمين ام يبقى مع الباقيين المعروف مثلهم ، وقد حمل على بعض بغاله واسرج خيله واحضر اصحابه قال الحاكي القائد محمد چرما ، انه جلس ما شاء الله ورأسه بين يديه يوازن بين ما يكون اذا خرج مع الناس . وبين ما يكون اذا جلس مع الاجلاويين بقي كذلك يتردد الى ان طلع الفجر ثم تقوى عليه ان يجلس فأمر اصحابه بالركوب والجولان حول الكتبية الى ما حوالي باب الرب وقد كان الحاحيون سبق خبر الهروب عندهم في الشطر الاخير من الليل . فجمعوا كل ما عندهم

وجمعوا جميعا فكسروا قفل باب من ابواب القصبه فصمدوا نحو
 المنارة وذلك عند مشرق الشمس وفي ذلك الوقت خرجت خيل القائد
 المتوكي حكي القائد محمد جرما قال كنت في فرسان المتوكيين فصرنا
 بطارد خيل الاعراب حول صهريج البقر فدفعنا الى اثنين منهم على جمل
 فسرعان ما ابركاه . ثم امتدا على بطونهما فصارا يرميانا فلا يفلتان هدفا
 فاجفلنا عنهما مرغمين فاذا بالقائد عبد الملك يصرخ علينا مالكم وللاعراب
 الساكنين فعليكم بالعدو الازرق عليكم بالحاحيين فشننا عليهم غارة
 الى جهة (المنارة) وهم منضمون جعلوا اثقالم بين ايديهم فنظموا كتائب
 فرسانهم وراءهم يتناوبون في الدفاع فطاردناهم الى ان ابتعدوا فرجعنا
 واما القائدان الاجلاويان المدني والباشا التهامي فانهما كبشا الكتبية . والمبرم
 لكل ما كان بالمخابرات السرية فقد نظما امورهما في جوف الليل فسربا
 الى بعض الابراج رماة خفية . ثم في السحر صارت خيلهما تتعادي في الازقة .
 وتخرج البارود بعد الاسفار ثم امتلأت الابراج كلها برمااتهم خصوصا
 الابراج الموالية لباب الرب فلم تشرق الشمس حتى استولى الاجلاويون
 على ناصية الامر وقد انقضوا على كل ما قدروا عليه . ينهبون ويستولون
 على البهائم والاثاث ويدورون على الفنادق فلم يفلت الا ما لم يبصروه ثم
 شاركهم المتوكيون وغيرهم في ذلك وقد كان القائد الناجم ممن يناوئ
 الاجلاويين منذ استولى على قبائل الجيش الدائرة بمراكش فكان
 طلبتهم في ذلك الصباح ولكن لم يقدر ان يلتقوا به حكي ذلك بنفسه قال
 خرجت عند الاسفار . وقد سمعت بعض الشيء لاكتشف ما كان . ولم اركب الا
 على البغلة لا غير ، ومعى افراد ممن خف الي من اصحابي وخيلي وسائر
 اصحابي في الدار . وهي في جهة الرميلة فمشيت الى جهة القصبه ، فلاقيت
 القائد ارعا فقال : يا ابن الامة والله لئن ابصرك الاجلاويون الآن لا تبصرن
 عينك الشمس بعد اليوم . اسرع ويحك واهرب مع الناس ، فقد هرب الهيبة
 وكل من معه فذهبت قدما ولم احمل معى ادنى شئ الا ثلاث ريات
 بقيت اتفاقا في جيبى فذهبت قدما كذلك وقد خلفت ما خلفت من ديار
 طافحة باحسن اثاث . وافره بغال تصل الستين ، واجود خيل ، الى ما لذلك
 مما جمعته في طول حياتي ثم صار رزق الاجلاويين فعلى ذلك الحال
 خرجت (1) وهذا الذي جرى للقائد الناجم جرى مثله للقائد ارعا

(1) انظر ترجمة القائد الناجم في (القسم الخامس) فقد ذكر من التفاصيل ما ليس هنا . بل
 يجب ان يكون كل ما هناك تمة لخبار الهيبة كلها ولاخيه مربيه ربه ، لانه شاهد عيان
 معهم

فقد هرب ايضا لكنه حمل معه ما امكن مما تحت يده ، فتصاحب مسرع
الناجم الى داره في اولاد ابي السباع ، ثم الى حاحة فسوس . ووقع مثل ذلك
للقائد ابن الطاهر الرحماني والقائد التريعي ، وبضعة قواد آخرين وقد
جرف الخوف الجميع فلم يعرفوا في الوقت منجى الا ان يتسربوا الى
فسوس . وساعة الخوف ساعة ضيق لا يمكن معها التفكير في المثال هكذا
خرج غالب الناس فسلك بعضهم مسلك الحاحيين ، ومعهم عيال (أساكسا
أبلاغ) وآخرون ، وقد لاقوا في طريقهم شدة ، لانهم في مدافعة الذين
يطاردونهم في كل ذلك النهار ، وسلك بعضهم طريق (إمي تانتوت) ومن بينهم
بعض خيل الوفقاويين وبينهم الشيخ ابراهيم بن داود الالقي فلاقوا كذلك
عنتا ومدايد ممن يمرون بهم الى ان وصلوا (إمي تانتوت) . ثم اغاثهم الله
بالخليفة بوسلام الذي اوعز ان لا يمس احدا ماس . فمروا في هناء واما
الذين بقوا وراء الناس ممن ليس عندهم الخبر فمنهم من اسرع بعد متوع
النهار ورجوع المطاردين وقد اشتغل الناس بالخروج للملاقاة الجيش النازل
في (چليز) فهؤلاء قد لحقوا بالمتقدمين بعد جهد جاهد كفرسان من ايفير
مئولن كانوا نزلوا في ناحية من اجدال ، وقد ابتعدوا عن سماع الهیعة
فخرج احدهم بعد طلوع الشمس بكثير . فعاین الواقع . فجرى الى اصحابه .
فأسرعوا بالركوب فتأتى لهم ان يلحقوا بمن سلكوا وادي النفيس
بجربة الذقن فنجوا وهم لا يحسبون انهم ناجون . ومن الباقين ايضا
نحو 100 فارس من رؤساء هشتوكة قال الباشا منو كانوا نزلوا في دار
عندي في القصبة ، فلم يتأت لهم ان يخرجوا حتى طلع النهار ، فشاهدت ازمة
القصبة تطفح بخيل الاجلاويين ، فخفت ان ينهبوهم وان يفتكوا بهم كل
الفتك . لما بيني وبينهم وهم يعرفون انهم اخواني فلم اجد مفرا من ان
أمرهم بالانتظار الى الليلة القابلة ثم انني ذهبت الى منزلهم بعد الظهر
وقد هدأت المدينة فنادی المنادي بفتح الاسواق فرجعت الحالة بالمدينة
الى المألوف من السكينة والهدوء قال فأخذت بيد الفقيه سيدي الحاج
الحبيب فطلعت معه الى علية فصرنا نطل على المدينة الهادئة فقلت له
ارأيت كيف يكون الامن ؟ وكيف يسود الهدوء ؟ وقد سادت الطمانينة فباع
الناس واشتروا ثم قلت له اين هذه الحالة الآن من حالة المدينة في هذه
الايام التي كان فيها الاعراب وقد أثاروا الاشمزاز من النفوس وافقدوا
الامن في الاسواق مع ان الاعراب يزعمون انهم مجاهدون مسلمون وهذا
الامن اليوم من العدو الكافر الذي فتح المدينة ومن هنا ينبغي لك ان تعتبر
وتعرف الفرق بين الناس والناس . والملك لا يمكن ان يتأتى الا لمن يصاحبه

الامن وتماشيه الطمانينة ، مسلما كان او غير مسلم قال وفي الليلة القابلة
زودتهم احسن زاد واركبت راجلهم ، وسلحت اعزلهم فخرجوا في باب من
بواب القصة خفية مع دليل يصحبهم الى وادي النفيس حيث يأمنون
بمعرفون الطريق . وممن بقى ايضا سيدي محمد اُعبُو الفقيه الهشتوكي مع
صاحبه المؤرخ الرفاكي الجراري وقد التجأ الى الزاوية الناصرية حتى
خرجا بخفارة اهلها كما بقي هناك ايضا شيخنا الشاعر الافراني وقد نسيه
اميره ، ونسي قصائده الطنانة فقد بقي هناك مع الاديب سيدي البشير
الناصري وقد نهبت بغالهما وامتعتهما فيما نهب للناس فوقف معهما
القائد عمر المصوبن السرخيني مع قائد يسمى اعراب حتى خرجا ناجيين
الى (تارودانت) فاذا ذاك ذهبت القصائد والمقطعات الكثيرة التي له في الهبة
ماسوفا عليها وقد قال في الكنتافي لما مر به واكرمهما قصيدة وهي :

بابارقا لجمي الفوينر تالقا	اجوى اثار سراك ذا ام اولقا (1)
اسريت وهنا فاستثرت لوعة	في القلب اذ اذكرت غزلان النقا
ولمعت فانهملت جفون زارها	طيف الخيال من الحسان فأرقا
برق كأن سناه غرة طيب	ندب كريم في السيادة اعرقا
من طيب الافواه نفح ثنائيه	وسرى فاشأم في البلاد واعرقا
القائد البطل الهمام اللذبه	جو الفضائل والسيادة اشرقا
رجل الحقيقة واحد العلياء ب	سدر المجد بحر بالحباء تدفقا
ليث لدى الهيجا برائنه السي	وف وغابه درن البعيد المرتقى
مفناه امن الخائفين فمن لجأ	لجنابه وجد المنى فتعلقا
كم شارد عاوى وكم عاف همت	يده عليه ندى وكم ظام سقى
يا طيب الاخلاق والاعراق يا	من للعلا والمكرمات تعشقا
انا اتيناكم على بعد المدى	ضيفا نرجى منكم حسن اللقا
فلانت يا بدر الكمال احق من	بالود والرعى الجميل تصدقا
لزال ذكرك يزدري بشذا صبا	مرت على زهر الربا فتفتقا
مني السلام على مقامك ماشدت	ورق على اغصان بان اورقا

وممن بقى ايضا القائد عبد السلام الجراري والقائد حيدة والقائد كابتا
باشا تارودانت فاتصلوا برجال الحماية فأعلنوا بنفض ايديهم من امر الهبة

(1) الاولق : الجنون او شبهه .

فاقتضت السياسة ان يبادروا بالرجوع الى سوس ، وقد زودوا بالعتاليم المطلوبة في الوقت . فأسرع الباشا كائناً ما كان يسبق الهيبة الى تارودانت ولكنه وقع فيما سذكركه والآخرون سلكوا الى ديارهما فكان ما كان مما ستراه هكذا لفظت الحمراء الاعراب والسوسيين واميرهم فبقيت من تلك الساعة في قبضة الجيش الذي نزل في هذا الصباح في جليز وقد رايت افعال القواد الكبار بمراكش واما العامة فانهم دهموا بما لم يحسبوه فمالوا الى اللطيف على عادة المغاربة من قديم كلما حز بهم امر شديد وقد اجتمعت كل طائفة في ضريح ازاءها يطلبون الله ان يلفظ بهم لئلا تهدم قذائف المدافع عليهم ديارهم فاستجاب الله الدعاء فلم يمر في جو الحمراء من قذائف المدافع الا القذيفتان المذكورتان فقط صباحاً ثم وصل الخبر اليقين الى الرئيس الاعلى قائد الجيش بان الهيبة قد فر وان المدينة مفتوحة الابواب له قال الباشا منو خرجنا بعد ان طلع النهار أنا وكل القواد ومن القضاة الشيخ ابو شعيب الدكالي ومولاي المصطفى الذي الذي كان عزل من القضاء على يدي بأمر من السلطان عبد الحفيظ في موكب كبير وغالب من فيه يستطير فرحاً ، خصوصاً القاضي مولاي المصطفى الذي رأى اشارة برجوعه الى منصب القضاء فمثلنا بين يدي (مانجانا) قائد الحملة فحينئذ وحيانا فهناك بالوصول فأجاب خير جواب ثم خطب القاضي ابو شعيب خطبة طنانة اثنى فيها على فرنسة وعلى رحمتها المشهورة فيمن وقعوا تحت يدها يريد الشيخ بذلك ان يبرد مما عسى ان يغلي من صدر القائد . فاطر كلامه في القائد فسأل عنه فسمي له فصافحه، ثم اجابه بكلام احسن مما قال . ثم قال للواقفين : انني اليوم في غاية تعب شديد . فسامحوني الآن . وانما اعلن ان باشا المدينة منذ الآن هو الحاج التهامي . وان القاضي هو مولاي المصطفى . ثم اوصى بتهذئة الناس ووعد بخير قال : فرجعنا وقد قضى الامر الذي فيه تستفتيان فتم احتلال عاصمة الجنوب وقد دخل امر الهيبة وايامه في مراكش في خبر كان وذهبت تلك الحركة التي قامت لتناوىء الاحتلال هباء منثوراً حين لم تجد من اعراب الصحراء من كانوا للقيادة اكفاء . مع ان الشعب التف حولهم بسرعة للغيرة الوطنية الملتهبة اذ ذاك في الصدور .

الهيبة الى تارودانت

حكى لي احد من معهم اذ ذاك من رفقاء اخي محمد قال خرجنا مع الهيبة ، والناس بغير انتظام فكان كل واحد حيث تضعه قوته وضعف

الطليعة او في الساقة والهيبة قد خرج بكل الخيل التي اهديت له
غالبا من الجنائب المظلمات السمان فسرعان ما لحقها الحر الشديد
فترسل السنتها فتقف فتسقط ولم يصل واحد منها وادي النفيس ولم
ينفع ذلك النهار الا الخيل العادية والبغال التي تألف الاستخدام فيها
وحدها قطع الهيبة تلك الجبال واما سواها فقد سقط الكل لغبا وعطشا
نبات . قال وقد كنا نحسبنا اول من سلك تلك الطريق ذلك الصباح ولكن
وجدنا من الامتعة الساقطة حفا في الطريق ما يدل على ان كثيرين سبقونا
خرجوا ليلا قبلنا فيلقون كل ما يعدونه ثقيلًا فكم احمال مفعمة وكم
شواريات (جوالق) بصناديقها ، وكم فرش وكم فساطيط وكم ءانية نمر
بها عن يمين وعن شمال والناس ذاهلون عنها وقد عزمت حين ان
انزل انا ورديف لي عن بغلة ترادفنا عليها لنحمل شواريا فيه صناديق جميلة .
ثاني رديفي ، وملكه الخوف الخائق فصرخ بي اتحسب أن اربابه الذين
رموا به زهدوا فيما فيه . وانما رأوا ان لا نجاة بسببه قال : وحين وصلنا
سائمة دار القائد عمر الامناسي في سكتانة قبل ان ندخل في الجبال
وجدنا هنالك خيلا من اصحابه يتعرضون لمن يستضعفونهم من جماعات الناس
التابعة فينقضون على بغالهم ، فيميلون بها الى دار هنالك ولكن الامن
على كل حال هو الغالب وقد سلم جل من مر معنا هناك وخصوصا من
كانوا في رفقة الهيبة فانهم ما مسوا بأدنى شيء ، حتى تسلقوا الجبل حيث
بنفسون ثم لم يزل الناس ماشين حتى وصلوا تحت (تاچاديرت البور)
ثنية بعد العصر بقليل فنزل الناس فبادر القائد الكنتافي ، فأرسل
اصحابه يعلنون لمن مع الهيبة الامن التام ، وقد اباح كل الاشجار التي يمر
بها الناس فاكهة وجوزا ولوزا فحمد الناس الله فنزل الهيبة مع نسائه
نعت اشجار فوق اكمة ازاء الطريق وقد ادير على الاشجار بثياب
فانتشر الناس نازلين كل ينزل حيث شاء قال الحاكي ادرك الناس
الامن هناك فاستطاعوا ان يتنفسوا ، ولكن المصيبة في عدم الزاد ولم
جد احد من غالب الناس ذواقا ، فاما نحن الذين مع سيدي محمد فقد
نعنا ما على بغالنا مما اوقرها به ذلك الفقير صباحا فأكلنا واكل من عندنا
سيدي محمد بن عبد الرحمن الرئيس وكل من معه لانهم ايضا لا زاد معهم
لبننا نعصد من السميد حتى تعشى الجميع وكذلك في اليوم الثاني
وقد كفانا ما معنا في اليومين اللذين قضيناها في وادي النفيس الى ان
زلنا من ثنية (وشندان) واستويننا في رأس الوادي فحط الهيبة في
الكجوتنت) وهناك وصل الخبر بأن الباشا كبًا قد خرج من مراکش

وسلك ترهات الاطلس على طريق (امي نتانوت) يمشي ليلا ونهارا ليسبقنا
الى (تارودانت) فانتدب اليها اناس منهم مربيه ربه، وسيدي محمد بن عبد
الرحمن الكسيمي، وسيدي محمد يعني الاخ ليحتلوها قبل ان يدخلها فيمتن
بها فرحناها ليلة 28 رمضان ، فاذا به بات هو تلك الليلة في المنزلة ففتن
به اهلها ثم راح الهبة يوم 29 الى تارودانت بعد ما بات في (تالكنجوتن)
ليلتين فبكر عليه صباح العيد برأس كابا فمال الى دياره فأتى علس
كل ما فيها

في تارودانت

هذه فاتحة الهزيمات التي تقلب فيها مولاي احمد الهبة وها هو ذا
الآن ينزل رحله في تارودانت وهؤلاء بعض الرؤساء السوسيين الذين
انهزموا معه يأوون اليه في حين ان غالبهم يثوب الى داره تواء من غير ان
يمر به ، وقد سهل الآن حجابيه ، ولانت قناته ، وذهب عنه اولئك الاثرياء
الحوزيون الذين كانوا يملأون الكأس فيمدونها له دهاقا ، فاغفلوه عن نفس
وعن السوسيين الذين قاموا بأمره وها هو ذا رأس كابا منصوبا بين عينيه
فيرجع اليه ومن معه بعض امانى فيطمعون في استرجاع ما رأوه وفي قطع
رؤوس اخرى ممن سقوهم الحنظل المذاب . اجتمع بعض فل الجيش في
تارودانت . فاطافوا بأمرهم من جديد يمسحون دموعه ويربطون على
جأشه ويلقون في روعه ان النصر مع الصبر وان الدنيا دول وان
سهمه فالج اخيرا لا محالة فلم ينشب ان رجعت اليه الآمال جذعة .
وقوى ايضا الطمع منه فهذا بعينه ما يقوله الافراني شاعر الحضرة بعد ان
وصل قريبا من الحمراء في هذه القصيدة التي القاها بين يديه في آخر
شوال

هو الدهر ان يمرر فعن عجل يحلو	ويحمل عن قرب اذا اتضع الرجل
مع العسر يسر ، والعنا بعده الفنى	وبعد الجفا العتبي وبعد النوى الوطى
فلم يشن المهر الجواد جماحه	مراحا كما الحسناء ماشأنها الدلى
فقد تنجلي الغماء بعد اعتكارها	ويقطع ضربا بعد نبوته النصل
فصبرا امير المومنين فانما	بحر الرضا والصبر يتضح الفضل
ولذ بحمى الحزم الحصين ولازم الـ	تجلد وادع السعد يهم وينهل
ورو سيوف الحق من دم من بقى	فداء جنون البقى ترياقه القتل
فلا ملك مالم يحم عزته القنا	ولا حلم ما لم يحم جانبه الجهل

ومن واتقا بالله فالله ناصر
فيوم ويوم عادة الدهر والوغى
ولبئ نداء المومنين وعند الى
فلا عار من هذا التحيز انه
ففي السلف الماضي لنا خير اسوة
فلا عز الا في مقارعة العدا
نكل مرارات الحروب مريئة ال
وكل عويصات الامور الى رخا
نقم يا امين الله للحق ناصرا
ولا تكثرث بالحادثات وصرفها
ومن رام نيل المجد يحتمل الاذى
نكل جليل دون ذاتك هين
بقيت لدين الله ياوى الى حمى
ودمت ودام الملك فيك معززا
عليك سلام الله يا ملك الهدى

ولكنها الايام شيمتها المطل
سجال وعقبى عقدة الشدة الحل
جهاد الاعادى ثانيا فالهدى يعلو
لحزم ولكن الخضوع هو الذل
فكم مرة فروا فكروا وما ملوا
وارسال خيل تقتفى اثرها خيل
عواقب مهما لم يشب جدها هزل
اذا صدق السيف المهند والنبيل
وجاهد بحزب المومنين وان قلوا
فكل عناء في سبيل العلا سهل
(ومن خطب الحسناء لم يفلح البذل)(1)
يسير فان تسلم فقد سلم الكل
ذراك كما ياوى الى امه الطفل
مشيد ببناء ركنه الدين والعدل
وبحر الندى ماجاد روض الربا وبيل

وقال ايضا بعض ادباء تلك الجهة كما وجدته من غير ان يذكر اسم
القائل ، ولو كنت ممن يطرق بالحصى لقلت انه نفس سيدي محمد ابن
الحاج الافراني . وربك يعلم

لما يا امير المسلمين لعالم
فلا تبتئس مما رايت فطالما
طلعت على الدهر الحسود بطلعة
فسام بخسف لو سواك اصابه
ولكنك الصخر الاصم عزيمة
فما تلك الا سجدة بعدها القيام
فأنت لهذا الامر وحدك بين من
فسعدك سعد المفلحين يقود ما
نادرك جزاك الله بالخير امة

ستبصر عن قرب لنصرك مطلعا
يقلم نبت الروض ثمت امرعا
معدية الللاء ابهى واسطعا
لززل منه الجانبين وضعفعا
وليث الشرى وثبا وفرسا ومدفعا
فانهض واعل الراس بالامر وارفع
تراهم واولى من يجاب اذا دعا
تأبى على كل الورى وتمنعا
نرى امرها بعد اجتماع تصدعا

(1) شطر من قصيدة ابي فراس ، واصله (ومن يخطب الحسناء) لم يفلح المهر

فمثلك لا ينثنى عن حياضها
فما كان اهلا للتقدم غير من
فلولا العنا ما كان نصر ليجتنى
فبالصبر نيل النصر من يصطبر ينل
عليك سلام الله يا خير قائم
زيدا وان من دونها قد تمزعا
يطيب اذا من دونها كان صرعا
ولولا الوغى ما كان اتف ليُجند
من النصر نورا كالصباح او انصا
يرمم ما التفريط هدء وصدعا

وقال له ءاخر - واخبرت انه القاضي سيدي موسى -

صبرا فما هم الخطوب بدائم
من كان يطمع ان ينال بغير ما
الدين في خطر وقد نتفت به
والكفر جاش وازبدت امواجه
فلقد اتت اوقات سعدك يا امير الم
فالليل قد ولى وهذا الفجر قد
لا تياسن فخذ لامرك كل ما
قد محص الله الحكيم لكي ترى
فانهض وشمر فالانام جميعهم
فالله عونك ما استعنت به فدع
هذي ردانة خيس كل غضنفر
فاصبر وصابر وانس ما مست به
وانهض لخصم ليس قط بنائم
سبب الى سطح بغير سلالم
منه خواف بعد نتف قوادم
في بحره المتموج المتلاطم
سومنين ويا ابن خير اكسارم
يبدو فويل للكنود الظالم
فيه انتصار من قنا وصوارم
ان العواقب كلها للحازم
لا يرتضون بغير قرم عازم
عنك الهوينى في سلال اراقم
يجنى انتصارا وسط كل ملاحم (1)
ايدى بنى الحمراء افضل قائم

تلك كلمات من الشعراء مرفوعة الى الهيبة تسلية عما جرى له .
واستنهاضا لهمة خوف ان ياتي عليها الخور ولا ادري كيف يطمع امير
يلقن الحجة ، وتستنهض همته فآين هذا من عبد الملك الذي حكى ما
جرى له في ليلة وهو يقصد محاربة مصعب بن الزبير بالعراق ثم طرقة
الخبر بأن عمرو بن سعيد الاشدق قد ثار وراءه في دمشق فلا يدري ابتقدم
ام يتأخر ثم لم ينشب ان استبان الموقف فاسترد كل شيء (2)

واين هذا ايضا من تيمور الطاغية الشهير الذي قال حاربت احدا

(1) الخيس بالكسر : عرين الاسد .
(2) الحكاية في كتاب (ثمرات الاوراق) .

أبدائي مرارا ففي كل مرة يهزماني . حتى تحيرت في أمري فخرجت وحدي
نفردا عن جندي فلاحظت نملة تحاول ان تطلع بحبة في منحدر ففي
كل مرة تسقط منه فتدحرج الى المرة العشرين فطلعت فتعلمت من عندها
الصابرة فعادت محاربة عدوي حتى تغلبت عليه فأمثال هؤلاء هم الذين
ينهضون بالعظائم ويؤسسون الممالك لا مثل هذا السيد الصالح الحسن
النية الذي سقط في اول محاولة سقوطا عظيما ، فها هو ذا قد احتل تارودانت
وقد ثاب اليه بعض اصحابه ومعه القائد ارعنا والقائد الناجم والقائد
ابن الطاهر والقائد التريعي وامثالهم من الذين يعرفون الحرب ونشأوا
فيها وفي رأس الوادي مجال غير قليل وسنرى كيف مجر عواليه
ومجرى سوابقه

ومما خطب به اذ ذاك رسالة من الاستاذ ابي الحسن الالفى كتبها
اليه ، بمجرد ما سمع انه دخل تارودانت ونصها

(حضرة السلطان التي هي الهالة لكل المكارم المشرقة ومقام يعسوب
الاسلام الذي يده سحاء متدفقة . الامام المعظم والعلامة المفخم من تكبو
دون قدره العبارة فلا يلام من اكتفى في ذلك بالاشارة ابو العباس مولانا
احمد الهيبة الذي يملأ جلسه بالهيبة

عليه سلام مثل ما جرئت الصبا الـ سذيول على الروض البليل صباحا
وازكى التحايا يشمل الكل ذيلها كميظ عن المسك الغشاء ففاحا

اما بعد فلا زائد عندنا الا ما كدرنا غاية التكدير ، من تلك الروعة التي
جاءنا بها نذير وبيس النذير ، مما امتحن الله به سيدنا واصحابه المجاهدين
من القواد المراكشين المستندين الى الكافرين فكانت محنة واعظم فتنة
ولكن ينبغي ان يتلو في هذا المومنون (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
«امنا وهم لا يفتنون» ففي اثناء ذلك تعزية حتى يتحول القول ان امعن
المومن بنظره الى تهنية والله لا يفعل الا خيرا ولا يسوم الله المومنين على
كل حال مما يكون في الحقيقة ضرا ففي غزوة احد وما وقع لسرية الرجيع
ئيسر معونة تسل عظيم لنا ولكم واكبر معونة فلنا ولكم في رسول الله
 واصحابه اسوة وهو في كل تطورات الحياة خير قدوة على ان العشرة
اذا قام منها الانسان بسرعة فاستوى نافعة اذا جمع ايضا كل ما له من
القوى وسيدي ابصر بذلك واعلم بتلك المسالك ولا ننبه منه غافلا ولا

ندهده منه ذاهلا . واما هذه القبائل فقد عراها دهش بما يتقوله من لا يتقي الله في الكذب ممن قدم من مراكش ولكننا نشجع الناس بقدر الطاقة ونكاتب في ذلك كل من بيننا وبينه صداقة ونرجو من الله تلافي الامر وحفظ الملة . على ما في المسلمين من شتات الكلمة والفاقة والقلّة ولكن (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) وقد سمعنا بان الفقيه العلامة خليفتم الذي احسن الينا بعدكم جرى بينه وبين آل تزنيث شئنا فاحب من سيدي ان يتدارك ذلك قبل ان يتلاحم الفريقان فان صدور القوم ملئى باشياء ظنوها في الخليفة السعيد الامين وهم مع ذلك احلاس الفتن وشياطين الاهواء وعند جهينة الخبر اليقين فقد عاشرنا من طلبتهم ورؤسائهم من راينا منهم عجبا وقلنا لقد راينا عجبا قبل ان نعيش رجبا وسنقدم على سيدنا ولابد متى تيسر عن قريب والله ييسر كل صعب عصب والسلام

اعماله في تارودانت

رايت الآن ان كل ما وراء الاطلس من الشمال قد امتنع عن الهيبة بعد ان احتلت مراكش فصارت حدود من لا يزالون متشبثين بأمره بمض التشبث - قولا لا فعلا - من حد (تَرْجَانْتْ نيت موسى) بين قبيلتي ادا وزيكبي واتبنسيران ثم اداوتنان وما وراء ذلك من سوس . ومن حد ثنية وشندان لان الكنتافي سرعان ما انضم الى الحمراء ولا يمكن له الا ذلك واما رأس الوادي فبمجرد ما دخل القائد حيدة داره مرجعه من مراكش . بعد احتلال الهيبة تارودانت بايام قلب ظهر المجن فقاوم الاعراب ومن اليهم وقد كان اولا راود الهيبة ان يدخل مع حكومة (مولاي يوسف) ومع الدولة الحامية في مصالحة وقال له حيدة عن اخلاص ان الحق الذي لك علينا ان نقف معك حتى تأخذ معاشا حسنا وتسكن فيما تختاره في الحواضر ءامن السرب والا فلا يمكن الا ان تلتحق سوس بمراكش طبعاً ومتى قدرت سوس ان تمتنع عن الحمراء من قديم وهي قطبها بل قطب كل الجنوب . فتصامم الهيبة ومن معه عن ذلك فأعلنوا له ما اعلنوه من المقاطعة . وقد كان في جوار القائد حيدة اولاد ابن عيسى رؤساء كبار فاخذ الهيبة بمناصرتهم على جارهم فحين رأى حيدة ان لا مفر من مناصبة الحرب وان هذا السيد المسلم الفيور القانع فيما يطمع فيه الناس لم يدرك ما ادركه حيدة من ان قوة الحكومة قوة عظيمة من المستحيل مقاومتها والطمع في الانتصار عليها صرح بعداوة الاعراب وقد عرف انهم ضروا

برأس كائبًا. وتمنوا لو يجدون ازاءه رأس القائد حيدة هكذا جال حيدة في
المعامع مرغما وهو مكره

إذا لم يكن إلا الاسنة مركب فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

كذلك يزعم الاخ احمد ويقول ان هذه الاخبار استقاها من المداخلين
لحيدة المطلعين على سريرته وذلك كله ممكن وانما المعروف المشهور
انه رجع من مراكش . وقد قبلت الحكومة توبته . فأرسلته ليكفر عن سيئته
التقدمة بمناسبة العداء للاعراب حتى يجليهم عن تارودانت فقام بذلك
خير قيام ، سياسة ومخاطبة ثم محاربة هذا ما يعلمه كل احد واما ما
تقدم فلن يعد وما يتقدم دائما المشادات العنيفة من محاولة الصلح لان
الصلح على كل حال خير ولا يبعد من حيدة العاقل - كما يقول عارفوه -
ان يحاول مع الهيبة تلك المحاولة التي هي طبعا ما يظهر لامثال حيدة الناشيء
تحت كنف الحكومة . من المدركين لقوتها

اما الهيبة فأول ما صنع بعد ان تنفس في تارودانت ، وثاب اليه الفل
من أصحابه ، ان ولى باشوية المدينة للقائد محمد بن حميدة الهواري . وكان
معروفا قبل اليوم بالشجاعة وصلابة القناة ، وهو ممن كانوا في جيش
انفلوس عام 1318 هـ في احتلال قبائل مجاط وما اليها وقد جال وخاض
وخالط حتى حنك فرآه اصحاب الهيبة افضل من يعتمدون عليه وقبيلته
هواره اعظم القبائل التي تقطن ضواحي المدينة فصار ابن حميدة واولاد ابن
عيسى والشيخ الحسن التيوتي في ءاخرين شيعة الاعراب ومعهم القائسد
الناجم والقائد ارعًا ، فيقاومون الشيعة الاخرى التي يرأسها القائد حيدة
وهو يجد في استمالة قلوب القواد هنالك كالقائد نصر صاحب فريجة
والقائد العربي الضرضوري والقائد علي التالامتي وامثالهم يجد في
استمالتهم اليه رغبا ورهبا وهو عميد الحكومة الوحيدة في رأس الوادي ،
نمده بكل ما امكن وكان هو نفسه رجل الكريهة ، مغوارا مدافعا مهاجما ،
كأنما خلق من عثير الحرب الزبون ، فيها يترقى ، ومنها يطلع سعده
لدخل مع الاعراب ومن اليهم من جيرانه في حرب شديدة، قرع فيها النبع بالنبع
وتكسرت النصال على النصال وقد تكررت المعامع وتوالت الغارات
وحيدة يزداد بذلك قوة كل يوم وانصارا وراء كل معصية وقد اتبع كل
انواع السياسات في تقوية مركزه حتى التفرقة بين الاخوة فهذا محمد
ابن ابراهيم التيوتي والشيخ الحسن من ءاله . تأتي له بالتفرقة بينهما

ان يستحوذ على تيوت وما اليها كان محمد بن ابراهيم طالبا يشارط ثم ظهرت منه فتوة ورأى وتناول الى المعالي فلم يجد مع الشيخ الحسن ما يصنع وهو يكبره حتى اتصل بالقائد حيدة ، فتدبر الرأي في الليل فغمرت شيعة محمد بن ابراهيم شيعة الشيخ الحسن في ساعة ختلا والليل مكفهر الجوانب وكان مما انتهب من عند الشيخ الحسن القائد محمد التريعي الدكالي - المتقدم الذكر في رسالة شيخنا الافراني - وقد كان ممن جلا عن وطنه فسلك طريق حاحة فحل بتارودانت على الهيبة كما فعله القائد الناجم والقائد ارعاه ، فساقته الاقدار الى تيوت تلك الليلة اما مصادفة واما استنصارا به وباصحابه فأيا كان فقد ذهب اثاثه وما يحمله من الدراهم فكان ذلك اآخر ما اعرفه الآن عنه ولا ادري في اي واد من اودية شريان يعوي حوله الذيب (1) ان كان هلك في بعض نواحي سوس او هلك في جهة ايت عتاب في قبيلة ايت بوزيد على ما طرق اذني كما اظن ، ذلك ما ربما يكون عند غيري جلية خبره ومن تلك الليلة ظهر محمد ابن ابراهيم التيوتي الذي صار القائد الكبير بعد ولشيخنا الطاهر قطعة لعله خاطب بها الهيبة في تارودانت حين جاء اليه هؤلاء القواد

امولاي ياسيف الصرامة والعزم ومن جوده يفنى عن الوبل في الازم
هنيئا باتيان الشريد وطاعة العصي واقبال الابى على الرغم
فسعدك يامولاي يفنى عن الظبي ويأتيك من غاباتها بالظبا العصم

هذا ما يعمله الهيبة في تارودانت وقد وجد هنالك اهراء مفعمة
بحبوب الحكومة فيها يتقوت مع اصحابه ما شاء الله

ثم ان الحاج عابدا الهشتوكي الذي ذكرنا انه موطن دولة الهيبة في فجر يومها قد عاود النزول من جبله الى تارودانت ، بعد ان سمع بأن الهيبة احتلها فشكا اليه كثيرون ممن لاقوه من حجاب الهيبة الشديد في الحمراء . وقالوا ان ذلك اصل هذا البلاء كله فقد حيل بذلك ما بيننا وبين اميرنا . فلم نعلم شيئا مما يقع . ولا يمكن لنا ان نوصل اليه ما عندنا . حتى فاجأنا ما فاجأنا صبيحة السبت 26 رمضان . فأجفل الجميع بلا نظام ممكن

(1) قال الشاعر القديم :

ابلف هذيلا او ابلف من يلفها عني حديثا وبعض القول تكذيب
بان ذا الكلب عمر اخيرهم نسبيا بيطن شريان يعوى حوله الذيب

فنزل ذلك الفقيه فقام وقعد . فمال على الامير فقال له ان الحاجب محمدا الامين هو الذي تسبب عنه كل هذا الانخزال . فنزل الهيبة عند هذا الراي . فأمر بالحاجب فنكل به ضربا وسجنا - وقد تقدم انه الذي كان جاسوسا للمدني الاجلاوي على الهيبة - وقد وجد الهيبة من رد كثافة حجابيه الى ذلك الاعرابي وعصبه برأسه . عذرا يتقرب به الى الناس . فكان الحاجب فداء الامين (بجبهة العير يفدي حافر الفرس)

حكى لي الرئيس سيدي محمد بن عبد الرحمن الكسيمي انه كان اذ ذاك في قبة كبيرة مفعمة بالرؤساء في تارودانت ، ومن بينهم الفقيه الحاج عابد . فظل ايضا يبدى ويعيد في الحكايات المنهضة وان كانت مؤسسة في الغالب على المنامات والكشوفات ، وهي كلها ترمي الى ان امر الهيبة من عند الله فانه لا بد تام رغم كل ما وقع فصار يتدفق بذلك ما شاء الله والكل ساكتون . قال : حتى فاض ما في صدري فلم اقدر انا ان اسكت فقلت له ايها الفقيه . هذا بعينه هو ما كنا نسمعه منك قبل ان نذهب الى مراكش وكنا جميعا نصدقك فذهبنا ولكنك انت تخلفت عنا فوقع لنا ما وقع ، فتمزقت امتعتنا . وهتكت اعراضنا ثم بعد ذلك كله لم نزل اليوم على ما نحن عليه . ولكنك انت لم تصب معنا بمس شوكة فقد انقطعت عنا يوم تشرب وراء امنسكروض فذهبت مرتاح البال والبدن الى دارك وفي اليوم جيئت ايضا تقول ما تقول فلا والله لا نصدقك ما دمنا لا نرى منك الا اقوالا فقط لا تدعمها افعال قال : قلت له ذلك ففرح بقولي كل من حضر وجزوتني خيرا لانهم ملوا من اصحاب الاقوال ، والوقت عصيب يقتضي اصحاب افعال .

كانت امثال هذه الحكاية ذكرت في ترجمة الحاج عابد بمثل هذا المعنى وانما اعدناها هنا لمناسبة المقام لها لنذكر ان الهيبة واصحابه ومن اليهم تدبدلوا مواقفهم بعد الانهزام فتنبهوا من ذلك التنويم المغناطيسي فأدركوا ان الذي يتطلبونه لا يمكن الحلم به الا لذي قوة ومجازبة لعله ينال بعضه فاما سبحة الهيبة التي مدها لشيخنا الدكالي ، وقال له بهذه افتتح القاهرة ودمشق . فقد غودرت ازاء الطرطور المغادر في قصبة مراكش فان لم تبق ازاء الطرطور حقيقة فقد بقيت معانيها حقيقة ثم ان الهيبة ارسل الاخ مع اصحابه الى قبيلة (اداوزيكي) فرابط هناك ، وقد جلس اعراب مع اصحاب الاخ في نازلة (تارچانت نينت موسى) يتوصلون برسم

النازلة وهي ما يوخذ من كل مار في الطريق هذا ما يعمل الهيبة ومسر
في تارودانت وما اليها . فلنرد بصرنا الى ازغار وجبال ولتيتة وما الى تلك
الجهات لننظر ماذا يصنعون بعد ان رجعوا من الحمراء

جنوبي سوس اذ ذاك

تفككت اوصال القبائل من مراکش وتفرقت طرائق قديدا قد اجفل
كل من هناك فلم ينظر الفادي الذي هو رائح وقد رجعوا وجلين مما عرامهم
وكل امانهم ان يصلوا ديارهم ويتسربوا في شعاب جبالهم وقد تسار
غالبهم من كل امنية كان يتمناها وراء الاعراب فلم يكادوا يصلون ثبات
ووحدا الى ديارهم حتى تنفسوا تنفس من نجا من دهياء داهية كادت
تأتي عليهم ثم ان بعضهم كالرئيس الشيخ احمد الأمازيزي البعقلي قد
خامره ما خامره من ذلك الحين، فلزم وجاره . ولا يكاد يعدو ارض قبيلته الا الى
ازغار . او الى القبائل المجاورة لا غير ، وكذلك كثير من الفقهاء ، فقد نفصوا
اليه من هذا الامر ، كالفقيه ائنبو الهشتوكي والفقيه المؤرخ الرفاكي ، ثم
لم يكن يتزحزح عنهم شيئا فشيئا الا بعد هذا الحين ، فقدروا ان يتسردوا
بعض شعورهم . والفضل في ذلك راجع الى بعض الفقهاء . كأبي الحسن
الافري وابي محمد التامانارتي العاضين بالنواجد على هذا الامر وقد
رايت في رسالة ان ابا الحسن ما كاد يسمع ببعض انتصارات الهيبة على
حيدة ، حتى قام ينادي في الاسواق بالنفير العام وقد قرأ القاري في
القسمين (الاول والثاني) انه ذهب هو والحاج ابراهيم الايفشاني الى
تارودانت اذ ذك ، في اوائل 1331 هـ كما ان للقائد المدني الاخصاصي ايضا
يدا طولى في زحزحة ذلك الكابوس المخيم على الناس في الجنوب ولكن قصده
هو معلوم عند كل احد . لانه انما يسر الحسو في الارتفاع . وما قصده الا ان
تثبت قيادته على الاخصاص وما اليها وقد منحها اياه الهيبة في تزنيته
فكان بذلك على الضعفة مستأسدا فأعان بكل قواه عروض ملك الاعراب ،
لعل قبتهم تتوطد باطنابها واوتادها ليتفيا هو من تحتها . متمتعا بذلك اللذ
الذي يرتضعه من القيادة هو وامثاله في ذلك الطور في مناصرة الاعراب ائد
ذلك الانهزام ولم يستتب الامر الا بعد ذلك كما ترى بعد

اما القائد عبد السلام الجراري فانه بعد مجيئه من مراکش بعد ايام
من مفر الناس اوى الى داره . فصار هو وجاره سيدي محمد بن الحسين
التازاروا التي الذي لم يرضخ قط للاعراب ولا اوى اليهم . يتناجيان فيما

يكون . ومع الشريف التازروالتى الذى لعله يقول فى نفسه انا اولى بهذا
النصب من هؤلاء الاعراب . وقد كان اجدادى فيه . ولكن لا يصرح بذلك
فلا يسمع منه لا ان الامر للشرفاء العلويين ، كانه يقول ذلك تسترا وذرا
للماد فى الاعين . هذا ما يقول الناس . وقد وقفت على رسالة بعض الطلبة
لعله حامدي يكتبها لبعضهم فى آخر سنة 1330 هـ يذكر فيها ما يلقى
للقارئ ضوءا على ما يريد ان يستنكه من حالة الجنوب السوسى اذ
ذاك نصها .

الفقيه الذى بوداده انتعش - وبحسن اخائه التحف وافترش . من
له فى سويداء قلبي مكانة لا توازى . ومن هو منى حقيقة لا مجازا ابو عبد
الله سيدي محمد بن احمد البعقلي ، سلام تام عقب النفحات ، وتحية اعظم
من كل التحيات . اما بعد فقد وصلني كتابك الاعز فكانت منته عندي منة
الله جل وعز ، فلا تسأل عما استفسره منى من الاشواق . وما الاقيه عند
ذكراك مما لا تحمله الاطواق وقد سرنى انك مثلي فى ذلك . سالك ايضا
مثل ما سلكت من المسالك فالحمد لله الذى خلقنا على قلب واحد
متوحدين فى كل المقاصد . ثم انك سالتني عما رأيته فى مراکش مع السلطان .
تطلب منى ان اخبرك كائنك على عيان كما طلبت منى ايضا ان اخبرك بما
ظهر لي فى قبائلنا بعد ان رجع الناس وما رجعوا جميعا الا بالافلاس
فاخبرك يا اخي ان تحمد الله حين لم تذهب معنا الى تلك المدينة المنحوسة
التي يكون كل من نزلها لاصحابها فريسة ، فمنذ نزلنا فيها لم نلق من
يرحب بنا فى مناحيها وكل من نلقاه لا يريد منا غير الدراهم فصرنا
ننفق على الغداء والعشاء حتى اوشكنا ان نبيع السلاحهم واما الاعراب فقد
نتمروا لنا منذ دخلنا المدينة فكان كل واحد منهم اسد ولج عرينه
فكانوا يعطون لنا فى المئونة قمحا اسود يعلم الله كم بقى فى المطامير من سنين .
لكننا نبيعه ونشتري الخبز من الخبازين ولكن نبيعه برخص كثير ثم
نشتري الخبز بغلاء هناك فى كل شىء شهير فتم ما عندنا من بضعة دراهم
معدودة صاحبناها معنا من ديارنا فلولا التاجر محمد بن حمؤ الذى
اعانني بشىء لكنت اليوم تخبر بعارنا فويل لمن يتكل على الاعراب بعد
اليوم ، فانهم لجدير ان يقال فيهم بيس القوم ، ثم اننا بقينا فى فندق وقد
اكثرينا فيه بيتا فلم نعرف ما كان حتى قام الناس وقعدوا بالنهب فصرنا
نحن زيتا وانما اسرعت الى بعض اهل بلدنا سكن هنالك فاخبت عند
اباما حتى دخل النصارى المدينة ، وقد تمكن الاجلاوي كما شاء ولكن

النصراني ما نهب متاع احد ولا اساء . فخرجت مع رفيق لي على ارجلنا
في طريق حاحة نمشي شيئا فشيئا حتى وصلنا ديارنا فحمدا لله على
السلامة بعد ما رأينا كيف تقوم القيامة والسلطان قالوا انه رسا
في تارودانت ولكن لم يبق عاقل يصله بعد ما تكبر على الناس في مراکش .
ثم لاقى مغبة فعله الشنيع - وعجبه الفظيع - وقد مررت بالفقيه شيخنا
سيدي محمد أغبثو في داره فسألته عن امر المسلمين فقال ان الاعراب
افسدوا امر الناس ويا ليتهم تركوه كما كان مع التباس . فقد قادوا اهل
سوس كلهم ففضحوهم اجمعين ، وعربوا عما كان مستترا من عار
السوسيين ويظهر منه انه يتبرا منهم فلا يصلهم بعد اليوم ولا يسومهم
ادنى سوم واما قبيلتنا فالذين ذهبوا معنا قد رجعوا بهذه النية ايضا
وقد رأوا الكفر فاض فيضا فعلموا ان لا راد الا الله وحده وهو الذي
يقدر ان يمنع عبده . وقد سألتني عما ظهر لي من امر القبائل فأقول لك
ما المسؤول باعلم من السائل فكل الناس رجعوا الى ديارهم الا ما كان
من القائد سعيد بن المقدم الكردوسي فانه لا يزال مع مولاي احمد . وربما لم
يبق في قبيلتكم سواه وانت تعلم انه ما لازمه الا ليجد ما يمضغه شذاه .
والقائد الجراري صالح على نفسه بلا شك فلم يخرج من مراکش حتى اعطى
العهد . وارسل الى سيدي مولاي يوسف ابن مولاي الحسن بنصره الوعد .
وقد قام حيدة ليحارب مولاي احمد فالناس ينتظرون ما يكون بينهما
والحاصل ان كل من رأى ما رأينا من الاعراب فانه يعلم انهم لا يليقون لشيء ،
ولا يصلحون لنشر ولا لطي والله يعلم كيف يكون امرهم . بعد ان افتضح
سرهم واما الحاحيون فلا يزالون ينصرون مولاي احمد فالله يجبر
السفينة ويأتي من فضله للمسلمين بالمعونة واما انت فاحمد الله على
لزومك شرطك . فلم تتعب ولا حصل لك ما حصل لنا والسلام ولا تنسنا من
الدعاء كتبه اليك محمد - كذا - الحسين 21 من - كذا - في ثالث ذي الحجة
عام 1330 هـ)

هذه الرسالة ظفرنا بها هكذا في بعض طيات الكتب ولا ادري الان
المرسل ولا المرسل اليه ، وتوقيع المرسل غير بين فلا يدري اهو محمد بن
الحسين الحامدي ام العبارة هكذا محبك الحسين الحامي او المامي
وذلك على كل حال غير ظاهر ، وقد اقلت الرسالة بعض الضوء على ما يخامر
بعض الناس اثر رجوعهم من انهزام الحمراء كما بينت لنا بعض ما يتعلق
بحالة السوسيين والاعراب بمراكش وقد اخبرناها عمدا الى ما هنا

لنستعين في هذا الفصل على ما نريد ويا لله لا مثال هذه الرسالة التي
هي خير ما يستعين به المؤرخ يفرط فيها فتفتت وتطير بين الاوراق
شذر مذر فكم طالب في تلك الجبال امثاله درجوا تحت الفاقة ، فانمحت
اثارهم مع انهم لو كان السعد لاحظهم افضل من كثير من فقهاء يرشقوننا
برسائل كالجنادل . وقبح الله البادية التي تضيع اهلها ومعارفهم وجهودهم .
ورحم الله مالكا الذي صرح بذلك

الشيخ النعمة يطرد من تزيت

كان هذا الشيخ من افاضل اولاد ماء العينين يخدم والده في حياته
خدمة المريد لشيخه . ويحافظ على كتب كل ما يتعلق به . فحين ظهر اولاد
الشيخ في الميدان خلفه اخوه الهبة خليفة له في تزيت ، وقد كان شيخنا
سيدي الطاهر قال فيه هذه القصيدة اول ما لاقاه :

تاللق وهنا برق نعمان يلمع	فشاق الى من ضم سلع ولعلع
عهد الفناها لدى زمن الصبا	تقضى لنا منها مصيف ومربع
تأبت لنا فيها الاماني وساعد	الفواني ولذ بالوصال التمتع
فلم يبق بعد البين الا اذكارها	بانفاس حزن حثهن التولع
لى الله كم اهذى بسلع وحاجر	فاكنى ولا القى القناع فاصدع
وما هاج هذا الشوق الا صبا	بندب لأوصاف المكارم يجمع
هو الشيخ نعمان بن ما العين من غد	اه صوب المعالي والندى وهو مرضع
فقلت وحادى الشوق يحدو تطربا	مقالة صب ذى هوى ليس يقلع
(اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره	هو المسك ما كررته يتضوع)
هو العلم العالى هو العالم الرضا	هو الطود طود الحلم لا يتضعضع
هو الروضة الغناء كم نباتها	ففيها لرواد المكارم مرتع
هو العالم التحرير يفرى بصـ	سارم الحجا كل اشكال يعن ويقطع
تفرد بالتحقيق فى العلم سابقا	فما لامرء جاره فى الدرك مطمع
سما فى سماء المجد بدرا اذا بدا	سنه فاعناق الكواكب خضع
سرى صيته فى الخافقين وذكره	مسير الصبا يذكو شذاه ويسطع
سمعت به قبل اللقا فهويته	سماعا وقد يغنى عن العين مسمع
فلما حدانى شوقه للقاءه	رأيت عجبا فوق ما كنت اسمع

رايت امرءا اما الجمال فيوسف
 فيا سيدا اوفى على كل غاية
 اتيتك ضيفا والنزيل له على
 دعانى لك المجد الذي انت اهله
 ومثلك من يولى الجميل ويكرم النـ
 فدونكها من صادق الود مخلص
 عليك سلام الله نعمان كلما
 واما جلالة الوقار فتيسر
 من المجد فهو اللوذعى السميع
 الكرام حقوق في العلا لاتضيع
 وان على الالفها الطير وقم
 زيل ويحميه ويعلى ويرفع
 له منكم ركن وثيق ممنم
 تالق وهنا برق نعمان يلمع

كما قال فيه ايضا في شوال 1334 هـ بعد هذا الوقت وقد سماه محمد
 الفيث - كما في المنقول منه - مع ان المعروف بهذا الاسم هو مربيه ربه

الا قل لقلب هذه الدهر بالفيث
 هو النعمة المهداة ان اخلف الحيا
 امام هدى اهدى من النجم في الدجا
 واوضح منهاجاً وابن حجة
 عليه سلام مثل نائله الذي
 انسخ بفنا المولى محمد الفيث
 وان ناب خطب جاء بالفيث والفوئ
 واجراً ان شبت لظى الحرب من ليث
 لدى البحث من سفيان في الدرس والليث
 يسح فلا يمنى ببطء ولا ريث

وهذا الشيخ كان ممن اکتوى بما اکتوى به الهيبة . مع انه لا يشتغل
 الا بالعلم والاذكار واول ما وقع له في ذلك ، ما سيأتي

حكى رئيس كبير من رؤساء تزنيث اذ ذاك ان الهيبة في المجلس الاخير
 الذي يودع فيه اهل تزنيث وصى بعض الناس على اخيه النعمة وقد اسر
 اليه ان النعمة رجل مغفل انهكته العبادة فارشدوه واهدوه الى السياسة
 وطرق الصواب هذا ما يقوله الرجل في اخيه فلنحمله على هذا الوصف
 فان الحوادث اظهرت انه كذلك

كان الامير الهيبة وعد - كما تقدم - التزنيثيين بالاهتبال بهم ،
 واستبدال سروج كل فرسانهم بالسروج الجديدة وتقريبهم واعلاء شأنهم
 لسبقهم ولكونهم اول من رفع رأسه بهذا الامر ، واشاد بالبيعة ثم انه
 وصى اخاه النعمة عليهم ان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم
 هذا ما كان في اوائل شعبان ، ثم سافر الهيبة فبقى النعمة في مركز الخلافة
 على جميع جنوبي سوس اجمع وقد كان للخليفة عياد السابقة ايضا في

القيام بأمر الهبة ولما له من اخلاق الصحراويين ومخالطتهم
ومصاهرتهم . والتزيي بزيهم والتخلق باخلاقهم كان اخف الناس عليهم .
نكان يعرف كيف يصيب منهم الهدف فما كان يطيش له فيهم سهم
ولا يفيل له فيهم رأي

دخل الهبة الى مراكش في خامس رمضان وقد خدّر عياد الخليفة
الجراري وامثاله الشيخ النعمة فأمكن لهم في تلك الايام ان يستولوا على
زمامه ، ويقلبونه كيف يشاءون . ولا بد ان يعرف القاريء ان ما بين الجراريين
والتزنييين غير متلائم لاسباب اعظامها وامضها عين تزيت فقد كان
انسان يحفر بيرا في ايت جرار ، فاذا به وقع تحت الارض على سرداب يجري
ماء . فقام الجراريون حتى سدوا المجرى فطلع الماء فوق الارض فاذا
بالماء ماء عين تزيت بنفسه وكان ذلك في منتصف المحرم في اول هذه
السنة 1330 هـ فاسود ما بين الجراريين والتزنييين وانتعش ما كان
بينهما من سنة 1325 هـ من خلاف مسلح حين قامت حرب بينهما وكادت
اليوم تقع ايضا ، لولا ان القوم اشتغلوا بأمر الهبة وما جد التزنييون
غاية الجدة . الا ليجدعوا بسببه انف الجراري ونظرائه ، ممن بينهم وبينه
ضغائن وإحسان . ثم تم أمر الهبة . وقد بدا ايضا فيه الجراري بيد مكيعة .
فربضوا ينتظرون الفرص وقد اندمجوا في غمار الناس فجرفهم ما
جرف كل السوسيين . فنسوا امورهم الشخصية او تناسوها الى حين
ولكن الجراري ما كان لينسى او ليتناسى ما بينه وبين آل تزيت ، فلم
يكذ يجد من النعمة اذنا صاغية حتى التقمها ينفث فيها السموم الناقعة
ضد آل تزيت اعدائه الالاء ، فلا يرى فرصة الا استغلها غير غافل ولا مال .
وقطب تقوله ان التزنييين قد مرنوا على هتك الحجب ، وضروا على
المخالفات فلا يومن جانبهم واعظم ما يكونون موزين اذا احترموا فلا يليق
بهم الا الاذلال والاستخدام

بدت آل تزيت امور من الهبة توسموا فيها ان قلب الخليفة النعمة
صارت مرءاته تصدأ من جهتهم فكانوا يتشككون ثم يغلبون حسن الظن
فيذهبون قدما حتى وصلهم من مراكش بعد ان دخلها الهبة ما يلاقيه
اخوانهم من اهمالهم وتنحياتهم جانبا فبدأ عش الاشمزاز يتكون ، ثم وصل
في اواسط رمضان بلط (1) منهم جاءوا يتشككون امر الشكوى من الهبة

(1) البلط بضمين الهاربون من الجيش

وانهم ما هربوا مع الهاربين من آل سوس حتى لم يطيقوا ان يبقوا هنالك يوما واحدا . وفي اثر وصول هؤلاء بيوم ونحوه ارسل بعض التزنيبيين قمصانا لاهله . وبينها رسالة كلّف بايصالها من الهيبة الى النعمة فذهبت زوجة الرجل بالرسالة في غلافها لطالب اعمش العينين يسمى سيدي عمر وهو رجل صالح محترم ملازم لتعليم كتاب الله امام في المسجد من ادّاكفّا فطلبت منه ان يقرأها لها وما تحسب الا انها رسالة من زوجها اليها . فادركت الطالب بعد اذان المغرب وقد اقبل الى المسجد وهو فيه الامام الراتب . ولسرعته ولضيق الوقت وللظلام الذي بدا يسود الافق ، ولعمش عينيه لم يستوف قراءة عنوان الرسالة او لم يتأمله اتكالا على قول المرأة . ففك الغلاف . فاذا بالرسالة رسمية من الهيبة الى النعمة فسقط في يده فذهب بها الى الاعراب معتذرا ، وملقيا اليهم بالحقيقة كما هي . فقام الاعراب وقعدوا يقولون ابلغ بالتزنيبيين ان استخفوا برسائل السلطان هذا الاستخفاف فلا الرسول اتى بها بنفسه كما امر به وقنع ان يلويها في قمصان اهله . ولا القاريء احترام العنوان فأدى الرسالة كما هي . فقد هتكت استار السلطنة . ونسف سياج حرمتها ، فتوسط اناس من تزنيبت يبينون للنعمة الواقع كما هو وهو لا يلوي عنانه وقد اوعز بمائة من الفرسان ان ينزلوا على الطالب عمر حتى يغرم الف ريال حسني فبدأت خيل الاعراب تجتمع لذلك - وقد بنوا قبة على حبة وظهروا بمظهر الصرامة فتداخل في الوساطة اخيرا من لا يقدر النعمة ان يرده كل الرد خوفا منه فرد المائة فارس الى عشرة والالف ريال الى ثلاثمائة فاجتمع الجيران وذوو رحم الطالب عمر فجمعوا 300 ريال في الحين فدفعوها في صرة للنعمة - فكانت هذه القضية مرة المذاق عند جميع التزنيبيين ويقولون لم نعهد قط من السلاطين والقواد الكبار الا من ينزل فارسا او فارسيين او ثلاثة ونحو ذلك على اهل الاجرام وان بلغ اجرامهم ما بلغ . واما انزال العشرة فضلا عن المائة فسنة اعرابية سنتها قلوب قاسية لا ترثى ولا تشفق فناد بذلك ثائر كل تزنيبي ثم ان النعمة اوعز الى التزنيبيين ايضا ان ينقلوا مزبلة عظيمة ازاء منزله الذي كان فيه . وهي مزبلة هائلة تتراكم هنالك منذ احقاب . فيرغمهم على ذلك اهانة لهم وتصغيرا لمقاماتهم فصبر هؤلاء على مضض . وقد اسروا ما اسروا وفاجأت ايضا رسالة من عند الهيبة تخبر النعمة بان جند آل تزنيبت قد فر غالبهم الى اهاليهم فالزم كل من هرب بالاياب الى مراکش رغما على انفه فاستدعى النعمة رؤساء تزنيبت فأمرهم برجوع الفارين من مراکش اليها في الحال وتناول قذاة بيده

من فوق قطيفة جلس عليها فقال اقسم بجلال الله لئن بقى منهم اليوم
واحد مثل هذا - وأشار بما في يده - لانزلن عليه مائة من الخيل فخرج
الرؤساء فجزوا حتى لم يبت واحد من الفارين الا في طريقه الى مراکش ولكن
في جيب احدهم رسالة مطوية يبينون فيها لآخوانهم ما يلاقونه من اضطهاد
النعمة بمساعي عياد الجراري - وفي آخرها اننا هنا وانتم هنالك . فليفتش
كل واحد من الفريقين عن المخرج من هذا المأزق الحرج الذي انجحنا فيه
ثم كان موسم عند الجراريين فاراد عياد ان يزيد التزنيطين اذلالا فطلب
من النعمة ان يشرفه بخليفة من اهله مع التزنيطين فاستدعى النعمة
الرؤساء في وسط الهاجرة الحارة المستعرة والشهر رمضان فامرهم
بالخروج مع اخيه ابي الانوار لحضور موسم الجراريين قال الحاكي فطلبنا
منه التأجيل الى صباح الغد فنكر في البرودة فأسعفنا فخرجنا غدوة مع
القضاة التزنيطين في 60 فارسا من الاعراب فوصلنا الموسم فنزل
الاعراب عند عياد . فذهبنا نحن الى مقيل نستريح فيه . فقال عياد للاعراب
ان المألوف ان يشتري التزنيطيون الذبيحة التي سيقدمها الخليفة الى
ضريح الشيخ الذي حوله الموسم فجرى الينا اعرابي فأخبرنا بذلك
فاشترينا نسيئة ثورا فذبح وفي العشي ذهب احد التزنيطين من اصحاب
الغيل فاحتال على عياد حتى أدى ثمن الثور . وفي العشي لم تيسر الحلبة
العنادة في الموسم لصيام الناس ولغبهم وشدة الحرارة ثم بات الجميع
في دار عياد . فانزل الاعراب في محل ، والتزنيطيون في محل فمر بعض
طلبة التزنيطين فاذا بعياد يبديء ويعيد في نحت اثلة عال تزنيث على عادته ثم
لح عياد المار فانخنس . وفي الصبيحة ءابوا الى تزنيث وفي وسط
نوستنصار سمعوا بارود الحلبة عند الجراريين فقال احد التزنيطين هذا
اوان الكيل لعياد بمكيال واف - فمال الى الخليفة ابي الانوار ابن الشيخ ماء
العينين فقال له اسمع ؟ فقال نعم اسمع بارود الحلبة فقال اتدري ما
مقصود عياد بهذا ؟ قال . لا قال اهانتك وحدك والا فلماذا لا يفرح مثل
هذا الفرح امس وانت عنده ؟ وايضا هل قدم لك هدية كما هي العادة لمثلك في
النواسم ان حضرها ؟ قال لا قال فمن هنا يعرف مقصد الرجل من الاهانة
القطيفة فوقف موكب الاعراب يتساءلون عما يليق ان يصنع بهذا
الهيمن لخليفة السلطان . فقلت لا يليق الا ان يرجع اليه الآن عشرة من الخيل
تنزل عليه حتى يقدم الهدية ويؤدي مع ذلك غرامة حين تعمد الاهانة
فكتبت الرسالة في الحين ، فرجع الفرسان ولم نلبث ان جاء عياد الى
تزنيث مقدما لكل ما يطلب منه فقال له قائل اتدري اي ثمن اديت ؟ قال

أدبت ثمن ما قلته للأعراب عن التزنيّتين وقد سمعتموه مني ثم شرع
يسب الأعراب . ثم في ليلة 27 رمضان استدعى النعمة بعض علماء تزنيّت
فسألهم عما يصنع في تلك الليلة . فقال له أحدهم يستكثر من أخاير الأطعمة
وتحيا الليلة بالصلاة والاذكار . فقال : لكننا ما صنعنا الا عصيدة بدهن قال
الحاكي : فعرفنا ان مقصوده اهانة العلماء ايضا ثم دهمت طلائع الانهزام
من مراکش . فصارت اولا تقولات ثم صح ذلك وقد وصل المنهزمون
التزنيّيون انفسهم وقد تلاقوا مع من ارسلناهم قبل عن اذن النعمة في
اثناء الطريق . وفي يوم جمع النعمة رؤساء تزنيّت فقال لهم ان الاجلاوي
والمتوكي والرحماني قد غدروا السلطان ولكن نجاه الله الى تارودانت
قال الحاكي وهو ممن حضر فشمطنا بما وقع غاية الشماتة من اجل ما
قاسيناه من الاعراب من الاهانات . ثم سأل النعمة احد التزنيّتين ماذا
ينبغي ان يفعل في امثال هذه الظروف ؟ فقال اظهر التجلد واخراج
المدافع . واجراء الحلبة . فأمر النعمة بذلك قال ذلك المسئول ومقصودي
انا اظهر فرحنا حقيقة بما وقع لان تلك الهزيمة وقعت على قلوبنا بردا
وسلاما

رجع النعمة الى ملاينة اهل تزنيّت وملاطفتهم وقد راود بعضهم ان
يسافر الى تارودانت ولكن الرؤساء صاروا يعضون على حكمت اللجم
ويحزنون امام اوامره وقد رجع من مراکش فصاروا يتداولون فيما بينهم
ما يصنعونه . فراوا ان يذهب القليل الى تارودانت ويبقى الغالب ليصنوا
تزنيّت فوق ان بعض الرؤساء القادمين من مراکش راوده النعمة
بمباشرة وملاطفة زائدة على ان يرجع الى تارودانت فقال له انني قد
كنت ذهبت الى مراکش فخلفتموني في اهلي بمساء فاستوضح النعمة
عن جلية ما يقصد فقيل له ان الطالب عمر الذي غرّمته من اهله وقد
استاء بذلك غاية الاستياء . فخجل النعمة فاستدعى في الحين بالصرا
بعينها كما ربطت . فناولها للرئيس بعقدتها ، فرجع الى سيدي عمر ما كان
غرمه ظلما هكذا انكسرت شريّة الاعراب فانهمزوا في صلابتهم التمس
ابدوها منذ احتل اميرهم مراکش كما انهزم اميرهم انهزامه الشنيع في
مراكش ففتح الباب للتزنيّتين فصاروا يوالون مؤتمرات سرية
يكاتبون فيها الحكومة - ويوالون اليها الرسل - ثم كشفوا سرائرهم
بين شوال واوائل ذي القعدة وقد اعتقل ابو الباكور في تارودانت فجازاه
الهيبة مجازاة المنصور العباسي لابي سلمة الخلائ وابي مسلم الخراساني

او مجازاة عبد الرحمان الداخل لمولاه بدر الذي قاسى معه ما قاسى حتى
تبثت قدمه واستتب امره ، او مجازاة المهدي الفاطمي لابي عبد الله الذي
وطأ له . فقد كان ابو الباكور اول من نادى ببيعة الهبة جهرا كما تقدم
ثم كان اول من ذاق الوبال على يده من التزنيّتين صرح الشربين النعمة
وال تزنيّت فكان التراشق اولا بالكلام ثم ادى الى امتشاق الحسام
فاستعان النعمة برماة من البعقيليين فقاطعه التزنيّتون كلهم عن يد
واحدة فدوى الرصاص ما شاء الله ، حتى تساقط موتى في الجانبين
وقد صمم آل تزنيّت على اجلاء النعمة عن بلدهم فكان اولا يابى كل الباء .
ولكن ما وصل عيد الاضحى حتى رأى ان هذه المشادة الشديدة ليس من
رجالها ، فسعى ساع في المصالحة فتمت على ان يخرج النعمة الى حيث
اراد فأرسل عياد الجراري بغالا وجمالا كثيرة فجمع النعمة ما تيسر من
متاعه فخرج رابع الاضحى الى وجان وقد بقى وراءه متاع كثير له
ولاخوته ولاصحابه قد اودع كل واحد منهم متاعه عند من يعرفه من
التزنيّتين فعدت الايدي على ذلك نهبا وقد كان الاعراب انفسهم انتبهوا
كثيرا من متاع آل ماء العينين ، فكم كتاب بيع هناك قبل هذا الجلاء واما
عند الجلاء فقد صار اعوان الاعراب واماؤهم وشذاذهم ينتهبون كل ما
وصلت اليه ايديهم ثم باعوا ببخس ما باعوه واودعوا ما اودعوا ثم
جالت الايدي ايضا في الودائع فتبعثر من المتاع والنفائس والكتب ما كان
عامرا للاسواق زمنا غير قليل ولم تبق خزانة لم تدخلها كتب ماء العينين
في سوس كله . فكانت مصيبة مزدوجة مصيبة النهب، ومصيبة تمزق تلك
الخزانة النفيسة التي جمعها الشيخ ماء العينين واجداده في قرون ثم
حافظوا عليها بذلك تمزق متاع آل ماء العينين وليس انه نهب عام
وانما انتهبه اهله وحدهم فأوصلوه الى الايدي بيعا بخسا او وديعة لم
تحترم فيها الامانة ولم يسلم من كل ما دخل تزنيّت من متاعهم الا ما عاواه
النعمة الى وجان . وهو قل من كثر وقد ذاع حتى تواتر عند التزنيّتين ان
كل من اعتدى على تلك الودائع قد اجتاحت ماله جائحة ينظرها كل ذي
عينين يتحدثون دائما ويرون ان ذلك من اعتدائهم على الودائع من ايدي
مؤلاء السادات الذين من بينهم صالحون وصالحات وقد كانت القبائل
الجنوبية جمعت في هذه السنة اعشارها في تزنيّت فكان ذلك كثيرا الى
الغاية فتمطى فيه الاعراب ما تمطّوا ثم بقي منه بعد ذلك كثير يوم
جلالهم وقد كان النعمة اشترط عند اعلان المهادنة بينه وبين آل تزنيّت

ان ينقل تلك الاعشار معه ولكن ما كاد يخرج من الباب حتى استبد
الترنيتيون بما بقي من ذلك كله . فانزل النعمة رحله على ءال القائد موسى
الوجانيين . وقد تلقوه بكلتا اليدين وقوفا مع الوصية التي يقول القائد
موسى انه تلقاها من الشيخ ماء العينين اذ قال له : ان وصل عليك اولادي
بشيء فاعنهم فكان انزالهم في داره اعظم اعانة

هكذا كانت ترنيت اول بلد اعلن امر الهيبة . ثم كان ايضا اول بلد نفى
منه يده . مع ان يد الحكومة اذ ذاك لم تتجاوز بعد مدينة الصويرة . والغريب
ان ءال ترنيت لم يروا الا ذلا وفقرا واعناتا منذ ذلك اليوم الى الآن 1379هـ .
فقد ذهب مأوهم وكادت بساينهم تعود قاحلة فلا تجارة ولا حرث
ويرى بعض الناس ان ذلك اتاهم من هذه الناحية والله اعلم

القائد الحبيب باقا يفرق في طريقه الى ترنيت

توالت الرسل من ترنيت الى الحكومة تتطلب منها ان تغيشها ، لانفرادها
وحدها بين قبائل الجنوب التي لم تدخل بعد فيما دخلت فيه واهلها لا
يزالون ينصتون الى ءال الهيبة وقد بدأت القبائل تتحرش بترنيت ولا
تجد مستندا الا ما كان من قبيلة اچنلو فانها تظهر ميلا الى قبيلتها

كانت مراكش بعد ان احتلت في اواخر رمضان مركز الجنوب . كما كانت
دائما منذ اسست فكان قائدها الاعلى الفرنسي والباشا الحاج التهامي
الاجلاوي يسيران بسياسة تقص اجنحة الهيبة ومن اليه ، فصار الاجلاوي
يكاتب الشريف التازروالتي ، والقائد عبد السلام الجراري ، مع القائد حيدة
الذي كان اذ ذاك بدا يجاذب الحبال مع تارودانت وحين تيسر الآن مركز
ترنيت وهو مركز حكومي امين ومقل حصين صارت مراكش تجيل
الآراء فيمن توليه على ترنيت ليحافظ عليها فوق اختيارها على القائد
الحبيب بقا . وهو الذي كان يعرف ترنيت من قديم ثم كان فيها سنة 1325هـ
فتم على ذلك راي الحكومة واسست الاسس لذلك

حدثني الشيخ احمد ابن القائد سعيد المجاطي قال كنت عند الحاج
التهامي في اواخر صفر فافضى الي بما تنويه الحكومة وقال انني ساقود
جيشا بعد عيد المولد النبوي الى تارودانت لاجرج منها الهيبة وهذا (بقا)
سيركب من الصويرة الى اچنلو ليكون القائد الاعلى بترنيت ثم دفع لي

رسائل الى الشريف التازروالتي والى القائد عبد السلام الجراري والى
ابى القائد سعيد المجاطي قال فخرجت من مراکش وقد تركت الجيش
يجتمع ازاء صهريج البقر وهو الذي سيقوده الاجلاوي الى تارودانت ثم
جيئت الى الصويرة فبقيت ما شاء الله فركبنا مع القائد بقا حتى نزلنا
في الزوارق من الباخرة امام (تمندا اكلو) فقدر ان انقلب الزورق بالقائد
ومن معه ولكن نجوا جميعا الا ما كان منه فانه وجد ميتا قد لفظته
الامواج وكان غرقه في الثالث من جمادى الاولى 1331 هـ

القائد ابن دحان في تزنيـت

كان هذا الرجل من الاعوان في الدوائر العزيزية ثم في الدوائر
الحفيظية ، واصله من قبيلة عبدة سمعت شيخنا الدكالي يقول استدعاني
يوما القائد الاعلى للجيش فسألني اعرف انسانا مخزنيا يليق ان
يكون قائدا في تزنيـت فان الحكومة قد ارسلت القائد بقا فهلك غريقا
وقد توقفت على رجل حازم باسل سياسي والامر يقتضي السرعة قال
ناستحضرت في الحين ابن دحان واول ما اعرفه انني مررت به وانا قافل
من المشرق بين طنجة وفاس وقد حرس الطريق في اصحابه فأعجبني
بلباقته . فذكرته للقائد . فقلت له انه الآن حاضر ثم خرجت فأرسلت اليه
نجا في ثياب ليست بذلك ، فأفضيت اليه بالخبر ثم حثته على تجميل
هيأته في الحين ثم لقي القائد الاعلى فتم الامر باستعجال

ركب ايضا ابن دحان الباخرة فمر بأجادير ، حتى خرج في اكلو
خفية ، ثم عجل الى تزنيـت في قليلين ولم يصبح الناس حتى دخل دار
القيادة وذلك نحو شعبان بعد ما تم في تارودانت مما سيأتي ثم ان
الحكومة والت على ابن دحان الدراهم بلا حساب فصار ينظم الجند حتى
كان مئات ويشترى الخيل ويستعد ، وقد مد يده بالكرم فلم يلبث ان كان
اعظم قائد له صيت وصدى رنان في سوس ثم صار يمد نفوذه الى المصدر
فماسية وقد اخذ يعاونه فيها القائد الحاج محمد بن محمد بن همـو
الغـبـالـويـي وهو الرجل الذي لازم الحيات في بيعة الهيبة فلم يقر بها
ولا صدق بتمام امرها ثم تمطى ايضا ابن دحان هكذا وهكذا الى ان كان
ناسنذكره بعد حين من تراجع نفوذه الى داخل تزنيـت يوم حاصره الاعراب
مع الجبليين ثم كرتة حتى كان ما كان

الهيبة يطرد من تارودانت

بقي الهيبة في (تارودانت) من يوم دخلها الى ان خرج منها سبعة اشهر وسبعة عشر يوما . وقد كان من سياسة الفرنسيين في مبدأ الاحتلال مبنية على التآني والملاينة . وهذا بعينه ما رايت انهم عملوه مع مولاي احمد الهيبة في مراكش . على لسان اصحابهم من الاجلاويين وغيرهم . ولكن لم يجدهم ذلك شيئا ازاء تصلبه . ثم انهم كروا ايضا بذلك بعد ما كان في تارودانت وهاك ما حكاه لي الحاجب محمد الحسن بن يعيش الحاجب الذي كان الواسطة بنفسه قال :

(بعد بيعة مولاي يوسف في الرباط استدعيت وانا قائد المشور الى الإقامة العامة فوجدت المقيم العام (ليوطي) فتكلم مع قبطان بلغته وهو يشير الي ثم تركنا فقال لي القبطان هل بينك وبين احمد الهيبة تعارف ؟ فقلت له نعم من قديم فقال اتكاتبه ؟ فقلت كنت اكتبه قبل وضعه الاخير فقال ان عندنا الخبر بكل ذلك والآن نطلب منك ان تكتب اليه وهو الآن في تارودانت لتمنيه حتى يسلس قياده للحكومة فيلبي دعوتنا فقلت له كيف اكتب اليه ؟ فصرت اكتب فيزيد وينقص ثم لم يرض ما حررته الا في المرة السادسة فكتبت الرسالة بقلمى امامه ووقعتها باسمي ثم دفعت الرسالة له وبعد نحو اسبوعين استدعيت . فقبل لي ان الجواب قد جاء . وفيه ما يدل على ان لك مكانة مكيئة في قلب الهيبة ولكن الهيبة زاغ عن الجواب الحقيقي ووعده خيرا ثم اننا سافرنا مع مولاي يوسف الى مراكش . فوصلنا ليلة عاشوراء عاشر المحرم 1331 هـ فاستدعيت ايضا فمثلت امام مولاي يوسف وعنده الحاجب عباؤو وذلك القبطان المتقدم فأمرني مولاي يوسف ان اكتب الى الهيبة ، استأذنه في الاتصال به فذهبت الرسالة ، وبعد ايام ابلغوني ان الجواب قد ورد وانه ءَاذِنَ لي بان اسافر اليه فأمرني عباؤو ان اضمن له كل ما يريد من كل منصب تحت السلطنة عند مفاوضتي معه وان كان ذلك كالخلافة عن مولاي يوسف على ما وراء مراكش من جميع الجنوب . وان يكون له كل ما يريد ففوض الي ان اضمن له كل ما يقترحه كيفما كان ثم قيل لي ان الكنتافي ينتظرك غدا في (أَجْرَچُور) ليصاحبك ، ومعه كل ما تتوقف عليه من الفراش والمثونة فركبت على بغلتي ، ومعي فارس وعونان بكرة فوجدته ينتظرني وفي ذلك الوقت تهيأ الحاج التهامي والعيادي ومولاي الزين كخليفة للسلطان على جيش

ساروا به من باب الرب في وادي النفيس فنزلنا مع الكتتافي وراء الاطلس ،
في الوقت الذي نزلوا فيه ازاءنا فاستدعاني مولاي الزين عشية الى
نسطاطه فوجدت عنده الحاج التهامي والعيادي والقائد حيدة فقال لي
حيدة انك قائد مشور سيدنا السلطان والاعراب يقدرون فخفنا ان
يقدروك ونحن نؤجل المحاربة غدا مع الهيبة لئلا نقطع عنك الاتصال
بصاحبك الهيبة . فقلت له : ان مهمتي على حدة ومهمتكم انتم على حدة .
يظهر من حيدة انه لا يريد ان تنفك العقدة على غير يده . فرجعت والكتتافي .
وانا في كل هذه الايام اوالي الرسائل الى السلطان والى الهيبة اريد منه
ان يهييء لي كيفية الملاقاة فاذا بالفئدار حيدة تعرض للرسول ، فاغتاله
اصحابه . بعد ما خرج مربيه ربه في خيل الى محل تواعدنا للقي فيه . فثار
ثأر الكتتافي حين خيس العهد في الرسول الذي خرج من محله فلما لم
ينسر الاتصال بالهيبة رجعت الى دار الكتتافي فاستأذنت مولاي يوسف
ليما هو المعمول . فأمرني بالرجوع ثم لم نلبث ان سمعنا بالهيبة هاربسا
من تارودانت .

قال : وحدثني عبد الحي الكتاني انه كان انتهر هذه الفرصة ، فاراد
ان يجزي احسان مال ماء العينين باحسان آخر لان ماء العينين هو الذي
وقف حتى سرح الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني من
راكش الى فاس كما ان احمد الهيبة هو الذي شفع في اهل الكتاني
عند مولاي عبد الحفيظ ولكن الهيبة اجابه عن رسالته بقوله تعالى
اينا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله
واشرك به ما ليس به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار

رايت فيما تقدم ان القائد حيدة وشيعته قائمون على ساق في مناجرة
الهيبة . كما كان الهيبة ايضا وشيعته يبلون في محاربة هؤلاء . تركناهم على ذلك
منذ شوال وقد مضت شهور وهم في عنفوان الحرب والحرب بينهم
سجال . ولكن كفة حيدة على كل حال تميل دائما الى الرجحان ، بسبب توحد
القيادة والاقبال والادبار بسياسة وحنكة (وقد المنا ببعض اخبار تتعلق
بله الحروب في ترجمة القائد الناجم في (القسم الخامس)) وبعد عيد
المولد النبوي في سنة 1331 هـ وقد انحدر الباشا الحاج التهامي من ثنيه
رشدان يقود عسكريا لجبا فتقوى به جانب حيدة فتعاونوا على شيعه
الاعراب التي صار الفتور يتسرب اليها وقد فقدت القوة المعنوية

والحسية والراسلوا ديون الذين كانوا ينافحون في صفوف الهيبة قد تسرب اليهم الضجر وشكوا كثيرا في اجتناء النصر ، خصوصا يوم عاينوا الاجلاوي في وجوههم وقوة الحكومة تسانده ففت كل ذلك في اعضادهم فأقبلوا يتسللون لو اذا من صفوف الاعراب الى صفوف الآخرين وهم يوعدون بثأمال حتى لم يبق عند الهيبة الا اصحابه واولاد ابن عيسى فساوره في تارودانت ما ساوره في قسبة مراکش سحر يوم 26 رمضان 1330 هـ فلم يطل يوم 17 من جمادى الثانية من هذه السنة 1331 هـ حتى نجا بلطف الله من تارودانت وفي الحين وصل الخبر الى الاخ سيدي محمد الرابط في اداوزيكبي فاتخذ هو ومن معه الليل جملا فلم يصبحوا الا في جسيمة فطلع الاخ الى البلد وهالك خمس وثائق تاريخية تتعلق بهذه الفترة - وكلها مكتوبة الى القائد محمد الاغبالتويبي الماسي -

الاولى

خديمنا الارضى القائد محمد (أغبالتو) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله . وبعد فقد بلغ علمنا الشريف ما انت عليه من السعى في استقامة احوال تلك الارحاء . ونقي درن المتشغلين بايقاد الفتن والساعين في الفساد والافساد وذلك كله من نصحك وقيامك بالواجب عليك فيه لان جنابنا الشريف يعدك من الخدام النصحاء الذين يكفون المهمات بتلك الانحاء فنأمرك ان تزيد في عملك من السعي في الصلاح وطرد الفساد والقبض عليهم وشد عضد محلتنا السعيدة التي بتارودانت بما امكنك والعين عليك فانك لا تعدم من جنابنا الشريف خيرا وجزاء وافيا اصلحك الله واعانك والسلام . في 29 محرم الحرام عام 1931 هـ وعليه طابع الملك الجليل مولاي يوسف رحمه الله .

الثانية

اعلى الله بمنه مجادة محل الاخ الاعز الاود الاكرم خديم مولانا الابى القائد الحاج محمد بأغبالتو ماسة اعانك الله وحفظك وسلام الله ورحمته وبركاته عن خير الامام نصره الله وبعد فقد سألنا عنك وعن احوالك كل الصادر والوارد حتى قبضنا حقيقة عنايتك على الاخوان عال تزيت وشرحوا لنا ما انت عليه من الاعتناء وميل غشاوة السحرة عنكم وعن بلادكم وفرحنا لكم بذلك لاجل اخوتكم الصالحة وخيركم وعليه زيدها

على هممكم مع وقوفكم لتخرج عنكم مكاييد الفتان والحمد لله حين
اطلعتكم على سحره وكذبه وبعض ما زال يرى طلسمه وهو عند غيرك شائع
وظاهر وقد تبعوه كأبي حمارة الذي تذكر الكتب انه سيأتي في آخر
الزمان حتى ظننا انه هو بل هو ساحر كذاب ولم يستحي على كذبه
وعليه ايقظ نفسك من غفلتك ومن يسحر فلعله الله بما يتباهى به على
عباده وجميع ذنوبهم عليه محسوب ، وعلى اخوتكم والسلام في صفر عام
1331 هـ واعلم اننا ما ثقلنا الا لاجل ما خفنا على اخواننا من السوسية ولا
نظن انهم بجدهم ردونا وتلك الامور اخرناها حتى يفيقوا وما اردنا منهم
الا خيرا وقد اخبرنا المخزن بعنايتك من اولها الى آخرها وقلنا
له ان القائد الحاج محمد بأغبآلو ما عمره قبل تأثيرات هذا الساحر من
اولها الى آخرها وفي القريب ترى جواب المخزن بما يسرك والسلام واعلم
ان دار انفلوس هدمت واكلت بلا شك والسلام حيدة بن مآيس المنبهي

الثالثة

خديمنا الارضى القائد محمد بأغبآلو وفقك الله وسلام عليك
ورحمة الله وبعد فقد اصدرنا لكم امرنا الشريف مرارا بالقيام على ساق
في استيصال شافة الفتان واشياعه وراحة الناس منه ومن اتباعه
وزدناكم هذا تأكيدا لتمضوا على ما قدمناه لكم في هذا الشأن واسعوا
ما امكنكم في اراحة ما تسبب فيه هذا الفتان من الفساد والافساد . وها نحن
عينا اخانا البار مولاي الزين ومعه ما فيه الكفاية من المدد شدا لعضدكم
وزيادة في تقويتكم وفي الاثر تصلكم اعلامه وراياته . وتظهر لكم من المفسدين
عبرته سبحانه وعآياته . فنأمر ان تنهيا لملاقاته وتقوم على ساق الجدد
والاجتهاد في شد عضده وتنتهز الفرصة في حصول المقصود الذي توجد
لاجله . وتسعى ما امكنك فيما يعد لك مزية عند جنابنا العالي بالله انت
واخوانك فان الاعمال رأيتها وعند الامتحان يعز المرء او يهان اعانكم
الله والسلام في 18 ربيع الثاني عام 1331 هـ

الرابعة

احباءنا الارضين كافة قبيلة المعدر والبؤ الطيبة وفرقة من هشتوكة
الذين مع اهل ماسة وكذلك اهل ماسة كافة من الرباط الى وادي الفاس.
نخص منهم القائد محمد بن محمد بن هو الماسي واعياناه علي بن احمد

والمدني والسيد عبد الله الماسيين ، اعانكم الله وارشدكم وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته . نعم جميع احوالكم المرضية بالله وبعد ؛ وافانا اعز كلامكم فرحين به غاية الفرح والحمد لله على كل حال فالله يلقينا معكم في ساعة سعيدة ءامين . وعليه فمما يسركم اننا معكم في الظاهر والباطن فيما تحبون وترضون . من فضل الله وسعادة مولانا وكذلك جميع من تمسك بكم فهو على العين والراس وتمام الكمال . عند اظهار الافعال وعليه فاقدموا على بركات الله بجميع من معكم والمتمسك بكم يقدم معكم في امان الله وحفظه . واصحبوا مع محب الجميع القائد الحاج احمد بمئونتم وهديتكم . وها المحلة السعيدة المعتبرة قادمة لناحياتكم متابعة ءثار الفتان . واما سواه فما قصدنا فيه الا الاصلاح والسكينة وها نحن نازلون مع المحلة بالچرون وفيه نلتقي معكم ، لتنالوا المزية كما اردناها لكم واما خيركم فما نسيناه فالله يقدرنا على مكافاته وامرنا الخليفة الاكبر بيده مولانا مولاي الزين باعلامكم حين سبق اليكم كلامه ولا تنصتوا للقييل والقال واما غير ذلك كما قلتم فكسراب بقية وعلى اخوتكم ومحبتكم الخالصة ، والسلام في جمادى الثانية عام 1331 هـ وها المحلة قادمة في الاثر والسلام نعم ومكاتيبكم دفعناها للشريف خليفة سيدنا والثانية للبasha الحاج التهامي . وامرونا ان نكتب اليكم ، وقالوا لنا كل ما اصلحت اصلحنه وما افسدت افسدناه وهذا ما يكون في ذهنكم وهم قادمون نحوكم في الاثر عاجلا وخروج المحلة لناحياتكم بكرة الثلاثاء بعد تاريخه (كتبه حيدة بن مائيس المنهبي)

الخامسة

محبتنا الاعز الارضى القائد محمد بن محمد بن همو الماسي ، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصل كتابك معلما بتنصلكم من متابعة الفتان وتبرئكم من دعوته ، وبفرحكم لقدومنا وما امد الله به محلة مولانا المظفرة من ريح النصر على الفساد . طالبين من الله جبر حالكم بتأييد جناب الدولة الشريفة وصار بالبال فاعلم انكم والحمد لله عند جناب المخزن من القبائل المميزين بالصلاح ، والنصح في الخدمة ، قديما وحديثا ومقصود سيدنا ايده الله بتوجيه هذه المحلة التي كلفت بها انما هو بث الامن ونشر الصلاح في هذا القطر السوسي المبارك من غير لحوق ضرر لاحد وعليه فلا بد اذا وصلكم كتابنا هذا ان تهيب جميع

إيمان اخوانك واقدم بهم علينا وعلى خليفة سيدنا للمحلة السعيدة بلا
تأخير اعانكم الله وعلى المحبة والسلام في 21 جمادى الثانية عام 1331 هـ.

ثم هاك نظرة عن هذه الوثائق :

فالاولى المؤرخة ب 29 المحرم 1331 هـ من الملك الهمام مولاي يوسف
رحمه الله .

والثانية المؤرخة ب 24 صفر 1331 هـ من حيدة

والثالثة المؤرخة ب 18 ربيع الثاني 1331 هـ من مولاي يوسف
ايضا رحمه الله .

والرابعة المؤرخة ب 25 جمادى الثانية 1331 هـ من حيدة

والخامسة المؤرخة ب 26 من جمادى الثانية من الحاج التهامي
الاجلاوي ولذلك يعلم القارئ انها كلها كتبت في هذه الفترة التي نحن
نوها فيستفيد منها ما يستفيد

حالة سكتانة الآن

كانت قبيلة سكتانة مجتمعة تحت يد القائد التازولتي الواعنابي الفلالي
الاصل ولاهله رياسة من اواسط القرن الماضي وقد كان له ظهير
القيادة وقد اجتمعت تحته فرقتا سكتانة ايت تازولت وايت سمنج
- وهؤلاء غير ايت سمنج الساكنين في جوار ايت برجيل - ثم وليه ولده
الحسن بن محمد رئيسا قبليا وقد مات الحسن هذا بعد صدر هذا القرن .
ثم تفرقت سكتانة على تينك الفرقتين فتدور بينهما حروب فظهر محمد
- فتحا - ابن تانبا فكان من شيعة آل تازولت ومحمد - فتحا -
ابن عبد الله من آل ابي بكر من ايت سمنج فكان الظهور لهذا الاخير
وعلى ذلك كانت سكتانة قبل 1330 هـ ثم لما ظهرت رايات الاحتلال من
البيضاء . وانتشرت الدعاية للهيبة . فبويع في تزيت . ورد عليه مع القبائل
لؤساء سكتانة . ومن بينهم محمد - فتحا - بن عبد الله المذكور ثم
انكمشوا بعد ان رجعوا ولم يذهبوا في جيش الهيبة الى مراکش
فسلموا مما وقع لمن معه ثم لما ظهر القائد حيدة في الميدان ، وحارب الهيبة
فثارودانت بقى السكتانيون بعيدين عن الفريقين معا ثم انبعثت بين

الفرقتين حروب متعددة استرسلت كذلك الى 1334 هـ . واذذاك استولى محمد بن عبد الله على املاك اِدْهَمُو في المحل الذي بنيت فيه دار الاجلاوي في (تاليوين) وقد فتك ابن عبد الله بابراهيم ابيهم ثم لما توجهت همة الاجلاوي الى الاستيلاء على تلك الجهة اتصل بمحمد بن عبد الرحمن النظام المديدي فسهل عليه ما يريد فجاء الحاج التهامي بنفسه يقود الجيش من وارزازات فلاين الناس وفتح لهم باب الانتصار به فطمع كلا الفريقين ان ينصره ضد الآخر فلم يزل يقتل لهم بين الذروة والغارب حتى تمكن بعد ايام قليلة من الرؤساء . فاعتقل محمد بن عبد الله . والحاج احمد التازولتي من الاسرة الرئيسية وابن تانيا . ومسعودا التازولتي . فذهب بهم الى مراکش فاز ذاك انزل خليفته سيدي موح الدادسي في (تاليوين) فحاز تلك الدار فشيدها كما يريد ودار التازولتي ودار تادكوت وهي لاهل الفقيه الحاج عبد السلام فملا هذه الديار باصحابه فاز ذاك اشتدت وطأته على سكتانة بالمفارم المتواليمة وبالضيافات من ذلك الوقت . فبسبب الاجلاوي دخلت هذه الجهة تحت ذيل الاحتلال 1334 هـ ولله الامر من قبل ومن بعد .

ما في حاحة ؟

عهدنا بالحاحيين يوم تغد بهم خيولهم فارين من الحمراء وقد عرفنا ان ضلعا عظيمة من اضلاع امارة الهبة كانت من جهتهم ثم انهم قدموا عليه بالحمراء ولكن ما كادوا ينزلون حتي ثاروا فارين ولا شك في ان الدولة الحامية لم تكن ليخفى عنها الدور الذي مثله القائد عبد الرحمن مع من يوحون اليه في ثروة الهبة ولذلك لا بد انها محاسبته على ذلك حسابا عسيرا وهذا كله صحيح وقد انشقت عصا الحاحيين بعد كائنة مراکش فالتحق انفلوس اولا بالحكومة مبايعا لمولانا يوسف وبقي الحاحيون الجنوبيون وحدهم ثم زحفت اليهم الحكومة بجيش مع الحاحيين الشماليين فاذا بقائد الجيش يرتكب غلطة فقد امر بوضع علامات من الخرق الملونة على الرؤوس ، ليميزوا من عدوهم من الطيحات فثار الحاحيون ضد ذلك فقالوا ما هذه الا ما نعتاده مما يضعه اليهود على رؤوسهم فمالوا الى اخوانهم فاجتمعوا فاجتمع رأي حاحة من جديد . ولكن سرعان ما قضي عليهم والقي القبض على القائد عبد الرحمن وءاله وفر انفلوس . واسندت القيادة الى القائد مبارك بن عدي في مقام انفلوس

بعد ان هرب الى اِدَا وَتَنَانِ والى القائد الحاج الحسن فى مكان القائد
بعد الرحمن . وهو ابن عمه فدخلت حاحة كلها تحت يد الحكومة بعد
ان صنعوا ما صنعوا وربما نفصل ذلك عند التعرض لتراجهم الخاصة ان
شاء الله فى غير هذا المحل او فى كتاب ءاخر

الهيبة فى اسر سيف

ان تخلف السعد عن الامير الهيبة فان القوافى لا تزال فى ركابه فقد
خاطبه ابو زيد البزّي - كما قيل لي - يوم نزل فى اسر سيف بقوله

ناخرت لكن كي تعيد لهم وثبا	وكيما يفيد الضرب ان ترد الضربا
فما انت الا الليث فاعرف مكانة	تبوأتها فالليث يفتك بالظربى
فانت امير المومنين فعُد عن	تلكنى من يخفى الحقائق او يخبا
ندم فى امان الله فالله صائن	فلا تخش لوما ما استقمت ولا ثلبا
عليك سلام الله يا خير من له	من الود ما قد يستحق ذوو القربى

جرى الهيبة ومن معه اطلاقا ولم يفتحوا اعينهم ولا املوا فى الامن
حتى دخلوا بلاد هشتوكة فامكن لهم ان يكفكفوا من ازمة نياقهم التي
طاروا بها هلعا فنزلوا فى (اسر سيف) من هشتوكة المائلة الى الجبال
فهذه هي الهزيمة الثانية . وستعلم متى تكون الثالثة والرابعة

ثم ان حيدة الآن قد احتل تارودانت وجمع اليه كل قبائل رأس
الوادي بحذافيرها وقد تولى باشوية تارودانت فحاز انتصارا باهرا
اجتنى وراءه ثمارا يانعة. رجع بها شأنه متألق النجم صاحي الجو وقد
امتد الى الاستيلاء على ما وراء تارودانت ثم ان القائد الناجم قد فوض
له الهيبة فى هشتوكة فالقى عليها كلاكله فنضا عليها سيف صولته
فعرکہا بالمغارم . فتمكن فيها فاصطدم هو وحيدة فى أزرو فكانت الهزيمة
على حيدة . ثم كر فكر عليه الزمان القلب بهزيمة اخرى سلب فيها القائد
الناجم كل ما مع حيدة من السلاح والكراع بل جرح حيدة نفسه ثم
نارت ضده هواره . هكذا حدثني بعض الناس . وقد حضر اذ ذاك فى هواره .
فكانت هذه الوقائع مما قوى جانب الهيبة وكاد حيدة يندحر اندحارا
يرتكس به الى الحافرة غير انه مغوار . فسرعان ما استجمع قوته فترامى
الى هواره من جديد . فاسترجعها وهو يتناول الى هشتوكة وفى رمضان

من هذه السنة ظفر الهبة بالقائد سعيد المجاطي اخذه اصحابه ختلا في
هواره وقد رجع من مراکش مزودا من عند الحكومة بما يزود به امثاله
فاعتقل الى 2-12-1331 هـ فقتله السيد احمد بن ابي الطعام الرخاوي صبرا
قصاصا باخيه على الذي كان قتله ايام قيادته في (تأججججالت) كما فتك
اصحاب الهبة ايضا بالقائد عبد السلام الجراري في 8 جمادى الثانية اوائل
نزوله باسرسيف وقد كان هذا قاصدا الى القائد حيدة بعد ان احتل
تارودانت . ارسل اليه وقد امره - فيما قيل - بالمرور على هذا الرجل
لعله يستفيق من غشيته فيدخل في المصالحة مع الحكومة فاقدم
الجراري على ذلك ، ولم يقرأ عاقبة امره مع ان محاربته مع الحكومة
وابراماته معها في مراکش لم تعد سرا فقد عرفها كل احد وكأنه اتكل
على التعارف السابق بينه وبين الهبة . او كأنه اتكل على ما بين خليفته عيار
مع الاعراب وهو اذ ذاك لا يزال امره معهم واحدا فذلك ما ربما استند
اليه فبات عند الهبة وفي الصباح عدا عليه اعرابي من غير امر الهبة
فسقط اثرها ودفن هنالك ما شاء الله . ثم نقلت جثته الى قبة السيدة
اجو في (تالعينت) ويقال ان الفتك به كان بايعاز خليفته عيار والله
اعلم . فيقول الناس هكذا رجع الهبة فاتكا . بعد ان كان يوم يستأمره حيدة امام اسوار
الحمراء في الفتك بالعظام فيتورع ولكنه انما تورع عن ذبح الكباش الكبار .
ثم رجع اخيرا الى ذبح الخرفان الصغار ثم انه لم يكتف هو واصحابه
بالفتك بارباب الحسام حتى تجاوزهم الى ارباب الاقلام فذهب الفقيه
اعبؤ ضحية ذلك ولم تراع له حرمة العلمية ولا قيامه بالتدريس
زهاء ثلاثين سنة وقد كان يصل يده بحيدة في الوقت الذي يحاربه فيه
القائد الناجم من هشتوكة فقام الناس ضده فقتله احدهم برصاصة .
رحمه الله وذلك سنة 1332 هـ وفي هذه السنة 1332 هـ في شوال قال الشاعر
الافراني يخاطب الهبة ويهنيه وقد امتد الجيش الصحراوي بقيادة مربيه
ربه فاستولى على كل ازغار :

هبت صبا نجد بطيب عرار	وسرت مبشرة بقرب مزار
مرت علي بان الحمى فتعطرت	انفاسها من نفحه المعطار
هبت فأذكرت المشوق صابرة	عهد الحمى سقى الحمى من دار
دار ثوى فيها الحجى وتوطد	المجد المؤئل والهدى للساري
حيث السيادة والسعادة والتقى	والباس والجود المعين الجاري
مشوى امير المومنين الهبة الـ	بحر الخضم المزبد الزخاد

الناصر المنصور مولانا ابي الـ
العالم العلم الامام العارف الـ
الكامل البر التقي المرتضى
نخر الائمة تاج هامات العلا
ظل الاله ملاذ اعمال الورى
ملك حوى ارث السيادة كاملا
من حاز خصل السبق فى شاو العلا
من جد فى احياء دين محمد
فمع العداة جهاده ومجاله
وحمى حمى الاسلام لا متكاسلا
مالان للاعداء يوما لا ولا
كلا ولا هزت جبال وقاره الـ
لله منه ثبات جأش لم يزل
كادت بجهدهم العدا ورموا فما
ما اثرت فى عرضه الا كما
مولاي يا من ملكه زان العلا
يا من دعا للفوز فانقادت له
يهنيك اقبال المنى والفتح فتـ
ناديتهم كي يقبلوا ودعتهم الا
فتركهم حتى طفوا وتظاهروا
ارسلت صنوك سيف نصرك ساعرا
فاناخ كللكه وسل غراره
لأباده عرك الرحى بثقالها
وانقاد باقيهم لامرك وارتضوا
اذ شاهدوا الجيش اللهم كأنه
عرب اذا ركبوا العرب وصمموا
صيد بها ليل كرام قادة
من كل اروع ضارب هام العدا
ركاب اخطار الملا ضراب اعد
واعاجم ربثوا بنيران الوغى

عباس فياض الندى المدرار
هادي الرشيد الطاهر الاسرار
الباسل البطل الهزبر الضاري (1)
انسان عين ممالك الاعصار
محيي الهدى مردي العدا الفجّار
عن كامل سام سماء فخار
فردا فصار مجلى المضمّار
صلى صلاة رضى عليه الباري
بلسانه وسنانه البتار
وكلا ولا مستسلما للعار
طاطا لغير الواحد القهار
راسي رياح رخا ولا اعصار
بالذعر عند تخاذل الانصار
زادوه الا شدة استبصار
قد اثرت فى التبر جذوة نار
ففدا حلي الاسماع والابصار
اهل النهي بتسابق وبتدار
مح (الفحص) بعد تلكا ونفار
هواء والشيطان للادبار
بالبقي وانتزعوا الى الكفار
نار الوغى بالعسكر الجرار
بدءا على (أجلو) مقر شرار
وفراه بالانياب والاظفار
لما راوا أن لات حين فرار
ليل ظباه كواكب ودراري (2)
اجلت وجوههم ظلام غبار
للمجد احرار بنو احرار
يوم الكريهة حافظ لذار
سناق العدا باسنة وشفار
سم العداة وعافاة الاعمار

(1) الهزبر بكسرة ففتحة فسكون الاسد
(2) اللهم بالضم الكثير

فرسان غارات وعاساد اللقى
مهما دعوا لبوا ومهما استصرخوا
طاعوا لامر امامهم واستمسكوا
لم يستفزههم الحطام ولا صفوا
لم يرتضوا بحماية الكفار بل
صلى عليه الله خير صلاته
لله عسكري السعيد فكم له
جيش اذا ما جنهم ليل الوغى
واذا تضايق مأزق فرجته
فلك البشارة ان سعدك ضامن
وبان تجيئك طائعات خضعا

وبأن تشرفها اقالم لم تزل
فاستجلها غرر المنى مترشفا
واغفر لدهرك ما جنى واقبل له
فالملك جاءك تائباً ولئن عصى
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
واليكها بنت القريحة غداة
تزهو بما قد قلدت من مدحك الـ
فاقبل امير المؤمنين ذمامها
دامت سعودك فى الصعود ولا جرت
وعليك من رب الانام تحية
ما هز ربح النصر اغصان النقا

سواس مكرمة حماة الجار
طاروا الى الهيجا بكل مطار
بالدين فى الاعلان والاسرار
لدرهم الصافي ولا الدينار
بحمى النبي المصطفى المختار
وعلى الصحاب السادة الاخيار
بك من خصال الفخر يوم فخر
اسروا بنورك فى ضياء نهار
بسعودك الوضاحة الاثار
لك ان تفوز من العلا بالثار
لعلاك كل ممالك الاقطار
تهواك شوق الروض للامطار
تفر الهنا فالزند زند وار
ما كان ابداه من الاعذار
فاليك قد القى عصى التسيار
واحكم بما تهوى فأمرك جار
تزري بحسن الخريد الابكار
عالي فقام لها مقام سوار
فالحب فضلها على الاشعار
الا بما تهوى رضى الاقدار
تنسى نسيم حديقة الازهار
فرمت جنا الحسنى وعقبى الدار

ومما كتبه هذا الاديب الافراني الى الهيبة او الى مربيه ربه بعده - لان
الرسالة مفصلة من التاريخ - :

الحضرة الشريفة العلية والجلالة المنيفة التي هي بالاسرار والبركات
ملية مولانا الامام ظل الله الممدود على الانام امير المؤمنين المظفر
المؤيد جنده سعده الموفر نصر الله علمه وظفر بالعد وحسامه وقلمه
وشفى برأيه الرشيد وجده السعيد سقم الدين والمه وسلام على
حضرتة الامامية وجلالته الحامية من مقبل عتبه السامية وشاكد

نعمته الهامة الهامة عبده الضارع الداعي المتقلب في نعمته المخصصة
 الراعي الناجحة المساعي الفقير الطاهر بن محمد لطف الله به ،
 هذا وبعد الدعاء للحضرة السامية بما يناسب حقها من دوام السعادة
 والنصر الخارق للعادة فانا كتبناها والفيث يهمل والسحاب بسهام
 القطر يرمي . ويسدد نحو شيطان الجذب نبال الضرب فينصمي ، والقلوب
 منشركة . والوجوه مستبشرة فرحة . والافواه شاكرة . والضروع شاكرة مثنية
 معترفة بصدق النية بما ظهر من كرامة امامهم وسلطانهم بما عوده الله
 تعالى من نصره ظاهرا وباطنا باجابة دعوته وبركة حركته (1) (ولكل امرء
 من دهره ما تعود) وقد حملني صدق نيتي وخلوص محبتي في مولانا ايده
 الله ان قلت في شكر هذه الكرامة شبه ابيات تقابل بالصفح والاغضاء على
 عادته نصره الله في اخواتها وهي

حمدنا على غيث ازال اذى العيث	الها لطيفا كاشف الحزن والبث
ونسأله نصرا عزيزا لامة الن	سبي على اعدائه الاكلب الخبث
وتأييد سلطان حمى الدين بالظبا	كما تحتمي الاشبال في الخيس باليخ (2)
امام الهدى المولى الذي بركاته	تفيض على العافين فيضا بلا ريث
تعودت الدنيا اذا ما ركابه (1)	تبدي هناء للانام وللحرث
وغيثا مغيثا بعد جذب تجهمت	به اوجه الامال في الحزن والوعث
فله في حكم اصطفاء (1) محمد	خبئة اسرار تجل عن البحث
لولا جلال الملك والهيبة التي	على له سميته بابي الفيث
لزال منصور البنود مظفرا	صوارمه بالمارقين ذو النكث
ومني على المولى الامام تحية	كشتر ثناه الفض او خلقه الدمث

ونسلم على مولانا بدء او ختاماً ونهدي لحضرة النبي صلى الله عليه
 وسلم صلاة وسلاماً

يا كتابي بالله قبل يديه عن فمي كلما قدمت عليه
 واقرا مني السلام الفا وخب ره بحبي له وشوقي اليه

(1) من هذه الجملة يظن ان الرسالة كتبت لمربيه ربه . لانه هو الذي اتخذ العادة ان يجول
 على القبائل كل سنة ومثل هذا يظهر من جمل اخرى في الرسالة وفي القصيدة .
 (2) خيس الاسد بالكسر عرينه وماواه

احتلال اجادير

كانت اجادير في ايامه المحجوب الحاحيين - وقد ذكرنا في
(الفصل الثاني) من (القسم الرابع) وفيها كان خليفتهم الحاج الحسن ما شاء
الله . وفي جوار اجادير قبيلة جسيمة وعلى رياستها اخيرا الشيخ محمد بن
عبد الرحمن بن الحاج العربي - وقد ذكر ذلك في (الفصل الرابع) ايضا ،
وهو الذي مر لنا مرارا . وكان من الناصحين للهيبة . ومن ابناء اعمامه اولاد
الحاج الحسن الاتزجانيين طالب مفوار هو محمد بن الحاج الحسن
وكان قد فتك بأحد اخوته فهرب من القبيلة الجسيمية فأوى الى الحاج
الحسن الجلولي ما شاء الله . وكان هناك سنة 1329 هـ فكان الوسطاء
يتوسطون بينه وبين ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الرحمن لعله يأذن له في الرجوع
الى داره . فيأبى هذا كل الاءاء . ومما توسط في ذلك الاخ محمد . وقد
نزل عند الحاج الحسن . ومعه الشيخ محمد بن عبد الرحمن فذبح محمد
ابن الحاج الحسن كبشا عند بغلة الاخ . واستشفع به الى الشيخ محمد
ابن عبد الرحمن فاعتذر هذا غاية الاعتذار ثم ادلى بنيات ابن الحاج
الحسن . وانه كالحية الرقطاء . وكيف الحياة مع الحيات في سقطة . ولكنه قبله
على مضض . هكذا بقى محمد بن الحاج الحسن مناويا لاهله ولما نجمت
الفتن بانهازام الهيبة من الحمراء اتصل محمد بن الحاج الحسن
بالحكومة . فتعين قائدا على جسيمة ثم صار الهشتركيون يمتد جيشهم
الى جسيمة . مدافعة لمن في اجادير فرجعت جسيمة معهم ثم ان
الحكومة صممت على ان تصل اجادير بتزنية التي فيها الآن ابن دحان يتقوى
ويتوطد ففي 15 من ذي القعدة سنة 1331 هـ والت بوارج من ثبح البحر
قنابرها على دار الشيخ محمد بن عبد الرحمن ، حتى هدمت ابراجا فيها
عالية . فارتحل الساكنون بقرية الدشائرة - ثم في 15 من المحرم سنة 1332 هـ
سرت سرية من اصحاب محمد بن الحاج الحسن ، حتى دهمت ليلا من في
قرية الدشائرة ، فقتل اناس من بينهم الفقيه علي السباعي فنجا الشيخ
محمد بن عبد الرحمن بجريفة الذقن - ثم في 15 صفر تم احتلال جسيمة
فهرب ابن عبد الرحمن الى ادوتنان - فتمكن ابن الحاج الحسن في جسيمة
قائدا ثم باشا اجادير الى ان كان منه ما كان - وقد فصلنا هذه الاخبار
في (القسم الرابع) في ترجمة سيدي محمد بن عبد الرحمن هكذا صفا سيف
البحر للحكومة من الصويرة الى جسيمة ولم يبق الا وثبة واحدة فتضم
هشتوكة الى تزنية واجادير فيتم امر ازغار اجمع هذا كله وقع واميرنا
في (اسر سيف) وزمن مكث الهيبة في (اسر سيف) سبعة اشهر وسبعة عشر
يوما ، مقدار ما كان مكث في (تارودانت)

الهيبة في تيمنجر

اشتدت وطأة القائد الناجم مع مرييه ربه على الهشتوكيين ، وقد رجعت بهما المخزنية القديمة جذعة فما شئت من مغارم وفتك واعتقال حتى لقد كاد القائد الأغبالوي الممتنع في داره ان يلتحق بالقائد سعيد الجاطي ، والقائد عبد السلام الجراري حكى بنفسه انه جلس اذ ذاك في داره فاذا بصره الشيخ مؤماد الديلمي يجري اليه فقال له وهو يلهث تم بمجلة . فقال ابلغني ريتي . واسترح واخبرني اولا لم هذا الاستعجال ؟ فقال له انني الآن تركت القائد ارعاً وزير السلطان الهيبة في داري وقد ارسله صاحبه اليك والي ، فقال ان الامور اليوم تقتضي الحنكة ولا يليق ان يدبرها الا المحنكون ابناء البلد قال ارعاً : انني وان كنت ما كنت فالحق يقال انني لا اصلح للوزارة في هذه البلاد التي انا غريب عنها ولا يليق بها الا القائد الاغبالوي ولكن هداه الله لا يزال متجنباً كأننا لسنا بمسلمين والآن اوصاني ان الح على جنابك في الالتحاق به . فوعدني ان انت طبت نفسا على يدي ان اتقلد ايضا قيادة كل هشتوكة ولذلك احب منك لما بيننا ان تتنازل فتقبل ما عرضه عليك فالفرص نادرة في الحياة قال الاغبالوي : فتركته حتى قال كل ما في صدره فقلت له او انت هناك ؟ اذهب انت حتى اراك متقلدا القيادة فاذن يمكن لي ان اتبعك او لا اتبعك فخرج الرجل مضطربا مما قلت له فوصل الى صاحبه القائد ارعاً بخفي حين ، فرجع ارعاً ثم تبين بعد ذلك ان ارعاً اوصى اصحابه بالفتك بالاغبالوي وبمؤماد بمجرد ما يدخلان في الدار فنجا الاغبالوي بحذقه وحزمه وتأنيه

تلك هي السياسة التي تمشي فيها من مع الهيبة . منذ ان قطعوا راس كائناً وضرروا على الفتك ولكن الدهر على كل حال لا يزال بهم مدبراً فبعد ان امتدت ارجلهم على هشتوكة بسبب القائد الناجم اضطروا من اجل هجوم عنيف قام به حيدة الى بلاد هشتوكة . الى ان يركبوا ايضا مركبهم المعتاد ف وقعت الهزيمة الثالثة فتسلقوا الجبال لعلمهم يجدون فيما بينها شقة . والذي هاج حيدة الى ان استلقى على بساط هشتوكة . كون رجالا من هؤلاء يستنجدون به ليرفع عنهم كابوس ما هم فيه من القائد الناجم فهم يوقنون ان له ايضا كابوسا هائلا ولكنه على كل حال يوجد معه الامن على النفس على الاقل واما الاعراب فلا امان على نفس ولا على مال ولا على

عرض . كالجراد يأتي على كل شيء وبهذا يصفهم الناس اذ ذاك ، ننقل ذلك عنهم . ولا نتحمل جريرته لاننا نعلم ان الحكومة ما زالت تمد يدها الى الهيبة ومن معه فلولا عزة الاسلام فيهم لانقادوا وهذا لا ينكره احد لا امس ولا اليوم ثم بامتداد يد حيدة انضمت هشتوكة الى حسيمة وهوارة فكان الجميع في ظل الحكومة

عود الى ابن دحان بتزنيث

كان لابن دحان حين نزل بتزنيث امتداد سريع الى بعض القبائل كالمعدر وبعض هشتوكة فيغرمها مغارم باهظة ثم بعد ذلك امتنعت عليه وقد كنت في المعدر اول سنة 1332 هـ فوجدت المعدريين يحاربون تزنيث محاربة شديدة وقد نزل بعض قبائل الجبل فاعانتها ما شاء الله حتى حوصرت تزنيث . وبعد ذلك انفك الحصار من القبائل الجبلية وبين الازغار وتزنيث حرب تدور سجالا وقد امتد حينها القائد ابن دحان حتى استولى على الساحل واذ ذاك انتهب دار الفقيه سيدي ابراهيم جزور وديار الفقهاء السملاليين فتبعثرت خزانة الفقيه احمد بن ابراهيم الساحلي كما انتهب ايضا بعض اليت ابرايم وفي اوائل هذه التموجات جاء مربيه ربه من الصحراء بجيش اسود كثيف من الصحراويين فنزل بهم على قبائل ازغار فانتهبوا الجعدة والزاوية الاحرارية بأجلو وذلك في رمضان 1332 هـ - وهي التي تقدم ذكرها - وقد قاسى الناس منهم امرا عظيما اصطلى بناره الصديق قبل العدو فقد كانوا يبيتون عند الناس فيقترحون كل شيء يجري على اذهانهم حتى الشعير لعلف الجمال . وهو غريب لان الجمال عندنا لا تعلق شعيرا كالبغال وعهدي بالاعراب - وانا في المدرسة البونعمانية ياتون باحمال من الشعير جمعوها بعذر العلف لجمالهم فيأتمنونها عند الطلبة بالمدرسة وكانوا متى راوا حاجة حسنة من المتاع كقطيفة واءاء حسن يخرجون به صباحا وقد كنا اذا خطرنا حوالي المدرسة البونعمانية نسد الابواب خوفا ان ينتهبوا بيوتنا وكان بعض الرجال المغاوير يقفون امامهم فيرد عدوانهم مرغمين وقد كنت في تلك السنة في قرية (الارجام) في ايت ابرايم فشاهدت عشية جماعة من صعاليك الاعراب اعتقلهم محمد بن العربي وكان شجاعا وجدهم في مثل هذه الفوضى فألقى عليهم هذا الدرس وكان كل الصحراويين لا يسمون كل الشلحيين الا باسماء مخجلة - اولاد ممأس - فكانت هذه

السياسة والفوضى مما قرب الشقة لابن دحان فصار يستميل الناس
 بمرعة عجيبة ولذلك كانت سنة 1332 هـ والتي بعدها سنتي شدة على
 الأزغاريين المساكين فان تقوى الاعراب ساموهم مثل هذا الخسف الذي
 سمعته فيساقون رغم انوفهم الى حصار تزيت . وان انجلوا ورجعت
 القبائل البعمرانية والجبيلية الى ديارها رجحت اليهم كفة ابن دحان ،
 تكرر ذلك مرتين او ثلاثا فلم تصف تلك الجهة التزيتية للحكومة الا في
 سنة 1334 هـ فأمكن لسكان المعدر وأجلو وبعض ايت ابراهيم وما اليها ان
 تستند الى جهة واحدة على ان المفارم لا تنقطع من ابن دحان وامثاله
 حتى افلس الناس ولقيت القبائل عرق القرية وقد تقوى ابن دحان كل
 التقوي اخيرا فنال مقاما عظيما وظهر صولة تأيد بها جانب الحكومة
 نابدا عظيما حتى امتنع ازغار عن تجار الجبليين والبوعمرانيين لانه
 يلقي عليهم القبض فانكفوا عن ارتياد ذلك السهل وحين جاء مربيه ربه
 احدى المرات بجيش من الصحراء خاطبه شيخنا بقوله :

لك البشرى قدمت اجل مقدم
 ونصر جل ينسي ما تقدم
 تقودهم بعزم منك صمم
 يرون الفر في الهيجا محرم
 سيرك عازما فالعزم احزم
 فانت لملكه كف ومعصم
 وطار الرعب بالجناء ضيفهم
 جنودهم بمسكرك العرمم
 تنل بالصبر حمدة ومغنم
 ورو حسامك الظمئان من دم
 فمن رام المعالي ليس يسأم
 وضيع فرصة لابد يندم
 وان مرت من الراح المقدم
 بك الكفار في هذا المحرم
 يجرغهم به صابا وعلقم
 تلوذ بركنه الحامي فتعصم
 لبابك ما حدا حاد وهينم

ابا اندى الورى كفا واكرم
 بهز يورث الاعداء خزيما
 فويل للعدا من اسد غاب
 عم العرب الفوارس خير جند
 فعجل ايها الضرغام عجل
 افك وانصر اخاك امام عدل
 وانت اذا التظت نيران حرب
 نخسد شوكة الاعداء واحطم
 رجالدهم بجند الله واصبر
 وبدد جمعهم وافلل شباهم
 ولا تخلد الى الراحة واداب
 ومن سحب التواني في امور
 لان الحرب للاحرار احلى
 نسر فالله عز وجل يردى
 ويجزي الناكثين العهد خزيا
 غيت لامة تخذتك حصنا
 ولا زالت ركاب الفتح تحدى

بجاه المصطفى المختار صلى عليه الله تعظيما وسلم

حيدة وابن دحان

تركنا حيدة في 1332 هـ وقد تمكن في هشتوكة حتى لم يجد الهيبة لنفسه الا ان يفر من (أَسْرَسِيف) الى (تِيْمَنَجَر) في ايت واليَاض ثم في سنة 1333 هـ التجأ اليه المعدريون وقد رأوا ان لابد لهم من الانخراط في سلك الحكومة . فاختاروا حيدة على ابن دحان وان كان الكل سواء في المفارم ولكن المعدريين لا يرضخون لهذا لما ساء بهم وساموه من مجاذبات في حروب عنيفة . ولما كان ايضا بين التزنيّتين والمعدريين من خلاف قديم شب عليه الناشء . وشاب عليه الشاب . متوارث من عهود الاجداد فكان ذلك سبب امتداد يد حيدة الى تلك الجهة فتضايق به ابن دحان والحكومة اذ ذاك في ملاحظة ما يتلظى في العالم من الحرب الكبرى لا رد الله سعيها الى الوجود فكانت ترسل للقواد بعض العنان خصوصا قواد الاطراف كحيدة وابن دحان فكان اتساع الميدان مما تسبب في اكفهار الجو بينهما باطنا ولم يطلع عليه الناس

في هذا العهد نال حيدة عظمة هائلة فكما انه امتد الى ازغار فتمطى كما ترى في قبائله كذلك تسلق الى اعالي رأس الوادي فأشرف على بعض قبائل تلك الجبال كايلاّئن الى تاجموت فكانت المفارم الباهظة التي يواليها صباح مساء ترد عليه ملايين من الريالات ولهذه العظمة التي نالها كلف من الدوائر العليا ان يمتد الى الجنوب ليؤدب قبائلها التي تجيش فينة بعد فينة على القبائل التي تنضوي الى تزنيّت ولمداركة سيف البحر هناك قبل ان تمتد اليه اصبع العدو لان غواصة المانية ظهرت هناك وشيكا فاتصل اهلها بالهيبة واذا ذاك اوغر الى ابن دحان ان يسلم له وينضوي تحت ضبنه فانف ابن دحان واستكبر فسافر بسرعة الى اجادير حيث القيادة العليا لسوس . فاعتذر عن القبول . واقترح ان تنقله الحكومة من فضلها الى محل آخر فكل ما تختار له يرضاه سوى الانضواء تحت ضبن حيدة فذاك ما لا يرضخ له الا اذا كلف به ارغاما فراءت الحكومة خاطره لاعماله التي قدمها فنقلته من سوس محترما وقلة سافر توا من اجادير ولم يرجع بعد الى تزنيّت فتبعه اصحابه بأثقاله هكذا يحكي بعض التزنيّتين المطلعين على دخيلته في سبب ذهابه من

سوس وقد غادر وراءه حمدا كثيرا من بين التزنيّتين لانه يراف بهم
ويكرمهم ، وقد كتب لي احدهم ان بعض شعراء ازغار - وقد اخفى عني
الكاتب اسمه عن عمد - قال في ابن دحان :

لعمرك ما ادى حقوق المروءة	سواء ابن دحان سراج الدجنة
له راية في المجد والفضل والعلا	فنادى الا ايتوا كلكم نحو رايتي
نلا يعرف الارضى ابن دحان غير ان	ينيل عفاة جوده كل منية
له راحة في ضمنها كل راحة	اذا مدها للمعتفين بصرة
فها ناقتي حطت ازاء مقامه	الا فابشري بالخير اجمع ناقتي
لقد جئت اندى الناس من جاءه يرى	امانيه جمعاء تجلى بحضرة
شجاع كريم دين وبهذه	يكون الرجال من حظوا بقيادة
اذا جال في الهيجاء انساك عنترا	او ان جاد انسى جود كعب بن مامة
الى فطنة تردى العدا في ديارهم	اذا طمنت اراءهم بالسياسة
عليك ابن دحان سلام معطر	وما القصد الا ان تقضي حاجتي

هذه قولة هذا الشعور الفهيه الذي وجدنا في اخفاء اسمه عنا
مندوحة في ان نتنفس بعض التنفس بعد ما عانينا ما عانينا حين نكتبها ولكن
نخف المثونة ان فكرنا في ان احد الادباء الكبار سيشاركنا يوما ما فيما يخامرنا .
حين يقرأ القطعة . على انه ان كان القائد ابن دحان لم يرزق الا مثل هذه
القولة في مدحه فقد رزق في القدر فيه شذرة من شيخنا الافراني . قالها وقد
شاع يوما انه القي عليه القبض بايدي الاعراب فاذا هي احدى
انترابات الاعراب قال :

زباج الهنا هبت بروح وريحان	وبشر قمرى الحمام بالحنان
زما لك الا من جراء الذي جرى	كما يتثنى من تحسى ابنة الحان
عاه لنا الناعي فقال ذوو النهي	على الكفر من قبض اللعين ابن دحان
	به لا بظبي في الفلاة وسرحان

فذلك ما زود به القائد ابن دحان من السبنة سوس (وما زالت الاشراف
يحيى وتمدح) ثم انه تولى قيادة ازمؤر الى ان مات نحو 1350 هـ رحمه الله .
في يوم القيامة يظهر المفسد من المصلح والمومن من غيره . واما اليوم فقد
خلط الحابل بالنابل هذا ابن دحان قد اخلى الجو للقائد حيدة

فرحف بجيش هائل من تارودانت فحين احس به الهيبة في (تيمنجن) ركب ايضا جناحي نعامه موليا شطر بعقيلة بعد حروب حواليه فصلناها في ترجمة القائد الناجم فمضى حيدة حتى نزل بتزنيت يجر قوة هائلة ثم اقلع في (مرغت) حتى نزل في اِدْحَيْتُوف على دار للمدني هنالك فانتهب ما فيها وقد اختبأ القائد المدني في بُوزَاكَارَن واعد بهائمه وخيله ليفر الى الصحراء ان توجه اليه حيدة . ولكن هذا ألقى مراسيه هنالك اياما . وقد تجمع المجاطيون ومن اليهم . ثم جرى سلم بين الفريقين على يد مباركابي الطعام الرخاوي . بعد ما قدم هذا للقائد هدية فرجع ونزل في طريقه الى تزنيت ثم مال الى وغان . فقامت حرب عنيفة وقد دخل الجيش الزاحف قرية اِدْ عَلِيّ اَبْلَا التي فيها النعمة حتى كسرت ثلاث ابواب ثم رجع بعد مجاذبة كاد يحتل بها وغان . فلاقى الجبليون مشقة زائدة ثم رجع حيدة . وهذا كل ما صنع . ويقال انه ما كان له ارب في خوض حرب وانما الجأته القيادة العليا ليحول تلك الجولة لالقاء الرعب في الناس لعلهم يستكينون . والوقت اذ ذاك عصيب وقد امتلأ جو العالم بدخان الحرب الكبرى المندلعة اذ ذاك

القائد الحاج عبد الرحمن بتزنيت

اثر ذهاب ابن دحان من تزنيت عينت الحكومة القائد عبد الرحمن المسمى حَادِيْمَان وقد كان في اچادير منذ احتلت 1331 هـ فنزل منزل القائد الراحل ولكن الحكومة مع ذلك ارسلت القبطان جوستينار باشارة من (ليوطي) فرسا معه في تزنيت فتمشّى امره بسهولة فلا ينفع ولا يضر والساعة ساعة سكون . لارتجاج اركان العالم بالحرب ولكل وقت ما يليق به . ولم يحدث في وقته ما اعلمه يستحق الذكر الا انه ارسل جندا فاحتل اچادير اَفْلَاءً بوجان والبعقيليون يحاصرونهم ثم تمشى الناس بصلح وقد قال الازغاربيون ليس هناك الا ابناؤنا فاعطى القائد عبد الرحمن دراهم ثمنا لخيّل هلكت للجبليين فافترق الناس

الهيبة في كردوس

تبعنا اثار اميرنا الذي يصابر ويكافح ولا يرضى ان يسلم وقد رأيت منه هزيمة الذي الف ان يحافظ على فخّارته لئلا تتحطم . فصار في كل وقت يمثل دور الحارث بن هشام في بدر . فلا يقاتل بل ينجو برأس طمرة ولجام

رأيت منه الهزيمة الاولى فالثانية فالثالثة فهذه الآن الرابعة فقد غادر آل
 تيمنجر حين احس بقوة حيدة في هشتوكة في سواد من اصحابه - بعد ما
 مكث في (تيمجر) سنة وفي (ادازن) شهرا بقية ذلك العام - حتى نزل في
 مسجد تاماشنت) من بعقيلة . فكان هو وعياله في نفس المسجد وهنالك
 ارسل الى الفقيه سيدي عبد العزيز ، فلامه على عدم قدومه عليه قط . وقال
 له ان مثلك من يتقدم في امور المسلمين لا من يتأخر عنها فقال له الفقيه
 انني اشاهد افعالكم من بعيد ومن اول يوم استربت في امركم لانني
 رأيت من قاموا به سفهاء القبائل ، وناقصي العقول واصحاب الاغراض
 ومن لا قصد لهم حسن ثم انني اراكم بعد ذلك كأنكم طلائع الهزائم والمحن
 اينما حللتهم فديدتكم ان تفروا وتغادروا من يحس بكم الظن من غير ان
 نسمع بأنه ألم بأحدكم جرح . او سقط واحد منكم في وغي ولا ارى من
 يسرع اليهم الردى غير من يفتر بكم وجماع ما اقول لكم انني لم ار
 فائدة تأتي على ايديكم ثم تعاطى معه قافتين نذكرهما ان شاء الله في ترجمة
 ابي فارس بين اهله الادوزيين في هذا (القسم الثالث) وبعد نحو اسبوع ارتحل
 الهيبة من هناك الى قرية (اكرزولن) في (امي تنغمي) وبعد ايام عاواه
 القائد سعيد بن المقدم الى داره بكردوس وقد كان سيدي محمد الملقب
 بوشاكنا الجرسيفي ينفق على الهيبة من حر ماله في (تاماشنت) وفي
 (اكرزولن) يبيع حقوله من سقى (تاغزوت ملئقا) فيصرفها عليه وكان
 له فيه نية حسنة . واما غيره فلم يأبه بالامير الضيف لان العين تقتحمه
 فلا حاشية ولا مال . وقد مل الناس من امره . وعزموا على ان يدافعوا على
 احسابهم فقط . كما قال مسيلمة لبني حنيفة يوم اليمامة . هذا هو الفتور الذي
 تلقى به الهيبة من بعقيلة . ولكن غيرها من القبائل قد مدت اليه الاعانات .
 فصارت تقدم عليه في كردوس ، وترحب به وقد تتابع اليه الناس زوارا .
 والحامل للبعقيليين على ذلك الفتور دون غيرهم هو الشيخ احمد الامازري
 الذي كان أبدا واعاد اولا في الامر ولكن حين تقرب الى الهيبة القائد سعيد
 بن المقدم منافسه في القبيلة دونه نفذ يده في امره وهناك سبب آخر اتى
 من طبيعة بعقيلة . فان سكانها بل سكان كل ولتية من ابخل الناس مجموعا
 افرادا فيصعب عليهم ان يجمعوا جميعا ولو قرشا واحدا وقد وقع ان
 بعض الناس راح يجمع سمنا من بعقيلة للهيبة وهو في (تيمنجر) وقد رأى
 القبائل كلها تجمعه فلم يطف القائمون بذلك الا للتخيل على الناس
 نسما ذلك جمعية الشريف تشبيها لذلك بجمعية استاذ المسجد او
 استاذ المدرسة فرارا من تسمية ذلك سمن السلطان لئلا تثار الدهماء

بهم وما ذلك الا من اجل طول تماديهم في العصيان وتمردهم عن طاعة
الملوك وقد تركب ذلك في طباعهم حتى لم يقدرُوا ان يسمعوا اسم ذلك
ولو مجازا

هكذا اوى الهيبة الى كردوس في اوائل 1333 هـ مع ثلة من الاعراب
الباقيين معه وقد نزل على صاحبه الوافي له حق الوفاء ، القائد سعيد
الذي ما نفّض منه قط يده وانها لمزية سيّئادله بها ذكر خالد في التاريخ .
وقد خاطبه شيخنا الافراني اذ ذاك بقوله :

تعر امير المومنين وطب نفسا	وخل التواني جانبا ودع اليأسا
فعن عجل تجني ثمار المنى كما	تحب وتمحو ما جنته يد البأسا
فمن لاذ بالصبر الجميل وبالرضا	يجد امره حلوا ومكروهه انسا
ولا تجز عن من حادث الدهر انه	سيرضيك في الاصبح ان اسخط الامسا
فانك شمس الفضل لا عار ان دجا	غمام ففمت ساعة حجبته الشمس
وانك ظل الله من به على الا	نام فمن ناواه تعسا له تعسا
فشق يا امير الله بالله واعتزم	فعزمك سيف صارم يقطع اللبسا
وجاهد بحزب الله اعداءه ولا	تخف منهم نابا يقدر ولا خرسا
فمن يعتصم بالله او ينتصر به	يحطه فلا جنا يخاف ولا انسا
بقيت لدين الله تفرى عدوه	وتحمي بحد السيف عزته القسا
وازكى سلام الله يا ملك الهدى	عليك كما نمت صبا روضة وعسا

ثم خاطبه ايضا في عيد الفطر من السنة بقوله

امولاي هذا الفتح بانت مباديه	وهذا صباح النصر اشرق باديه
وهذاك جند الله وافى ملبيا	نداءك طوعا حاضروه وباديه
وسعدك سيف لا تفل ظباته	وعزمك طرف ما كبا قط عاديه
لك الهمة القسعا التي لم تمل الى	سكون ولا كادت تلم بناديه
ودعوة صدق جهزتها ضراعة	لرب رحيم لم يخب من يناديه
فابشر فان الله ناصر دينه	بك اليوم نصرا يستبيح اعاديه
وثق بفتوح لا تزال وفودها	تراوح مغناك الرضا وتغاديه
فانك فخر الملك ما زال حائما	على وردك العذب المهنا صاديه
فلما اتاك ارتاح وامتاح شاكرا	وقد حمد المسرى هداية هاديه

فهنته ملكا بك ازدان وازدهى وقلد عقدا من حلي الفخر هاديه
وهنت عيدا من سناك ابتهاجه ومن جودك الجم النوال اياديه
فلا زال طير اليمن في روضة الهنا يفرد تطريبا بنصرك شاديه

هـلاك حيدة

كانت الحرب العالمية قائمة على ساق والدنيا كلها براكين ترمي بشرر
كالقصر كأنه جمالات صفر فكانت الدعاية تجوب الافاق من الكفة الاخرى
التي تعادي الحلفاء حتى اطلت على الجهة البعمرانية فخرجت هناك في
اوائل 1335 هـ غواصة رمت الى البر اناسا يزعمون انهم تركيون فراسلوا
الهيبة واوعزوا اليه ان يصلهم بنفسه ولكنه صار يرسل اليهم رجالا
من اصحابه كالقائد ارعا والقائد ابن الطاهر الرحماني وكبار القبائل
وقد كنا اذ ذاك في مدرسة تانكرت فمر بنا الذاهبون ومن بينهم الاخ سيدي
محمد فلم ير اولئك الناس عاقلا يدخلون معه في المفاوضات التي جاءوا لها
ولم يروا الى الفوضى وذئابا في ثياب وتسابقا الى احتجاج درهم وقد
ارسلوا الى الهيبة هدية فيها آلاف من الاوراق البنكية الاسبانية ومرةاة
غالية من نوع المقربات للبعيد وسيفا محلى ومثل ذلك مما يتحف به
الكبار من الملوك وكانوا يحسبون انهم سيجدون امامهم عقلاء نظموا امورهم
فاذا هم برجال في عقول صبيان الا ما قل ولا عبرة بالقليل فعرفوا ان ما
جاءوا اليه لا يتم فاحتالوا حتى نجوا بانفسهم ممن يحومون حولهم
بحرقون الارم على ثيابهم التي على جلودهم ثم انطوت تلك الصحيفة
بعد ما فرق الهيبة في الناس بعض المال مما توصل به من اصحاب الغواصة
وقد اخبرني الاخ محمد انه رأى بعينه رسالة (غليوم) بطابعها المشهور
ورسالة السلطان العثماني بطابعها ايضا يسلمان على الهيبة ويقولان له
اننا ارسلنا اليك هذا التركي وهذا الالماني ومعهما كل شيء وفي يدهما
كل ما عسى ان يتوقف عليه ما يراد من قيامكم السريع وهذا ما قال
ثم خاب هذا المسعى واما شاعرنا الافراني فقد قال يخاطب الامير بقوله
بهنيه بهذا الوفد

سأوب طيف من اميمة طارق فشب لهيبا شاب منه المفارق
واذكر ايام الحمى ونعيمه وعهدا تقاضاه الشباب المفارق
اذ العيش غص والزمان مساعد موات واذا غصن الشبيبة وارق

زمان مضى لا عهده بمذمم
ولا عيب فيه غير وشك انقضائه
الا ليت شعري هل تعود كما مضى
فتصدق موعد الوصال كما وفى الـ
همام سما للمجد بالجد حيث لا
له همة لا تثني عن مراتب الـ
دعا للعلا اهل المغارب جهده
قلباه سلطان السلاطين رائد
وساعد (غليوم القياصر) من غدا
فخلف كل منهما من رءاه للـ
فخاضا البحار الزاخرات واقبلا
كذا فلتك الاملاك همتها العلا
الا ايها الضيفان اهلا ومرحبا
فقد جئتما بالنصرواليمين فاغتدت
فطيبا نفوسا وابذلا الحرب حقها
وبشراكم جيئتم لنصرة سيد
له الشرف الماثور والحسب الذي
حياء وافضال وعلم وسؤدد
تجمع شمل الفضل فيه وانه
مناقب لا تفنى بعد ولا يفنى
لئن كاده الاعداء كيدهم فقد
وان نكشوا معقود بيعته التي
اذا افتخر الاقوام بالمال والفنى
عليهم سلام الله ما صدحت على
وازكى صلاة الله دائمة على

ولا زنده كاب ولا الرعد ماذق
كما لاح فى جنح الدجنة بارق
عهود الحمى ام هل اميم توافق
مخليفة موعود العلا وهو صادق
مساعد الا المشرفي الموافق
كمال فاما فيلق او مهارق
فلما تولت ساعدته المشارق
(الرشاد) الذي هابت ظباه الزنادق
هماما به تحمى العلا والحقائق
عظائم لا تثنيه عنها المضايق
يقودهما السعد العجيب المرافق
وقهر الاعادي لا الحلى والنمارق
عليكم سلام طيبه الدهر عابق
موكدة منكم ومنه العلائق
من الصدق كي يخزى العدو المنافق
نمته الى العليا اصول غرائق
اقرت له بالسبق فيه الخلائق
وحلم وتقوى فهو فى الفضل سابق
لاكرم من تحدى اليه الايانق
باحصائها قول وان جد ناطق
حماء على رغم الخليفة خالق
تقوت عراها فهو بالله واثق
فحسبك من ءال النبي الحقائق
غصون الحمى ورق وما ذر شارق
اجل الورى والصحب ما حن عاشق

وقد كان بارود مدسوسا تحت مجلس الهيبة فى كردوس لاهلاكه ولكن
الله سلمه وقد حضر هناك اذ ذاك سيدي علي بن عبد الله الالفى فقال
شيخنا الافراني يهنيه بالسلامة

امولاي لا اعتد غيرك سيدا وان عن مكروه فنفسى لك الفدا

بقيت لدين الله تحمي جنبه
عليك سلام من فؤاد ملكته
ويحميك شر ما تكيد به العدا
فأصبح محبوسا عليك مقيدا

فجاء حيدة بعد شهر من ظهور هذه الفواصة في جيش كثيف وهو
في نفسه دهش . كأنما يتوجس الهلاك . وللارواح شعور . وقد حدث بذلك
بعض اصحابه انه قال له الله يسلمنا في هذا الزحف فنزل تزيت في
مفتح ربيع النبوي سنة 1335 هـ ثم تسلق (الجعدة) الى قبيلة الساحل مع
العيد . وقد تجمع الناس من مجاط ومن غيرها في ايت بو عمران وفي ثاني
العيد 13 من ربيع الاول زحف الى ايت بعمران من ناحية (أجادير زچاغن)
فاصطدم هنالك والناس وقد ملكوا عليه المخرم فأصابته رصاصة في
عرض الناس من غير قصد فسقط من على بقلته . فحاص كل من معه فارين .
فانقض الآخرون على الامتعة والبغال والفساطيط ينتهبون ، فكانت وقعة
غريبة جاءت مصادفة وقد هلك رؤساء المذكورون مع حيدة فقطع رأسه بعد
ما عرف . فعلقه الاعراب في كردوس . الى ان اصبح مسروقا يوما في تزيت .
فدفن مع شلو القائد فقيل ان عال كردوس انفسهم من سرقوه مع بعض
الاعراب فتوصلوا وراءه بما توصلوا به . فكان شيخنا ابو محمد الافراني
من نال منه الفرحة ما نال اذ ذاك . فقال يخاطب الهيبة في رسالة ارسلها يوم
الفتك بحيدة :

الحمد لله اما بعد قد نزلنا
لما اتى حيدة العاتي يجر ردا
جاء يقود جنود الكفر منتصرا
بالعسكر المجز والجند المجند والا
قد جد في الكيد والتدمير معتسفا
حتى تسنم ظهرا واعتلى علما
عارضه من جنود الله كل فتى
من كل ليث على طرف يطير الى الاء
وكل عاد جرى في القلب ذي حنق
ثم الانوف اباة الضيم اسد وغى
ابطال انصار دين الله من صدقت
لقوا العدو بجذ لا يقوم له
ومزق السيف ذاك الجمع واحتوش

نصر تملئ به دين الهدي جذلا
زهو ويعثر في اذياله خيلا
للكفر فانخرزل الشيطان وانخرلا
لات او قر من ائقالها الابلا
مضايقا لا يهاب الوعر والجبال
بحصن احمر لاقى خزينة وبلا
شهم يرى الموت في سبل العلا عسلا
عدا كما انقض باز ابصر الحجلا
كعدو اسد ضوار صادفت هملا
صيد سراة كرام سادة نبلا
نياتهم فقضوا من نصره املا
شم الجبال فولى الدبر وانجفلا
اشلاءه الجثث النشنى ذئاب فلا

وصار بعد لانصار الهدى نفسلا
توت شفار الظبا من دمه علسلا
ظبا الصوارم في اردائه العذلا
صر الذي سار في جو العلا مثلا
فان قدرك فوق الخافقين علا
كل البلاد الى طاعتك الجفلى
في الجو غطى سنا انوارها الدولا
ورق وما دار بدر السعد فاكتملا

واستأصل النهب ما لمثوا وما جمعوا
وخالط السيف رأس الكفر حيدة وار
ثم تخطاه للاعداء من سبقت
فيا امير الهدى لك البشارة بالنـ
فقم فما دون ملك الغرب دافعة
والرعب منك سرى سرى الصبا ودعا
فأنت شمس سماء الملك ان طلعت
مني السلام على عليك ما صدحت

تلك رسالة الشاعر الافراني اثر الواقعة الى الهيبة في كردوس وقد
وجدت ايضا في ذلك قطعة لبعض الطلبة - واحسبه عبد الرحمن الازاريفي -

نصر من الله وفتح قريب
سلام في اليوم بشأن عجيب
وذاك في الاعصار امر غريب
مد النصر زهرتان فوق قضيب
تركننا في وسط خطب عصيب
وللبروق في السماء وجيب
من عاجل النصر بغصن رطيب
سوق عنيذ مستشيط غضوب
تول ممزق الحشا وسليب
وصاحب القلب الخشوع المنيب
يدعو فينزاح الاسى والكروب
هب النسيم من ديار الحبيب

يا ملكا يدعو الظبا فيجيب
هنيت بالنصر الذي حازه الا
عيدان قد تواليا دفعة
عيد بمولد الرسول وعيد
قد نفس الله بنا مخنقا
بيننا نرى الجو امتلا ظلما
اتى الينا فرج مسرع
ساق الظلوم حيدة جيشه
اذا به وبهم بين مقبـ
هنيت بالنصر امام الهدى
فادع لعبدك فمثلك من
عليك افضل السلام كما

وقد وقفت ايضا على رسالة كتبها بعض الطلبة البوعمرانيين كما يظن
من الرسالة الى شيخه الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الصوابي نسوقها
لنجد فيها مقدار البهجة المستولية على الناس اذ ذاك

(شيخنا الذي ببركته تجلى البصائر والابصار وينصيحته يستغنى
عن الاعوان والانصار علامة الدنيا وزينة الحياة الدنيا افهم من حمل
الكتاب واحكم من نطق بالصواب. واعظم مدرس يفسر ما انبهم عن الطلبة،

واحذق معلم كيف يناول التعليم لمن طلبه الفقيه السميع والاديب
 المصقع سيدي محمد بن عبد الله الصوابي فعلى شيخي افضل التحية
 والسلام والبركة والرحمة اما بعد فقد اشتقت الى سيدي غاية الشوق
 حتى لا ادري تحت من فوق وطالما عزمت على الزيارة في العام الماضي كله
 ونويت ان ارد الماء المعين من محله فمنعني ذلك القدر المحتوم ، والشرط
 الذي يحول دائما صاحبه دون اعمال الاقدام الى قدوم فادع الله لي يا
 سيدي ان يعجل بالتلاقي لتبرد اشواقي ثم انني ازف الى سيدي بشري
 هذا النصر العظيم والفرح الجسيم والنعيم المقيم حين هلك عدو الله
 حيدة بعد ما احاط بالمسلمين كيده فرد الله كيده في نحره . وموجه
 في بحره فقد جاء على نية ان لا يبقى في الناس مالا ولا رجلا واوسع بايعاده
 جميع هذه النواحي وجلا فأبى الله والسعد الا ان يلقي موته في اجادير
 الاحمر فتشتت كل ما معه من الجيش والماعون والاثاث وتبعثر فاستولى
 المسلمون من الخيل والبغال والجمال والاخبية والدراهم والكسوة والمكاحل
 والقرطاس على ما لم يره الراءون قط فقد ملأ كل واحد يده حتى ابتهج
 واغتبط وقد قطع رأس حيدة ووجه الى السلطان ومما غنم من متاعه
 مدفعا اثنان . وبقية الخبر في رأس الحامل لاننا الآن بين الناس في فرح
 بينه الحامل وقد اختلط الحابل بالنابل من كثرة الفرح الشامل
 والناس في نزهة عظيمة جدا حتى ان بعضهم تجاوز في ذلك حدا
 وقد حسب ان كل شيء قد انقضى ولا يعلم الا الله ما بقي مما مضى
 واسلم على اخيكم الفقيه سيدي احمد وعلى من بكم واليكم فادعو (

هذا ما وجدته من هذه الرسالة وقد قطع سطر او سطران اسفلها
 نحرنا اسم الكاتب الذي انبأنا في رسالته بامور لا نجدها في اقوال اولئك
 الشعراء .

هكذا ذهب القائد حيدة رحمه الله بسهم غرب يوم 13 ربيع النبوي بعد
 الضحى العالي وسرى عن قريب ما نشأ عن قتله

وقصة الجنرال لاموط

كان لهلك حيدة وانتهاج كل ما معه وتمزق جيشه صدى ورنه بين
 كل القبائل الجنوبية الى الصحراء كما كان له ايضا مثل ذلك في دوائر
 الحكومة فخافت الحكومة - والوقت كما ذكرنا صعب من اجل الحرب العالمية

المستعرة - ان يكون ذلك النصر نواة ينبت منها ما لعله يكون ذا بال . والقلوب متى ذاقَت النصر اولا . فانها تتطلع الى آخر . فاجست ان يكون ذلك مدعاة الى التنسيق الذي يعوز الهيبة وكل من معه . بل اوجست ان يفتنم من يقاومون الحلفاء من الالمانيين وتركية الفرصة فيدخلون اصابعهم فيبشون بما عندهم من التجارب والنظام ما كان معدوما عند هذه القبائل فلهذه الاسباب - وهي كلها طبيعية كما ترى - عجلت باعلان زحف اخر هائل . تلقي به على الفاتكين بحيدة درسا ينسيهم السكره التي يتمايلون بها منذ سقط حيدة برصاصهم وامتألت ايديهم بما معه من السلاح والمتاع . فأوعزت الحكومة الى جميع القواد الكبار من مراکش الى الجنوب الاجلاوين والمتوكيين والكنتافيين والحاحيين والرأسلواديين ان يكونوا جميعا على اهبة الزحف كل واحد يقود رجاله ومن وراء ذلك فيالق تبلغ عشرين الفا من الجند المنظم الحكومي تحت رياسة الجنرال (لاموط) وبه سميت (وقعة الجنرال) عند السوسيين . فبدأت الحكومة تقدم الى تزنييت المؤن اولا ثم مواد القتال من السلاح والقنابر ثم توارد القواد بخيلهم ورجلهم فقامت قيامة رجال قبائل الهيبة . فخنقهم ما خنقهم . وقد عرفوا ما صنعت ايديهم وانهم مطلوبون بالثار . فكان ذلك سبب ان صحت منهم النيات فتصلبوا فائتلفت قلوبهم وانتفت الاحقاد من بينهم (وعند الشدائد تذهب الاحقاد) وفي 22 من جمادى الاولى 1335 هـ نزل هذا الجيش العظيم في تزنييت وبعد ان استراح وتبين رؤساؤه الموقف وقد ملأ الوليتيون (وجان) ، والمجاطيون (ايغير مكلولن) والاختصاص فوق (مرغت) والبوعمرانيون تخوم بلادهم وفي مفتتح جمادى الثانية زحف الجيش الى (وجان) فصار يرسل على من فيه القذائف المتتابعة كالرعود القاصفة فأجل المجاطيون الى (وجان) فصاروا ينزلون من ثنية فوقه . وفي اثنائها اصلتهم المدافع نارا حامية سقط بسببها من مجاط فقط نحو 80 قتيلًا من غير نحو 40 جريحا ثم صابر الوليتيون النهار كله صبرا غريبا فكم مرة صارت المدافع توالي قذائفها حتى تحسب المدفعية ان الطريق مفتوح . فتتقدم الفياق حتى تكثب المختبئين فيرسلون عليها شواظا من الرصاص فيسقط من الصفوف ما يسقط ثم يرجع الباقون ولم يزل الحال كذلك الى الليل فرجع الجند المنظم وراءه احتياطا لئلا يبيت . فبقي الحاج الطيب الكنتافي والقائد عياد الجراري يحرسان ما وراء وجان وفي اثناء الليل جرت المخابرة بين عياد وبين الشيخ احمد الأمازيري البعقلي ادت الى اخلاء وجان في جوف الليل فخرج منه الشيخ النعمة كما خرج

جميع اهل وجان وما ذلك الا من خوف ان يكون اليوم الثاني اعصب من الاول الذي راوا فيه ما راوا وقد خرج كثير من الولتيتيين من وجان بلا مرغمين ويقال ان الامازري قد توصل بدراهم كثيرة لتمثيل هذا الدور . ولا اخال ذلك الا صحيحا لتواتره . وايا كان فقد عقد سلم هناك بين الجيش وبين اداولتيت على ان يلزموا ديارهم وعلى ان لا يعاونوا القبائل الاخرى الجنوبية فتم الامر على ذلك . ويقال ان الحكومة انما تقصد اظهار قوتها لا ان تحتل البلاد والا فان ذلك سهل بعد ما كان يوم وجان عظيما على الجبليين . وسترى فيما ياتي ما ربما يؤيد هذا الذي يقال . وقد كان الكنتافي اول من دخل وجان . فحظى بذلك حظوة انالته قيادة تزيت كما سيأتي وقد رجع الجيش صباح الليلة ، فنزل ما بين (تانوت) و(اد علي اوسلا) بورجان وفي اليوم اقبر قتلى الجند والضباط في تزيت باحتفال عسكري وفي 8 من هذا الشهر ارتحل الجيش الى ما بين (تالعينت) و(انتار) بايت جرار كأنه جرار ولكنه منظم لا يمد بهم احد يده الى اهلي او الى ماله فتعجب الناس وقد القوا من جيوش الاعراب والجبليين الخطافين ما القوا وفي ذلك اليوم قدم الباشا الحاج التهامي في خيله ورجله وبمجرد وصوله صار يتخابر مع رؤساء القبائل وفقهائها كالقائد المدني والقائد مبارك البئراني وسيدي علي بن عبد الله الالفي فتلاقى مع بعضهم - وهذا هو المؤتمر الاول - فقال ان المقصود الوحيد هو استرداد المدافع التي تركها حيدة فقط فردوها لينفصل الامر بسلام . ثم قال لهم انكم تعرفون اننا ابناء دين واحد وهذه الحالة التي ترونها لم نطق بمقابلتها بالقوة لا نحن ولا انتم فاني انصحكم رد المدافع . وعلي انا ان لا تدور حرب فاجابوه بانهم سيأتمرون على ذلك . وبعد رجوع من تلاقوا معه . ذكروا ذلك للناس فاما بعض الرؤساء فمال الى ذلك . فقال اية فائدة لنا في المدافع ونحن لا نستخدمها ولا ندنا من يعرف صنعتها ولا كيف يصنع بها واما رعاي القبائل والرؤساء اصغار . فقد تصارخوا لا والله لا يرونها منا وفي انتظار الجواب عن اقتراح اجلوي هذا رجع الجيش كله من ايت جرار الى تزيت ثم بعد ايام لم يظهر جواب يرضي من القبائل خرج الجيش من تزيت 19 من الشهر فسمد الى اسنچ في الليلة القابلة والقبائل غافلة متفرقة للبيات في القرى في العادة . فلم ينزل الجيش حتى وصل اسنچ حيث البير التي القيت فيها مدافع فارتحل كل اهل تلك الجهة مجفلين امام الجيش فلم يعارضه احد ولا وجد احدا يحاربه في منزله ولا طرقة منهم طارق هذا والخليفة

ابو السلام المتوكي في (مرغنت) ولكنه في مسالمة مع الاخصاص يتتاع منهم
ويبيع والقائد اچيدر الحاحي في قرية الارجام بايت ابرائيم يحافظ
على الطريق للجيش فبقى الجيش في اسنچ الى 27 من الشهر وهو
مشتغل بحفر خندق من بعيد الى قعر البير حتى امكن جر المدافع منها
وفي اليوم الآخر اصبح في السحر راحلا وقد تياسر فحين شاهد حرس
القبائل الجيش يتحرك تتابعت طلقات البارود مثنى مثنى على عادتهم عند
وقوع امر جلل فسال الناس من القرى التي تفرقوا فيها للبيات فلاقى
اوائهم عند الاسفار طلائع الجيش في ثنابا هناك - فاصطدمت واياهار -
والجيش مقصوده ان ينسحب الى وراء ويقال ان الطيارين راوا الناس
مقبليين من كل جهة . فعرف الجيش الذي لا يتصل باحد انه ربما يطوق هناك
فيهلك كله وانما تياسر من اسنچ الى (بوجرفنة) فالى (تاغولت)
تتمزجيدا) فالى (انتر) ليمن له ان ينكأ القبائل لينسحب بانتظام من
غير ان يتتبعه من سيضرون عليه متى شاهدوا منه الارتداد ولكن اتفق
ان كانت هناك قنابل من فرسان الصحراء والبوعمرانيين فدخلوا الجيش
مداخلة عنيفة دارت بها رحي حرب ضروس فكان الباشا الحاج التهامي
ممن اصطلى في ذلك النهار بالوغى . حكى ذلك عنه اصحابه . كما حكاه ايضا
الفرسان الذين اصطدموا واياه من القبائل فسقطت تحته افراس وكاد
مرة يوخذ باليد لولا ان بعض عبيده - كما حكى لي اصحابه - نزل له عن
فرس هذا والجند المنتظم يمشي بانتظام صفوفافى الدفاع و صفوفافى
الهجوم وكل من جرح او مات يحمل فلم يبق هنالك واحد ممن سقطوا
من الجيش والرصاص من بنادق الجند والرشاشات كالوابل على القبائل
فكثر الجرحى والقتلى منها فهرب من هرب ينذر كل من مر به بالهزيمة
العامة . على حين ان الجيش وصل فوق ثنية (سيدي بوعبدالتي) واولئك
الفرسان الصحراويون المذكورون مع افراد من فرسان مجاط يخلدون
لجيش القبائل شجاعة فائقة وهي يجروون لظنهم ان الجيش فار ولكن
مع رجوع الجيش هكذا فقد نكأ القبائل نكاية لم ينسوها الى اليوم
فكانت اعظم درس تلقوها في المشادات العنيفة وفي ذلك اليوم قتل القائد
بوبكر الخلفي البوعمراني وكثيرون من بين القبائل وسقط فيه فرس الاخ
سيدي محمد من تحته وجرح رجلان من اصحابه . فسلم الله الجميع
وكان يوما مذكورا مشهودا ثم ان الجيش نزل عشية اليوم في (بونعمان)
وفي اليوم الثاني نزل حوالي (تالعينت) وهنالك فتح ايضا الباشا الاجلاوي
والكتافي والخليفة ابو السلام المتوكي المخابرة مع الرؤساء من القبائل على

اعلان السلم وابقاء ما كان على ما كان فلانت اليوم شرقة القبائل بعد ما كانت جاسية امس . فاجتمع وفد من اعيان القبائل كالقائد المدني والقائد البئراني واحمد الاغشاني وعلي الاشلحيني المجاطي فتلاقوا مع الباشا واصحابه ووراء كل فريق خيل حارسة وقد ظهر الباشا الاجلاوي بمسا عرف من مخالفته من التواضع وحسن الحديث ولين الجنب والحلم لما يسمعه من تأنيب من انبوه على اعانته للاحتلال وهو يعتذر لو كان اعتذاره مقبولا ثم الامر ففرح الفريقان بعد ما قدمت هدية صورية في شبه سر الى الجنرال . وكان تمام ذلك في اوائل رجب ثم تراجع الجيش الى تزنيث وفي 10 رجب انفض الجمع فتوجه كل الى حال سبيله وقد نجت هذه القبائل مما تخاف بعصب الريق . وما كانت تظن لها نجاة (1) فاما العارفون فيقولون الحمد لله الذي سلم بفضل لا غير والا فمن اين القوة التي تكافح حق الكفاح واما الجاهلون فيقولون اننا هزمنا العدو وما سالنا حتى خاف منا ولكنهم معذورون لجهلهم العميق بأوضاع السياسة بالمغرب وبما عند الحكومة من القوة . ولم يدروا ان من اسباب ارتداد الجيش ان ايت بمران ليست من حساب هذه المنطقة فلذلك لم يبق فيها الجيش بعد ان احتلها والا فقد توسطها واجفل الناس بين يديه فلم يكن يحتاج الا الى رتبة اخرى فيكون في وادي نون فترغم كل قبائل الاخصاص ومجاط ان تلقي السلاح . وهذا امر ظاهر وان كان يخفى عن مجهل الحالة اذ ذاك

الكتافي في تزنيث

حظى الحاج الطيب صقر الوادي النفيس تلك الحظوة في وجان فكان ذلك - فيما يشاع - سبب ان تولى باشوية تزنيث فقد ذهب الى مراکش راجعا اليها مع الناس وفي 19 شعبان دخل تزنيث مع حاشيته وخليفته محمد بن ابراهيم . وكاتبه الحاج الهاشمي الناصري . وقد فوض له تفويضا خاصا في تزنيث وما اليها فرجعت المخزنية بتزنيث الى ديدنها مفارم باهظة واقامة اعمال وحرث وحصاد واستحوذا على كل نفيس بغلة او حصانا او رمكة او عبدا او امة فصار يحتوش احتواشا غريبا وهو يلقي في السجون ثم ينسى مسجونيه حتى يسمع في تسريحه آلاف فيذكره حينئذ فصار هشتوكة وماسنة والمعدر وأجلو والابرايميون

(1) في ترجمة القائد المدني في (القسم الخامس) تفاصيل عن هذه الحرب وفي تراجم «آخرين» .

والازغار يون وءال العوينة والازغار يون من رسموكة وبعقيلة في مقيم مقعد من غراماته المتوالية . يعقب بعضها بعضا فقد فرض مرة على المعدر مائة الف ريال حسني وهي تساوي الآن 1358 ملايين من الفرنكات فادوها مع توابعها من بيانات الاعوان ثم ثنى حيناً بمثلها ثم ثلث بمثلها حتى جلا الناس وخلت القرى واقفرت المساجد وما ادراك ما مسجد المعدر الاكبر الذي يضرب به المثل في العمارة الدائمة وكذلك يشغل الناس في اوقار الحرث بحرثه الخاص فلا يكفيه اسبوع لكل قبيلة ولا اسبوعان ثم في الحصاد يحصد الناس ما حرثوه ويدرسونه ويحملونه الى تنزيت ثم يميل الى بيادرهم بالخرص . فيستولي على نحو نصف ما فيها دفعة واحدة وناهيك ان عشر غلة واحدة من ذرة ماسة بيع مرة ليهودي بمائة الف ريال حسني وعلى ذلك فليقس ما لم يقل واما التزنيون فانهم ادركوا منه من الصفار ما انساهم ما تنعموا به ايام سلفه ابن دحان فكثير منهم زاروا المطبق ففكوا رقابهم بثالاف وجل ذلك بغير سبب معقول واذا ذاك كاد الفقيه محمد اعمو يزوره مع الزائرين لولا ان بادر فادى في عشبة اليوم الف ريال فنجا هذا والقوافل ذاهبة عائدة الى وادي النفيس تذهب من تنزيت بالعبيد الصفار اربعة في الشواري او بالاماء ثنتان على بغلة او بالدراهم احمالا فترجع من داره بكل ما يحتاج اليه من المئونة . لانه لا ياكل هو في نفسه الا ما جاء هناك حتى الخضر مع انه عمد الى الجيد من سقى تنزيت فحازه ، يحرق فيها القصيل وانواع الخضر المبكرة وقد كانت عين تنزيت جلها في يد الجراريين ، كما تقدم لنا ذكره من سنة 1330 هـ فركب يوما حتى القاها في مجرى من تحت الارض رغما على القائد عياد وقد كان للكولونيل جوستينار يد في تسوية القضية حتى ترك للجراريين بعض الماء . فخرجت بذلك ظهائر رسمية وقد وقع له ايضا خلاف مع احمد بن على البلقاعي الهشتوكي الشجاع وكان رئيس البلقاعيين فغلبه الكنتافي فهرب الاخر الى الجبل ثم صالحه فرجع كما جرى ايضا بينه وبين القائد محمد الاغباليوي خلاف فأقام ضده محمد بن عبد الله ابن بلقاسم في (تاسيلا) فهرب الاغباليوي الى الحمراء فالرباط وقد كان معه الاديب محمد بن الحاج التاتكرتي الافراني في زحف كان في اوله انهزام فسبقه الى تنزيت نذيرا للهزيمة . اذا بالامر على خلاف ذلك فسقط من عين الكنتافي وكان اذا غضب قلما يرضى كان الكنتافي مع ذلك كله ذا اوصاف حسنة من ناحية اخرى فليس بماجن ولا عاهر ولا سفاك لدماء

السوسيين حين كان عندهم ويحافظ على الصلوات في وقتها محافظته على اوقات الاكل المتتابعة ويميل الى الاكلة النهمين في المأكل الكثيرة المتتابعة في كل وقت مضبوط عنده وهو متكبر الى الغاية وكان له في كل عشية غالباً ركوب الى خارج تزيت في كل اصحابه المنيفين على المئات من غير الجند فكان لا يأمرهم بالاسراج وانما يعرفون علامة ذلك بتناوله سراويله بعد صلاة العصر فيبادر الناس يخبر بعضهم بعضاً وويل لمن لم يجده راكباً امام الدار ان خرج بعد العصر بقليل فكانت الهيبة منه عظيمة ثم كان في آخر عهده هناك زاحفا الى ايت وذريه على رغم ارادة الحكومة وكان ذلك منه مرتين ففي المرة الاولى زعم انه اجسدى في عمله . ثم عاود الكرة فاذا كان ذلك كانت حرب عنيفة اصطدم فيها والقائد الناجم فانهمز ففضى عليه ذلك عند الحكومة فظهر لها ان تعفيه فتريح الناس منه فاعزت اليه فطلع الى داره في 4-10-1339 هـ من تزيت نهائياً ، تلك هي افعال الكنتافي في تزيت وقد امتحن به الناس ولكنه وظد قدم الحكومة ، وجعل لها قوة مرهوبة في اعين القبائل التي تطل من اعلى الجبال حتى يئست من مراجعة ازغار

نبذة اخرى من احوال الهيبة

انتبذ الهيبة في كردوس قصياً وقد وجد من بين هذه الجبال بعض منعة والقبائل تذكره قولا وان كانت قلما تنفعه فعلا فهو وان كان يجري في الالسنه باسم السلطان فلا يعدو قدره قدر بعض ارباب الزوايا . فيجمع له بعض الناس اعشارا يتقوت بها هو ومن معه وقد بقيت معه خيمات من الاعراب يكثرون ويقلون بحسب الازمنة فاما الوليتيون فلا ينفعونه لا بقليل ولا بكثير الا بضعة افراد منهم يأتونه بئاصع من الشعير وقت الدراس بصفة زيارة كزيارات الزوايا ويقولون يكفيه منا ان وجد الامان التام في بلادنا وقد بات مرة رجل من ادموشن من سملالة في كردوس فعلا سراويل بارود فوضع فيها فتيلة في اسطوان كان الهيبة يجلس في غرفة فوقه فثار البارود ولكنه صادف فتحة خرجت منها قوته ولم يصنع شيئاً فهرب الرجل فنزل البعقيليون عليه فخرموه ما يناهز الف ريال فيما سمعت فبيع كل ماله واملاكه ففادروه عبرة لامثاله ثم نادوا باستباحة دمه ولكن رجلاً من افغلاكن ببعيلة صادف جملاً من اجمال الهيبة فباعه فمكن بعض ثمنه لافراد لم يسمه احد بسوء

(وقد اشرنا الى هذا البارود فيما تقدم) واما مجاط وبعض القبائل فانهم يأتون اليه باعشار كثيرة ويقول المجاطيون انهم وجدوا بركة ذلك في اموالهم. ولهذه القبيلة نية حسنة في اهل الخير واما الاخصاص ايلة القائد المدني فانه يجمع منها الوفا من قناطير الاعشار ثم يحمل مائة حمل على الجمال في وقت الخريف او الشتاء ، فيأتي هو واصحابه في كثير من الخيل حتى يدفعوا ذلك في كردوس فيسمع الناس بأن المدني اتى بالاعشار ، مع انه ما اتى الا بقليل بنسبة ما جمع ، ثم بات عليه وهو وحاشيته بخيولهم فياكلونه ويعلفونه ومجمل الامر ان عيش الهيبة في كردوس ضيق في الغالب واما هو في نفسه فانه يتظاهر بالفنى وانه مكفى المئونة فيحصل كل من وصله من الطلبة وغيرهم وفي ليالي اعياد المولد والسابع والعشرين من رمضان يستدعي طلبة بعقيلة ، فيحيون الليلة معه حكى لي بعضهم انه حضر هنالك في احد تلك الليالي من رمضان والناس كثيرون وبعد العشاء تفرق الناس في مكانين للصلاة قال فكنت فيمن مع الهيبة فتقدم فصلى التسليمة الاولى من التراويح بنفسه قال فقرا في الركعة الاولى (الفاتحة) ثم قال (الم) فركع وفي الثانية (الفاتحة) ثم قال (ذلك الكتاب لا ريب) فركع ثم تقدم اعرابي حسن الصوت والترتيل فصار يصلي بالناس قال الحاكي الى ان وصلوا (المص) فأعيت فخرجت وهم لا يزالون يصلون . وفي السحر ذهبت عند الفريق الآخر فوجدته في سورة (سبح) ولا ادري هل افتتح القراءان فاتموه الآن أو قرأوا النصف الاخير وقرأ الفريق الآخر النصف الاول ؟ قال وكان الهيبة يصلي جالسا في كل الركعات بعد الاولى التي كان اماما فيها وفي الصباح اجيز الطلبة كلهم ببضعة دراهم لكل واحد وكان ضحوك السن جواد الكف . وقور المجلس عالما حسن الادراك ذا ذوق جيد في الادب وكان يرتاح للشعر ولذويه ويرفع اقدارهم ويشني عليهم وقد قال فيه الشعراء الصحراويون قصائد كثيرة. وقد رأيت غالبها في كناشة بعض الاعراب ولكننا نفرط في الاشياء حين وجودها وكل ما نقلته منها بعض مقطعات لبعض ادباء جزولة ولكنها لا تنسب غالبا للقائل أو تذكره بغير نسبة مع جزم الاعرابي المنقول من عنده ان صاحبها سوسي ولكن ما نقلته ايضا من الكناشة لم يحضر عندي منه الا ما ستراه

قال محمد بن عبد الله ؟ قالها قائلها في الهيبة اول مرة

لي للحسان صباية لا تهدا ومدامع في محجري لا ترقا

وتملأ فوق الفراش وزفرة
ما شمت برقاً من حماها مومضاً
جمر الفضا من اضلعي سيل الفضا
ند كنت مثلك حين لا يعتادني
لكنني في اليوم حين جوانحي الته
انصدني بسهام عشق ضعفت
وسبت فؤادي الغانيات فصرت من
وملكنني ملك الامام ازمة الـ
ملك اغاث به الاله الدين يا
ملك اذا كشف اللثام فانه
ملك اذا ما انسأ البخلاء من
ملك اذا حبت الكرام بذرة
ملك حباه الله عزما صار ما
ملك به حزم عظيم كلما
ملك اذا ما صال في اعدائه
ملك له بين الماثر لبها
ملك سواه ارجل وعجيزة
ناذا تطاولت الملوك لشيمة
عين مفتحة الجفون فلا ترى
ما اوكات كفاه فوق نفيسة
ما كان الا كنز من يحظى به

نحو الحمى كل المدى لا تفتأ
الا التظى مني جوى لا يفتأ
من ادمعي اتئى عدولي اهدأ
عشق ، ارى حسن الحسان فاجرو
سبت ارى ظل الحسان فاخلاً (1)
جلدي فمن ذا بعد ذلك يجرؤ ؟
عنت الهوى في غشية لا اهدأ
ملك العتيد له يطيب ويهنا
وري نحوي في ظله يتفيا
بدر على افق السما يتلأ
معروفهم للمعتفى لا ينسئى
فالنضر ما يحبو به واللؤلؤ
مثل الظبا لكنه لا يصدا
دهم العدو وغيره يتهيا
ففضنفر بل انه منه اجرا
بنظيرها عند الملوك يهنا
وهو المحيا دائماً والجؤجؤ (2)
فهو الطويل ومن سواه يقمؤ (3)
وسنا تببت مدى الليالي تكلأ
كرما وداب بني الفنى ان يوكؤوا
ما ان يفيض بغرف من قد يملأ

هذا ما كنت اخترته من القصيدة
اخترت الا ما يمكن ان يقبل

وقال ءاخر ولا اعرفه الآن

سلوا صيكم من قبل ان يفلق الرهن
ويمضي فلا ءثار منه ولا عين

١ خلا عن الشيء : تاخر عنه .
٢ الجؤ جؤ : الصدر .
٣ القمساء : القصر .

فقد طفح الشوق المبرح بالحشا
توالى على اللاعجات فلا نجا
فلم يبق الا زفرة مستطيرة
وشلو من التهيام نحوكم لقي
وقلب له خفق متى عن ذكركم
اظل وامسى في شجون عظيمة
اقابل هبات الصبا نحوكم بما
احبة قلبي انني عبد حبكم
فهجركم عندي جهنم نفسها
فانتم حياتي كلها وحياتكم
فما كنت ادري كيف معترك الهوى
فخامرني العذري يا قوم فاغتدي
بنفسي رشا منكم ذكاء اذا بدا
يمر بخوط فوق دغص يمس في
دهاني بلحظ كالحسام مهندا
فغادر قلبي بالصباغة مثل ما
اذوب كما ذاب العدو اذا انتحت
امام له راي سديد وراءه
اذا ركبوا ماد البسيط بجيشهم
ازاهر في الالحاظ رهبان في التقى
فمن تلق منهم قلت افضل قوميه
فان تستجر فهو الزبيدي ذائدا
غطارف ما منهم سوى خير ماجد
بنو الشيخ ما العينين صيد اشاوس
لهم رجع الدين الحنفي لاجئا
وراسهم مولاي احمد قائم
راى الناس في دهياء من اجل دينهم
فشمر عن ساق الرياسة جاهدا
فداد كذود الليث عن غيله لكسي

الى ان علاني من هيامي بكم غير
ة لي غير ان منكم بوصلكم من
تردد او دمع تسح به العين
ينكله من ذكر ياتكم البين
يهيج كانشان تخطفه جس
وما التاح لي حاشاي من سلوكم شجن
يهيج من قلبي الفرام فيفتن
بما بيننا منوا على عبدكم منوا
ووصلكم لو كان وصلكم عدن
وروحى وقلبي والمهاجر والاذن
الى ان رمتني من لواظها عين
اخو حبكم ممن بحسنكم جنوا
قضيبي اذا انثنى ، غزال اذا برنو
ذوائب منها وحدها خلق الحسن
مفاجأة اذ مر بي وهو يستن
يقلب نصلا في مجامره قين
اليه من الامام سمر القنا اللدن
فوارس سنوا في الملاحم ما سنوا
او ان يحملوا نحو العدا حملة يفنوا
ملائك في سلم وفي معمع جن
عليه بهاء في البسالة والزين
وان تك تستجدي فذلكم معن
يقر به قلب المخالط والعين
اسود ولا حيف كرام ولا من
فكان له من اجل سيفهم العيون
ولولاه حقا ما تأدى لنا الدين
وفي كل شفق منهم تفرع السن
بأشجع قوم في الوغى ان هم شنوا
يدوم على الاسلام في سوسنا امن

وما راعه ما قد مضى من نفيسه
إمام الهدى مولى الملوك وسيد الـ
إليك قصيدا من ضعيف يروم أن
تكلف جهدي ما استطعت فخاني
أريد مديحا خالصا من مناقب
ولكن أبى طبع تبلد فاكتفى
وما كل مطلوب الفتى مدركا فقد
عليك سلام الله يا خير سيد
ودامت صلاة الله تترى على الذي
والله والأصحاب والتابعين ما

فكل سوى الأديان عند الفتى هين
كرام أمير المؤمنين ولا مين
يهنئكم لما رأى غيره هنوا (1)
لدى القول فكر ليس ينفعه السن
لكم ولا هليكم جماعتها زين
بشبه زجاج قد علا فوقه الرين
تهب رياح بالذي تكره السفن
حماء لأمر المؤمنين هو الكن
شفاعته في الحشر للمذنب الأمن
تأطر في يوم المداعسة اللدن

تلك هي القصيدة التي يحاول صاحبها بها ما يحاول . فيسقط باقراره
دون المدى ولكنها على كل حال تدل على أن قائلها ممن يتذوق القريض
يعرف كيف يتسامى في التعبير أحيانا على قلة ذلك فيها وليت شعري
من هو ؟ فوا أسفا على ضيعة كل شيء في البادية احتى الأسماء يا للناس
نضيع ؟ في حين أن الآثار كهذه ربما تضيع

وقال شيخنا سيدي الطاهر بن محمد يسليه ويستنهض همته

مولاي بشراك بقرب النجاح
والعسر لن يغلب يسرين قد
والصبر يفضي لبلوغ المنى
والملك خود غادة علمت
وأما هذا المطال كما
ولا يشين الدل غانية
ناصر أمير المؤمنين ولا
فالوعد حق والوفاء به
فجدد العزم فبرق المنى
أهنا به ملكا يسير سري
يلبس الدين لباس البها

فالليل يتلوه طلوع الصباح
جاء بذا لنا حديث الصباح
والنصر يجنى من غصون الصفاح
أن لا لها كفؤ سواك يتاح
تبدي التدلل الفواني الملاح
وليس يزري بالحصان الجراح
تأس فان الصبر داعي الفلاح
لا بد أن يفدى به أو يراح
لاح وعرف زهرة الفتى فاح
النجم ويطبق مهب الرياح
ويلحف الاقطار روحا وراح

كذا

ويرجع الدهر به مثل ما
 (كأنما يبسم عن لؤلؤ
 تدل للدين الحنيفي من
 تفري به عقبان دين الهدى
 من كل قرم للعدا قرم
 معوّد الطعن الوف اللقا
 شرب دم الكفر الذ على
 حتى يرى الكفر واعوانه
 وانما العزة بالله لا
 فامدد امير المؤمنين يدا
 وجد فالسعد كفيل بما
 فانك السيف بكف الهدى
 وجهك بدر ونداك الحيا
 ان قيل علم فاليك انتهى
 انت الامام ابن امام الهدى
 فلح بافق الملك بدر دجى
 تعنو لعلياك العدا ويرى
 ثم سلام الله ما صدح ال
 عليك يا خير الملوك ومن

وقال عبد الرحمن البزري

الا ابشروا ان الاماني في قرب
 بها الدين والدنيا بها العز والفنى
 بها ملك فاق الملوك عزيمة
 يطل بتاج يبهر الطرف نوره
 يطل فتفضى العين منه مهابة
 تألد مجدا ثم اطرف سؤددا
 لقد جاء منه الملك من كان منشأ
 اذا جاش علما فهو اعلم عالم
 او ان جاش رأيا في السياسة محكما

قد قاله شاعرهم حين باح
 منضد او ببرد او اقشاح
 ايمة الكفر كلاب النباح
 مساعر الهيجا كباش النطاح
 يسطو ولا يرثى ببيض الصفاح
 يرتاح ان قيل السلاح السلاح
 لهاته من النмир القراح
 ان حمى دين الهدى لا يباح
 بالنفض والطيّار دون جناح
 تجن جنى النصر هنيئا مباح
 تهواه والجند قرين الرباح
 وانت غوث الدين غيث السماح
 وعزمك الصّارم والمدح راح
 او نسب فمن قريش البطاح
 من ذروة العز وبيت الصلاح
 بنوره ليل الضلال يزاح
 لصدر كل المؤمنين انشراح
 سقمرى في ايك الرياض وصاح
 عن مجده ضاق نطاق امتداح

فكردوس فيها منبع السلسل العذب
 بها الغاية القصوى لذى الارب الصب
 كليث اذا ما استجمع الليث للوثب
 فما مثله يلقي بشرق ولا غرب
 ويسطو فينمّاع العدو من الرهب
 جديدا شأى كل الاعاجم والعرب
 ليفد وملك الناس بالخبر المنجما
 رأيناه يملي علمه من سوى الكتب
 يزلزل اس الراسخات من الهضب

به وحده نرجو النجاة من العدا
فمن احتموا في معقل متمنع
فهفته فعالة في عدوها
فمن مثل هذا السيد المجتبى الذي
اغاث وقد اشفى الفريق واوشكت
فداد عن الحمى كما يفعل الفتى
فرد الى الاشباح ارواحها كما
ابا ملكي حيتك مني جوانح
تقبل قريضا صفته كقلادة
وما يزدهي الا بمدحك وحده
لأنك مني الروح افديك دائما
عليك سلام الله ما ذكر الحمى

اذا احتدمت ساح المعامع بالحرب
فمقلنا في احمد الصارم العضب
اذا حملت فعل السراجبة القب (1)
حبنا به في وقتنا عطفة الرب
معاطس كل الناس تعرك بالترب (2)
اذا ما رأى رمحا سيطعن في الصلب
يرد نشاط الهيم بالبارد العذب
خلقنا من الاخلاص نحوك والحب
منظمة الاسماط باللؤلؤ الرطب
ومدحك شغلي ان شهدت وفي الغيب
بنفسي اذا ما طاف مس من الكرب
فيظهر ما العينين ما في حشا الصب

وقال شيخنا محمد بن الطاهر الافراني - وكان ورد عليه في شعبان
1335 هـ

الا قل لمن قد مسه الم البؤس
هناك ترى بحر المعارف طافحا
ويعنو لك الدهر الشموس مطاوعا
هناك ترى خير الخلائف باديا
الا ايها المولى الامام الذي احتفى
اتيتك يا شمس الخلافة راجيا
عليك سلام الله ما وخذت الى

انخ بأمير المومنين بكردوس
وتحظى باكرام وامن وتأنيس
وتلبس من زي التقى خير ملبوس
عليه جلال يدهش الليث في الخيس
به الدين من كيد العدو الفرنسيس
دعاء يصفى القلب من ريب تدنيس
ندى كفك العذب الروا وخذ العيس

واذكر انني كنت مع ثلة من الطلبة الاتراب في المدرسة التانكرتية في
وسط نهار شمس ، نشرب الاتاي امام بيت احدنا فدخل علينا الاستاذ
شيخنا هذا وهو كما قدم من سفره هذا الذي انشأ فيه هذه القطعة
فاملأها علينا وكانت هي هدية القدوم فاستبشرنا بها غاية الاستبشار.

(1) جمع اقرب من صفات الخيل الضامرة . والشرحوب بالضم الفرس الطويلة .
(2) المعاطس : الانوف .

ونحن اذ ذاك كما بدأنا نتذوق الادب فحيا الله ذاك العصر الطيب
المعقول وقال الاديب الحسن الجوسالي السملالي وقد ورد على كردوس
12 من ربيع الاول 1337 هـ .

وافري المهامه فالعناء غناء
من عجزهم ماتوا وهم احياء
من يحفك التاميل والنعماء
حيث انهمى الانوار والانواء
تيارها حيث السنا وسناء
سام ابن الائمة مالهم احصاء
بدر الهدى بحر الندى الدماء
ساس الامور اذ احجمت امراء
مقداره كيوان والعسواء
شمس الهدى فانجابت الظلماء
ياتي به الانشاد والانشاء
فهو الخضم وما سواه اضاء
امع الفطمم تذكر الانداء ؟ (2)
واياسهم فانسل منه ذكاء
وعدالة عمرا وذاك عسلاء
واذا ذكا لاحت خفت جوزاء
واهش من يزجي اليه رجاء
تشكو الوجى فتحثها الرغباء
وعليك في ازجائها اجزاء
حلل الحياء ومهرها الاغضاء
فهي الحلي وان تشا الحلواء
ستمكين والتأييد والسرء
غنت على اغصانها الورقاء
وخذت لنيل حباكم الوجناء

سيري مطية فالثواء تواء (1)
وذري التكاسل للالى عجزوا فهم
وانحنى ملاذ الخائفين ومعتفـ
مغنى السيادة والمجادة والندى
حيث المعارف والعوارف قد طما
مغنى الامام ابن الامام ابن الامـ
خير الخلائف شمس افلاك العلا
مولاي احمد الخليفة خير من
رفع الاله مقامه فانحط عن
يا ايها الملك الذي ضاءت به
اعيت مناقبك البليغ فما عسى
اما السماحة والفصاحة والذكا
انسى ابن سعد وابن مامة فى الندى
سلب الفراسة والفراسة عمرهم
والحلم احنف والمهابة تبعها
تلك السجايا قد حكوا انوارها
يا خير من اعطى واعدى من سطا
هذي ركاب مودتي ازجيتها
انجح مقاصدها وامن روعها
واليكما بكرا عروسا ترتدي
تاهت بما فاهت به من مدحكم
دمتم ودام العز والاقبال والـ
بالمصطفى صلى عليه الله ما
وعليكم مني سلام الله ما

(1) التواء : الهلاك .
(2) الفطمم : البحر العظيم .

انتهت القصيدة التي هي من اوليات الشاعر ولذلك لا يؤخذ بها
ميزان ذلاقته وقد كان استأذن عليه حين وقف ببابه بقوله

خير الخلائف ضيف عند بابكم هداه طيب الشنا نحو قبابكم
انأذنون لصب شفته شف ؟ وما الشفاء له سوى خطابكم

ثم ان عندي بين اوراق نسختها من عند بعض الالفين قطعة
همزية لم تنسب لقائل ولا ذكر اسم المقول فيه ولعلها قيات في
الهيئة نصها :

انزلت رحلي في ذرى الكرماء	ولثمت ظهر الراحة السمحاء (1)
ذاك الذي جرى لكل ملمة	ان جال فينا جائل الدهياء
من امره بل نهيه بل سيفه	بل عدله في الناس حلف مضاء
من لا يخاف اذا يصمم لومة	من لائم في الله ذي الالاء
البازل المعروف في ومضاته	والشاهر المسنون دون عداء
من نصره النصر المزيل عن الهوى	ريب الضلال بساطع الاضواء
باسيدي يا من به الدنيا ازدهت	شرفا ابا العباس جد بدعاء
ما القصد الا ان امرغ جبهتي	في بابكم ارض السنا وسناء
فاذا ظفرت لديكم برضاكم	فلقد ظفرت وحقكم بدواء
ان الذي ابديته لو لم يكن	بمديحكم حسنا كمثله هباء
اني اوفى مدحكم وهو الذي	من كل بحر كامل الاجزاء

هكذا وجدت هذه القطعة ، ولا اكاد اشك انها في الهيئة والغالب انها
من بنات الالفين وممن لا ال يتعلم منهم لانها كما يرى القارى عرجاء
ينبغي ان لا يذكر صاحبها بين الادباء غير اننا في هذا الكتاب نراعي
المؤرخين اكثر من الادباء وقد كنت وجدت من القطعة بعض ابيات سقط
منها بيت المطلع ثم وجدتها ايضا هكذا ولعلها اصلحت بعض اصلاح
ولكن المشوه في الاصل لا يجدي في الترميم والترقيع (وهل يصلح العطار
ما افسد الدهر ؟) (2) وقال شيخنا سيدي الطاهر في الهيئة ايضا

(1) انما يقال سمحة لا سمحاء
(2) اوله (تسر الى العطار ميرة اهلها)

يا امير المؤمنين
يا اماما قام لله
يا هماما كلما هم
يا مليكا رقى السعد
وهلا لا طبق الافا
يكشف الظلماء للاء
قام في الناس رشيدا
جبر الكسرة جبر
وغدا للناس او دين اله
انما انت غمام
كنت للصديان وردا
ولدين الله سيفا
فقت اهل الفضل علما
ولك التوفيق اضحى
فاذا ما قمت تلقى الن
او ما انت ابن ما العي
او ما سعدك فينا
او ما اخدمك الل
او ما شئت بالتد
فقدنا بعضهم في
فتفانوا وتعانوا
فاستعذ بالله وانصر
واستعن بالله حقا
واصبر النفس على النا
وادعهم ياتوا سراعا
واضرب الكفر بجند
واسال الصارم واقطعهم
فثمار النصر تجنى
فاغنم الفتح هنيئا
فلقد عودك الرحا

ومبيد الكافرين
بامر الله فينا
راى الحق اليقين
د به مرقى مكي
ق نورا مستبين
اذا ابدى الحين
وسديدا وامينا
الخلفاء الراشدين
سدى حصنا حصينا
ونسدى للمعتفين
شما عذبا معينا
صادف الكف المعينا
ايد العقل الرصينا
حيث يمت قرينا
صر والفتح المبين
خين من يملا العيون
مثل في السائرينا
ه بحورا وسفين
ير جمع الكافرين
بعضهم بضع سنينا (1)
في هناء المسلمين
دين خير العالمين
فجدير ان يعيننا
س فقد يجفون حينا
في خضوع التائبين
الله ضرب الصادقين
سم شملا ويمينا
بسيوف المصلتين
شربك الماء المعينا
مان خزي المارقين

(1) يعني الحرب الاولى

فلك الله بان ينـ	صر من ينصر ديننا
ولك الله بان يكـ	ففي مكر الماكرينا
فبوعد صادق لمـ	يهد كيد الخائينا
كيف يهدي الله قوما	في عداد الناكثينا
فأرفع الراية تخفق	بين جنبي جبرئينا
وأمزج الغلظة بالرفـ	سق وبالشدة لينـ
وأجل سمك يصطد	لك ليثا وعرينـ
دمتم في ظل عزـ	بالهنا مستبشرينـ
فلسان السعد يلعـ	كم دعاء المهتدينـ
وينادي قد فتحنا	لكم فتحا مبینـ
فادخلوا باب الامانـ	بسلام ءامينـ
عجل الله لك الفتـ	ح كما تبغي أمينـ
فسلام الله ما نبـ	ه طل ياسمينـ
ينتحي قدركم العالـ	ي بالله المتينـ

وقد ظفرنا برسالة الغيبة كتبها الاستاذ ابو الحسن الى الهيبة
في كردوس بعد ما وقع له ما وقع من قتل ولده نصها :

املك الملك اسامع فنانادي ام قد عدتك عن السماع عواد

السلطان الكبير المقام والامام العظيم المقدام ابو العباس سيدي
احمد الهيبة ناصر المظلوم ومداوي الكلوم اما بعد السلام الاطيب
الاعذب اكرر على مسامع سيدي انني في كدر مخيم وفي حزن الثكلى
الايم فقد قتل ولدي ، وفلذة كبدي عدوانا وغيلة فليترك سيدي
قال الغير وقيله فليس ولدي بعبد آخذ ثمنه ولا ببقرة فاطيب ان
جزر المعتدون بدنه فقد دفعتم لي امس من دفعتم ممن قلتم انهم
وحدهم من القاتلين ، فهرب منهم واحد فصرت موضع شماتة الشامتين
وقد بقى القاتل حقيقة يمد لي الاصابع فاني والله لذلك جازع ، فقد
نفذ الصبر وتجرجعت ما تجرجعت من الصبر فلا بد من ان يوخـ
الشار وان لا يقال للعائر العثار فلست ببيضة البلد خنوعا ولا اطوي
بعد اليوم على الثكل ضلوعا فقد عزمت غدا على ان اتوجه الى اصحابنا

بمجاط والى ابي الطعام والى القائد المدني مستعينا بهم كما استعين بسك
والا فلا خير فيمن لا ينصر مظلوما او لا يداوي مكلوما والسلام على بن
عبد الله الالفى جبر الله صدعه)

ومن اراد ان يعرف كيف ادارة الهبة وكيف تصان اسرار الاعراب
فلينظر الى هذه الرسالة ، فانها بعد ما وصلت كردوس ، لم تبقى فيه إلا
ريثما سلها من الاعراب من باعها لبعض المجاطيين بحفنة من زرع ، وكان
هذا المجاطي ضد الاستاذ الالفى فى قضيته ، وكان من الشيعة الاخرى

هكذا كان الادب مزدهرا فى كردوس ، ولم نحصر ان نسوق كل ما
يروج هناك من القوافي ، خصوصا من الصحراويين الادباء الكبار وما
هذا الرواج الا من الامير نفسه ، فانه اديب يقدر قدر الادباء ، فنفت سلفته
بين يديه ، وسنختم هذا الفصل الادبي بقصيدة نبوية قالها الامير ، ثم
خمسة شيخنا سيدي الطاهر ، واليك الجميع على طوله

لمية اطلال عفا آيها المظر ومرء الصبا الا بقايا من الاثر
توهمت فحين اشبعتهما النظر

(كفت انسجام الدمع فانهل وانتثر وعاد عقيقا بعد ما كان كالدرر)
وعاودني داء الصبا بعد ان عسا براسي وخط كالصباح تنفسا (1)
وضيغت عمري فى لعل وفى عسى

(وابدل مني من جوى البين والاسا سبات الكرى والنوم بالسهد والسهر)
وسهم الاسى ينكا بقلبي وقفه ونعت اصطباري بان بالبين قطعه(2)
ومنصوب عزي بانكساري وضعه

(وجفني مبني على الفتح رفعه ولا يتأنى فيه ضم وما انكسرا)
غرامي بمى ليس يدرك نعتة وفيها رشادي بالغواية بعته
فمن لي بأن اصغى لنصح سمعته

(وقد كان لي لب مصون فقدته فيا ليت شعري اين سار وما الخبر)
فيا ايها اللوام جهلا بما احتوى فؤادي من وجد به باطني اشتوى
ولم يعلموا ماذا يؤثره الهوى

(1) وخطه الشيب : خالط سواد شعره .

(2) ينكا بقلبي : يولمه ويخزّه

زهللوا اقرأوا ما الحب مني وما الجوى وما العشق ما احلى الجميع وما امر
فما اقدر المشتاق ان يتحفظا ويكتم لولا ما باحشائه التظلى
فللحب اطوار تفاوتن ملحظا

ان يثلج ما بالمستهام من اللطم ويوقد في اضلاعه من لظى سقر
نبدأه طول الوقوف على الدمن واوسطه تفريقه الجفن والوسن
وآخره يفضي الى الدفن والكفن

نسيان فيه القرب والبعد وهو من خفى الخفا اخفى واظهر ما ظهر
فواها لقلبي لا يمل الامانيا يرجي على بعد المزار تدانيا
وقد تركتني غربة البين عانيا

اهيم اذا ما شمت برقا يمانيا او ان ماست الاغصان في نسيم السحر
بذكرني مينا ظباء تكتست وريا صبا نجد بليل تنفست
وساجعة ورقاء للروض غلست (1)

وتوقاد اضواء النجوم اذا رست او اظلم ليل العاشقين او اعتكر
الطمع ان اصحو وقلبي اشربا هواها وهذا الحال افصح مغربا
يمينا لقد اصبحت في الحب مغربا

اتقرب جسمي في التوله مغربا وغرب جفوني بالدم انهل وانهمر (2)
نجفني يحاكي الغيث والغيث مفدق وجسمي من ذل التقرب مطرق
يقلبه في القرب هم مؤرق

او قلبي بالشرق الحجازي مشرق فهل لهما جميع ولو جمعا انكسر
لي الله كم الهو اغترارا واعدل عن الرشيد والشيب الموقر يعذل
بلى آن من حب الفواني التنصل

الن شاق مشتاقا الى البيض منزل فشوقي على الخضرا المطيبة انحصر
نسليت عن ليلي ومي ومهدد ووجهت للوجه المسدد مقصدي (3)
وكيف يميل القلب مني الى دد (4)

(1) تكتست الظبا : دخلت الكناس : اي بيتها ، والرياء : الرائحة الزكية ، وتنفست فاحت ،
ويقصد بساجعة الخ حمامة تشدو في وقت الفلج وهو آخر الليل واول الفجر
(2) غرب العين بالفتح : مسيل الدمع منها ، او هو عرق في العين يسقى ولا ينقطع
(3) هذه اسماء لنساء كان الشعراء يتفننون بمحاسنهن فيما مضى
(4) السدد اللعب

(وقد شاقني ذكر الحبيب محمد اذا اشتاق اقوام الى الدل والخفر(1)
اللهو بما يفنى وحب خبيثه واعرض عن غوث الرجا ومفيثه
جماع قديم المجد بل وحديثه

(وقد شاقني لآلاء ذكر حديثه اذا اشتاق قوم للثفور وللأشر(2)
وان هيئهم الرواد رعى غيوثهم ولج بهم في السير سوق حثيثهم(3)
لجأت الى غوث السورى ومفيثهم

(وان سمروا فى انسهم وحديثهم فسيرته عندي التحدث والسمر
وان غبطوا بدرهم وبتبرهم ومالوا الى جمع الحطام باسرههم
فهى ثناه ليس امري كأمرهم

(وان سكروا بالشرب من راح خمرهم فراح حميا حبه الشرب والسكر
فيا ايها الشادي المدل بزميره اذا شئت تميم السرور باسره(4)
وقد طرب القلب الملى بسكره

(فعلل ودندن باسمه وبذكره وروح وجانب فى تدندنك الخفر
ولا تفشين سر الخليع لك البقا وغط على ما كان ان جل او دقا
ومهد لما ابصرت عذرا موقفا

(فلا لوم لي ان همت شوقا الى اللقا أو ان غاب عقلي عند ذلك او حضرا
اذا اظهر المشتاق مكنون سره وباح بعب المصطفى وبشكره
وقال بما يدرسه من عظم قدره

(هناك يتيه التائهون بذكره وترميهم نار المحبة بالشررا
له الشرف الاعلى الذي ما له انتها له الفخر والمجد المؤئل والبها
به اكتسبت انوار افكارها النهى

(به ازدانت الدنيا به البشر ازدهى متى كان فى الدنيا متى كان من بشرا
مولده طابت اباطح مكة وخرت اووين الملوك ودكت(5)

1 دلت المرأة على زوجها : اظهرت جراءة عليه فى تطف كاتها تخالفه وما بها خلا
والخفر محركا : شدة الحياء من المرأة

2 الاشر بضميتين حدة الاسنان واستواؤها

3 هيمه الشيء : جعله يتهافت عليه ، ولج به فى كذا : حثه عليه .

4 المدل بزميره اي الذي ياتي فى شدوه بما يعجب ويخلق الدلال فى النفس .

5 اووين ج ايوان : القصر

وغاضت على الأعدا بحيرة ساوة (1)

(فيا ليلة الميلاد يا خير ليلة بك ازدانت الدنيا بك الدين قد زهر)
بك انتكس الاصنام والنار أطفئت بك الجن غنت والشياطين أٌصليت
فما حلية الا لجيدك أنشيت

(تحليت بالمولود فيك وحليت جيود الليالي من حليك بالنضر) (2)
ويا شهره افخر ما لفضلك مدح فانك ذو تاج بمجد مرصع
وانت زمان للشفيع المشفع

(وانت ربيعي يا ربيع ومربعي بمولودك الاسمى استدام لنا البشر)
محمد المختار احمد من حمد واكرم مبعوث واشرف من قصد
اما من نداه الكون لولاه ما وجد

(اما كان خير الخلق تالله لم تلد شبيها له انشى يمينا ولا ذكر)
به انشق عن دين الهدى ليل صبحه وزايل دين الله فادح قرحه
ومعناه اعيا القول تفسير شرحه

(فمن يدعي من مادح حصر مدحه فبالصقر امتاز ادعاء وبالبقر) (3)
فيا صدق من انشا وقال واعذرا « ارى كل مدح في النبي مقصرا
وان بالغ المثنى عليه واكثر (4)

(فان شئت اجمالا ففيه عن الورى لقد حصر الفضل المهيمن فانحصر)
وغاية ما يدري الذكي وفكره هو العجز عما يستحقه قدره
ايمن ان يدري من البحر قعره

(وتفصيله يعيي الالباء حصره الم يكف ما تاتي به الآي والور)
ابعد ثناء الله في غير آية يؤمل فكر ان يحيط بغاية
فان كنتم في مرية وعماية

(اهل الثنا فاتوا بمثل براءة وفاتحة والفتح والنجم والزُمَر)
او ايتوا باحدى الطوليَيْن وما حوت حواميم او تنزيل او مثل فُصِّلَتْ
او ايتوا بمثل النحل حين ترتلت

(1) بحيرة ساوة : كانت تذكر في الفرس ففارت عند ظهور الرسول .

(2) النضر كفلس : الذهب . وحرك ضرورة .

(3) جاءك بالصقر والبقر بضم ففتح فيهما : اناك بالكذب الصريح .

(4) هذا بيت قديم مضمن .

(او ايتوا باحدى الآي والآي انزلت عليه فهل من بعد ذلك مفتخر
فوالله ما زادته في القدر مدحة من الخلق بل له على الكل منة
فحق له منهم مدى الدهر خدمة

(ابعد ثناء الله مدح ورفعة وفخر وتفضيل لخلق من البشر)
لأرسله الرحمان آخر رسله فكلهم اثنى عليه بفضل
واعطاه ديناً قد حماه بنصله

(فاظهره قهراً على الدين كله برغم على اهل النفاق ومن كفر)
وخصه الرحمان سبحانه بان يصلي في أي الاماكن والدمن
وكان نبيا قبل آدم في الزمن

(وارسله للخلق قاطبة ومن سواه على جيل من الامم اقتصر)
واعطى ايجازاً لدى نطقه فلن ينزعه فن البلاغة ذو لسن
له حلت الانفال ناهيك من منن

(وناصره بالرعب شهراً ومن يكن له ناصراً قد عز واعتز وافتخر)
له اخدم الله الملائك في السما وادناه منه قاب قوسين حينما
له اقسام الرحمان تكرمة كما

(به اقسام المولى فقال معظماً لعمر ك ان تفخر فحق لك الفخر)
نبي كريم من ذؤابة هاشم وضئى عدنان الملوك الاعظم
رسول قریش الفخر ذات المكارم

(رسول لعمرى سر طينة آدم ونقطة من في الكون آت ومن غبر)
عداه فراش والفراش يزوره يعاند نور الشمس عند حضوره
لذلك لما بان نجد ظهوره

(بصائر اهل الجحد كفت بنوره وعين يقين الحق انسان من نظرا
دعاهم فلما ان تمادى اباقيهم اتاهم باي بان منها احتراقهم
وغازتهم اذ ضاق عنها نطاقهم

(وشق على اهل الشقاق شقاقهم متى عاينوا شقين شق له القمر)
اما كفهم عن منهج الغي لا ابا لهم نطق ضب بالشهادة معرباً
وما شاهدوا من سيف (غورث) اذ نبا

او قد خرسوا من نطق وحشية الظبا ووقع الظبا فيهم وصارمه الذكر (1)
وتابع آيات بها الحق حصصا ولكنه لذى النهي تفرع العصا
مرى حائلا واطعم الجم اقرصا (2)

اسقت يده جيشا بها سبج الحصا وقد جاءه يختال في مشيه الشجر (3)
وحامت عليه الورق اذ خيف ضره وصير من نسج العناكب ستره
وساخت يدا طرف تطلّب حضره (3)

اذا ما مشى في الصخر اثر اثره وان سار في حقف اللوى خفي الاثر (4)
دما فانهمى غيث وصاب واغدقا ودام فلما ان نهاه ترفقا
وكلمه ناب من النحر اشفقا (4)

وحن له جذع النخيل تشوقنا فله جذع حن بالشوق وادكر
واعطى ابن بشر مع اسيد رفيقه عصا فاضاعت من ظلام طريقه
الى ان اوى كل لماوى فريقه

او قد عذب الماء الاجاج بريقه كما رىء في الظلماء من نوره الابر
لقد اكرم الله النبي وايدا واطلق في التصريف منا له اليدا
فلو شاء القى الاخشبين على العدا

ولو شاء قلب الصخر يقلب عسجدا ولو شاء منه الين يقلب كالوبر
ولو شاء ملكا طاع وانتقاد ناكص اليه وما استعصى شريف وناقص
ولانتقادات الآساد وهي قنائص

او ان الحصى تبر من الارض خالص وخالص تبر العين يقلب كالمدر (5)
ولو شاء قلب الصبح ليلا لحكمة لكان كما ارتدت ذكاء بدعوة (6)
كذلك لولا رعى اوقات حجة

-
- (1) الظبا في الشطر الثاني بالضم وهو جمع ظبة : راس الرمح ، والصارم الذكر السيف القاطع
 - (2) مرى الضرع يمر به : حله ، والحائل : الذي لا لبن فيه .
 - (3) الطرف بالكسر : الفرس الكريم ، والحضر : الجرى .
 - (4) المعروف ان الناب هو الناقة المسنة ، لا الجميل .
 - (5) المدر محركا : التراب : اي لو شاء ان يجعل من الحصى ذهباً ، او يرد الذهب الخالص
 - (6) ذكاء : اسم علم للشمس بضم اوله ، وهو غير منصرف

(اتى صفر لو شاء فى عشر حجة ولو شاء كان العيد فى العشر من صفر)
ولو لم تعطه الشامخات لما سما لها علم او غاظه البحر ما طمس
او الريح ما هبت او القطر ما همى

(او الارض كانت كالسما او السما هي الارض ، لاهر هناك ولا قمر)
كذا البدر لو عصاه يوما ازاله دوام محاق او ابان زواله
او الشمس اخفى نورها وازاله

(ونجم الثرى نجم السماء ازاله وزهر السما كانت هي النجم والزهر)
فللمصطفى عن اذن مولاه قدرة لها نفذت فى الكون منه مشيئة
قلو شاء لم تظهر مدى الدهر نعمة

(ولو شاء لم تخلق من الكون ذرة فمن شاء فليومن ومن شا به كفر)
وللمصطفى الجاه العظيم الذي علا به كل ذي قدر منيف من الملا
فكل نبيء من جداه تنولا

(فان تفهم المعنى سلمت وما على مصحح معناه الفباوة فى البقر)
فقد انعم المولى عليه فاعظما وشرفه بالقرب منه وكرما
وشفعه فى الحشر والكل احجما

(فقد قال سل تعطه مفضله كما اتى فى حديث القدس عنه وفى الاثر)
فما خلق الله العظيم كاحمد فاطلق وقل واصدع ولا تتردد
وقل لجحود بعد صفحك باليد

(ايا رائما فى الكون شبه محمد فبطن يد الانسان هل ينبت الشعرا)
ففضل رسول الله فى الكون قد فشا وابصره الا امرؤ صده العشا
لعمرى يمينا انه منذ ان نشا

(لاحلم من اغضى وافضل من مشى واكرم من اعطى واسمح من غفر)
فحسبك ان الله سماه عبده واطلق تخصيصا يوكد سعده
ويبدي الفنا فيه فيوجب زهده

(فسيان الف من جواهر عنده وجوهر فرد الارض والبدر واليدرا)
له الخلق الاعلى العظيم الذي امتطى به الرتبة القعساء شمسا بلا غطا
حياء بلا ضعف صواب بلا خطا

(1) البدر بالكسر ج بكرة من المال : كمية عظيمة منه

(عطاء بلا منّ ولا سام العطا ويطلق وجهها للعفاة اذا اعتذر)
ويقدم اقدام الهزبر اذا القنا تكسر وانفل المهند وانثنى (1)
فيجلو دجا الهيجاء من وجهه السنا

(فكم من فقير من غنائمه اغتنى وكم من غني من كتائبه افتقر)
وكم موطن للحرب طار لهيبه اغص العدا بالريق فيه قضيبه (2)
وذاع له بالنصر والفتح طيبه

(فلله بدر كم حواه قليبسه وكم اسروا فيه وكم اودعوا سقر (3)
انوه بجيش قد توقد ضعفه وصمت من الطفيان والكفر اذنه
فلم يلبثوا ان عاجل الكل حينه

(فاين ابو جهل وعتبة وابنه وشيبة والعاتي امية الاشسر (4)
لاودعهم بطن الركبة غيهم وغمصهم للحق ضلل سعيهم
فاين ذوو الشيزي واين حليهم (5)

(واين الصناديد الطفاة وبغيهم وطفيانهم والسخر والهزء والبطر (6)
تلقتهم اسد من الدم شربهم يقل مناط الطعن في القلب ضربهم
فلما التقى الجمعان واشتد حربهم

(اتفرق بالهندي والسمر حزبهم وبالمشرفيات اللدان شذر مذر (7)
وفي احد اعطى الحسام ونبله حقوقهما لما حمى فيه اهله
واظهر ما لم يشهد الناس مثله

(وخبر لم تحص العبارة قبله زهاها فصارت عبرة لمن اعتبر)
وفي الخندق المشتد بالناس امره تزايد لما زاغت العين صبره
وما زال حتى هب بالريح نصره

(ولم انس يوم الفتح لله دره فهل لهم من بعده الهزء والسخر)

- (1) الهزبر بكسر ففتح فسكون الاسد
(2) القضيب : السيف القاطع
(3) بدر : اسم لمكان الواقعة الشهيرة في زمن النبي (ص) باسم غزوة بدر وكانت فيها
قليب اي بئر ، رمى فيها قتلى الكفار .
(4) الاشسر البطر المتكبر
(5) الركبة : البئر ذات الماء ، وغمص الشيء : غابه والنعمة لم يشكرها . والشيزي
بالكسر : خشب اسود للقصاص او هو الابنوس . ذكرت في شعر قيل اذ ذاك .
(6) البطر محركا : التكبر وكفران النعمة
(7) المشرفات : السيوف : والسيوف لا توصف باللدان وانما توصف بها الرماح .
وشذر مذر تفرقت في كل وجه .

اتاهم بأساد ضوار هم هم وبالخييل خيل الله مشربها الدم
والوية تهفو كما ريع قشعهم (1)

(فكم منهم اخزى واخجل منهم وكم منهم اجلى وكم منهم هدر)
فابدى رسول الله للقوم فضله واشفق ان يفنى المهند اهلـه
فامن من ولى ولازم رحله

(كما سلمت من بعد ان اسلمت له وسلمت اقوام سمت واقتفت اخر)
لحضرة خير الخلق زفت باسرهما حسان الاماني فهو حائز فخرها
فاصبحت الامال تشدو ببشرها

(زمام المعالي وهو مالك امرها وذروة اعلاها واستبرق الحبر) (2)
تخيرته كفوا لها الله قبل ان برا الخلق لم يظهر مكان ولا زمن
فلما استوى جاءته تختال في المنن

(وعاقدها جبريل صاحبه ومن سما فوق املاك المهيمن واشتهر)
فلما استتم العقد باليمن واغتدى هزار الاماني بالتهاني مفردا
تداعت نواميس العدول لتشهدا

وشاهدها ختم الرسالة وابتدأ ذكا نوره من قبل ان تخلق الصور
فطالب بالمهر الولي لينقدا ومن خطب الحسناء لم يقله الجدا
فقام نبي الله بالشرط مسعدا

(بماضي سيوف الله في مفرق العدا بسنته السمحا بشرعته مهر) (3)
فلما تلاقى النيران بحالة حوت بكمال السعد كل جلاله
بدا الحمل نورا كافلا باضاءة

(وانتج منه محو كل ضلالة الى ان انار الدين بالحق وانتشر)
وعم الردى دين الضلالة والفنا وهـد بناء الكفر قبح من بنا
ابادهم الاسلام بالسيف والقنا

(فاين قياصر الملوك وما اقتنى هرقل وكسرى الفرس ملكاوما ادخرا)
فما ارسل الرحمان من فيض بره فمن فضل خير العالمين وخيره

(1) القشعهم : الاسد ، او هو الضخم المسن من كل شيء .
(2) الحبر بالكسر ج حبرة بكسر ففتح : ضرب من برود اليمن . والاستبرق الحرير
الفليظ .

(3) لا يقال السمحاء انما يقال السمحة

فلا سر الا من جنا روض سره

(ويا رائما منها اقتطافا بغيره هبلى له الابنا وللعاهر الحجر)
الا يا رسول الله يا خير رحمة ويا خير مبعوث بنور وحكمة
لانت لباب اللب من ذي الخليفة

(فلو كان خالق الله اغصان دوحة لكنت لها نورا وكنت لها ثمر)
فانك سر الكون يا من تخصصا بفضل مزايا ليس يدركها حصي
فلو كان لفظا كنت معنى ملخصا

(ولو كان نجما كنت شمسا او الحسا لكنت هو الياقوت والتبر والدرر)
ولو كان عقدا كنت درة نظمه ولو كان قلبا كنت نقطة علمه
ولو كان نبلا كنت ريشة سهمه

(ولو كان جسما كنت روحا لجسمه ورأسا لكنت النطق والسمع والبصر)
لقد اكمل المولى له كل بهجة واوضح بالمختار اهدى محجة
صوارمه اخزت عداه واشجت

(ومنطقه فصل بابلج حجة ولا نزر في ذاك البلاغ ولا هذر)
زالل فكم اروي الصدى ورد حفظه دواء يزيل الجهل ترياق وعظه
دليل فمن يتبعه بالفوز يحظه

(اشفاء فما احلى عذوبة لفظه ومعسوله فالشهد منه بلا ابر)
هو العقد عقد الدين بالتبر فصلا هو الماء ماء المزن عذبا مسلسلا
هو الشمس بل اضوا وانفع للملا

(واشهى من الراح العقار تعللا والابوة بعد الغنم من وحشة السفر)
واذكى من المسك الاحم لناشق وانفذ في الاعداء من سهم راشق (1)
واحسن مرء من حبيب موافق

(ومن نعمة المعشوق في اذن عاشق وخلسة مشتاق لمن شاقه النظر)
فيا سعد عبد خصه الله نعمة برؤية من قد جاء للخلق رحمة
فيكشف مرآه عن القلب غمة

(هنيئا ويا طوبى لمن زار طيبة ولم تثنه عنها الملامة والسزور)

(1) المسك الاحم : الاسود او هو الابيض ، يقال بهما معا

فيشفي بشم المسك من تربها الضنى ويجني ثمارا دانيات من المنى
ويمرح في روض ازاهره الهنا

(فطينة طيب الطيب طيبة طيبنا ومرهمنا ترياقنا ائتمد البصر) (1)
بها منية الراجي بها كل نعمة بها سلوة العاني بها عين رحمة
بها خير مبعوث الى خير امة

(بها راحة المهموم من كل غمة وراح ارتياح النفس من كربة الكدر)
بخير الوري تاهت على كل حضرة فاضحت عروسا فوق عرش المبرة
فللعين فيها والحجا كل قرة

(مقرا له اختيرت ودارا لهجرة فاکرم بها دارا واکرم بها مقمر)
هنالك اعناق الملوك تطاطأت هناك سنا التقوى هنالك انشئت
مباني الهدى والاي ثمت اقرئت

(هنالك خضراء القباب تلالات بها رفراف الانوار لالاؤه ازدهر)
عليها يحوم القصد عند انتباده ومنها اقتطاف الفضل حين جذاذه (2)
وفيها حمى العاني وحصن ملاذه

(وذاك قباء والبقيع وهذه قباب اهايلها الجهابذة الفرر)
فوا اسفا والعمر نهبة ناهب متى تنطوي للوصل فيح السباب
فقد ضاق بالاشواق عقد الترائب

(فليت مطايا الوهم كانت مراكبي اليها او الارواح تخدى او الفكر (4)
واني ونفسي بان شرح شبابها وما طلت الايام دين طلابها
لامل ان احظي بشم ترابها

(اذا ما حططنا الرحل بين قبابها وداخلنا ذهل الملاقاة والحيار)
ودارت علينا للوصل مدامة ولاحت لنا من وجنة الحسن شامة
وزالت عن المضنى المعنى سامة

(فلا لي ، لا لي ، لا علي ملامة فحالة مرء فاقد اللب تفتفر)

(1) المرهم والترياق والائتمد بمعنى واحد فيما يقصد منها وهو التداوي .

(2) جذاذ التمر بالكسر قطعه

(3) الفيح بالكسر ج فيحاء والسباب ج سبب والكل بمعنى المغازة والفلاة

(4) خدى يخدى كمشى يمشى الفرس او البعير : اسرع وزج بقوائمه .

وبعد اغتنام الوصل من سيد الورى ارد الى ام القرى همة السرى
فاطفىء وجدا نحوها قد تسعرا

اغفر خدي فى حراء ومن حارى اطوف بيت الله فى الحج والعمرة
واطفىء نيران الجوى كل ساعة برؤية بيت الله افضل قبلية
واغدو الى ورد الرضا كل سحرة

واضرع فى اخذى لاستار كعبة وادعو مجابا فى الحطيم لدى السحر (1)
واغنم فرض الخمس اول وقتيه هناك وادعو الله تامين مقتيه
ومفخرة للحي منا وميته

واركع فى محراب مسجد بيتسه واكرع من اكواب زمزمه تير (2)
واخرج للمسعى فاظفر بالمنى واجني ثمار المجد طيبة الجننا
بوقفي باعلى المروتين مع الهنا

امرغ وجهي بالمحصب من منى واهدى وبعد الهدى احلق للشعر (3)
دارمي الحصى رميا افوز بنبذه بوضع اذى وزر رماني بوقذه (3)
فاشرب من وبل الرضا ورذاذه

اومن بين ما هذى وهذى وهذى اقبل فى كل مناسك للحجر (4)
واجمع فى جمع مطالب لى وفى بها زمن يا طالما اظهر الجفنا
فاشفى فؤادا كان اشفى على الشفا (4)

اوفى عرفات الحج لم انس موقفا فكم هز من باك واجرى من العبر (5)
منازل ما زال الفؤاد بقربها يهيم لتصريح النبي بحبها
واول ارض مسه طيب تربها

امنازل منها بعثه ليتني بها ازور على ترتيبها اقتفى الاثر (6)
مناسك حج حرم الله ذو العلا حماها فقلبي هام فيها وما سلا
وترتيبها فى الشرع جاء مرتلا

اوليس على ترتيب ما بعثت الى تراتيبه شعرا قرائع من شعرا (7)

(1) الحطيم من الاماكن المقدسة بالكعبة وهو حجر الكعبة ، او جداره الخ

(2) تير : ج تارة اي حيننا بعد حين .

(3) وقذه الحزن اضعفه وهذه .

(4) اشفى على الشفا اشرف على الهلاك .

الا يا محب المصطفى لا تزايل ثناه ولازم بالضحي والاصائل
وان كان لا يحصيه مدحة قائل

(ففي مدحه قس وسحبان وائل سيان هما وباقل وابو حذر) (1)
ولو ان كل الخلق من اول الدنيا لآخرها كل تشاغل بالثنا
عليه لكلوا عن مداه ولا نثنى

(مآلهم للعجز والعي والونسي وهل يدرك الفواص ما اضر الزفر) 2
فمدح رسول الله افضل منحة فواظب عليه في سقام وصحة
وان لم توف قدره قدر لمحنة

(فما ماذح يوما بابلغ مدحة تطاول الا عن مدى مدحه قصر)
وما غرضي الا تنشق ريحه فاهفو كمشمول النسيم مروحه
والا فها عجزى لفرط وضوحه

(اقر بانى قاصر عن مديحه ومن سامه حصرا فقد ربح الخسر)
لقد خصص الله النبي بما به يباهي جميع الرسل عالي جنبه
من امته الوسطى التي في نصابه

(ومن لي بمستوف ثناء صحابه نجوم الدياجي صفوة البدو والحضر)
ائمة حق يقتدى كل مقتف بهم وبحور يرتوي كل معتف
اجابوا نبي الله دون توقف

(وباعوا نفوسا بعد ان بايعوه في رضا الله لا بيع احتكار ولا غرر)
وكلهم واف بوعده حقوقه وسار على نهج الرضا وطريقه
فما لنبي مثلهم في فريقه

(ارونى ارونى كالعتيق رفيقه والا ارونى مثل سيدنا عمر)
هما مثل شمس الافق نورا وبدره وافضل اصحاب النبي باثره
بنص نبي الله فاصدع بامر

(والا ارونى مثل عثمان صهره وشبه ابي السبطين حيدرة الزفر) (3)
على الرضا باب الهدى صارم الطلا (4) اخى المصطفى مولى الجميع فقل ولا

(1) قس بن ساعدة الايادي وسحبان وائل : من البلقاء الفصحاء في الجاهلية وباقل
وابو حذر من المشهور بالفهامة والعي آنذاك ولفظة سيان ساقطة الوزن
(2) الزفر بضم ففتح البحر .
(3) الزفر هنا : الشجاع .
(4) الطلا بالضم جمع طلية : العنق .

تخافن عارا فالحديث به اعتلى

(هو المهجر الاسمى ومنتخب العلاء وفتح اشكال اذا حارت المرر (1)
هو الحامل الرايات في يوم خيبراً هو الكاشف الغما اذا الحرب شمرا
فكم من دم في الله اجرى واهدرا

(تصير هباء عنده اسد الثرى وما تلبث المرأة ان لاقت الصخر)
هم الخلفاء الراشدون الالى حووا من المصطفى سرا به للرضا سمووا
فمن مثلهم فيما رواه الالى رووا

(وطلحة او شبه الزبير وسعد او سعيد ومن حاكى ابن عوف وما ادخر)
فما منهم الا مقدم مقنّب صؤول لعوب بالسنان المذرب (2)
فما رىء من شبه له بطل ابى

(وشبه امين الامة المرتضى ابى عبيدة ختم المسك للسادة النصّر)
واما قرابات النبي الاعزّة فبي نحوهم شوق حثيث وهزّة
فكم بهم صينت من الدين حوزة

(فهل اسد الله الفضنفر حمزة له من مضاه في ربيعة او مضر)
فتى هاشم اوفى الانام لربه شهيد يضوع المسك من طيب تربه
فما مثله في باسه يوم حربيه

(او الانجب الاسمى ابو الفضل من به ابو حفص استشفى فينسكب المطر)
وجعفر الطيار نفسي له الفدا اخو الهجرتين والجناحين والنداء
عبيدة لا انساه اذ بارز العدا

(او الحسنان الهاشميان سيدا شباب جنان الخلد نادرتا السمر)
وريحانتا خير الورى كل غدوة يقبل او يؤوى لدى كل ندوة
هما لمعنى القلب اوثق عروة

(فكم انجبا من قدوة بعد قدوة وكم من نجيب فاق منهم وقد مهر)
وكم فاض منهم غيث خير بشر به يزول الصدا عن جسم عان وقلبه
وكم من كريم يستفث بسبيبه

(1) المرر ج مرة بالكسر الرأي واصالة العقل .

(2) المقنّب : جماعة من الخيل تجتمع للفارة والسنان الذرب : الحاد .

(وكم منهم في الكون قطب بربه تصرف او غوث تصرف او ظهر)
هم اهل بيت اذهب الرجس عنهم فكم من فتى منهم وشيخ هم هم
ذوو هممة بالله تحمى وتعصم

(ومن هاجروا الاوطان والالف منهم ولم يشنهم خوف ولم يشنهم حذر)
هم العقد عقد الدر بالتبر نضدا هم الحبل حبل الله هم انجم الهدى
هم البيض بيض الهند هم آفة العدا

(عيون العلا تيجانه ابحر الندا ليوث الوغى نور الظلام اذا احتضر)
لهم كل قدم الفخر بل وجديده عليهم يمد الملك ظل بنوده
ومن سائح لاحت بروق سعوده

(فذاك فتى النادي وبیت قصيده وخنصره الاسمى المطاع كما امر)
يقوم بتدبير السورى منه قادر شديد باعباء الخلافة كاسر
يطم على نهر العدا منه زاخر (1)

وذا عن تليد المال منهم مهاجر وطارفه والبيض والكوم والحير (2)
فكم قطعوا من مهمه ودوية وكم رافقوا من عانة بدوية (3)
وكم هاجروا من نومة سحرية

(وكم غادروا من غادة قمريه تباهي ضياء الزبرقان اذا بدر) (4)
مديحهم في الذكر جاء ملخصا وحبهم فرض وجاحده عصي
يحد بحد السيف او وقدة العصا (5)

(مآثرهم لا تنقضي او للحصى عديد وموج البحر عد اذا زخر)
مهاجر اصحاب النبي سموا على جميع الزرى بالصدق والسبق للعلا
هم آمنوا بالله والرسول اولا

(وانصاره اكرم بانصاره الالى بهم عز دين الله وامتد وانتشر)
هم آثروا في جانب الله بوسهم واعطوا بطوع النفس فيه نفيسهم
هم اسكنوا خير النبيئين خيسهم (6)

-
- (1) طم يطم الشيء : غمره
 - (2) تليد المال : قديمه ، وطارفه جديده ، والكوم ج كوما : الناقة السمينة ، الحير كابر
 - (3) الدوية : القفر والعانة : جماعة بقر الوحش
 - (4) الزبرقان بكسرتين البدر
 - (5) وقدة العصا : ايلامها
 - (6) الخيس بالكسر : الشجر الملتف ، غابة الاسد .

١ لقد بذلوا اموالهم ونفوسهم وآووا رسول الله في العسر واليسر
اولئك انصار الهدى وجنوده بهم عز دين الله واخضر عوده
ومنهم وفيهم قد تبدت سموده

٢ اولئك ابطال الوغى واسوده اذا اصفرت الاساد وانتفخ السحر (1)
بصمون عن لغو الحديث تكرما وهم يصدرون البيض حمرا من الدما
ويصفون للداعي المروع تظلما

٣ وهز الرماح السمر يطربهم كما يطرون عقباننا الى رنة الوتر
رها بين في الظلماء والليل قد رقد هزابر في الهيجاء والبأس قد وقد (2)
فعابدهم نجم وجاهداهم اسد

٤ وفرد جميع الصحب جمع وعنه قد تقاصر اهل المجد في الطول والقصر
فيا سعد من وافى واخلص حبه وزار النبي الهاشمي وحزبه
وقال وداعي الشوق يجذب قلبه

٥ ايا خاتم الرسل الكرام وصحبه اضفت لكم نفسي واني على خطر
اضافة معنى محضة سرها اذن مفيد لتعريفي وسعدي بها اقترن
وتحذف معها نون نائبة الزمن

٦ افلا تجعلوا بين المضاف وبين من اضيف له فصلا وان زل او عثر
نرسم رجائي فيكم قط ما عفا ولو كان نقط الخطب فيه توكفا (3)
فمنوا عليه بابتدا خبر الشفا

٧ افحاشاكم ان تجعلوه ولو هفا كفال ما ياتي للولا من الخبر
ففعل الرجا لفاعل الخطب رافع وجازم عزمي للموانع قاطع
وتابع اهل الفضل في العطف طامع

٨ ومن شرف المتبوع يشرف تابع ومن جالس العطار طيبه العطر
فيا آل خير الخلق يا خير عترة ويا صحبه والتابعين بحسبة
ويا اربع الاخيار اهل الخلافة

٩ ويا اهل بدر والبقيع ومكة ومن بايعوا طه بمفردة الشجر

(1) يقال انتفخ سحره : جبن ، كان الخوف ملا جوفه فانتفخ سحره ، والسحر بالسكون
او محركا : الرئفة .
(2) الهزبر بكسر ففتح : الاسد .
(3) توكف السقف : سال وقطر .

اغيثوا وفكوا العبد من أسر ذنبه ومنوا بتغيير لوصمة عيبه
وكشف الصدا والدين عن وجه قلبه

(فانا توسلنا بكم للذي به توسلنا لله في نيلنا الوطر)
نبي به نرجو ازالة جهدنا ونامل من جدواه تعجيل رقدنا
ودفع العدا عنا وانجاز وعدنا

(محمد المختار كعبة قصدنا مقضي اللبانات الملاذ من الفير) (1)
فيا سيد الارسال يا سيد الملا يا خير مأمول لصرف اذى البلا
ويا من له الجاه العظيم الذي علا

(اناشدك الله الكريم تفضلا فمن علينا بالمراد وبالظفر)
وجد بالذي نرجو وكف اذى العنا واطفر يمينى بالمؤمل والمنى
وكن لي في امر المعاد وفي الدنيا

(وكن حصننا من كل خوف وامننا ومعقلنا ، انت المؤمل والسوزر)
وجد بالذي يقضيه جودك من منن وعد لي بما عودت من فضلك الحسن
وافن واهلك واسط وارم وزلزلن

(وفل وشتت ، صد واهزم ودمرن اعاديننا ، لا تبقي منهم ولا تذر)
وعجل لنا نصرا كنصر الالي هم ابادت عداهم يوم بدر ظباههم
وصن حوزة الاسلام ممن رماهم

(وضمن بنا عن ضرهم واذاهم فلا يؤس تلقى من عدانا ولا ضرر)
فيا ربنا عجل مناي واسعد ، وفوق سهامي للعداة وسدد
سألتك بالوجه الكريم فانجد

(وانشدك اللهم بالنور احمد فاجر وحرك بالمراد لنا القدر)
وسخر لنا في قصدنا ومرادنا قلوب ذوي التصريف رفقا بحالنا
وسخر لنا يا رب غوث زماننا

(ومره الهي بالقضاء لحاجتنا بلا مهلة كالبرق واللمح للبصر)
وقو الهي ضعفنا فلعلنا نسل على الاعداء بالنصر نصلنا
فانا عجزنا فانف بالعز ذلنا

وانا غلبنا غالب فانتصر لنا ايا غالب الغلاب يا خير من نصر)
واعزز بعز الدين ايام دولة لنا واكفنا فيها اذى كل محنة
وسلط على اعدائنا كل شدة

وعن بيضة الاسلام فرج بسرعة ونسبتنا واكشف عن الامة الضرر)
اصح بنا كل البلاد وامرها وسخر لنا هادي البحار وبرها
افض خیرها وادفع الهي شرها

ادم نضرة الدنيا على وبرها وخيراتنا والعز والنصر واليسر)
وطول لنا باليمن والامن والمنى مدى العمر وانصر بالملائك جيشنا
وهب لي تسخير القلوب بلا عنا

وخفضا لعيش العمر في منتهى الفنى باحكام رفع القدر لا ادوات جر)
اعلني اله الخلق من محنة الزمن ومن كل ما يخشى من الشر والفتن
واسألك التيسير واليسر والمنن

واسألك الاسعاد والحظ لي ، وان تديم على السعد والحفظ والفجر)
نعصمني من شر كل مروع وتكفيني نفسي التي بين اضلعي
وتسلك بي رب اوضح مهيع (2)

وتثبتني عند النزوع وكن معي وعند مماتي والتوجه للحفر)
هب لي لدى هول السؤال تثبتا وفي البعث لي نورا مبينا وامنة
فلا أرين الا رضا ومسرة

ولا ار في قبري مضيقا ووحشة وفي الحشر لا القى وما بعده ضجر)
ترزقني سعدا وامنا مؤبدا ومرا على الصراط كالبرق ان بدا
وتشفع في سيد الخلق احمدا

وتنزلني اعلى الجنان مخلدا واكد حاجاتي الى وجهك النظر)
جاه رسول جاهه ملجأ السورى اذا الهول في يوم القيامة شمرا
عليه صلاة الله بدرا منورا

وصلى على النور المقدس من سرى به ليلة الاسرا الى منتهى السدر)
زاد فادناه احتياطا لسره الى قاب قوس كي يشيد بذكره

الفجر محرما الكرم - العطاء - المال الكثير
المهيع بفتح فسكون : الطريق

واوعاه سرا لا انكشاف لستره

(وكلمه فردا مشرف قدردنه وما زاغ منه اوطفى ثمت البصر)
وشاهده من غير كيف ولا ولا ف سبحانه ربا تبارك واعتلى
فصلى عليه والصحاب ومن تلا

(صلاة سمت فضلا على غيرها فلا يحيطه وهم لا ولا السن الفكر)
صلاة رضا تفني مدى كل ما زمن وتبقى بقاء الملك لله ذي المنس
على قدر قدر المصطفى خير مؤتمن

(وسلم تسليما عليه يجمل عن مساومة الاحصاء والحد والقدر)
يطيب بها كل الوجود ويفعم سنا نورها الكونين بل يترنم
بها كل ذي روح فصيح واعجم

(سجيس الليالي ما تشوق مفرم وما غردت ورقاء في مورك الشجر (1)

وقد كان شيخنا قرظ هذه القصيدة قبل تخميسها بقوله :

من ظبية ترنو بادعج ذي حور	وتفتر عن در وتسفر عن قمر
تميس بغصن في كتيب وتنثني	بسالفه بيضاء لماعة الغرر
اذا برزت بزت عقول ذوي النهى	وان خطرت فالعاشقون على خطر
مهفهفة الاعطاف مهضومة الحشا	معطلة الا من الدل والخفر
دعت عينها السكرى الى اللهو والصبا	وهيهات ان يعصى الجمال اذا امر
فما سحر القلب السليم وسفه الحليب	م كخود الخدر او خرد الفكر (2)
فلتشعر ادهى للنهى بسلافة الـ	معاني من العين الفوانج بالنظر (3)
هو الخمر اسكارا هو السحر رقة	هو السيف تائيرا هو الكنز مدخر
وما هاج هذا الشوق الا خريدة	عريقة عز في ربيعة او مضر
قريض حوى لطف الحجاز ورقة الـ	عراق وعز البدو في نضرة الحضر
وشته يد الفكر الصحيح وجاءه	غمام الذكا فاخضل وازدان وازدهر
ورصعه ذهن الامام مؤمل السـ	سلاطين محيي الدين من بعد ما دثر
معين العدا مولى الندا كاشف الردى	مجيب الندا مهما اهيى به انتصر

(1) سجيس الليالي : اي ابدا .

(2) الخود : المرأة الحسناء ، والخردج خريدة : المرأة الشابة ايضا

(3) العين بالكسر الحسان : الفوانج : اي من يبدن الدلال

من الملجأ الاحمى هو الناقع الظما
 هو السيف سيف الله ما زال مصلتا
 امام الهدى مولاي احمد من عنا
 له الخلق الارضى وراثه اصله الـ
 لقد خط بالنور المبين بوجهه الـ
 مضمنا كم ضم هذا الجبين من
 فما كان احرى ان يمثل فيه بالـ
 وتعرف فيه من ابيه شمائلـ
 اسماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا
 يا ايها المولى الذي لجلاله
 فياسيد الاملاك والعلماء ويسا
 خدمت ببنت الفكر حضرة جـدك
 عليه صلاة الله والفرءاله
 وتلك لعمر الله منقبة بها
 وان رسول الله افضل من رعى
 سيجزيك اعلى ما جزى متوسلا
 فكن مطمئن البال حسبك فالمنى
 فقد جئت بيت القصد من بابه فثق
 فحاشا جناب الله جل جلاله
 ولا سيما من جاءه متوسلا
 فانك وفيت التوسل حقه
 وبرزتها عذراء ترفل في حلى
 واودعتها سر البيان فلو بها
 فهنئيت ما فقت الملوك به وفتـ
 وفاء واقدام وعزم ونائل
 الست ابن ما العينين اكرم من اتا
 اما جدك المختار احمد خير من

هو الملك الاسمى الصدوق اذا فخر
 على من طفى او من تزندق او كفر
 لهيبته ذو السيف والناب والظفر
 كـريم فبالعليا تعمم واعتجر (1)
 جميل سطورا واضحات لمن نظر
 اسارير سر من نجاح ومن ظفر
 سـذي قاله قدما مقدم من شعر (2)
 ومن خاله والعم والجـد ذي الخطر
 ونائل ذا مهما صحا واذا سكر
 تذلل افق الغرب فالشرق فى الاثر
 اجل امرء وشئى وابـلغ من نثر
 النبي العظيم قدره سيد البشر
 واصحابه الشـم الذرى الاسـد الهـنـر
 علوت على الاملاك ءات ومن غبر
 او اصر من يرجوه فى كل ما وطـر
 اليه ويجرى فى ارادتك القـدر
 ستاتيك عفوا دون ريـث ولا كـدر
 بصادق وعد الله فى نصر من نصر
 يخيب رجا داع على بابـه انكسر
 بجاد رسول جوده انهل وانهمـر
 وقلده من حلية النظم بالسـدر
 مدائح خير الخلق احمد من شـكر
 ضربت الصفا لانشق وانـهال وانفـجر
 هم من خصال لا تعد فتنحـصر
 وعلم وتقوى الله والنفع والضرر
 ه عافي النداء من رائـح ومن ابتـكر
 اتاه امين الوحي جبريل بالسور

(1) اعتجر : لف عليه عمامته من غير ان يديرها من تحت حنكه .
 (2) امرؤ القيس

عليه الصلاة والسلام الذكي ما تفتد ق زهر التروض وانسكب المطر
فدونكها مولاي من فكرة ذوت نضارتها من صر حادثة الفيسر
تهم بان تشني على نظمك الذي تلفع من وشي البلاغة بالحبر
فاعوزها بيض الانوق وصدها عن القصد فرط العى والعجز والحصر
فهيئات ان تحكي فأين الثرا من الثريا وكم بين السها ومها البقر
فعذرا امير المومنين فانها عصارة فكر جف جاد بما قسدر
بقيت بقاء الخافقين مظفر الحس سام بمن ناواك او خان او مكر
ولا زالت الاقدار تاتي لك المنى الى ان يرى من جندك الخزر والتر
عليك سلام الله ما وفدت على رياض الربا وهنا فطابت صبا السحر

ثم وقفت على تخميس ابن العتيق لهذه القصيدة وعلى تقريظ لها
على غرار ما فعله سيدي الطاهر وسأودعها ان شاء الله في كتاب
جوف الفرا)

هذه اعمال كردوس فقد ذهب ارعا بعد هذا الوقت بقليل فسلم
نفسه الى الحكومة فعينته قائدا على بعض هشتوكه وسكن القائد
الناجم في افران تحت يد القائد المدني وهكذا تفرق غالب من هناك وكان
ربما لا يبقى عنده الا اعراب يحرسونه وكان امغار محمد ابن المقدم رئيس
الشرطة يدور على المسالح ليلا وهو الذي يسجن من الاشراب في
مطمورة من زل زلة ، او طرقة نعاس وقت الحراسة وعند الهيبة بعض
بغال ونحو عشرة افراس الى خمسة عشر ، ويسكن في دار القائد سعيد ،
وقد زاد فيها بيوتا ومشورا يسمع فيه الامير التحية السلطانية
- التبنديقة - في كل مناسبة وفي الاعياد يخرج مولاي احمد في زينته
السوداء بين اصحابه فيحضر سكان القرى المجاورة فيكون احتفال
مشهود وللقوم همة في الدين والعلم والادب والكرم وحسن الملاقاة
خصوصا الهيبة رحمه الله

وفاة الهيبة وبعض احوال اخرى

لم يكن هذا السيد بكبير السن لانه ولد في مفتتح رمضان 1293 هـ
وليس له في سنة 1337 هـ الا 45 سنة ولم يسمع الناس بمرضه حتى
سمعوا بموته بعد دفنه بيوم او يومين وقد جاءه اجله في 18 رمضان
1337 هـ عند الظهر يوم الثلاثاء وقد دامت ايام امارته سبع سنين واربعة

اشهر . تحمل فيها رحمه الله ما تحمل بتضحية وصبر جميل وقد تعجب الناس كثيراً حين اخفى اهله موته حتى انه صلي عليه سراً من اناس يدخلون الى داخل داره فدفنوه في بيت كان حيناً اصطبلًا وكأنهم سمعوا بان الملوكة يصنع بهم ذلك يكتفون موتهم فقلدوا بالفعل وكأنهم لا يعرفون ان الحامل على ما تفعله حاشية الملوك بملوكهم انهم يريدون ان لا يظهر ذلك حتى يستتب الامر لمن يخلفهم خوف ان يطرأ شيء اما مثل الشيخ الهبة فليت شعري ما الذي يطرأ لو عرف الناس واعلن لهم ذلك . فاجتمعوا للصلاة عليه فيزودنه بالدعاء وقد سمعت من يقول كان الاولى دفنه ازاء موسم الثلاثاء حيث يقام موسمه الذي يقال له (موسم اچليد) ، فيكون شيخ الموسم وقديسه على عادة الناس فقد اعوز الموسم مشهد يزار كما كان لكل المواسم ، فحين كان الموسم اسس من اول يوم باسمه . ويضاف له - موسم اچليد - فالاولى ان يدفن ازاءه ليكون ذلك اثبت لذكره فقلت لهذا القائل او عجيب عندك ان يبقى موسم مشهد ؟ ثم حكيت له قصة ذات انواط فاستغفر ومن عجائب الاقدار ان مدفن الهبة كانت فوقه غرفة طويلة صارت بعد الاحتلال مجلساً رسمياً يوم فصل الدعاوي لتلك الجهة فيطلع القباطين من درج ازاء راس الهبة المسلم المضحي بكل شيء ليتباعد عنهم صاروا يجلسون فوقه وقبره قد القي عليه غطاء كأغطية المشاهد (ولله الامر من قبل ومن بعد) وقد ذكرت بهذا المناسبة اني رايت مرة ملعب احواش للنساء والمجان من الشباب عند مدفن الشيخ الوالد وقد كان في حياته يشدد الزكير على ذلك فقلت في نفسي بهذا يعرف ان الله وحده هو الفاعل المختار وان التصرف المطلق انما هو لله فكان ذلك عبرة لي مالك عالي شعوري ما شاء الله . (قال الرفاكي) اثناء روضته عن الهبة بعد ما ذكر اخاه النعمة . واما موت اخيه السلطان الهبة ففي ظهر الثلاثاء الذي هو 17-9-1337 هـ مرض اياماً فقضى نحبه واستراح من الكلف والمحن بعد ان تلقاها باليدين وجر معه سوس للحين فكان نقمة على سوس حتى حله السوس واصطحبه من اجله كل بوس . ظاهر فيه محسوس حكمة الله في ارضه في طوله وفي عرضه ولو شاء ربك ما فعلوه وبمشيئته استعمروه كان سوس قبله فوضى وكانت قلوب الاجلة منها مرضى يشتكون ظلم القبائل ويلتمسون الامن من الولي بالوسائل فجاءهم الامان المنقص بالهوان فلم نر الا التسليم والتفويض لباريء عليم لو ذات سوار لطمتني

اذا ما عدوك يوما سما الى حالة لم تطق نقضها
فقبل ولا تانفن كفه اذا انت لم تستطع عضها

انتهى ما قال الرفاكي وذلك ما قاله عن يوم وفاته وقد رأيت الحق امامك وقد زعم كما يزعم غالب السوسيين ان السبب في احتلال سوس هو الهبة ويقولون لولاه ما تعجل اليهم ما تعجل وهذه قولة لا يصدقها الواقع فان احتلال سوس امر لا بد منه بعد ما امضيت الحماية والا فلاية علة معقولة يتأخر سوس عن ارجاء المغرب على ان جبال ولتية قد تأخر حقا احتلالها عن ارجاء المغرب وعن تزيت نفسها باحدى وعشرين سنة ولم يواخر احتلال ولتية الا المقاومة التي كانت تحت راية الهبة ولماذا تنكر الحقائق نعم يزداد على ذلك انها في التخوم التي تفصل ما بين المنطقتين الفرنسية والاسبانية فهذه هي الحقيقة لا ما يزعم الزاعمون فقد فعل الهبة ومن معه ما يقدرون عليه فقد قاوموا جهد مستطاعهم وأبى الهبة اباء كليا ان ينقاد الى الاحتلال بعد ما حاول رجال الاحتلال ذلك بكل حيلة وقد اطمعوا الهبة ان يكون خليفة على كل سوس لمولاي يوسف فأبى واطمعوه في المال والامن والراحة فأبى وما الحامل له على ذلك الا كراهته للكفر واهله وهذه سمات هذا البيت سلفا وخلفا وقد مر ما كتبه عن الحاجب ابن يعيش الذي كان احد الوسائط في ذلك كما ان هناك محاولات اخرى لم تؤثر في الرجل مع انه يعيش في ضيق عيش. وفي ضنك وفي غير دار عز وناهيك بابائه مع هذه الشدائد منقبة

رثاء الهبة

انطفأت حياة الهبة وكان لابد من ان يؤبنه الادباء الجزوليون فكان شيخنا الافراني ممن قام بذلك الواجب ومن هو اولى بالقيام في امثال تلك الميادين بالواجب ؟ قال

سرور الدنيا طيف الم فلما	وورد المنى ءال فلا ينقع الظما
وما العيش في الدنيا وان طال حينه	سوى ظل ايك عن قليل تصرمما
ولا امنها الا غرور فمن ينم	اليها يكن كالمستنيم لارقما
فسيف الرزايا ليس ينبو غراره	وسهم المنايا لا يطيش اذا رمى
امن بعد موت الهبة الملك الرضا	خلاصة بيت ما اعف واكرما
يؤمل حي طيب عيش ويرتجى	من الدهر يوما ان يرق ويرحما

امام شرى جنات عدن بذبـه
 وجاهد عن دين النبي عـدوه
 وما زال في عين العدو قـذى وفي
 الى ان مضى لا وانيا متواكـلا
 فخلف حزنا لا يزال لهيبـه
 فوالله لا انساه ما هبت الصبـا
 فقد كان للدنيا وللدين مالـكا
 فوا اسفا للحلم والعلم والهـدى
 ووا اسف الايتام وابن السبيل والا
 مضى سيند الاملاك والعلماء والهـ
 فمن لدمار المسلمين يحوطـه
 لقد عم فيه الرزء والحزن والاسـى
 وحص جناح الصبر عظم مصابـه
 فلقاه رب العرش روحا ورحمـة
 وقدس في الرضوان في الخلد روحـه
 فـصبرا بني ابيه صبرا لما جـرى
 فلا رزء الا دون رزئكم فـلا
 فانتهم بحمد الله افلاك سـودد
 فلا يعوزنكم من يسد مسـدده
 يدبر امر الملك بالباس والنـدى
 ويصلح من امر الخلافة ما وهـى
 الى ان يقرّ الدين عينا ويفتـدى
 (هـناء محاذك العزاء المقدمـا
) ثغور ابتسام في ثغور مدامـع
 يهون وجدي ان اوى الملك منكـم
 الى ظل سادات هم ما هم نـدى
 فقل للعداة الشامتين تيقنـوا
 فسوف ترون الخيل خيل الهـدى على

عن الدين ضربا بالحسام مصمـا
 بعصبتـه والجو بالكفر اظلمـا
 لهاه شجى انكا وفي فيه علقـما (1)
 ولا ظالما في المال والعرض مسلمـا
 بكل فؤاد مؤمن متضرمـا
 وما ناحت الورقا وما وابل همـى
 فما لي لا احكى عليه متمـا (2)
 وللكرم الجـم الذي فيضـه طمـا
 رامل والشاكي الاذى متظلمـا
 سداة فخل العين تبك له دمـا
 ومن لدفاع الكفر ان ففر الفمـا
 وانجد في كل البلاد واتهمـا
 وانكى (1) فابكى فقده الارض والسما
 كما كان في الدنيا ابر وارحمـا
 واسكنه اعلى الجنان منعمـا
 فما فاز الا من الى الله سلمـا
 يكن صبركم الا اجل واعظمـا
 اذا ما توارى النجم اطلعن انجمـا
 ويحمي حمى الاسلام اصيد احزمـا
 ويلقى العدا في حومة الحرب ضيغـما
 ويجبر من رسم الهدى ما تثلمـا
 لقول حبيب منشدا ومرنمـا (3)
 فما عبس المحزون حتى تبسمـا !
 شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما)
 الى كنف سامي الذرى واسع الحمى
 وباسا واخلاقا وعزا ومنتـمى
 بيوم وغى ينسيكم ما تقدمـا
 كواهلها العقبان مخضوبة دمـا

(1) يقال تكا « لا انكا »

(2) في البيت تورية بمالك بن نويرة واخيه متمم الذي بكاه بقصائد

(3) البيتان لابن نباتة لا لحبيب ابي تمام . وقد نبه البوزاكادنى الشاعر على ذلك .

ويقدمها من آل مامين سيد
 اذا ما امير المؤمنين الرضا مضي
 ففي آله والحمد لله من يضي
 ويجمع امر الدين بعد شتاته
 فروت ثرى قبر الامام سحابة الـ
 ومنى على تلك السجايا تحية
 فقد عاش محمودا ومات وذكره الـ
 وقد قام من تاريخه الفال انه
 ففي (حى) شهر الصوم فاز وعامه
 على المصطفى المختار والفرء الله
 اذا كعت الابطال فى الحرب اقدا 1
 وقد عم فيه الحزن عربا واعجما
 بتدبير امر الملك قرما مكرما
 الى ان يرى عقدا ثميننا منظما
 رضا ما حدا حادي المطى وزمما
 كما صافح الوسمى روضا منمنما
 جميل اغص الكون طيبا واقعما
 اجل له الرحمن نعمى وتمما
 (الى جنة الفردوس اضحى ميمما) 2
 واصحابه صلى الله وسلمما

انتهت قصيدة شيخنا المفوه وقد وفى لصاحبه حياة ومما وفى
 ذكره موته فى الثامن عشر من رمضان مخالف لما مر عن الرفاكي ولعل ذلك
 الشهر مما اختلف الناس فى مبدئه ايضا فترتب على ذلك الخلاف فى تعيين
 يوم الوفاة ولكن ينبغي ان يعتمد على ما قال شيخنا لحضوره وكان
 الهبة مع عدم نجاحه كل النجاح محبوبا عند العامة خصوصا من لا
 يخالطونه من الابعاد فقد كنت فى قبة (سرى الغوث) فى قبيلة مزوضة
 فى الحوز عشية يوم وانا اذ ذاك ءاخذ فى (الساعات) من قبيلة اولاد ابي
 السباع فوصل خبر وفاته فرأيت الناس فى حزن عليه شديد واما من
 كانوا يخالطونه وبعض حاشيته فلم يأبهوا لمهلكه حتى ان ابناء بعقيلة
 لياتون بخرافة يزعمون ان ولد الشيخ سيدي احمد البعقيلي الذي استولده
 من الجنية التي اقترن بها فى حياته هو الذي فتك بالهبة لانه ينفس
 عليه مكانته ولانه يزاحمه فى قبيلة بعقيلة التي هي محيط تصرفه (واحمد
 البعقيلي شيخ بعقيلة المعتقد توفى 1114 هـ) يقولون ان بعض اصحاب
 المنامات رأى ذلك الولد يوعد الهبة ومن ناحية اخرى يقال تناجيا
 ان الهبة اكب على اعمال الطلاسـم واستخدم الجن فاصيب من جراء
 ذلك وانا استبعد هذا عن عقل الرجل ودينه وحصافته وقد يكون له
 المام بعلم سر الحرف كوالده ولكنه لا يجعله متكئا فى المهمات والله اعلم
 وكيفما كان الحال فقد توفى الرجل فاستراح وذهب لما قدمت يداه .

(1) كع فى الحرب : اذا اعرض عنها .
 (2) (حى) 18 من الشهر . وحروف الشطر الاخير يستخرج منها 1337 هـ

رحمه الله وجزاه عن نيته الحسنة خيرا وقد اعقب رحمه الله اولادا صاروا يذكرون الآن ، وهم كبار فقد سمعت ان منهم ادباء وعلماء رأيت بعضهم فأعجبت به علما وادبا وغيره على الدين

امارة مربيه ربه

لا اعلم عن اوليته شيئا وكل ما اعرفه عنه ما تقدم اثناء اخبار اخيه الهيبة وكان عضده الايمن والمخلص له الملازم بين كثير من اخوته. فهناك النعمة والولي الذي كان خليفة على هشتوكة في فجر امرهم وابو الانوار وشبيهن (1) وغيرهم ممن يذكرون في النيابة عن الهيبة ولكن لا ينزع احد منهم منزع مربيه ربه فان له من الحزم والعزم والاقدام ما لو تسنى له به الانفراد بالرأي لكان به ما يكون وقد ذكر انه كان عازما على الفتك بقواد مراكش يوم دخلها لولا اخوه الهيبة ثم لم يفتر نشاطه منذ رجعوا الى سوس فقد كان دائما يجري منذ خرجوا من تارودانت فكان احد العاركيين لهشتوكة بيد القائد الناجم ثم كان احد من جمبعجوا بابن دحان في بعض حصارات تزنيث وهو الذي قاد سنة 1332 هـ جحفلا لجبا من الصحراويين فابدا بهم واعاد في ازاغار وكنت اذ ذاك في بونعمان فرايته يقدم كبكة من الخيل ووراءه بغال عليها جوالق وسمعت بعض الرجال يقول ان فيها سلاسل للاسرى لو تمكن من احد اصحاب ابن دحان ولا ادري اصحيح ذلك ام كذب وفي قدمته هذه من الصحراء خاطبه شيخنا الافراني بقوله

ايا اندى الورى كفا واكرم لك البشر قدمت اجل مقدم

(وقد تقدمت القصيدة)

ثم انه بعد ما كان اليأس من ازاغار وثوى الشيخ الهيبة في (كردوس) سكن هو في ايت بعمران يشرف على جمال له اكتسبها ترعى هناك وكان فينة بعد فينة يختلف الى اخيه وينوب عنه في مجامع القبائل وفي الجيوش التي تتموج اذ ذاك في المصادمات مع حيدة ثم مع الجيش الكبير الجنرالي وفي سوى ذلك ، الى ان فاظت نفس اخيه فأسرع

(1) وقد ذكرتهم بولادتهم في (الرحلة الثانية) (خلال جزولة) عند خروجنا من ادوز رواية عن ابن اختهم سيدي المحفوظ الوجاني

الى التهيؤ للقيام مقامه . وقد وفد اذ ذاك الشيخ النعمة من منزله بايت رخا . فاجتمع
عليهما الناس فكان هناك من الفقهاء شيخنا الافراني وابو الحسن الالفى .
وسيدي الطاهر البقيلي الزكري وسيدي موسى بن صالح الاغرى ابونى .
وسيدي خالد الترنجيني وابن عمرو ثم طلع اليهم اخيرا الفقيه
سيدي سعيد الاجماري وحضر ايضا الفقيه الحسن الازاري في
كثيرين من الرؤسا كالقائد المدني ، والقائد مبارك ، وسيدي علي التازار والى
والاخ سيدي محمد ، واحمد الايفشاني وبقوا هناك اسبوعا يتداولون
امرهم حتى تم الامر لمربيه ربه . حكى لي من حضر قال اجتمع الناس
هناك . وقد مال بعضهم الى الشيخ النعمة لدينه وصلاحه ولكن مربيه
ربه عض على حكمة اللجام يقول ان اخي النعمة لا يقدر ان يخوض في
هذه المخاضات قال فصار الاستاذ الالفى يوالي الرسل الى صهره سيدي
سعيد الاجماري فتأخر اياما ثم جاء فحين اطل على كردوس تلقاه
الاستاذ الالفى فمالا معا الى شجرة جلسا مليا في ظلها فقال له ما هذا
التأخر عن الناس ؟ فقد بقينا في انتظارك ما بقينا ولم نرد ان نبرم امرا
دونك فقال له ان كان هؤلاء السادات سلم بعضهم لبعض فان الامر
سهل فقال الالفى انهم سلموا لمربيه ربه فقال حينئذ اقضوا الامر بسرعة
واذهبوا الى حال سبيلكم فقاما فدخلا ثم خرج الحاضرون فاستدار
مجمع كبير ذكر بعض من حضروا ما يظهر انهم نحو الف من الناس فاعلن
اسم مربيه ربه رئيس المجاهدين يوم 25 رمضان 1337 هـ فصار الاستاذ
يكتب البيعة بيده ويستشهد الناس واحدا واحدا قال الحاكي فدخلت
انا وبعض طلبة الى مربيه ربه ليدعونا فوجدناه قد جلس مع الاستاذ
ابى الحسن الالفى وسيدي محمد ابن الشيخ الدرقاوي الالفى - يعني
اخي - فالتفت الينا الاستاذ وقال هل بايعتم انتم ايضا ؟ فقلنا نعم
فكتب ذلك في قرطاس كبير ، فكذاك تم امر مربيه ربه فبعد هذا الحين
لقى شيخنا الشاعر الافراني هذه القصيدة وقد وجدت انه قالها يوم
السبت 6 شوال

عيون الهدى قرت وفرج كربيه	بيعة مولانا مربيه ربه
بيعة من شادت يد السعد امره	وبورك للدنيا وللدن كعبه
اعادت به الدنيا جديد لبوسها	وزاد به الاسلام عزا وحزبه
فيا ايها المولى الامام ومن صفها	الى الله في امر الخلافة قلبه

هنيئاً لك العهد الذي عم يمنه
 بمينا لقد حق الهنا ودنا المنى
 فلا زالت الاقدار تجري بكل ما
 ودونكها منى تقبل راحة
 فلا زلت منصور اللواء مظفر الـ
 عليك سلام الله ما وخذت السى
 وطاب به شرق الوجود وغربه
 واشرق من جو السعادة شهبه
 تؤمل من يمن وامن تحبسه
 بها راحة العاني المعنى وطبه
 حسام يقدر الكفر والبغي ضربه
 رياض المنى خيل الرجاء ونجبه

وقد اعلن يوم اعلان بيعة مرييه ربه ان اسمه الرسمي محمد المصطفى .
 فخرجت الرسائل بتوقيعها بذلك الاسم الجديد ونقشه في خاتمه الخاص
 التي يطبع به على الرسائل التي ترد من عنده وقد ابقى حالة اخيه من
 الكتاب والحرس كما كان الحال قبل فكان محمد بن عبد العزيز ومحمد
 بابه . والعربي الصوابي كتابه كما كانوا عند اخيه والملازم هو الاول
 والاخران ان حضرا يعينانه حتى زوجات اخيه قد خلفه على بعضها
 كالصوابية التي قال فيها زوجها الجديد متغزلا

صوابية قدت فؤادك فانقدا
 صوابية غرثي اضافت صابسة
 صقيلة اوصال اساريرها حكمت
 فيجري بها ماء الخفارة كلما
 بقدر وبالخدين خدته فانخددا
 بجامع قلبي بالهوى مجمعا فردا
 نجوم السما زهرا وزهر الربا تندى
 نظرت محياها كساه الحيا بردا

اعمال الامير الجديد وخلقه

كان في الهيبة من الكرم والعفة عما في الايدي وعن التناجي في الاضرار
 صفات عرف بها فان كان الناس يواخذونه بعدم قيامه بما تصدر له حق
 القيام ويرمونهم بالعجز والجبن فانه على كل حال بذل جهده على قدر
 المستطاع واما خلفه مرييه ربه فانه يوسم بالرجولة والحنكة
 والاقدام الا ان الناس يقولون خلفه ما يقولون من انه كان منقادا للقائد
 المدني فقد وجد منه ما اراد فكان يقضي به كل ما اراد وقد تداول معه
 حين ترقيه مرات على مد السيطرة الحقيقية على القبائل فاستحشد لذلك
 المدني مرارا لكنه يلقي ما يكبحه من القبائل فهذه من صفات الرجل الذي
 يذكره بها الاعراب انفسهم قبل غيرهم ، فكانوا دائما يتشكون من انه لا يفتح
 لهم باب ما عنده ، ولا يجود عليهم بما كان يجود به سابقه . وقد قال بعضهم

انه كان جمع من هشتوكة سنة 1332 هـ زبدة كثيرة فتركها في الاواني حتى فسدت . على حين ان أصحابه يتناولون الطعام القفار وكذلك يصفه طلبه جيرانه فقد كان الهيبة يكرمهم خصوصا في ليالي مشهورة في السنة فجاء بضد ذلك هذا الحازم العازم الذي يجب ان لا يضع الاشياء الا في مستحقاتها، هذا خلق الامير الجديد فيما يقوله الناس ، ولا نعرفه نحن ، ولا نتحمل تايد ذلك ولا تكذيبه . وعلى ذلك امضى 15 سنة . وقد احدث في ايامه سنة تمشي عليها وهي دورة سنوية تؤدي فيها كل اسرة رايالا حسنيا مفرما واجبا ولرؤساء القبائل من ذلك حظ فيلزون الناس حتى يؤدوا ذلك مسع الضيافات والهدايا فيجمع الالف في كل دورة ولم يسلم من ذلك الا الوليتيون لا غير فخالف بذلك سنة سابقه الذي يلزم كردوس فيصله الناس بما تيسر ثم يصلهم منه ايضا ما تيسر . واما هذا فلا يعرف الاهات . وليس في قاموسه مادة خذ الا ما ندر جدا والنادر لا حكم له . ثم زج نفسه في خلاف القبائل بعضها البعض بتأثير القائد المدني حتى قاطعه بعض مجاط حين احسوا بانه ينقاد للمدني الذي لا قصد له الا ان يمد اليهم يده ويستولي عليهم كالاخصاص ، كما فعل بافران من تفريرهم ثلاثين الف ريال . ثم مناداته ان مفصل دعاويهم هو بوزاكارن فقام المجاطيون وقعدوا حتى زعزعوا المدني وردوه وراءه وانتشلوا من تحت يده غالب افران ولم يبق الا تيمولاي وحدها واما الوليتيون الذين لا يدخلون كردوس في امورهم . فانه لا يطمع ان يتداخل فيها ولا يصله منهم الا طلبتهم وفقهاؤهم . وليس في يد هؤلاء من الامر شيء وقد كان لكردوس في ايام مريه ربه شان لشيعه المدني ، فكان موضع الابرامات فائر ذلك في هبة مريه ربه ، حتى سمعت ان البعمرانيين غرموه يوما الف ريال لكونه اتصل ببعض الاجانب وقد كان الناس نادوا ان كل من اتصل باجنبي يعطي ذلك القدر وقد وقفت على رسالة مكتوبة هنالك الى الاستاذ الالفى بقلم شيخنا الافراني تعلم منها بعض ما ذكرناه . نصها :

نقبل الاعتاب بعد السلام المستطاب بحضرة شيخنا العالم العلم بدر الهواية ومصباح الظلم سيدي ابي الحسن الالفى من معظمي قدره ومستمدي سره . درة القلادة وحلف السيادة سيدي البشير بن المدني والقائد المحفوظ المجدود المفاض عليه من حضرة الكرم والجود سحاب العطاء غير المجدود السيد الاسعد المدني بن احمد والدرة النفيسة . ذي المجالسة الانيسة سيدي ماء العينين - كاتب المدني - والعبد المقصر

لضطر المقتدر الطاهر حفظ الله الجميع بمنه هذا وبعد استدعاء الدعاء
قد وصلت رسالتكم الكريمة مقبولة العذر مع فرط اشواقنا الى طلعتكم
الباركة . وما صرفنا من استدعائكم للملاقة بالحضرة الامامية الا ما علمنا
من شغلكم بذلك الكلب العاوي والنذل الفاوي ابو الطعام ومن لف لفه
من بهائم الانعام فالحمد لله الذي عرفهم قدرهم واصل امرهم فقد
فرحنا فرحا زائدا وليس ما صدر منهم من امثالهم ببدع في وقتنا هذا
والعياذ بالله .

لا تعجبوا ممن عوى خلف ذي علا لكل علي في الحياة معاوية
قد منعنا سيدنا نصره الله من الذهاب بعد ثلاث فعزما يوم الاربعاء . ثم من
الله بالغيث فكان عذرا حابسا ايضا والحمد لله على كل حال وقد فرح
سيدنا غاية بمقدم القائد وفرح القائد بفرحه ولعل سيدنا على نية
تخرج لتتبرك به البلاد والعباد وقد عزم على استحضاركم للمذاكرة متى
مكن . والاحوال والحمد لله بخير والسلام 9 جمادى الثانية عام 1342 هـ

ارابت في هذه الرسالة كيف يسبب ابو الطعام والمقصود به انسان
من المرابطين السعديين كان يشاد الاستاذ الالفي ماشاء الله . وعلى هذا فليقس
المقصود ان القلوب من العامة التي اجتمعت في عهد الهبة تتفرق الآن
تبعث بالسلم وقد حدث 1344 هـ مشادة في جهة ادّا وكنسوس في
نحية عابد الزكري فكان الرؤساء الزكريون يعتمدون على هذه الجهة
لقد كان محمد بن ابراهيم التبييوتي احتل هناك كثيرا من القبائل حتى كان
لحد الذي يحده قبيلة ادّا وزكري . فكان مرييه ربه يذهب مع القبائل الى
تلك الجهة تكرر ذلك منه . وءاخرها نحو سنة 1345 هـ حين هرب حمو بن
ناسم الكنسوسي الى هذه الجهة فاراد ان يناوىء رب نعمته التبييوتي
سائس الحاج حماد بن حيدة فضمنء الافا للقائد المدني ومن لف لفه
لقد كان الزكريون اذ ذاك لم يصف الجوبينهم وبين الكنسوسي هذا فاراد
بـ يخرب ديارهم وهى الواقعة المذكورة في ترجمة الاخ احمد وفي ترجمة
عائد الناجم ايضا وهناك رسالة في ترجمة سيدي المحفوظ الايفشاني تذكر اعداد
ناس فذهب مرييه ربه ولكنه اصطدم وصلابة الزكريين فرجع مفلولا
كان ذلك سبب ان التحق الزكريون بالشق الاخر ، وهم مظلومون

ادبيات لربيّه ربه وامداح فيه

اثر رجوعه في هذه السفرة قال الاديب الحسن الجوسالي السملالي
يخاطبه مهنتاً .

هب وهنا نسيم نجد فشبا	نار وجدي وقطر دمعي صبا
وبدا بارق اباد اصطبساري	ودعا للهوى فؤادي قلبسي
كل من شم عرف نجد وشام الـ	سبرق منه ولم يهم ليس صبا
عد على كل ذا وجل في تهاني	ملك ربه سوى الناس ربي
ملك خصه بنصر وعز	مالك الملك من حباه القلبى
فهنيئاً خير الانام بعز	نلت منه نصرا واجرا وقربى
حطت دين الهدى بسيف اعتزام	فل جند الضلال حزبا فحزبا
يا امين الاله يا خير ملك	مالك للقلوب رعبا وحبا
قد اتاك يسوقه الشوق صب	حسبه ان يرى محياك رغبى
وعلى مجدك المهنتا سلام	يزدري عرفه الكبا حين هبا

يرى القارىء من هذه التهنئة ان الحقائق في جهة ، واقوال شعرائنا في
جهة ، والامر بكل اسف كذلك لان الشعر العربي بعد ما فسد ، وصار
تقليديا ومحاكاة لا يقصد القائل الا ان يجيد في شعره كما ينبغي ان يكون .
لا ان يجعل شعره مرآة للحقائق وحين كان مقصودنا نحن ان نشيد بآثار
المستعربين من آلنا كنا نسوق ذلك كيفما كان فنيتنا وافية بذلك كيفما
كانت الحالة . صادقا كان الشاعر او كاذبا وقال فيه شيخنا الافراني :

انخها فقد طابت وطاب مسيرها	بحضرة مجد لم يخب من يزورها
حمى زانه المولى الامام محمد	كما زان افلاك السماء منيرها
امام اجار الله مله جده	بهمته اذ لم يكن من يجيرها
وقام باعباء الخلافة حافظا	ذمام المعالي حين عز نصيرها
فاصبح فردا في السيادة واحدا	جلالته ما في الملوك نظيرها
خلافته امن وراحته غنى	وغرته شمس توقد نورها
حمى الملك بالرأي الاسد وبالظبا	كذا الاسد يحمي خيسهن زئيرها
وحاط بنصر الله اركان امة	تداركها لولاه ثل سريرها
لذلك جازاه الاله بان رعى	خلافته لم لا و (يرعى) وزيرها

فيا ملكا ذلت لعزته العدا
هنيئا لك العلياء ولتهنا الدنيا
فلا زالت الاقدار تدني لك المنى
ودونكها بكرا جلتها قريحة
نفوت مدى اهل البلاغة لوجرى
ارادت وفاء المدح فيك فعاقها
فلقّ امير المومنين قدومها
عليك سلام يزدرى نفح طيبه

وعزت به العليا وتم سرورها
بانك يا مولى الملوك اميرها
وياتيك ركضا بالتهاني بشيرها
بمدحك ما زالت ، يجيش ضميرها
لها لكنا همائمها وجريرها
قصور وعي فالحياء عذيرها
قبولا واغضاء فذان مهورها
رياضا ذكا غب السماء عيرها

وقال فيه ايضا في احدى جولاته السنوية في جمادى الثانية 1339 هـ .

الم بنا اهلا بمقدمه اهلا
فجدد من رسم الصبابة ما عفا
زمان مضى ما نقص الهجر طيبه
وجيران صدق حال دونهم النوى
نوبل النوى كم ذا شكته ذوو الهوى
رواها لقلبي ما ثناه عن الصبا
اما في بني الدهر الخئون عن الهوى
اما في امير المومنين محمد
هو الملك المولى المربيه ربه
امام نشا في مطلب المجد مذ نشا
تولى فولى البوس وانبعث الرجا
وايقن دين الله ان سيحله
وان سيديق الكافرين ملمة
وتنظم شمل المغربين عناية
الى ان يعود الدين غضا ويفتدى
وما ذا الذي يثني عزيمته الم
اولئك اقمار الهدى وصوارم ال
عم ما هم عزم تألق نوره
ان امير المومنين لحائز
ظافة اخلاق كروض تفتحت

خيال سرى في ظلمة الليل من ليلى
واذكرنا عهدا بسفح اللوى ولى
ولا رنق الواشون مشربه الاحلى
فلا ذكرهم يسلى ولا عهدهم يقلى
وويح التصابي ما امر وما احلى
مشيب ولم يسمع للاحقى النهى عذلا
لذى اللب ما يلهمه ان يبتغي الشغلا
عزائم يديرها العدا لم تكن هزلا
بالطافه اكرم به ملكا مولى
فما اعتام الا الجد طفلا ولا كهلا
وحالف نصر الله من سيفه النصلا
بهمته القعساء مما به حلا
تبيحهم اسرا وتفنيهم قتلا
له توسع الدنيا وسكانها عدلا
بصارمه الفتاك كعب الهدى اعلى
يكن لبني ما مين اسد الوغى شبلا؟
ردى وسحاب للندى هطلت هطلا
ونخوة نفس حرة لا ترى الذلا
بعزيمة صدق من مدى مجدهم خلا
ازاهيره اذ جاده الفيث فاخضلا

وباس تذيب الصم شدة حره
الا ايها المولى المؤيد لا يزل
لقد زانت الايام دولتك التي
فلح في سماء الملك بدرا بنوره
وقدها الى ارض العدو كتائبها
ولب نداء الدين بالسيف تجتني
وابشر بنصر يملأ الكون فتحه
فحولك من اهل البصائر امة
اذا سمعوا صوت المثوب داعيا
وزندك لم يصلد ورايك لم يفل
وخوفك قد اصمى عداك ولم يدع
اليك امير المومنين زففتها
فدونها بكرا جلتها قريحة
اتتك ولكن من حياء تقنعت
بقيت لهذا الملك تحمي جنابه

وبسطة كف فيضها يفرق المحلا
عليك سحاب النصر والسعد منها
غدا مدحها بين الورى سورة تتلى
يجدد من رسم الهداية ما اختلا
ترى الموت حلوا في العلا والعنا سهلا
جنا النصر ان السيف اصدق ان سلا
كما تشتهي فالحق يعلو ولا يعلى
ترى الحرب نارا ثم تقصدها تصلى
ايا لبني الوغى هيا الجموا الخيلا
وعزمك لم ينكص وسيفك ما فلا
لابطالهم فكرا يجول ولا عقلا
فلم ترض الا قدرك المعتلى بعلا
ذوى فكرها المخضل من قبل واعتلا
بمدحك والاغضاء سيرتك المثلى
بزم ويحمي عزمك الملك الاعلى

وقال فيه ايضا في صفر 1341 هـ . يستنهض همته

مولاي ابشر فالمنى تتبسم
فاحث ركابك اينما احبته
هذي جنود الله وافت بالرضا
من كل ليث لا تغل شباته
ندب اذا دُعيت تزال رايتنه
فاضرب بهم نحر العدا تجن المنى
وارشف رضاب العز من ثغر الوغى
فالرعب منك سرى مسير الروح في
والكل معترفون انك اهلها
فانصر امين الله دين الله وله
واغلظ على اهل الضلال منكلا
فلانت اولى من شفادين الهدى
او لست من مامين ان سئلوا الندا

والفتح هذي ريحه تنسم
فالنصر يقدم والسعادة تخدم
والطوع نحوك ترتضي ما تحكم
في الحرب ينكص عن لقاء الضيف
يهوى كما ينقض نسر قشعهم
عفوا وتفتح ما تشاء وتغنم
بالسيف ان السيف في الهيجا فم
اجوافهم وجرى كما يجري الدم
حقا ولكن من شقاوتهم عموا
تعرض عداه على الظبا او يسلما
بذوي النفاق وان الحـ اللوم
ولانت ابل من يصول واكرم
سالوا وان شبوا الوغى فهم هم

واسلم امير المؤمنين لامة
واليكها عذراء الجمها الحيا
فالمدح في عليك اولى مابسه
القت ازمتها اليك وسلموا
لكن بنشر ثناك لا تتلعثم
يعنى فيبتدىء الكلام ويختتم

وقال فيه آخر ممن لا اعرف اسمه وهو اما ابو زيد الحامدي واما
محمد بن الحاج الافراني

محيالك ام شمس الضحى تهلل
وثغرك ام عقد الكواكب في الدجا
وقدك عند الانعطاف ام القننا
توفر منك الحسن اجمع كاملا
وقد كنت ممن يعذلون اخا هوى
ملكك فؤادي قبل معرفة الطبا
تعرضت جلدا رافع الراس ثم لم
قابت ذليلا مطرق الراس والهوى
على ان ذوق العشق احلى من الطلا
يرى في الهوى والذل افضل ما يرى
كلا ذينك الشر بين ذقت ولم اجد
قلله ما احلى الصباة والحشا
فؤادي واضلاعي وجسمي جميعه
طلوا ما رضيتم واهجروا مارضيتم
فلست لنفسي انني لكم ومن
الا في سبيل الحب نفس مذابة
وهبت لهاتيك الطباء مقادتي
كما وهب المولى مرييه ربه
راى اهل هذا الصقع قد بخلوا بما
فهذا حسامي واليمين ومتلدى

وخذك ام ورد الربا متبلل
ام الشعر من تلك الغدائر يرسل
تأطر ما بين الوغى حين يعمل (1)
فينفذ صبري في الهيام ويكمل
فاصبحت يومى من غرامك اعذل
اذ اعترضت في حسننها تشكل
ار السرب حتى خانت الجسم ارجل
اذا خالط الشجعان حقا تذللوا
اذا ما يعمل الصب منه وينهل (2)
خلى بخيل الكف اذ يتمول
كذوق هوى غيدا تزهو وتشكل (3)
بجدوتها يوم النوى يتأكل
وعمري لكم يا اهل ودي فاقبلوا
فما قد رضيتم لي لدى المؤمل
يهب نفسه يسكت فما بعد يسأل
وجسم بالوان النحافة يشمل
فكان عليها لا على المعمول
لسوس قواه كلها وهي حفل
لديهم فنادى انني لست ابخل
وكل طريقي والجواد المجلل (4)

(1) تاطر الرمح تشنى

(2) الطلا بالكسر: الخمر

(3) تتفنج

(4) جئل الدابة اذ البسها الجئل بالفتح وهو ما تلبسه الدابة لتصان به

هبات لكم يا ءال سوس الا اصنعوا
فاسمع لو يلقى صماخا وواعيا
ولكنه يلقى اناسا رعا ددا
وديدنهم اكل الضعاف ونهبهم
رؤوسهم ينسون حق ضما فهم
الا يا امير المومنين ومن لـه
جزيت بما قد كنت تفعله لنا
فعزمك فرد ليس عزم شبيهه
فعذرا لمن ابصرتهم فجميعهم
فلا تغترر منهم بمن كان قائدا
فليس سوى خب جزوع مسلط
ولكن اذا حر الوطيس فثعلب
ولا تغترر ايضا بمن كان عالما
فما كان الا صنو من كان قائدا
فانهما رب الحبائل تفتسل
ولكن سيدي سيدرك من لـه
بصيرته مرءاة هند (2) تريه ما
وما انت يا قطب الملوك بغافل
يحوم حوالبك الرجال كما ترى الـ
وانت لكل عارف ثابت لهم
تصيخ لذا او ذا وقل من الرجـ
فحبك بل حسب الوري ان يرى لهم
فما دمت فينا دام عز ومنعة
عليك سلام الله يا معلى الهدى

صنعي فاني فى الجهاد لاول
وقلب تقى راسخ الدين يعقل
كأن كان منهم فى الحشاشات أفكل (1)
لمال بدا للعين ان قام محفل
ترى واحدا منهم كما انقض اجل
قيام وقد نام الرجال او اذهلوا
جزاء الذى كل الصنائع يفعل
فيصدم جدران العدا ويفل
اذا احزن الشجعان فى الباس اسهلوا
وان كان ما بين الورى يتقول
اذا كان مال ربه عنه يغفل
اذا شام ذيبا بل فعرفاء جبال
يقول من الوعظ العظيم فيحفل
كلا الرجلين فى الهدى يتململ
فربى يعين من بها كان يحبل
سينصر هذا الدين ممن سيخذل
غدا من بعيد فى المسافات يقبل
وما اعين الاملاك من قبل تفعل
فقاقيع فوق الكاس تعلو وتسفل
كما فى بسيط الارض يثبت يذبل
ال من بفعال فى الوغى يترجل
باكليل هذا الامر منك مكلل
وحد بعون الله لا يتفلل
الى اوجه من بعد ما كان اسفل

كان لمريه ربه او مولاي محمد المصطفى كما كان اسمه الرسمي شاعرا
مجيدا يقول فيحسن ككل ءاله ولذلك شعراؤنا يقرأون الف حساب

(1) الرعدة

(2) مرءاة الهند يقصد بها السوسيون المنظار المقرب

إذواقه . فيجتهد من يقول منهم ان يجيد وسعه . فلنذكر بعض اقوال مربيه
يه لنرى كيف منزعه فيما يقول

قال متفزلا على النمط القديم

وصل التي عن هواها القلب مرتدع
سهل على انه صعب وممتنع
هل من السهل ممنوع فيا عجبا
ما كنت احسب ان السهل يمتنع
وقال ايضا في ذلك .

برى الظلم في ثغر الحبيبة والاشر
كما سريا في الاحورار وفي الدرر
ان مياه الحسن في وجناتها
سرت سريان النور في دارة القمر
رب الحيا في مستلذ طباعها
كما دب في الحاظها السحر والخور

وقال في الجنب النبوي

بشرى لدهر كان من حسناته
وصل محاما كان من هفواته
نحو ليالي هجره حسناته
ليلاته تقتص من ليلاته
حذر خلى القلب بادره الهوى
اذ لم يكن من اهله ودعاته
خدن الصبا لا يبوح بسرره
الا الذي يبيده من عبراته
كم عبرت عبراته عما جرى
في قلبه من حاله وصفاته
فيرى الوفا في الحب حتما لازما
لو انه يقضي الوفا بوفاته
له حي تنقضي الاجال من
ظباته او دونها بظباته
عهدي به دهر الصبا اوقاته
ممسولة لهفي على اوقاته
فكانها حور بعين الدراهم
غمرر وتيجان على هاماته (1)
كم صادت الاساد منه مهاته
كم تصرع الابطال دون مهاته
ف هناك ظبي يجتني ثمر الحشا
عبثا ويجني الورد من وجناته
لقاته تصمى الحشا نفثاته
سحرية فحذار من نفثاته
امضى تغنجه ذبول جفونه
فيها السكون ينوب عن حركاته
اني اغار على النسيم صبابه
حيث الاريح يفوح من طياته
دع ما مضى ان كنت ذاكره فلا
تذكر سوى المختار خير سراته
شنف مسامعنا ورو قلوبنا
سلسيل خصاله وصفاته
الله يعلم انه لمفضل
شرفا له عن كل مخلوقاته

كذا

اسماؤه وصفاته مشتقة
وسع العوالم حلمه الا لدى
البحر يقصر عن تدفقه وفي
فتناهدت الامطار دون نواله
من اين للامطار في توكافيه
هماته بالدهر كيف قيامها
والنصر من ادواته والباس من
والشمس من بهجاته ، والجو من
لم يلف الا قائما او واهبا
في ليلة الاسراء ما من مرتقى
آياته الكبرى تضاءلت النهى
عالي الجناب ربيعه وخصيبه
ملا العوالم رهبة ومحبة
في بدر بدر النصر نال كماله
سل بعده احدا فكم من باسل
والاسد تزار والمعارك افعمت
حيث النبي ومن تثبت حوله
فبنو قريظة والنضير كلاهما
والشرك في الاحزاب جدع انفه
وبخير انهدت دعائم ركنه
والصلح جرّ بخيله ورماته
فغدا اسمه فتح الفتوح وكيف لا
ساخت قوائمه وقطع راسه
واذكر حيننا يوم قال انا النبي
يوما يظل به الحسام محمدا
يسطو ويعطي سطوة وعطية
يولي المنايا والمنى لعدوه
لم يدر اكثر جوده ام باسه
فحروبه موصولة بحروبه
لو بالغ البلفاء في امداحه
لله در صحابه كل غدا

في الله من اسمائه وصفاته
حد الاله فلم يكن عاداته
يوم الوطيس يحار من وثباته
وانهدت الاجبال دون ثباته
تحكيه والامطار من قطراته
عجبا لها والدهر من خطواته
سطواته والخير من عطفاته
درجاته ، والارض من جفاته
فالدهر بين صلاته وصلاته
فوق السماوات العلا لم ياتيه
عن ذكرها والذكر من آياته
جمعت يداه المجد بعد شتاته
والبطشة الكبرى افتتاح غزاته
جبريل من اعوانه وحماته
زفته حور العين بين لداته
من فوق ذروته الى جنباته
لم يعد ما الفوه من وطئاته
حلت به الهلكاء من فتكاته
وتهشمت بالسيف هام بغاته
وتكدكت احصائه بدعاته
كم زادنا من خيله ورماته
وفتوح بيت الله من حسناته
في الفتح وانحصت رياش بزاته
وترست اسد النزال بذاته
وصليله يحكي زئير كماته
فاضت بنائلها عرى عزماته
وصديقه حرصا على حرماته
فاسم الصلات اشتق من صلواته
وهباته موصولة بهباته
تالله ما بلغوا اقل صفاته
يسمو الى مرضاته بسماته

شرفوا به شهدوا المشاهد كلها
البائعون نفوسهم يوم الوغى
من كل ثوب بالحديد مدجج
في غمرة الهيجاء منيته وفي
ما منهم الا جواد جوده
لا يبتغون سوى الشهادة مذهبها
يا خاتم الرسل الذي في ظهره
هذا عبيد يبتغي ما يبتغي
صلى عليك الله جل جلاله

فبهاؤهم كالثر حول لثاته
وحياتهم لله دون حياته
صمصامة كالليث في غابات
لجج المنية منتهى لذاته
في الناس مثل الفيث في سحاته
ان الشهيد حياته بمماته
ختم يحار العقل في ختماته
كرما له لباك من ميقاته
ما نعم الشهداء في جناته

وقال بعد ان بايعه الناس يحذرهم (في بحر الرجز)

الحمد لله الذي الاسلام
والكفر لا يرضاه للعباد
فالحمد لله بلا تناهي
وللمهاجرين والانصار
هم الذين جاهدوا في الله
وبعد فالمقصود يامن اسلموا
احكامهم جور وظلم عدلهم
اموالهم سم لدينكم وقيس
اسلافهم قبل لطفه غادرون
برئت الذمة ممن معهم
وكل نفس بهواها تحشر
لا تتراءى نارهم ونارنا
وقد نهينا عن مصاحبتهم
وعن ودادهم نعم لو كانوا
ويل لمن يتخذ الاعداء
فالله مولانا ولا مولى لهم
لله والرسول ثم المومنين
اعوذ بالله المعين منهم
قال الرسول لا تزال طائفة
بجاهه صلاتنا عليه

ديننا لنا رضىه السلام
ولا الموالة الى الاعادي
ثم الصلاة لرسول الله
هم الاشداء على الكفار
حق جهاده مع الاواه
اياكم والكافرين تسلموا
ودينهم كفر وبس عدلهم
سيمة بلادكم عسى الله يقى
في عهدهم كيف لكم لا يفدرون
في دورهم اقام او جامعهم
من هوى الكفار معهم يحشر
اخفر جارهم وعز جارنا
وعن كناههم ومصافحتهم
ءاباء او ابناء حيث كانوا
من دون رب العرش اولياء
شان بين مالنا ومالهم
معاقد العزة لا للكافرين
ومن اليهم ولهم وعنهم
جعلنا الاله تلك الطائفة
ربي وبلغها رضا اليه

كانت طائفة ممن مع مربيه ربه تحكم بكفر كل من بقي تحت اذيسال
الاجانب . وكانوا مدجنين (1) . ولا يعذرون احدا . وممن كان معهم في ذلك
بعض الصوفية كمولاي احمد الوادنونى الذي كان ينهى اصحابه حتى عسى
الاسفار الى تلك الجهة . والمعاملة بدراهمها . حتى ان بعض اصحابه الجيء
مرة لو رود ازاغار . فاعاد الصلوات التي صلاها هناك . وهو اليوم لا يزال
حيا ، وليت شعري ما يصنع اليوم . وقد عم الطوفان حتى الجودي . وقد
وقفت على كتابة في الموضوع كتبها الاستاذ المؤرخ الفقيه الرفاكي الى الاديب
سيدي البشير الناصري . كسؤال في المدجنين الذين لم يجدوا الا ان يبقوا في
نازلهم . ثم الم الكاتب نفسه برأيه في الموضوع (وتجد الكل في المجموعة
الفقهية لانه فقه محض) وختم ذلك بقطعة نونية نصها كما هي .

للناصرى اليفرنى مسكنا	اهدى السلام ورحمة الرحمان
هذي هديت نصوص كتب تجتبي	فتاملنها سيد الاقران
كفرتم اهل الفحوص وغيرهم	وحصرتم الايمان فى العيمان
نحذار لا تنسب اخاك وان عصى	للكفر تحظ بصفقة الخسران
فالكفر لا يرضى به غمر السورى	اخرى الذى فى العلم ذو عرفان
واعذر اخاك وان هفا او ان هذى	واخال عدك ذا من الهذيان
واقرا السلام لخلنا الحب الذى	فر العلوم وبذ فى الميدان
الظاهر الا دناس من هو فائق	فى الفضل ذا العرفان والتيجان

ءآخر رمضان المعظم 1349 هـ .

ثم اجاب شيخنا ابو محمد الافرانى عن الاديب الناصري . وحين كان
جوابه ادبيا لا بأس بسوقه هنا . ونص ذلك برمته

(ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من امرنا رشدا . ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب . ربنا انك
جامع الناس ليوم لا ريب فيه . ان الله لا يخلف الميعاد . ربنا عليك توكلنا
واليك انبنا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا
انك انت العزيز الحكيم . على الله توكلنا . ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وانت خير الفاتحين

(1) المدجنون عند اهل الاندلس هم المسلمون الساكنون تحت يد النصارى .

حيا الله وبيا ورنح بالنسيم الطيب الريا ونضر بالنعيم المشرق
المحيا حضرة الفقيه البركة الميمون السكون والحركة المتلقى بالقبول
منا كل ما فعله وتركه بعد ان اعلن التحقيق المؤيد بالتوفيق التحقيق
بالصدق والتصديق

علامة العلماء واللسج الذي لا ينقضي ولكل لج ساحل

محل ودنا الحافظ للعهود والاواصر ، التي بين سلفه الكريم وسلفنا بني ناصر .
ذي المناقب المزرية بالدراري . عالم العصر سيدي محمد بن احمد الاجراري .
حفظ الله كماله وانتحج في الصالحات عاماله وسلام عليه ارق من طبعه
واغزر من فيض علمه ونبعه ورحمة الله وبركاته عن بركة سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا وقد ورد علينا ورود الماء على الظما
والنور على الظلماء كتابك المعسول القادم بكل سول فحيا واحيا
وكسا اثاثا وريا فحمدنا خطورنا ببالك وان رميتنا بنبالك

لئن ساءني ان نلتني بمساءة فقد سرنني اني خطرت ببالك

فوهبت اساءته لاحسانه . وغفرت منيته لامانه وقلت كما قال كثير
عزة اذ غلبه الوجد وبزه

هنيئا مريثا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحللت
يكلفها الخنزير شتمى وما بها هواني ولكن للمليك استدللت

فان الذي بيننا من العهد الحديث والقديم - يقول بيست المدامة ونعم
النديم ، فقد جمعتنا رحم الحب والادب . وهي احق بالرعي من لحمة النسب

ان نفترق نسبا يؤلف بيننا ادب اقمناه مقام الوالد

فففر الله لك يا اخي ما عرضت به فيه من قولك اآخر الرسالة
للتحذر ان تكفر من يقول لا اله الا الله وصرحت به في نظمك بقولك

كفرتم اهل الفحوص وغيرهم وحصرتم الايمان في العميان

حيث قولتنا ما لم تتحقق منا قوله وحملتنا بالظن والتخمين ما لم
نطق حمله فأجريت سؤالك مجرى التقرير وافرغته في قالب التهديد
الترويع وما ظننا قط اننا قطعنا في تكفير ساكن فحص او جبل

بتحقيق او جدل ببنت لسان او شفة ولا ارعف قلمنا بكتبه الفه
وانما ظننت ظنا والظن اكذب الحديث او صدقت فاسقا تعود التمضمض
بالاعراض شيمة كل خبيث وقد علمت ان الله عصم من المومن دمه وماله
وعرضه وان يظن به ظن السوء كيف نجترىء على القول بما لا نعلم
وقد علمنا ان السلامة اسلم او مالنا وذلك الخوض في تلك المهالك
والظلم الحوالك

لنفسى ابكى لست ابكى لغيرها لنفسى لي شغل عن الناس شاغل

(فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها) (ومن شكر فانما يشكر لنفسه
ومن كفر فان ربي غني كريم) كيف وقد علمت اننا لم نكن من ابطال ذلك
المجال ولا ممن يدعي اليه بيا للرجال وهل للجاهل مثلي ان يقتحم في
مأزق الالتحام او يستنـ مع الفصل فيقطره الزحام (1) وقد علمت
قدرى ، فلزمت وكري وارحت من البحث فكري ودرجت عما ليس
بعشى وغضضت طرفي عما يعشى فنحن سلمنا العلم لاهله وعلمنا
عجزنا عن مسالك حزنه وسهله كيف وقد فرغ من المسألة من قبلنا
وتكلم فيها الائمة بما يكفي في الاقتداء مثلنا وقال كل ما اداه اليه اجتهاده.
وجرى بكتبه مداده ودون كل مذهبه وحرر ما كتبه

من اراد انتقادها فهي هاذي عرضة البحث فليكن جد باحث

غير ان ما قد بحث به من المعيار اخشى ان يكون من سوء الادب
والعار فان مؤلفه العلامة الماهر الجامع بين الباطن والظاهر سيدي
احمد بن يحيى الونشريسي هو قطب الفتاوي وركنها الذي اليه تأوي .
ولم يبلفنا ان احدا ممن بعده من الائمة قدح فيه بقادح بل كلهم له مادح .
وهبك لم تسلم قوله في المسألة خصوصا لما قام عندك من صحتها ما يخالفه .
فما كل مجتهد مصيب وكل قول فيه مقبول ومردود الا قول المعصوم
صلى الله عليه وسلم فهلا امتثلت قول الامام الطيب بليغ المفرب
الوزير موسى الخطيب

فسامح اذا ما لم تفدك عبارة وان اشكلت يوما فخذها كما هيا

(1) من الامثال استنتت الفصل حتى القرعاء . اي جرت اولاد الابل حتى التي اصابها
القرع . وقطره : القاه . قال الشاعر (تنكب لا يقطرك الزحام)

وما ذكرت عن شيخ الجماعة علامة القطر المغربي سيدي العربي
 الادوزي فلا يليق ان ينسب لورعه ومنصبه وكمال عقله وادبه فلعل
 الناقل عنه لم يتثبت - والله يغفر له . واما ما ذكرت من تأليف اخينا في الله
 عالم الشرفاء وشريف العلماء سيدي احمد البلغيثي فقد طالعناه من
 اوله الى اخره وذكر لنا في المسألة مذاهب الايمة الاربعة وحرر الكلام
 بما ينبغي عن غيره . وهو هنا قريب غير بعيد وحسبنا الله ونعم الوكيل .
 هذا وقد تكلف الفكر شبه ابيات جريا على غرضك فدونها ان كنت تأخذ
 عن دُرِّ النحور حصي

مني على الخل الرفيع الشان	حمال عبء العلم والعرفان
نجل الكرام محمد الاچار من	بَدَّ الوري بالسبق في التبيان
ازكى سلام الله ما هبت صبا	غب الحيا فثنت غصون البان
هذا وقد وافت رسالتك التي	زالت بطلعتها دجا الاحزان
لكن ما نسبت لنا من قولها	انا نكفر ظاهر البهتان
فالله يعلم انني لا اعتنسي	بالخوض فيما لم يكن من شاني
فاحذر اخي تصديق ذي سفه غدا	متشيطنا في صورة الانسان
اما الجواب فقد كفانا امره	من قبلنا بسواطع البرهان
فجزاهم الرحمان في جناته	بالروح والريحان والرضوان
والله يحكم وحده وهو العلى	سيم سريرة البصراء والعميان
والحق لا يخفى ونور الله لا	يطفا ، وحصن الصدق حصن امان
والله يهدينا ويحمينا ويكـ	سفينا اذى كيد العدو الشاني
بالمصطفى صلى عليه الله ما	قصمت صوارمه ذوي العدوان
واعنذر محبكم البشير الناصر	ي المحتمى بحماية الرحمان
ويسلم الخل السليم وداده	الطاهر بن محمد الافراني

انتهى الجواب النفيس الذي يعلم القارىء منه ان المسألة اذ ذاك كان لها
 تأثير عند المفتين من الفقهاء في هذه الجهة وهم بين متشدد في ذلك وبين
 متساهل ولعل صاحب الجواب من المتساهلين وقد جرننا حبل الرجز
 الذي قاله مرييه ربه حتى استطرد ذكر هذه المسألة ولكنه استطرد محمود
 العاقبة

نبذ متفرقة حول مربيه ربه

كانت اخلاقه مدعمة بما تقدم ذكره من اعماله السالفة ، وقد كان انشط من الهيبة . و ارفع لهذا الشأن بقوة جأش . واكثر سلوكا لطرق الرياسة . ولكن حين لا يمكن ان يحز في المفاصل ولا ان يبت وحده في الامور بتا لا يتعقب . وحين كان القائد المدني هو وحده الذي يركبه ذلولا الى قضاء اغراضه المتنوعة وقد اصبح هذا فحلا قرما مقبلا مدبرا ذا سم بالاستيلاء على القبائل عاد مربيه ربه كمن القى بيديه على قرون البقرة ويحلبها غيره ولو كان المدني ينظر الى الضعفة والمساكين بنظر الحنر والشفقة والنصرة ، لما كان في الاستعانة به عيب ولكن الامر بعكس ذلك يعرفه كل احد وسيرى القارىء ان شاء الله في ترجمة المدني في (القسم الخامس) كيف افعاله

اشرنا فيما تقدم لحادثة الكنسوسي الذي كان شيخا من شيوخ قبيلته ادا وكنسوس تحت يد محمد بن ابراهيم التيوتي الذي كان ايضا تحت يد الباشا الحاج حماد بن حيدة ثم كان شئنا بين التيوتي والباشا فصار يوسوس للكنسوسي ان يثور على رئيسه التيوتي . وان يتصل بتارودانت فحاول الكنسوسي ذلك فاصطدم ورئيسه فلم يمكن الا ان يهرب بين يديه فولى وجهته الى الجنوب فنزل على ايت عبلا ازاء ايلال فداول الامر مع رئيسهم فاتفقا على ان يطحنا اولا الرئيس عابدا الزكري وكان بينه وبين جيرانه الكنسوسيين والعبلاويين غير حسن الجوار فاتصلا بالمدني ومن معه على يد احمد الايفشاني فقال لهم الكنسوسي ان رجعت الى داري فلکم عندي كذا وكذا آلاف من الريالات يقال انها ثلاثون الفا لكي يجرؤا جيشا حتى يعركوا الزكريين والتيوتي وللقائد وحده في مقابل ذلك ثلاثون الف ريال اخرى هكذا كانت الحكاية سرا ثم جاء رسل الزكري الى كردوس والى بوزكارن يعانون انهم لا يزالون مع هذه الجهة ويقولون ان الكنسوسي بيننا وبينه عداوة خاصة فلم يوبه بقولهم فردوا اقبح رد هكذا كانت الاسباب سرا فقام مربيه ربه والمدني ومن الى شيعتهما ينادون بالجهاد خوف ضياع حرمة الاسلام في تلك الناحية فقامت كل القبائل من ايت بعمران مع مربيه ربه الى ان خيموا في ايت عبلا وقد عزموا على نهب الزكريين وعركهم وما ذلك الا ارضاء لمن اعطوا الدراهم ثم اسكان الكنسوسي وجبه

التَّيَّيُّوتِي لارضاء ابن حيدة ليتوصلاوا بالثلاثين الفا والثلاثين الاخرى
فلحقت قبيلة اداوزكري بتلك الجهة اذ ذاك حين رأت نفسها بين نارين
ثم جرت حرب هناك ولكن شاع امر الدسيمة بين رؤساء القبائل فعرفت
الحكومة ايضا فأرغمت ابن حيدة فحضر حتى وقعت الهدنة لكنه أعطى
الدراهم على المصالحة فكان ذلك مما اثار عليه غضب الحكومة فأجلته
عن تارودانت وعزلته قريبا ثم وزعت الدراهم التي اخذت سرا بين
القائد المدني وامثاله وحين لم يتساووا فسد ما بينهم فسادا له اثره في
الوجوه فازدادت الشقة بين الجميع وهكذا رجع هؤلاء الخطافون
فكان ذلك نكتة تشوه حركة الكفاح وقد ذاع ذلك وشاع سواء كان
كلمة صدقا او كذبا وهذه الواقعة كانت نحو سنة 1345 هـ وكانت قبيلة
أقا تحت القائد بلعيد فهلك بيد ولده القائد ابراهيم ثم مال هذا
القائد الى الحكومة فوصل حبله بحبلها ففتك به ايت سفول احدى
فرق البرابرة التي ارتحلت مع النكادي بعد احتلال تافيلالت ثم تولى
القائد الحسن ولده بعد ما تم احتلال آقا سنة 1350 هـ او قبل ذلك
بقليل فجاءت جيوش الجنوب لمحاربته فتوصلت منه ستة آلاف
ريال فوزعت كذلك سرا الف للمدني وثلاثمائة لاهل كردوس والف
كتمها المرابطون القصبليون الذين مرت الدراهم في ايديهم وكان الآخرين
منها قسمات ، فلم يظهر للناس في المجمع الكبير الا قليل - هكذا حكى لي
من يزعم انه مطلع على ما يجري وراء الستار - فهذان مثالان لما زج فيه
الرؤساء القبليون الخطافون انفسهم وعلى ذلك تأسست دورتهم السنوية .
فتعطي كل دار ريالا حسنيا يكون منه نصيب لمربيه ربه والرؤساء نصيب
آخر وقد يدخل في ذلك مال له بال بعد الهدايا وكل قد استدلى
ذلك وقد نسوا ما نصبوا له انفسهم فيسقطون من اعين الكافة
فهذه حقيقة الرؤساء في افعالهم الظاهرة فمن كانت لهم نية باطنة بينهم
وبين ربهم فلا يعرفها الا الله ولم نומר الا بالظواهر والله يتولى السرائر
وذاك شاهد يظهر ساحة مربيه ربه في كردوس وقد تزوج شلحية اخرى
بعد ما خلف اخاه الهيبة على الصوابية فكانت كريمة الفقيه سيدي
سيدي مسعود التير وكتي الرسموكي قرينته مع اعرابية او اثنتين
كانتا عنده قبل وقد كفل كل اهل الهيبة يربي صفارهم ويعلم البالغين
منهم واما امر هذه الجهة في اخريات ايام مربيه ربه فقد فسدت القبائل
واستأسد الرؤساء الذين يزاولون امورها وهم يتحاورون على النقيير

والقطمير - كما تقدم - . سواء من كانوا في شيعة مربيه ربه يهبسون
بريحه ويعصو صبون عليه ، ويتحزبون له او كانوا من غيرهم ممن اعرضوا
عنه فان الوليتيين الذين لا يأبهون به ولا ينال منهم حبة ولا
يلحظونه بطرف عين قد صار بعضهم يعدو على بعض حتى عسى
الخوف وكثر البطش ووصلت الحالة الى خطورة لوجاوناها لمن لم يعلم
ذلك اربما نسبنا الى التحامل ولكن ذلك في الوليتيين اشد منه في
المجايطين لان الوليتيين عداءون بادننى سبب كما هو معروف من
احوالهم ثم ان ذلك لا يشعر به الا المساكين وضعفة القبائل واما
الرؤساء الذين ينتفعون من ذلك فذلك العصر عصرهم الذهبي يعلن
احدهم ذلك لو سئل والحاصل ان الوازع الديني ، وفضائل الاخلاق قد
انمحي اثرها الا من اقل القليل من الناس هذا والناس في جهل عميق
جدا جدا من الحالة الراهنة التي تحيط بهم فكل من ندد عليهم في تهالكهم
على ما هم فيه وفي غفلتهم عما يهددهم . يقولون له انت معجب بالكفار . وقدملا
الكفار عينيك فانت كافر ثم سرعان ما يذيعون عنك ذلك في كل ناد ،
واعظم من يتولى كبر ذلك هم اولاء الرؤساء الذين استطابوا ما استطابوا
من المرعى الخصيب في الضعفة فلم يزالوا سادرين في غلوائهم سابحين
في احلامهم حتى دوى النفير العام في كل الجنوب ، يوم استيقنوا ان الحكومة
اليهم صامدة بجيوشها فحاصوا الى تخوم بلادهم للدفاع وهم يحسبون
ان هذا الجيش انما يكون كجيش حيدة والجيش الجنرالي ولكن رأوا ما
لم يكونوا يحتسبون وكانوا من الجهل بالعالم وقوة الدول والحياة
العصرية في العجب العجاب وقد كان الثائر النكادي مع ايت حمو وايت
سفل وايت خباش التجأوا الى هذه البلاد بعد احتلال تافيلالت سنة
1349 هـ وكانت لهم قوة وبسالة فاذعروا الناس سواء من والى الحكومة
من القبائل ومن لا يواليها الا ما كان من ايت حمو فانهم اصحاب نظام
عجيب فلا يمدون ايديهم الا للموالين للحكومة بخلاف غيرهم كآيت
سفل وايت خباش ، فانهم جرائم الفساد ورسل الردى اينما كانوا
فقد فتك ايت خباش بايشنت سنة 1351 هـ فاجلوا عنها اهلها فاحتاوها
بالقوة وينوي اصحابهم فعل ذلك بقرى اخرى في تامانارت ويقال ان
ذلك باذن من المدني وامثاله من الرؤساء مع انهم محسوبون منهم وراء
التخوم فهذا مثال اخر لاعمال هؤلاء الرؤساء ان صدق ما يقال من
ان لهم اصبعاً في ذلك والله اعلم

الاحتلال النهائي لجزولة

طلع ذوو القوة الى جزولة سنة 1352 هـ وقد جردت الحكومة اليها جيشين كبيرين مزودين من كل الادوات بما لم يره قط اهل الجنوب ومركز احد الجيشين بتزنيث والاخر بأقا ثم هنالك فيالق اخرى في اغرم بانزال من اداو كنسوس وفي مركز ايت باها فتم التطويق لهذه الجهة فدقت الساعة التي يؤدي فيها اولئك الرؤساء ديون الحكومة التي استدانوها بألاف مؤلفة منذ سنوات ليكونوا لها ولم يعرف احد من الرؤساء سلم من ذلك بل حتى المرابطون والعلماء الا تحلة للقسم وقد كانت الحكومة منعت السكر عن هذه الجهة الا برخصة خاصة من عندها لتسابق اليها الناس وازدحموا عراكا بين يديها لينتفعوا بذلك فكان ذلك من السلاسل التي تقدمت الاحتلال زيادة على ما تمنحه الحكومة وتسلسل به رقاب الذين يترددون اليها دق الناقوس فزحف جيش اقا امامه وتحركت كذلك كل الجيوش الى ما بين يديها وكل قواد الجنوب الحكوميين حاضرون باصحابهم فأجفل لذلك مربيه ربه بعد ما كانت نذائف الطيارات تمطره في كردوس بوابلها فانهزم في اوليات الناس على خيله ومن خف من اصحابه من كردوس في وسط ليلة ولم يعلم بذهابه حتى ربث مثواه القائد سعيد ابن المقدم وزير حضرته مع انه غادر هنالك نساءه فقطع كل ارض مجاط ليلا فمر قريبا من (بوزاكارن) في الليلة التي احتلها فريق من الجيش الفرنسي وفي الصباح ذهب القائد الحنفي ناخبر رئيس الجيش بذلك فقام وقعد وجمع اليه ضباطه فاعلن انه قد فشل غاية الفشل ثم قال لالحنفي ما هذا ان رسالنا ذهبوا بسيارة الى قرب وجان ليالتحق بها هناك مربيه ربه فاذا به لم يلب دعوتنا ثم ظهر ان الفرنسيين كانوا راسلوه ووعدوه بالامارة على سوس فاستنكف فذهب لحال سبيله وهذا ايضا مما يظهر ساحة مربيه ربه ثم انه انزعج في ايت بعمران حيث اسبانية تمد ايضا رواقها وبقي اعراب مع نسائه الى ان نزل جيش في تازاروالت فخرجوا بهن على ارجلهن الى غير ان فوق كردوس فاخترأوا نحو ثلاث ليال وهم بلا زاد فكان اولئك الاعراب الواقفون - ولله درهم - ينزلون احيانا الى بعض القرى يطلبون ما تتقوت به النساء تكففا وليس في ايديهم ما يشترون به شيئا ثم سلكوا طريق تازاروالت خلصة وقيل - ولا اخال ذلك صحيحا - ان رئيس الجيش منح اولئك الاعراب جوازا لهم فعد الناس ذلك من مكارم

اخلاق الجيش المحتل لا ن مثل ذلك التسامح لم يكن معلوما بين هؤلاء
 فلحقت النساء بعمرانة فانقضى امر مرييه ربه في كردوس وطويت
 صحيفته في هذه الناحية ، عندما تفتح صحيفة اخرى له في ايت بمران
 ثم ان الجيش الاقاوي الكبير تقدم حتى نزل في تاغجيجنت وقد كان
 مما القى على عاتقه ان يحتل بوزاكارن الذي مات صاحبه القائد المدنسي
 منذ شهرين فخلفه اخوه الحنفي فافتتح عصره بما ترى فسلم هو لجيش
 جاء من ميرغت وقد كان ايت حمو ومن معهم ممن يحسب لهم من في
 الجيش حسابا فلذلك كان الجيش الاقاوي صامدا اولا الى منزلهم في
 تاغجيجنت مع اميرهم النكادي الذي يقطن حوالي ذلك المحل فأجفلوا من
 بوزاكارن. فاحتلها الجيش من غير ان يعارضه احد. واما من في اتزال فانه جند
 قليل منظم ومعه قبائل من رأس الوادي فيها القائد محمد بن ابراهيم
 التبيوتي كبش رأس الوادي في هذا العصر ورجل تلك الجهة والقائد
 الطيب الضروري تقدم هذا الجيش ومعه الزكريون وغيرهم. فنزلوا في
 ايت عبلا بعد ما القت الطيارات قذائفها على دار الرئيس العبلوي فأوى
 الى غار مع اهله. يطل على داره هو ومن معه كاحمد أولحاج هذا الوطني اليوم
 فحاول ان يدافع هو ومن معه من بعض التملين الجيش الزاحف فلم
 يقدر ثم نزل هنالك الجيش فجاءت قبائل من بينها قبيلة املن فقدمت
 طاعتها ثم تقدم الجيش الزاحف فخرق قبيلة امانوز حتى نزل اعلى تيزي
 وهنالك جاءت قبيلة ايغشآن وايت عبد الله بن سعيد وغيرهما فقدمت
 الطاعة ثم ذهب من هنالك رؤساء في خيل كثيرة الى وادي تامانارت حيث
 يمر الجيش الاقاوي ثم رجع الرؤساء وقد جلس الجيش هنالك اكثر من
 اسبوع. واما الجيش التزيتي فانه تقدم حتى نزل في تالعينت عندما بطل
 الجيش الاقاوي على بوزاكارن فهنالك قدم القائد مبارك البشيراني ومجاو
 كلها الطاعة وكذلك الشريف سيدي علي الايليقي التازاروا التي ثم خرق
 الجيش لايفير ملولن فانكشف بعقيليون كانوا في جيشهم رابطوا في
 (تومانار) وقد كان قائل قال لهم ان البشيراني استسلم فكادوا يقتلونه.
 وقد جبهوه بانه انما يريد ان يفت في اعضادهم ولكن بعد ما ارسلوا
 رسولا جاءهم بالخبر اليقين فاجفلوا الى بلادهم وهم يظنون انها ما نعتهم
 وعاصمتهم من الطوفان ولم يعلموا ان لا عاصم اليوم من امر الله الا من
 رحم ثم نزل الجيش الخارق لايفير ملولن في بسيط تازاروا
 وقد ابتدأ في تسوية الطريق ومد الاسلاك التلفونية من تالعينت يقو

بذلك الجند نفسه وهو يتقدم فوصلت الاسلاك تازاروالت مع وصول الجيش فبقيت بعقيلة ممتنعة من اداء الطاعة كأنها تحسب ان هذا الحال اليوم كحال عهد الجِلُولي وانفلوس امس ولم يدروا ان العصر عصر الدبابة والطيارة والقذائف والالات المدمرة ثم ان اءال اءاچچنمار قد رابطوا في مفتتح مخرم واديهم فحلقت عليهم الطيارات تصاليهم نارا حامية كما كانت في كل تلك الايام تصنعه بالقبائل التي تتمنع من اداء الطاعة بسرعة وبقي البعقيليون يويمات لا تصل الاسبوع ثم قدم اهل تيغمي منهم الطاعة ثم قدم اناس من الاجماريين على القائد عياد في تالعينت فاعلموه بانهم يقدمون الطاعة ولكنهم لا يقدمونها على يد البنيرانى ولاعلى يدغيره من رؤسائهم . وقد خافوا ان يستولي احد من جيرانهم على زمامهم بذلك فحدث عياد رئيس الجيش بتازاروالت بمنع القاء القذائف التي ترسلها الطيارات عشرات بعد الساعة على وادي اءاچچنمار فانهم سيقدمون الطاعة ثم جاء مع الاجماريين الشيخ عبد الله ابن القائد عياد فقدموا الطاعة في تازاروالت وفي اءاخر يوم من تلك الايام التي تمنع فيها الاجماريون نزل في تاغلولو جيش طلع من تانكرت من افران وهو فريق من النازل من بوزاكارن اتى معه القائد مبارك البنيرانى وقد اعلمهم بسهولة انقضاء امر الاجماريين ان اطللنا فوقهم وقد كان القائد سعيد ابن المقدم هرب الى وادي الاجماريين من كردوس حين سمع بان فيلقا سيطلع اليه من تازاروالت فقدم الطاعة معهم وكان الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح اجفل من مفتتح مخرم ذلك الوادي ، حيث كانت داره هدفا لقذائف المدافع الى تاغلولو مع زوجته ثم نزل ايضا ذلك الجيش بتاغلولو . وقد قدم في اليوم اهل الوادي الطاعة فرجع الشيخ . وقد هدأت الحالة وفي اثناء تمنع الاجماريين طلع جند غير قليل فوق قرية افغللال الى كردوس الذي غادره مربيه ربه منذ ايام كما تقدم امامه في حين ان فيلقا اءاخر توجه الى تيغمي وقد سلمت كل بعقيلة ورسموكة كما سلم الحامديون بسبب جيش اءاخر خرج من ايت باها خرق تلك الجبال واما الجيش الكردوسى فانه تقدم الى سوق الجمعة فهناك تلاقى مع الجيش النازل قبل في امانوز فقد تقدم الى الغ فبات فيه ثم الى سوق الجمعة حيث التقى مع الجيش الاخر حكى لي الاخ احمد رحمه الله انه كان في ذلك النهار احد الدالين لهم الى الطريق قال فسرت مع رؤساء من الدولة الحامية فملت بهم بعد ما تجاوزنا المدرسة الوفقاوية الى اليمين في

تُرَّهه طلعت مع الجبل وانا احسب اننا سننزل على سوق الجمعة فاذا بنا نزلنا على مشهد السيدة تعزي في وسط سملالة. وسملالة اذذاك لم تقدم الطاعة بعد فجاء رجل يجري فيسأل عن رئيس الجيش فدلته عليه فاذا هو رسول الشريف سيدي علي التازروالي يخبر ان سملالة تقدم الطاعة. وهناك وجد الشيخ محمد اَزْتَكْض الوابلي مع اصحابه فقد فروا امام الجيش الزاحف من اقا قال الاخ فسرنا الى سوق الجمعة فبتنا هناك في مطر غزير كما وقع ايضا في الغ حين باتوا فيه بايت وافقا ثم نزل الجيشان في وادي سملالة فدخلوا الى جهة مدرسة بومروان ثم الى جهة ايت صواب وقد ادت كل القبائل الطاعة وانقضى الامر وكان المعلوم من هذه الجيوش ان الطاعة لا تقدم الا ببقرة او ثور جريا على العادة المعروفة في هذه البلاد ثم ينزل كل واحد سلاحه التام امام رئيس الجيش البندقية وما معه من ذخيرتها ويزيل قلادة الخنجر من عنقه فينزل الجميع عن يد وهو صاغر وقد كان معهودا من قديم هناك من جميع الرجال ان يتقلدوا دائما خناجرهم بلونها المفضض ولما ازيات منهم كما ترى صاروا لا يتقلدون الا بالاكياس الجلدية المفوفة وهكذا تم الاحتلال بلا حرب وبلا جرح اصلا الا ما لا يذكر وقد تعجب بعض الناس من هذه السهولة ولكنهم لو كانوا عرفوا فساد الوازعين الديني والخلقي من هذه القبائل فسادا غريبا لما تعجبوا والرجولة لا تنبني الا على هذين لا غير وقد لاطفت الجيوش غاية الملاطفة فلا اسر ولا نهب ولا تعدي حتى ان بعض المأخوذين بجرائرهم المتقدمة نحو الحكومة - وهم قليلون جدا - لم ينلهم الا نفي ما شاء الله ثم رجعوا الى مراكزهم وهذا الرئيس من ايت وبللي. الملقب بأَزْتَكْض قد كان جاذب الحبال مع اهل اقا مجاذبة عنيفة . ثم هرب الى هذه الجهة في ابتداء زحف الجيش الاقوي فصادفه يوم تقديم سملالة الطاعة ان كان عند السيدة تعزي فذهب به بلا تعنيف الى بعض قبائل القبلة ثم رد الى بلده رئيسا والحاصل ان الله سلم ولقي اللطف وتم ما لا بد منه بلا عنف ولا مشقة ثم صارت الحكومة تنظم المراكز فأسست مركز بوزاكارن وما تفرع عنه في تخوم تلك الجهة كمركز قصبة اَحْدَادُو في افران ومركز اذ ابراهيم بتاغجيجت ومركز امي اكادير المسمى (فم الحصن) رسميا ومركز تافراوت بأملن ومركز اَنْزِي الوليتي فاطلت سنة 1353 هـ وقد اشتغلت الحكومة بتنظيم ذلك وبتسوية الطرق . والاهالي يلزم كل واحد منهم ان يخدم

اياما معاومة في السنة في مقابلة الضريبة الشخصية ولا يزال الحال على ذلك الان 1358 هـ فاصاب الناس كلهم ذهول من تبدل الحالة والهدوء والطمأنينة مستمران من الحكومة فمرت سنة 53 - 54 - على ذلك والناس يستروحون الامن وقد بدأ النشاط يعترئهم في اشغالهم وتجاراتهم ولم يتبدل الحال بعض تبدل الا بعد ان وقعت واقعة الفقيه الواعزني سنة 1354 هـ فالقي القبض على كل من يكون معه او قيل انه زاره او له به ادنى اتصال حتى اتسع الخرق واصيب من كان بعيدا ومجمل القول ان الواقعة هي التي قلبت اوضاع السياسة في ارباب الزوايا في كل الرؤساء الدينيين في سوس كله بل في الجنوب اجمع فجرى تفتيش شديد عن السلاح فوقع السجن والتنكيل حتى استخرج عجائب من المدخرات فصار الرعاع يشي بعض ببعض فعم البلاء فكانت القضية اول سياسة بعد الاحتلال عركت تلك الجهات وما اليها وصار كل الناس يتقوان في هذا الفقيه ولكنني انا كمؤرخ يتحرى الحقائق اقول ان فكرة الثورة على الاحتلال فكرة متأصلة في الافكار غاية فلم يكن احد ليردها بتكذيب ومن ردها عندهم صار احمق فلعل امثال هذه الوقائع ينسيهم اياها او تقلل على الاقل اطماعهم وراءها

على ان تلك الشدة لم تشمل المساكين وانما مست من كانوا رؤساء او كانوا قبل من ظلمة المساكين فكأن الله اراد ان ينتقم منهم بذلك السبب واما المساكين فلا يزال في الراحة التامة الى الآن وقد بدأ يشكر الامن السائد والطمأنينة التي يتمتع بها وماله مصون لا يخاف عليه شيئا. وقد مرت هاتان السنتان جوعا 56 - 57 - ولولا يد الحكومة لما علم الله ما يزهق فيها من نفوس وينهب فيها من اموال ولكن المساكين وجدوا من معونة الحكومة فيهما ما يشكرونه والملاطفة محمودة وان من عدو والحالة الآن على ما ذكرته باختصار وتلك هي النظرة العامة اقولها بانصاف وانا هو المختار المؤرخ الذي لا يغمط الحقائق ولا يغفل عن احسان محسن او اساءة مسيء وان كان ربما يشير ان لم يمكن في المقام التصريح اكتب ذلك 23 - 8 - 1358 هـ.

اما مربيه ربه فقد قيل ولا اخاله صدقا - ان له يدا مع اسبانيا الجمهورية باختياره ثم كانت له يد اعظم منها مع رجال فرانكو باضطراره.

وقد جال على يدها وحج (1) 1357 هـ . واسترسلت حياته هناك ولا يصل
 إلينا تفاصيل أخباره على أننا نودعه يوم ودعنا ونفارقه منذ اقلع عن
 هذه البلاد التي نؤرخها فقد دخلت تلك البلاد التي هم فيها في حالة جديدة
 كما دخلت هذه البلاد أيضا في حالة جديدة تخالف تلك . فكأن ما بينهما مابين
 مشرق ومغرب ثم انه بقى هناك يراد منه ان ينادى به كأمير يؤدي له
 البعمرانيون كل عام اعشارهم مع هداياهم فماشى هو ما يحاول حوله
 وان كان لم ينشط له وقد تمتع بمثونة الحكومة وبالأمان الى ان وصلنا
 خبر وفاته وسط ربيع الثاني 1361 هـ فاستراح رحمه الله وقد كان
 طبقة وحده في العلم والمطالعة

الآن تطوي صحيفة امراء آل ماء العينين لقد كانوا العلماء الادباء
 الفضلاء المومنين الذين يقنعون بشطف العيش اعزاء ولا
 يرضون بالرفاهية وبلهنية الحياة اذلاء . فقد صاحبناهم منذ
 1330 هـ من تزيت الى ان فرق الدهر بيننا يوم ينزج مربيه ربه في تلك
 البلاد اآخر ذي القعدة عام 1352 هـ فثلاث وعشرون سنة جمعتنا الى
 ان فرقنا الدهر وقد تتبعنا اخبار سوس معهم ونحن نتبع ما
 يجري بحسب الامكان ولا يحسن القارىء انني اغمط الحقائق او ان في
 قلبي نحو آل ماء العينين شيئا قد يتوجسه ما بين السطور وانما اريد
 ان ابين حالتهم وانهم منذ فارقوا كتبهم قاموا بالجهاد على قدر جهودهم .
 وعلى عقلية بيئتهم ولو الموا بالفكرة الجديدة لتوقع من ورائهم نفع
 كثير للبلاد فتصوير الحالة كما هي بكل دقة هو الحامل لي حتى سلكت
 ما سلكت لانني ارحمهم وارحم كل من اليهم لانهم يخوضون فيما
 لم يخلقوا له وتعبوا ايضا وان بعد اليوم غدا وقد يظن قارىء ان ليس
 للقوم مقاصد عليا وعزم اكيد على نفع الامة فجعلت كل ما كتبته كالمرآة
 لئلا يفلط غلطا فاحشا من يسىء ظنه فيهم فقد حسبني وفيت بما
 اعرفه من اخبارهم منذ قاموا وهم يتقاصون امام الحكومة حتى تم
 الاحتلال وتبدلت الاحوال وكان امر الله قدرا مقدورا ولم يبق لنا
 الآن الا ذكر من كانوا على شرطنا من اهل ماء العينين ثم نستطرد انضا
 من كانوا كذلك من اصحابهم وحاشيتهم ممن له بال فاننا اخترنا ان تجتمع
 صفحات الجميع في ساحة واحدة من الكتاب فتشتيت الاخبار مما يذهب
 طراوتها والا فان محل هؤلاء الآتين في (القسم الخامس)

(1) كان معه ماء العينين بن العتيق فكتب رحلة في جزء يوجد مصور منها في
 الخزانة العامة في الرباط

الشيخ النعمة

علامة مدرس مؤلف يفلب عليه الخشوع والترهب ولد 1300 هـ
وكان في أيام ابيه معلوماً بذلك وقد ألف في ريق شبابه تأليف بعضها
مطبوع بفاس من بينها مذكرات عن كل ما يسمعه عن والده حياته ولم
اعلم كيف متقلبه في حياة والده، وإنما اعلم فقط انه من البارزين من بين اخوته
في الادب معه ، ومع كل اخوانه ، فكان ذلك هو الحادي حتى تعين خليفة
اخيه الهيبة على تزيت حين توجه الى الحمراء وقد تقدم ما وصفه به
اخوه من التففل وغلبة العبادة عليه ومعنى ذلك انه بعيد من النباهة
والحدق وفهم الامور كما هي وقد اخبرني الاستاذ سيدي علي بن
الظاهر تلميذ المترجم انه اخبره وجها لوجه انه لو كان اراد الله بالمسلمين خيرا
لولوني قال الحاكي لانه كان دائما يردد بعدم قيام الهيبة من اول يوم باقامة
الحدود بالشريعة قال كان يسر الى ذلك ، وقد تقدم ما راج بينه وبين
التزيتيين ، فان دل ذلك كله على شيء فانه يدل على انه لم يخلق لذلك
الميدان كما لم يخلق له غالب اخوته فقد غادروا بما قاموا به التدريس
الذي يعرفون كيف يشتغلون به. بعلمهم الجم. وادبهم الواسع. منذ تسنموا
العروش وقلبوا صولجان السياسة مع كونهم ابعد الناس عن تذوق
معنى السياسة. المبنية على المهارة في الكذب والنفاق والمغامرة على ان الرجل
كريم الطبع حي لطيف المعاشرة سهل الانقياد سمح جواد وكان من
الكرماء الذين يخذعون حكى لي بعض طلبة تزيت من اصحاب الحيل انه
دخل عليه قبل عيد الفطر وهو هناك ، فقال له ان عيد الفطر قد اطل
والعادة المخزنية تقضي ان نتوصل بما نخرج منه صاع الفطرة لنا ولاهالينا،
فقال له كم يكفي ؟ فقال خمس غرارات شعيرا فارسل رسوله الى امين
الزرع ، فامر به ان يعطي له ذلك فقال الطالب للرسول قل بفضلك للامين
يعطيني عشرة ولك حظك فعادت عشرة ، ثم لما كالهالامين قال له
الطالب بفضلك زدنا الان فوق ما امر به الخليفة فنعرف لك ذلك
فزاده ثلاث غرارات اخرى فحاز الطالب كل ذلك في وسط فيه هذه
الحيل ومملكة رؤساؤها وامناؤها ورسلاها على هذه الحالة قل لي بربك
كيف يكون فيها النجاح لامثال الشيخ النعمة الهين ، والوديع العابد القانت
الذي لا يعاشر السفلة ليعرف كيف يسوس السفلة ، وهم اكثر رعيته
وقد حكى لي ان الحاج التهامي الاكلاوي قال يوما بلغنا ان في اولاد الشيخ

من يسمى النعمة وهو رجل عجيب بينهم ثم ان النعمة فارق تزنيست فاقام بوجان اربع سنوات وقد اكب على التدريس مع اعراب وطلبة من جزولة ، انتفعوا بمعارفه ، منهم استاذ رسموكة اليوم سيدي علي بسن الطاهر ومنهم الشاعر عبد الرحمن الازاريفي الذي وقفنا له على قصيدة في النعمة سنذكرها قريبا هكذا سرعان ما رجع النعمة الى علمه وقد نفص يده مما سواه وقد مسه هناك ما مسه من تلك الحروب التي تدور على راسه ، منها حرب حيدة الاولى وقد اقتحم الجند ابوابا في تلك القرية (اذ علي اوبلا) التي يقطن فيها الشيخ وكاد يؤخذ باليد ، لولا ان ارتد الجند خزيان ثم جاءت الحرب الكبرى يوم الزحف الجنرالي فحضر ذلك اليوم الجهنمي المشهور هناك وفي الليل غادر مع اهل البلد تلك القرية المنحوسة الى سوق الثلاثاء الاجمارية ، ثم الى مدرسة ايت رخا ، وقد انتبذ في ناحية منها ساكنا باهله راضيا بما ساقته الاقدار ومعه والدته العالمة المدرسة وبعض اصحابه فكان الكريم المشهور الفقيه احمد ابن ابي الطعام استاذ تلك المدرسة لا يفقل عن اعانته ، فدأب الشيخ رضي الله عنه على التدريس في سنوات 35 - 36 - 37 - وقد حافظ على ما كان عليه في الصحراء من عدم الادخار والاكتفاء بالحليب في غذائه في كل وجبة وقد خطب مرة بان يحرث فقال معاذ الله ان اخرج عن حالتي التي كنت فيها مع الشيخ والذي وقد كانت له عند والده مكانة فاليه امر حجابة اهله دائما ولم يكن من الذين يزاولون امواله وقد كان يتقن علم الجدول والزناطي لكنه يترفع عن تعليم مثل ذلك قال لم اعلمه الا لمحمد بن عبد العزيز وحده ، وحين توفي الهيبة حضر في كردوس فكان الناس اليه اميل لولا انه لا يلتفت الى تلك المظاهر فسلم الامر لمريه ربه ، ثم رجع الى ايت رخا ، وفي ذي الحجة 1339 هـ زار اخاه مريه ربه في كردوس ، فاصبح ميتا ، وذلك في 29 - 12 - 1339 هـ فدفن الى جانب الهيبة فهما الان هنالك مدفونان جنبا لجنب رحمهما الله والغربي منهما للنعمة

قول الرفاكي فيه :

ومنهم الشيخ النعمى ابن الشيخ ماء العينين شهرته تفني عن تعريفه
فقد ابتلى بالولاية في تزنيست

اخرجوه منها وآواه غار وقلوه ووده الغرباء

سكن في وجان الى ان اخرجوه منه ، ثم سكن برخاوة الى ان اتاه الحمام ، وتاذنه بالختام ، فزار اخاه مرييه ربه صحيح الجسم فاصبح ميتا ، ولعله سقاه على ما يقال . لان الناس قدموه عليه تبجيلا لعلمه وصلاحه . توفي رحمه الله بدار اِدْعَدُ اُحْمَدَ ببعيلة فدفن حذاء اخيه السلطان مولاي احمد الهيبة في 29 . 12 . 1339 هـ انتهى ما قاله مؤرخنا الرفاكي . ويكفي القاريء من ذلك ان يعلم منزلة الرجلين في نظر الرفاكي وامثاله فالنعمة صالح عالم مسلم له عند الناس اجمعين لا يشار اليه الا بكل خير ، في حين ان مرييه ربه يتقولون فيه بما لانحسبه فيه نحن

بعض اثار النعمة وادماحه

كان للرجل اثار علمية ككل اخوته فبيت القوم بيت علم لا يعرفون الا القراءة دائما وتعليم كل ناشيء او ناشئة منهم فנסاؤهم في العلم كرجالهم وهناك سيدة مدفونة في كردوس تسمى ريعة ذكروا انها بنت الشيخ ماء العينين عالمة مذكورة . واذكر ان امرأة منهم يوما طرقتنا في الدار فذاكرها الفقيه سيدي موسى بن الطيب ، فجرى في عبارته ان قال واحدا فقلت له السيدة بديهة ان واحدا لا يثنى . فقال شيخنا سيدي سعيد التناي رحمه الله لسيدي موسى : خذ العلم يا فقيه موسى من امرأة ثم ان واحدا راجعه بعض علمائنا فوجد ما قالته السيدة هو المشهور ، وان كان هنالك من يقول بانه يثنى على قلة .

كان ابرز علومهم الادب واللغة والحديث والتفسير والفقه والاصول يخوضون كل ذلك ، ففي كلها اثارهم المبعثرة

اما اثار الشيخ النعمة فلم يسقط الي منها الا قليل ولم يكن لنا قبل اليوم همة اليوم قال يتغزل كما نسب اليه :

برزت فقلت البدر في وجناتها	وعطت فقلت العين في عطفاتها
وبدت ذوائبها فكانت ليلة	ليلاء لا نجم على جنباتها
وتبست فاذا نهار مشرق	والشمس ترفل في حلى ضحواتها
ثم انشنت فرايت اغصان الربا	غارت فشقت كفها ورقاتها
فلجاء في الشهادات بين شفاهها	روحي لو اني ذقت من رشقاتها

بيني وبين القلب بين اضالعي
بعشية فصل الربيع خرجت كي
فلمحت سرىا كنت احسبه نسا
فعطت فتاة بضرة رعبوبة
بدر على غصن على دعص تم
فرعت جمالا وافتنان محاسن
ثم التقت عيني وعيناها فكسا
عجبا لمراء ليس يسحر بالمها
انى التفت رايت فتنة ناظر
صدغ ووجه مشرق وحواجب
ونهود رمان وصدريا لله
كيف الشفاء لمفرم صب المها

وقال ايضا فى ذلك المعنى

يوم التقى لحظاي مع لحظاتها
ابغى لنفسي بعض ما رغباتها
فاذا به الطيات فى سرحاتها
غطت ذبول جفونها وجناتها
يس ترنحا فأجن من ميساتها
وحلاوة وطلاوة فتياتها
ن القلب متروكا لدى مقلاتها
والحر منفوث لدى لفتاتها
ماذا الذي ينجيك من فتنتها
تقويسها عجب على جبهاتها
صدرا صقيلا مثلما مرءاتها
ان لم يعانق قط من قاماتها

لعبت بقلبي بالفرام حسان
خود خرائد فى جفون عيونها
ما اكثر القتلى واسرى العشق ان
ما كنت ادري ما الهوى حتى رنت
فسقيت عشقا اسكرتني كاسه
لم ادر ما فوقى وما تحتي ومما
هتك الوقار فلا وقار فانسى

فى كل لحظ ضربرة وطعان
نفائة او صارم وسنان
يلحظ ليلى طرفها الوسنان
نحوي فهيح الوجد والاشجان
بل اسكرتني من طلاه دنان
داء كداء اصله الاجفان
مجنون ليلى ذلك البرهان

الى اخرها وهى ضعيفة النسيج فى الجملة وهذا ما عندي الان من
اقواله التى يمكن ان تكتب وله ارجاز فى الدعوات . رايت من بينها رجزا اوله .

يا ربنا انت الوكيل والكفيل لنا ونعم انت والله الوكيل

كلها توسلات ودعوات ولا نطيل بسوقها وقد رايت عند الفقيه تلميذ
المرجم سيدي عبد الله العويني كناشا طافحا باراجيزه

اما ما قال فيه الجزوليون من الامداح فاني سقت فيما قبل ما كان
شيخنا الافراني قاله فيه وازيد الان مساجلة وقعت فى مجلس حضر فيه

شيخنا سيدي الطاهر ومرييه ربه وسيدي علي بن عبد الله الالفي والمترجم
نصها

انقلها من خط سيدي محمد بن الطاهر الافراني ، تساجلوها وهم
جالسون على شرب الاتاي في كردوس

الشيخ سيدي النعمة :

هذا الاتاي علا صناعة وعلا بل طاب لذها بمن له صنعا

سيدي الطاهر بن محمد

وزاد في حسن معناه ولذته ما ضم نادية من زهر وما جمعا

مرييه ربه

يجري بالبابنا جري المدام وان اخفاه شارب في وجهه سطعا

سيدي الطاهر

فكيف لا ونداماه جحا جحة نزي وجوهم بالبدر ان طلعا (1)

سيدي مرييه ربه

شرب ولم يتقدم مثل صانعه والشرب مصنعه في الصدر ما صنعا

سيدي الطاهر

بل انت مولاي اولي ما يقال له (اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا) 2

سيدي علي بن عبد الله الالفي :

ماذا اقول لشرب سر به طلعا زهرا وكلهم ثدي العلا رضععا

مرييه ربه

هذا وان طلبوا لم يعدلوا كرما عن اذن طه وما عن دينه شرعا

سيدي الطاهر

صلى الاله عليه سرمدا وعلى اصحابه ءاله ومن لهم تبععا

ما هب شمال لطف الله واتفقت على الرشاد قلوب المؤمنين معا

(1) الجحجج جعفر السيد
(2) بيت قديم

ثم كتب بعدها هاتين القطعتين من غير ان ينسبهما - ولعلهما لسيدي
الطاهر او لولده سيدي محمد -

ليت المجالس رقة وظرافة في أي ما زمن كهذا المجلس
لا عيب فيه غير ان حماته انف المعالي وهو انف المعطس

✱

يا راية العلم والاعلام والعمل هشت ما الحال نلت غاية الامس
وما المصلى وهب قد لز في قرن مع المجلى ، او البسيط كالرميل

وقال فيه ابو زيد عبد الرحمان الحامدي البزي رحمه الله

خليلي سلما على اربع تنسى عرائس يصبين الحليم الى الانس
ربوع لو المجنون مر بها لما تذكر ليلي او يحل من الرمس
مغان بها سلوان كل متيم عن الاهل والاولاد والمال والنفس
عهدنا بها شمس الفضائل والهدى وغيثا وغوثا في البؤوس وفي الابس(1)
تروح له الزوار سود صحائف فتصبح بيض الصحف طرا بلا وكس(2)
يسالونه اقتباس نوري حقيقة وشرع فيرضى الكل من فضله الرغس(3)
يشافهننا بمنطق ذي طلاوة يخامر منه القلب احلى من الكاس
لنعم الحمى المعهود (وجان) مدرست به در قطب بان للناس كالشمس
تكاثر مدعو الولاية قبله فلما بدا عاد الجميع الى الطمس
هو الشمس مذ لاحت طلائع فضله فلا نور يبدو للنجوم ولا الطوس(4)
تمر بقطبانية له السن تواتر ما فاهت بظن ولا حدس
فوجان ان تفخر به فهو اهله حقيق به والله ما فيه من لبس
هو الفوث والاكوان خادمة له ومخدوم اهل الملك والتاج والكرسي
يفيد شمائل النبي محمد ويورد ما عين الشريعة والقدسي
على انه يوم الدراسة والوغى امام فوارس البسالة والدرس
دعني الى ازدياره اليوم رغبة تهون عني ما الاقي من الوهس(5)

(1) الابس كفسلس : الجذب

(2) الوكس كفسلس : النقصان

(3) الرغس كفسلس : النعمة والبركة والخير .

(4) الطوس كفسلس : القمر

(5) الوهس كفسلس : شدة السير

تقول الى هينس هينس (1) عسا كان
فاسعفتها لما رايت حثيثها
وشمرت عن ساق العزيمة موقنا
هو البحر حاذة تنل بركاته
فكم خص من قصاده بحبائه
ايا سيدي هذا العبيد اتاك في
لانك انت الرأس والناس كلهم
تمن عليه سيدي بشفاعته
فلا زلت غيثا للبرايا وكهفهم
بجاه نبينا الذي وهبت لسه
عليه صلاة الله ما ذكر اسمه

تري الشيخ هذا اليوم من قبل ان تمسي
وقلت لنفسي العجز يفضي الى اليأس
بوصل مرادي في ذراه بلا بسخس
الست ترى العافين من حوله ترسي؟
فساعده الاقبال ملجن والانس
ماري الهوى المردى الذي طوعه يقى
ذتابى وكم بين الذنابة والراس
له في غد كيفما ينجى من اليأس
وغوث أسارى النفس من كل ما يؤس
شفاعته الغراء في كل ذي نفس
مع اسمك ربي من يؤذن للخمس

ولبعض الجزولين ولم يذكر اسمه فيما نقلت منه حين كان النعمة في
تيزنيت صاحب امر ونهي ، كما يظهر اثناء القصيدة - ثم قيل لي انها لسيدي
الحبيب السكرادي وان كنت في شك من ذلك لان النفس غير نفسه -

فؤادي باشجان الصبابة في نهب
غرام وسهد في مناجاة انجم
لقد دلهتني الفاترات لواحظا
تعرضن لي يوم الرحيل فلم اؤب
ينثرنني دمع الوداع فكان دما
ايوم النوى لا كان يوم نوى ولا
اخلفت في صدري الهوى ام تأججا
الا في سبيل الحب ما كنت لاقيا
اذوب اذا هب النسيم تجاهه
فلولا رجاء في الخليفة رد لي
ولكن احسان الخليفة والرجا
هو (النعمة) المولى الذي هو نعمة
تولى امور المسلمين خليفة

فوارحتما للعاشق الهائم الصب
لها وحدها نجوى بني الوجد والحب
وأوقعني بين اللواعج والكرب
بعقل وقد جد الوداع ولا قلب
عهن الى نحو الحشا مرسل الشهب
به امتحن العشاق من بعدنا ربي
من النار تلظى في الفضا اليابس الحطب
من الحب مذتنأى اليعامل بالحب (2)
كما يفتدى زبد على النار في ذوب
حياتي لكنت اليوم اذهل من صب
بنظرته انجى ذمائي من العطب (3)
على اهل كل القطر في العجم والعرب
عن افضل منصور اخيه الرضا القطب

(1) هيس هيس بكسر السين كلمة تقال عند امكان الامر والاغراء به .

(2) اليعامل : النفاق .

(3) التذماء بالفتح : بقية الروح .

فكشف وجه العدل يشرق واضحا
 اذا جاءه المظلوم نال مراده
 ويردى ذوي العيث الذي قد ضر واعلى الـ
 ولا عجب فالشيخ والدهم وءا
 تزينت الصحراء حينما بعلمهم
 فشاء اله الناس رفعة قطرنا
 فحلوا بتزيت الشريفة مثلما
 فقام بهم صلب الحنيفة التي
 فكان امير المؤمنين وامره
 وكان اخوه (النعمة) المرتضى له الـ
 فرد لنا روح العدالة بعد ما
 ايا سيدي اني اليك لرافع
 واني فتى همي هو العلم دائما
 لاني ذو ارث من الخال صح لي
 فنلت من الاخوال منعا وسبة
 وذلك حين الناس (من عزب) ما
 وفي اليوم حين الحق حق وتزهق الا
 افتش عن حقي واطلب سيدي
 فان صح قولي وهو لاشك معتر
 فيجزيه ما كان استحق فانه
 فما كان اهل العلم في عصر سيدي
 فاني الى ظل الخليفة ملتج
 فان ينصني سيدي فهو صانع
 على سيدي مولى البرية كلهم
 وصلى صلاة دام في الكون وبلها

وابدى يد التنكيل للظالم الخب
 وشيكا كلمح العين بالجفن والهدب
 مساكين بالحيث المشتت والفصب
 لهم كلهم مثل القساورة القلب (1)
 وما لهم في القاطنين من السيب (2)
 فساقهم سوق المفيث من السحب
 تحل بها شمس الظهيرة في جنب
 تكاد ترى بالكفر مقصومة الصلب
 يويده نصر من الله في الفيض
 خليفة وهو الطهر من كل ما عيب
 تقوض عدل الناس بالقهر والضرب
 اليك محيا طالما سيم بالسب
 ولكن اخو امي يمزق بالثلب
 من امي وذار سمي بذلكم ينبي
 اجر بها ذيل المهانة في صحبي
 لهم من امير ياخذ الناس بالذنب (3)
 باطل جهرا جئت مفتحا جيبني
 لينظر فيه في ابتعادي وفي قربني
 لصحته يعدي على خصمي الخب
 عدا طوره جدا وعن قدره يربى
 ليمتهنوا بالثتم والفصب والنهب
 ومنتظر ما ارتجيه من الذب
 لاعظم قربى قربته من الرب
 سلام اخى ود لجانبكم عذب
 على المصطفى مع ءاله الفر والصحب

وللاستاذ ابراهيم بن مسعود المعدري فيه

تراودني سلوان زينب عترتي واهوى سواها من بدور محلتي

- (1) القساورة القلب الاسود الغلاظ الاعناق .
- (2) السيب العطشاء .
- (3) من عتر بز اي من غلب سلب .

واتى لي السلوان والصبر دونها
ووجدي بها في كل يوم مضاعف
يضيء بلا بدر به افق السما
وتعبق بالعير والمسك والكبا
فلم تر عيني في الملاحه مثلها
كما لا ارى شبا لنعمى ولا به
حوى قصبات السبق في الزهد والتقى
فاحيا طريقة الجنيد وحزبه
مجالسة صينت عن اللغو هل يرى
تذكر من جالت عليها عيونه
عليه صلاة ربنا وسلامه

وروحى غدت ولهى بها قبل نشأتي
كما حسنها يزداد في كل لمحاة
اذ اكشفت عن وجهها في الدجنة
بقاع بها تلك الغزالة حلت (1)
ولا سمعت اذني بها في البسيطة
سمعت لغوث الخلق اثناء شدة
وبذ البرايا في مزارف جمرة
وجددها من بعد ما قد اميتت
مجال للغو في مقاصير جنة ؟
مجالس مختار الورى خير امة
وءاله والاصحاب ما الريح هبت

اقول . رايت انتقادات على هذه القصيدة فكتبناها وفق ذلك الانتقاد .
وكان للاستاذ الافي بالشيخ النعمة اعظم اتصال حين كان في تزيت وقد
صاحبه هناك نحو شهرين وهو من اعظم القضاة حواليه ، فكان يكتب اليه
بطائق رايت مجموعتها بخط الاستاذ وغالبها عادي وفيها قليلات تتضمن
ءادابا لا يليق بسببها ان تضع ثم كتب اليه رسالة من الغ في اول شوال
1330 هـ كانت بينها ايضا واليك ما كنا انتسخناه من ذلك مما يستحق الذكر .

يا ايها الخليفة الاجل	من ظله للمحتمين الظل
وكفه للمعتفين الوبل	وقوله في المشكلات الفصل
وخلقه روض عراه طل	وعزمه ما قط لا يفل
عبدك في مسعاه لا يمل	في كل ما حماك قد يحل
لكن بدا اليوم اليه صل	عضده فيما ادعاه عبل
تاوان في قضية تسبل	من غمده شرعا فلا تنسل
سب وقال ما رواه الكل	لكن لمثله يكون غسل
والجامعات حوله والكبل	فليظرن سيدنا ما الفعل
ليكبح المستاسد الفتل	

سيدي الخليفة النعمة الذي هو للضعفاء النعمة وعلى المستعصين

(1) الكبا بالكسر الفود الذي يتبخر به

على الانقياد للشرع النعمة فعلى الحضرة افضل السلام واعطر التحايا
والاكرام اما بعد فقد كان في علم سيدي انني زاوت القضية التي كنت
شاورت فيها مقامك السامي . ومشيت بها على حسب الحجج امامي ، ثم لما
تعين الحق على المدعى عليه ابى ان ينقاد اليه فبعد ان تمنع اياما والد
خصاما اثر الحكم عليه بعد كل ما يجب من الاعذارات قام يناوئ في
القضية نواء اذاه الى هتك سجف حرمة الشرع فوقع في السب بعد التمرد
والمنع . ولم يبق الا ان يحضره سيدي لينفذ الحكم عليه مرغما فليسخ
اذن في الارض او ليرمحن السما فحقوق الضعفاء . لا تستخرج من الاقوياء .
الا بضبط وعنف . لا بدعاء ولطف فلكل مقام مقال . كما لكل مقام رجال .
والسلام

2 - هذا فالحمد لله الذي جعل هذا الملك مظفرا والقي اعداءه
منبوذين على العراء فأهنتك يا سيدنا الخليفة صاحب الاخلاق المنيفة
بفتح مراکش لسيدنا . فهو والله فتح انفتحت به مفايق المنى :

فتح تفتح ابواب السماء لله وتبرز الارض في اثوابها القشب
والسلام عليكم طالبا الدعاء منكم

3 - انعم الله صباح سيدنا الخليفة المرتضى . صاحب الخلق الرضى .
اما بعد فاحب من سيدي ملاقة خصوصية للافضاء بشيء لا احب ان يحضره
ثالث ايا كان فقد كتبت الى سيدي وانا على جمر الفضا وقد ضاق بي
الفضا من اجل هو ان مس الجنب ممن يتخذ التجارة في السباسب .
فسافضي الى سيدي بما في قلبي . وان كان قلبه عني ينبي . فان لي في هذا
المكان سبقا لخلوص طويتي لجنابكم ولظهور اعمال لي لكل من زار من بابكم
فلا اتحمل وانتم حاضرون ما ينفد معه الصبر ويحلولي معه الصبر فقد
وجد القبيح لا الحسن ما هو به على غالب ولقد ذل من بالت عليه الثعالب .
فليتفرغ لي سيدي . الذي هو سندي .

فلا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك او يسليك او يتوجع
والسلام .

والحسن المذكور هو العفياني احد فقهاء تزنيت وكانت له مع ابي
الحسن وقائع ومواقف . وقد ذكرنا ذلك في احد اجزاء (من افواه الرجال)

4 - يا قوته ابناء الشيخ ماء العينين بعد صنوه السلطان هو المجلى
فى كل مكرمة بدون مين سيدي ومولاي وسندي النعمى الخليفة الاجل
زاد من اقام عنده ومن رحل السلام العبق المستطاب على ذلك الجنب
اما بعد فان العبد يا سيدي عازم على ما كان ذكره لكم قبل ايام من تفقد اولاده
وداره . وتعهد اخوانه وجاره . فان التعيد فيها حقوق للاهل ولان عيد
الفريب حزن غير سهل وان كانت الغربة معدومة فى بلد انت فيه مقيم
والمفيض فيه لكل نعيم وكان المقتضى لو خيرنا ان لا نفارقكم لحظة طرف
من العينين وان ننشد قول ابن الحسين

فان لم يكن الا ابو المسك ام هم فانك احلى فى الفؤاد واعذب
ولكن نحمد الله الذي لم يبتلنا فى عصرنا بما ابتلى به المتنبي من مصاحبة
اسود ياطش الكف يرتعد منه من الخوف فقد اسودت بشرته وخلقه
فكيف يقول فى مدحه من كان حقا يصدقه فسيدينا والحمد لله بضعة نبوية .
وسلالة هاشمية خلق ابيض فى جبين صقيل كانهما فى جبهة الدهر
وقوائمه غرة وتحجيل فلو سكتنا عن اداء حقوق الاهل لندبنا اليها سيدنا
جزاه الله عن امته خيرا ووقاه من حساده واعدائه ضيرا كتبت الى
سيدي هذا تذكيرا لما عسى ان يتذكره سيدنا حين اطرقة للوداع غدا
لا مرحبا بفد ولا اهلا به ان كان تفريق الاحبة فى غد
والسلام .

5 - من الضعيف علي بن عبد الله جبر الله كسره وفك اسره الى
الخليفة الذي اودعناه قلوبنا عند وداعه وهي هنالك بين رباعه فقد
استرقها بانعمه فابت الا ان تربض عند قدمه سيدي وسندي وكنزي
ومعتمدي وراحي المعتقة وشمسي المشرقة سيدي النعمى السلام على
سيدي ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد وصلنا اهالينا والحمد لله فوجدنا
الكل ببركتكم على خير وقد تلقانا الجيران والاخوان بالفرح الكبير وكل
يستقصي خبر تلك الحضرة وما لها من النضرة فاثينا مقالا وحالا
وحسبنا السننا مقصورة وان اسهبت مقالا

فعاخوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائق
وقد عيدنا امس والحمد لله على نعمة الاسلام ويعود السلام على كل من
شملمته تلك الحضرة الكريمة والسلام .

تلك الرسائل هي ما كنت استحسنته من المجموعة فانتسختها والحمد لله الذي يسرها من حيث لا نحتسب فلا ندري ايشكو القارىء من تفريط الاعراب في المراسلات بينهم وبين الناس حتى توزعتها الايدي هكذا فتتسرب الى اناس هم ابعد الناس عن الاعراب ام يشكر ذلك لانه لولا ذلك التفريط لكانت الرسائل اول ما يوكىء عليه الشيخ النعمة يوم يغادر تزيت فلا يتركها للايدي المختلفة . اما انا فاني على كل حال من الشاكرين والا فاني اعلم ان كثيرا مما اوكا عليه اربابه لا اجده الان باي وجه كان ، فلا هدية تنفع ، ولا تذلل ولا استشفاع ولا ينبئك مثل خبير

هذا ما استحضره الان مما يتعلق بالشيخ النعمة رحمه الله . ولم اقف على مريثة من الجزولين حتى من شيخنا الافراني الذي كان لامثال هذه المواقف دائما بالمرصاد واهم العالمة الصالحة طار عمرها بعد ولدها سنين

محمد الامام

شاعر مفوه لا اقدم عليه وعلى ابن العتيك احدا من اهلهمما في الفصاحة ولد اواخر جمادى الثانية 1311 هـ

لم اكن اعرف هذا السيد من ابناء الشيخ ماء العينين الا من بعيد كما اعرف بالسماع اخوته المتقدمين حتى وقفت له في مجموعة قصائد اعرابية على منشئات له قرأتها فتجلى لي من نسجها ان الرجل شاعر حقا ممن يعرفون كيف يقولون فيجيدون كنت رأيت ذلك عند صاحبنا سيدي المحفوظ سبط الشيخ ماء العينين ولكن لم اكن اذ ذاك معنيا كل العناية بهذا الذي اعنى به اليوم فلم انسخ من عنده شيئا وبعد ان جرت الافلاك بنفسي الى الغ وقد وجهت وجهتي للبحث عن كل ما يتعلق بالالفيين كنت اتطلب من الطلبة الالفيين ومن غيرهم ما تصل اليه ايديهم فكانوا يعيرونني فانتسخ . فكان مما وجدته بعض اشعار لمحمد الامام وبعضها مقول في اهله وبعضها مقول في الالفيين فسرني ان وقعت له على نقطة من بحره يمكن لنا بسببها ان نذكره بين اهليه الذين لهم اتصال ما بالالفيين

لم اعرف من اوليته شيئا ولا كان عندي عنه من الاخبار ما يمكن ان اقدمه به الى القراء لكتابي هذا غدا واني لآسف لذلك وانما كل ما اذكره

انني لم اعلم له جولانا في مجالات اخوته من الرياسة كانه من اصاغرهم فلم تطل يده الى ذلك في مبدأ امرهم حين برقت لهم بارقة يبتدر اليها الاكابر منهم وهو الى الآن 1358 هـ حي وقد انسحب الى الجهة التي انسحب اليها اخوه مربيه ربه كجميع اهله (ثم لما اتصلت به بعد الاستقلال حدثني انه اخذ القراءان عن الشيخ الحضرمي والنحو عن الامجد الاتياري والفقهاء عن محمد البيضاوي والادب عن محمد بابه ثم استتم عند والده)

بعض اقواله :

قال في اخيه مربيه ربه في المحرم 1342 هـ

الا من الليل حالكات غياهبه	كما احلولكت من ليل فرع ذوائبه
واومض فيه البرق من بعد هدأة	كما اومضت من ظلم ثغر مشانبه
فثاونة يخفي ويخفق تارة	كقلب محب يوم بانث حبابه
فما زال يزجي صيب المزن رعه	فينحط اعلاه وترخى جوانبه
ويبعث من قرب تباشير قطره	متى صافحت كف النسيم هياذه
فما هو الا ان تحلب ودقه	كما سح من كف الامير مواهبه
فليس اذن الا الخليفة من به	تقشع من ليل الضلال غياهبه
واحيا موات الدين بعد دثوره	فنيطت عراه واستنارت كواكبه
واخرج ضب الكفر من نافقائه	فسدت عليه عن حماه مساربه
مقانبه في كل ثغر تسده	كما فتحت كل الثغور مناقبه
محاربه ما لم ينل منه سيفه	تنله اذا جن الظلام محاربه
وان رامت الاعداء منه كتابه	اجابتهم تحت العجاج كتائبه
وان سايسوه يبتفون خديعه	راوه ليبي احكمته تجاربته
حواليه حزب من سراة ذوي الهدى	كثير معاليه قليل معايبه
متى دارت الحرب العوان بقطبها	تفوق صميم الفير فيها اشايبه
يذكرنا الشيخين شيخي صحابه	علوا وتطهيرا اذا ما نصاحبه
فلا زال منصورا للتواء مظفرا	يعز به انصاره واقاربته
ولا زال ميمون النقية اينما	تجاذب اطراف العنان نجائبه
بيمناه مفتاح الفتوح متى انتحى	بلادها لها نصر من الله صاحبته

هذه القصيدة وحدها كل ما عندي الآن لهذا الشاعر المفلق من الشعر في
أخيه وشعره كما رأيت متين ثم وقفت أيضا من شعره على ما خاطب
به من اسمه الطاهر لعله شيخنا الأفراني

يا طاهر العرض يا كنز الوداد الم يان الوصال فبالقلب الغرام الم
فالقلب بعدكم ما انفك ذا وصب رهين شوق للقيام وحلف الم

أما اتصاله بالآلبيين فانه وفد مرارا على الغ فينزل على الأديب أبي
الحسن الألفي في ندوة الأدباء المعجم والعرب وكان مرة في رفقة الأديب
ابن العتيق فخاطبهما شيخنا الأستاذ عبد الله بن محمد بقوله

أهلا أسيدنا الإمام والعلم ما العين من بهما قد ضاءت انظلم
أقبل والله لي السعد المبين بطل عة محييكما وزالت الغمم
فمرحبا بكما خير الوري كرم فانتما خير من وفيت لهم ذمم
فأجابه ابن العتيق بقوله

جزيت بالخير يامن دابه الكرم لا يعتريك ونى عنه ولا سام
فمن ينخ بك عبد الله راحلة عن قلبه ينزح الإحاش والغمم
دامت بنا وبكم موصولة رحم وانما رحم الآداب ذي الرحم
وأجابه محمد الإمام بقوله

فبوركت عبد الله نجل محمد كريم السجيا طيب الأصل ماجده
تلقيتنا بشرا فتلكم فيكم أيا آل عبد الله الزم قاعده
أبوك الذي عمت مزاياه في الوري ولا عجب ان شابه النجل والده

وقال محمد الإمام يجيب الأستاذ أبا الحسن الألفي عن قطعة لا
نستحضرها

أزهر نجوم أم بدور تمام أزهر أكام ذا أحب غمام
أم الدر من بحر الهدى قذفت به قريحة حبر لا يرام همام
على أنه أبهى من الدر منظرا ويفعل بالالباب فعل مدام
على المقام أسما على مثل وسمه كريم الفروع ينتمي لكرام
حوى فضلهم مع فضله ولو أنهم سواهم لسودته نفس عصام
فكن لأمير المؤمنين موازرا فقد قل من يدري حقوق أمام

فطب خاطرا فالرأي رايك عنده فما القول الا ما تقول حذام
فلا زلت في عين العدو قذى لها ودمت لجنب الدين خير حسام

ثم وقفت على قطعة ميمية موازنة لهذه وفي قافيتها يرحب بها الاستاذ
الافلي بربك فهو اذن ركب محمد الامام

طلعتم طلوع الشمس بعد غمام فابرتي جرح القلب بعد كلام
حللتهم محلا مستطيرا بنزلكم فاشكر دهري اذ رعى لي ذمامي
اتاني بخير الفاضلين على جوى اليهم وشوق ضاق عنه حزامي
فلم يك احلى من وصال اخاير محياهم في العين بدر تمام
انيخوا انيخوا فالديار دياركم وهذا العبيد خادم كفسلام
عليكم سلام الله ساعة وصلكم ايا من لقاهم كان كل مرامى

وقد تقدمت في القسم الاول في ترجمة الفقيه عبد الله بن مسعود
التبييوتي قطعة ميمية يخاطبه بها المترجم مطلقا

ايا صاعدا للمجد اسنى العزائم وليس جهول العلم يلفى كعالم

وورد محمد الامام مرة مع رفيقه ابن العتيق الى المدرسة التانكرتية
فصادفا هنالك الاديبين الاستاذ محمد بن الطاهر وصاحبه محمد بن علي
الافلي فقال ابن العتيق يخاطب الاديبين وذلك في اول المحرم 1332 هـ :

الا يا حبذا سفر حداني الى من يدعيان محمدان
رضيى ثدي عآداب وعلم بتقصار الملا متقلدان
تجبيى طاهر العرض المجلى فمن ذا في الرهان له يدانى ؟
انخنا عنده فقري وثنى وكانا للنزيل يساعدان
فباتا في نوادر كل فن شهى بيننا يتواردان
فان تنشدهما استمعا ومهما اصخت يحدثان وينشدان
سماء المجد مذ يتقارنان تقارن في السماء الفرقدان
ولا عجب اذا الولدان يوما اشادا ما بناه الوالندان

ثم خاطب الاديب محمد بن علي المذكور محمدا الامام اذ ذاك كما
حدثت به بما نصه

سلام يزدري زهر الكمام على مشوى محمد الامام
على فرد حوى كل المعالي وساد فماله ابدا مسام

سليل الشيخ ما العينين قطب ال
وبعد فان ودك في فؤادي
ادام الله فضلك في اعتزاز
مكارم والعلا شمس الظلام
رسا فله به اسنى مقام
وصيتك يزدرى مسك الختام

ونقلت من خط المترجم محمد الامام ما يلي

سيرى امامك بالذميل وبالعنق
لا يشغلنك عن تايدك الونى
حتى تناخي عند نجل محمد
ذاك الذي اتخذ المكارم حلسة
لما جرت حلبات ارباب العسلا
جاريتهم حتى اقرؤوا كلهم
هذا وان عهدكم مرعية
منع المنام فراقكم فكأنما
ثم الصلاة على النبي وءاله
واذا نبا سيف النهى عن مشكل
او ما شممت اريج وصل قد عبق
وشجوب لونك في هجيرك والفرق
ذي المكرمات الفر والطبع الارق
ورفا الذي منها تمزق او خلق
في شأوها ولكلهم منها نسق
انك الذي للغاية القصوى سبق (1)
وودادكم اصفى من الماء الفدق
يعتادنا لفراقكم داء الارق
ما ضاء صبح بعد ما جن الفسق
يلفى لذلك سيف ذهنك قد صدق

خاطبت بهذه العلامة سيدي الطاهر بن محمد فاجابني بقوله

يا مرحبا بك من امام قد سبق
يا ابن الالى حازوا الفخار وفتحوا
يا سيد احيا فاحيا وصله
يا شمس فضل اشرقت من مطلع ال
هذا قريض صفته ام روضة
لفظ كما رق النسيم لطافة
ابدت معاني معجزات صاغها
لله منك قريحة ما ان دعت
فليهنك العلم الذي اعطيته
قد زرتنا متفضلا فشفيت من
فالفضل فضلك والعلا رتب سمت
فلانت وارث سر والدك الذي
لا زلت بدر الكمال مجددا
في المجد حتى لا يجاري في طلق
من كنز اسرار المعارف ما انقلب
صبا امض فؤاده داء القلق
عليا فجلى نورها ظلم الفسق
فاحت شذا اذ جادها ماء غدق
وبلاغة اجلى وابين من فلق
طبع قد اصطبغ المعارف واغتبغ
الا ولبتها المعاني بالعنق
عفوا فانت بكل مكرمة احق
داء النوى المضنى واحييت الرمق
بك والسيادة جمعت لك في نسق
هو جامع من كل فضل ما افترق
بالعزم من رسم الفضائل ما خلق

(1) بتخفيف انك

وعليك تسليم يباري نفحه ريح الصبا هبت على روض عبق

كما اجاب ايضا الاديب سيدي محمد بن علي يخاطبني انا وابن العتيق:

اهلا بمن جمع المكارم في نسق
من بذ في كل الفنون وما له
من عز قدما وهو بز بفضلته
من قد رسا في القلب مني ما رسا
بدر الدجى المولى الامام السيد الذ
وكذا الامام الفرد ما العين الذي
ازكى السلام عليكما من قائل
وغدا بنور هداه يرشد في غسق
في النظم من ند ينزع ان نطق
وجنى الفخار الجم اول ما انفتق
من وده اكرم به ودا صدق
سبب الذي حاز العلا عن سبق
بنظامه يدري بانه قد حذق
اهلا بمن جمع المكارم في نسق

وله قصائد وطنية كثيرة منها

بني وطني قوموا على اسواق الجد
وان مسكم قرح فقد مس مثله
ويوم بيوم عادة الدهر هكذا
فلا تخضعوا مهما اديل عليكم
لئن ساءنا ما قد لقينا من العدا
لقد احسنوا من حيث ظنوا اساءة
فقد نبهونا عن خبيثة سرهم
فلا تبتغوا عن منهج الحق منهجا
ولا تجزعوا ان شبت الحرب والتظت
وما دام شبر تحت سيطرة العدا
فبرق العدا مهما استطار نخلب
فلا تساموا من ضرهم وضرارهم
وخوضوا لهم بحر الخطوب وان طما
فعزما وحزما واعتزما ونجدة
نكم قوض العزم القوى من البني
الستم بني القوم الذين بسعيهم

فبالجد نحظى بالسعادة والجد
عداكم وفزتم بالجميل وبالحمد
يداول بين الناس بالنحس والسعد
ولا تفرحوا ان تثلما مرهف الحد
لقد سرنا انا على منهج قصد
علينا فما الاحسان منهم على عمد
فلا نفترر بالعقد منهم ولا العهد
ولا ترجعوا عود البدء عن القصد
فكم بين سيدان المعامع والاسد (1)
فلا تجمعوا بين الصوارم والفم
وما تحته غير السراب او الرعد
وحربهم في الهزل كنتم او الجد
ولا تعبثوا في الجزر كان او المد
فما غيرها يغني فتिला ولا يجدي
وكم ثل من عرش وكم هد من سد
تحررت الاوطان من وصمة الطهد

(1) السيدان الذئاب جمع سيد بالكسر

مناثرهم في كل ارض ومجدهم
وان ذكرت انباؤهم فخلا لهم
فكم سايروا في البيد هادية المها
وكم وصلوا ديجورها بهجيرها
فما ان يبالوا بالرياح عواصفا
الى ان اناخوا حيث مشتجر القنا
فالقوا عصى التسيار فيها وفرقوا
فما انتجعوا ارضا سواها وحووا
فاضحوا وامر الحل والعقد عندهم
واضحى بهم صرح الديانة شامخا
واضحى بهم بند الشريعة خائفا
الى م نرى كل الشعوب تحررت
فهل يستلذ النوم من كان قومه
وهل يستسيغ العذب من كان قومه
فما العز الا في مجابهة العدا
ونصبك حر الوجه للحر ضاحيا
فلم يدرك الاهداف الا مشمر
يعيد ويبيدي في الصنائع ناسجا
ولم يصطحب الا كريما مهذبا
وان هو ابدى للصديق مودة
ومن يطلب العيش الرغيد مرفها
فطعم الهنا بالذل للحر علقم
الم تعلموا ماذا راي السلف الاولى
فما وهنوا في دينهم واعتزامهم
وما اعتصموا الا بحبل الالههم
يخوضون ليل النقع تحت أسنة

كما نقش المرسوم في الحجر الصلد
تضوع بنشر المسك والعنبر الوردي
وكم عرسوا بين المطافل والربد (1)
وكم واصلوا الاسئاد بالنص والوخد
ولا باحتدام القفيظ في وهج الوقد
وحيث يصم الاذن زمجرة الاسد
هناك اداة الرحل عنهم مع اللبد
عجاف المطايا من سعيد الى سعد
وكلهم في القطر واسطة العقد
كما استحدثت جدلاء محكمة السرد (2)
يلوح على الارجاء كالعلم الفرد
واخواننا مهضومة الحق والمجد ؟
مشردة تحت الاجانب في سهد ؟
شرابهم المالح الاجاج مع الكد ؟
وذب عن الاوطان بالصارم الهندي
ونصبكه للبرد في زمن البرد
ركوب على الاخطار في الفادح الاد (3)
بمنوالها ما قد ينير وما يسدي
فان طباع الجار من جاره تعدي
اكن له في القلب اضعاف ما يبدي
فلم يلف كالتحرير من عيشة رغد
وطعم الاذى بالعز احلى من الشهد
من الاسر والتشريد والقتل والطرده
ولم ينثنوا عن خطة المجد والجد
وما اكرثوا لا بالسلاح ولا الجند
تتمنمه وشيا كنمنمة البرد

(1) المها جمع مهاة : بقر الوحش . والمطفل : التي لها ولد . والثريد جمع ربداء
التي لها ربداء : لون الى القشرة . وتلك اوصاف الغزلان .

(2) المقصود بالجدلاء الدرر

(3) الاداء بالكسر الفظيع والفاذح الشديد

سماها عجاج والاسنة شهبها
وظنوا بان الرعد والبرق في السما
لقد قرت الاحشاء بمد اضطرابها
وتحت لواء النصر جيش اذا ارتمى
بطيرون عقبان الى رنة الوغى
لقد ضعفوا صرح الاكاسرة الاولى
وقد ارغموا انف القياصر عنوة
وشادوا بناء للحضارة سامقا
عليهم سلام الله ما ذر شارق

ووقع القنا رعد اذا برق الهندي
لما كان من وقع الصواعق كالرعد
بخفق البنود الحمر مع اسدورد
الى الحرب يرمي الطرف للهند والسند
بعزم ينصير الشيب منهم من المرد
وقد طحطحوا ما بين غرب الى الصغد
فقادوهم تحت السلاسل والقند
على اسس تهدي الانام الى الرشد
وما طلعت في افقه انجم السعد

وله اخرى يصف بها الطائرة :

الا فاعجب متى امتطى الهواء
لها في الصدر ان حميت ازيز
فتجري اولا بمحركات
فتعجل عن رحا العجلات وثبا
فتصعد في الهواء صعود باز
فأوانة تسف سفيف صاد
وءأوانة تحلق في مداها
وتحسب تحتها مهما تامت
فلا يدري الذي قد كان فيها
فمن حلل السحاب لها ازار
لها ريحان عاصفة واخرى
وتعتمد بعد ما بلغت مداها
فتهبط صوبه تهوي رويدا
فتنزل مثل ما ابتدأت برفق
فتقبل نحو مركزها تهادي
فمن لم يدرها من قبل هذا

على جوفاء جؤ جؤها هواء (1)
وغيطالة يضيق بها الفضاء (2)
تساعدها القوى والكهرباء
وشيكا فالامام بها وراء
وتسبح في الفضاء كما تشاء
ترأى بالحضيض اليه ماء
فيحجبها عن العين الفطاء
سماء فوقها سمكت سماء
اصبح كان فيه ام مساء
ومن نسج الغمام لها رداء
بمتن الجو طيبة رخاء
الى حيث المطار له استواء
على التدريج ليس لها التواء
فطاب لها النزول والارتقاء
يقارنها اختيال وازدهاء
يقول توها ماذا الهداء ؟ (3)

-
- (1) الجؤجؤ الصدر .
(2) الغيطالة : اختلاط الاصوات
(3) الهداء بالكسر مصدر هدى العروس الى زوجها كرمى

فتجثم بعد ما تجثو قليلا
الا اطيب به سفرا لذيذا
فنسألك السلامة حيث كنا
فسبحان الذي فطر البرايا

وله ايضا

لابدع ان حن ذولب الى وطن
عوجا على طلل محت معالمه
وقفت بالرسم لايا ما ابينه
ماذا اثارث من افنان الغرام به
كانما افصحت عما اجمجمه
تحمل القلب وجدا لو تحملته
شوقا الى زمن لم ينس طبيسه
فاستبق ويك على قلب تياسره
هي المنازل كم اذكى تذكرها
ذكى قروح الهوى من بعد ما اندملت
تترى كخفق فؤاد الصب وامضها
دعتك ريحانة الاشواق مسمعة
اخو الهوى من متى داعى الغرام دعا
رحمى لاهل الغرام المبتلين به
وكلما شربوا من منهل شيم
وكلما ظعننت عيس بظاعنة
لا شىء يصدع قلب الصيد اوجع من
واحر قلباه لما استن دونهم
كان احدا جهم والثال يرفعها
قولا لمن رابه وقفى على الدمن
(لا تكثرون ملامي ان عكفت على
ماذا يريبك من الف يصب الى

وينفض الجميع بحيث شأؤوا
فلا وعشاء فيه ولا عشاء
ولطفلا لا نضر ولا نساء
وسهل فى الصعاب كما يشاء

اوهاجه دارس الاطلاع والدمن
هوج الرياح وصوب الصيب الهتن
لولا ارتسام الهوى بالقلب لم يبن
ورقا ترجع الحانا على فنن
او تشتكى مثلما اشكو من الشجن
لانهد شم الذرى من جانبي حزن(1)
ما قد جرى بعده من حادث الزمن
ما يعلم الله من بث ومن حزن
جمر الاسى بفؤاد الواله الشجن
شيم البروق تزجى دلح المزن
لما استطارت اطارت واقع الوسن(2)
قلب داعيها بل عندها فكن
لقى اليه يدا وانتقاد بالرسن
كل يطالبهم بالذحل والاحن
صاف سقوا بعده من منهل اجن
تغدو القلوب اسى اسرى مع الظعن
زم المطايا غداة البين للظعن
رقرق اال ضحى يجري على سنن(3)
مواخر الفلك او معرورق القنن(4)
اما سمعت مقال الشاعر اليمني
ربع الحبيب فلم اعكف على وثن
الف ومن سكن يصبو الى سكن

(1) حزن محركا : جبل فى بلاد العرب .

(2) الوسن محركا النوم

(3) الال السراب .

(4) اعرورق : ارتفع .

فربما اتحد الوصفان واشتبهما
وكل شرع له اهل وغيرهم
وكل فن له اهل به عرفوا
(ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا
فكيف لم يذكروا من كان يألفهم
اضراب قومي الاولى دهر (الصمارة) في
دهر (الصمارة) ما ادراك ما زمن
دهر مضى فغدا كالحلم غابره
يا رب لطفا وتوفيقا ومغفرة
وامن علينا بفضل لا انقطاع له

كحذوك النعل حذو النعل في قرن
ما ان يميز بين الفرض والسنن
والكل من فنه يجري على سنن
من كان يألفهم في المنزل الخشن)
دهر السرور وعند المنزل الحسن
مستقبل السن في مستقبل الزمن
حدث ولا حرج عنه فلم تمن
حتى كأن الذي قد كان لم يكن
في كل ما بلد او كل ما زمن
يا دائم الفضل والعواد بالمنن

وله ايضا يخاطب اخاه الشيخ النعمة

سلام في المزار ينوب عني
لن في القلب منه جنان انس
ضياء المسلمين ومن ترقى
ويحسب ذو الغبا ان المعالي
فليس المجد يدرك بالهوينى
ولكن باستنام ذرى الزايا
وبسط الوجه والكفين دأبا
ونصب الوجه دون حمى المعالي
وشج العيس ناصية الموامى
فثاونة على قود المهاري
وعاونة على الافراس قبّبا
يسن مكارم العليّا ويخطو
تقدم من صباه ومن قديم
يعف على المطامع حيث عنت
وفي الاراء والتفكير حر

وينبئي عن صميم الود مني
جناها صين عن انس وجن
مراتب ليس تدرك بالتمني
تربّع جلسة او كاس بُنّ
وتوطئة الارائك تحت كن
واتعاب الجوارح والتعني
ومنّ تبرع من غير ممن
الى وجه الفزالة دون كن
ينقر عن خبايا كل فن
وكل عذافر وهنم عبّسن (1)
وكل طميرة جردا رِقْن (2)
على متن الطريق المستسن
كبير القدر وهو صغير سن
ويحمل عنهم الامر المعنى
ولكن للشرعة أي فن

(1) من اوصاف الابل العذافر بضم العين العظيم الشديد والوهم الجمل
الذلول والعين بفتحيتين ونون مشددة الفليظ
(2) الاقب من الخيل : الضامر والرفسن بكسر الراء وفتح الفاء وتشديد النون
الطويل الذنب

وقور لا تزعزعه الدواهي
وسل عنه المقارئي والمقاري
ولا يبدي الدراية عند بحث
ويمهلهم يخوضون المعاني
فان نثلوا كنائنهم جميعا
بعزو في روايته صحيح
وان ساء الصديق يقابلنه
بقلب مشفق لاحقد فيه
ويحسنو للمضيم اذا اتاه
ومن اكدت قريحته كاللا
اذا اصفى اليراع على يملى
ارى بيد الحجا درا نثيرا
وتزدحم القوافي فيه حتى
ابا لاطناب بالغة مداه
صلاة الله ما طلعت ذكاء

لدى الهيجاء والخطب المبرر
وسل عنه مدارس كل فن
ويلمح بالفراصة والتظنسي
وتحقيق المسائل في شأن
يوضح غامض المعنى الاجن
وفهم ثاقب وصفاء ذهن
بحسن تجاوز وبحسن ظن
سليم من طوايا المستكن
حنو الوالد البر الاحسن
فمدحك للقرائح كالمسن
لفكري في مناقبه كأتني
فينظم ما يشاء بلا تعنسي
اقول لها وراءك ويك عنسي
رويدك فاربعي ولتطمئنسي
على الهادي الامين وكل سنسي

والمرجم حي الآن 1380 هـ وهو الكبير في اسرته الماجد المتبوع حفظه الله

ماء العينين بن العتيق

امه العالية بنت الشيخ ماء العينين ولد نحو 1306 هـ ثم اخذ
القرءان عن الاستاذ زيني والنحو عن الاستاذ محمادو بن سيدي والادب
عن خاليه الهبة والنعمة ثم استتم عن جده الشيخ فيرد الى الغ والى
افران. فتعاطى القوافي مع اهلها. وقد تقدم (1) بعض ما حضر عندنا من
اقواله كنت اسمع به من عند الادباء الالفين ومن عند ابن خالته
المحفوظ بن الحضرمي حتى جرت قافية في مراكش حوله قبل ان نعترف
به. وهالكما جرى. جلسنا جماعة من الادباء فوق سطح الزاوية في (الرميلة) وبيننا
الاديب المحفوظ - الاتي - وءآخرون فصار كل واحد يقول بيتا فيجيبه
ءآخر حتى استتم ما ستراه قلت انا مفتتحا بالبيتين الاولين

انشدن لي من مرقص ابن عتيق
وارو لي من قريض شنجيط اني
من قريض كانه الجوهر المنـ
فهو احلى من الشراب العتيق
اتسلى بكل شعر رقيق
ظوم في نحر ذات خصر رقيق

(1) في خطبة الكتاب ، وفي ترجمة محمد الامام .

أم رياض مخضلة فوفتها
أم ثغور مفلجات تبسـ
بل هو المنعش القلوب اذا ما
استلذ النشيد منه كأنني
أي فكر فيه وأي ابتكار
وانسجام كانه النهر الفـ
هكذا الشعر رقة وبيانها
من فصيح سما باي لسان
ينتقي كل رائع من عتيق
فاتى بالقريض غضا طريا
يخلب السامعين فعل العيون الـ
ينشد المنشدون منه فيحيـو
اتخذناك يا عتيق وان لسم
وبنو الشعر اخوة تشج الا
فمتى يسعد الزمان فنلقى
فنرى بلبلا يفرد عفوا
فنرى خير شاعر مفلق قد

وله يخاطبني

زهرات محمرة من شقيق
من فتسبى مغاز لا يبريق
حل فيها بكل معنى رشيق
اتحسى موقا من رحيق
واقترار وعاية التنسيق
سياض يرمي بلؤلؤ وعقيق
من افيق سليل كل افيق (1)
هو في الشعر عمدة التحقيق
ولهذا سموه بابن العتيق
مثل ورد على الفصون فتيق
نجل في قلب كل صب مشوق
ن الذي قد رووا عن ابن رشيق
نتعارف من بعد خير صديق
داب من بينهم بخير عروق
منك أي مفوه منطيق ؟
كلما مسه امرء بعقوق
نفق الشعر منه في خير سوقي

الى من له في السادة المنصب الاسمي
تعايا تحاكي طيب اخلاقه التي
فهذا وانا لا يزال اجتماعنا
على حاله روحا وان نفترق جسما

وله يخاطب خاله الشيخ محمد الامام

طاف الخيال فحياني الا ادكر
ماذا اجنت من الشجو الجوانح اذ
فبت اذا رمت اغفو كي يعاودني
كم ارق الطيف ءاماق المحب وكم
وهنا فولى وخلي السهد والذكر
سرى وقد جن جنح الليل واعتكرا
كانني بالتفاقي اجلب السهرا
اراق من دمه ما كان مدخرا

(1) الافيق البالغ النهاية في العلم

اثار وجدي بلبنى طيفها ومنى
 باحت بما من هوى لبني أسرى به
 قل للالي بكروا يلحون في شغفي
 انى وان لمتهم في الحب اعذرهم
 اما درى ويحه اللاحى ليالينا
 تلك الليلات في سوق الزمان وفي
 مهلا رويدا فما يغني ادكارك من
 فلا تقول على دهر تجهم او
 فما صفا لبنيه الدهر ءاونة
 ومن تضمه من الايام حادثة
 يلذ باعتاب استاذ الانام محمد
 الثابت المثبت الروع المروع والـ
 المشرق الغرب من انوار منظره
 من زانت العصر والاقطار طلعتـه
 ومن اباد العمى بادي هداه ومن
 للناس راحتـه نفع وراحته
 يرعى البرايا وان نامت نواظرهـا
 ما انفك دون يد الباغين جنتها
 لا تذكر الدهر ان تذكر عزائمـه
 وان تصل او تصل يومى وغى وندى
 وبابن قيس وقس والسموال لا
 ترى الوفود الى ابوابه زمرا
 لما تحلى من الذكر الجميل ومن
 فكم لديه اهتدى من ضل عن عجل
 دهى النهى ما درت من حمده وروت
 جلالة الشرف الديني والشرف الطيـ
 يا اعرق الناس في بيت الولاية يا

من لا يرى الحب عينا ان يرى الاثرا
 مذار في حيث لي منها الخيال سرى (1)
 بها ان اتصل الاصال والبكرا
 بجهله اجميل لوم من عذرا ؟
 معا نثير كؤوس الانس حول درى (2)
 جباهه كانت الاحجال والفرا
 عهد الشبية والاهواء ما غبـرا
 وفي ولا تبتئس ان صدا وغدرا
 الا وابدلها من صفوه كدرا
 مسته لم يلف من ضرائها وزرا
 يد الامام يحد عن صوبه الضررا
 جاري مع السنن السني حيث جرى
 اذ اخجل النيرين الشمس والقمر
 وصيته المائتان السمع والبصر
 عمت ايادي نداه البدو والحضر
 ان يتعب النفس فيما ينفع البشر
 من حيث لا عين الا مقلته تـرى
 طرا وجنتها حيث ابتفت وطرا
 هي الصوارم بله الصارم الذكر
 يداه لا تذكر الضرغام والمطرا
 تقسه مهما وفي اوفاه او عفرا (3)
 تقدمت زمرا قد اتبعت زمرا
 يخبر به يلفه خيرا اذا اختبرا
 وعز من ذل واستغنى من افتقرا
 اذ لا شبيه له فيما روى ودري
 نبي نورهما في وجهه ظهرا
 من لا لغير المزايا يصرف النظرا

(1) المذار المدامع
 (2) درى : درعة هكذا ينطق به في الشلحة يعني (الصمارة) ازاء مصب وادي درعة .
 (3) الاحنف بن قيس الحليم ، وقس بن ساعدة المصوه ، والسموال بن عاديا المشهور بالوفاء

والى بك الله قطب الاولياء كما
ابوك (ماء العيون) الفوث قدوتنا
وجدك الفاضل القطب المجدد من
وجد والدك الميمون طالعته
و (الطالب اخيار) جد الشيخ جدك خد
حكى اباه ابا الانوار محمده
وهكذا لم تزل تسمو الى حسن
اولاء عاباؤك الشم الى مهـدوا
يا بون في الفضل الا ان تكون نـوا
من داب عادبهم ان يدعو الجفلى
فاخر بما من سماء المكرمات بنـوا
وان هم بك مجدا فاخروا فـخروا
قرت مشاهدة منك العيون بما
فياله من نظام كنت درتـه
انت الامام الذي في فلك همتـه
خاطرت في مبتقى القدر العظيم ومن
هي السيادة ما في شهدها طمع
سموت عن ان تسامي في الكمال ومن
احييت من ميتته دامت حياتك ما
ما زال عندك مرعى المجد مرتبـها
والمال مقتسما والحمد مفتنـما
لم تحك يا حسن الاخلاق في خلـسق
احسن بئاثارك الحسنى وما قدـم
لا زلت عصماء نظم الدين ناظمـة
ولا برحت وعين الله ناظرـه
صلى الاله على المختار جدك ما

والى باسلافك الافراح والبشـرا
لم يعد اخلاق خير الخلق والسيـرا
بهذه عم ضوء الدين وانتشـرا
(ما مين) مامن كمال ناله بهـرا
سر من تردى ثياب المجد واتـزرا
وجده (الجيه) من صدع العلا جـبرا
سبط النبي الجد ود السادة الكـبرا
نهج الهدى واجدوا منه مادثـرا
ديهم امام وانداء الصدور ورا
بل في مئادبهم لا تسمع النـقرا (1)
فمن يفاخر بما يبنونه فـخرا
اذ زدت ما من مزايا اورثوا اخـرا
يشنف السمع من اخلاقهم خـبرا
ودوحة كنت في اكمامها الثـمرا
بحر الصعاب لتسهيل العلا عبـرا
يبغ العظام يستحقر لها الخـطرا
الا لمحتمل من دبرها الابـرا (2)
بالانجم الزهر سوى النجم والشـجرا
اعيت في نعته الافواه والفـكـرا
والحق متبعا والدين معتبـرا
والعلم محترما والجهل محتقـرا
الا ابا حسن - عمرت - او عمـرا
لك اقتفت غير اثر المصطفى اثـرا
در البلاغة في امداحك الشـعـرا
فضلا اليك عديم الشكل والنظـرا
اولى به الفوز بالمامل والظفـرا

كان اوى الى منطقة (افني) مع اهله ثم تقلبت به الاحوال فحج
مع مربيه ربه سنة 1357 هـ فكتب رحلة حنة رأيناها ثم صار قاضيا

(1) الجفلى محركا الدعوة العامة للطعام ، على عكس النـقـرى
(2) الدبر كفلس : النحل .

في (طنطنان) وقد تيسر له ان يزور مرارا هذه المنطقة فتعرفت به في
مراكش نحو 1367 هـ ثم لما جاء الاستقلال ورد على الرباط فجالسناه
فوجدناه عالما محصلا فتيسر له ان يعين استاذا في الجامعة اليوسفية
بمراكش ولكن سرعان ما توفى رحمه الله فعظم المصاب به وصدر مرة
عن الغ فقال

بنو الغ اهل العلم والمجد والفضل يصدق فيهم كل ما مسهب يملئ
علوم وعاداب وجود وخلصه صفت كرحيق الكأس او شهدة النحل
ودين ودنيا والشهامة كلما يثار اذا جد النضال الى النصـ
وجود فمن يلهم بهم يرانه وان لم يكن من اهلهم احد الاهل
نسيم الصبا سلم على الغ من فتى يرى كل الفى له مخلص الخل

وولد للاديب محمد بن على الالفى ولد 1339 هـ فتسابق الادباء في
تهنئته فقال بينهم

هلال الدجا بالبدر ملان ينبىء وعاية طيب الفرع ان طاب ضيضىء(1)
وكل على الاصل ديدنه السى طلاب العلا فى نشئة متنشئىء
لذلك تنباع التباشير كلما بدا لعلى نير متلا لىء
ولما بدا من نجله البحر لؤلؤ لقفو خطا اجداده متهىء
قمير بافق اليمن والسعد طالسع بمعراج ميمون السعادة ىرقأ
كانى به فى المكرمات تقفىا لآبائه ىشفى القليل وىبرىء
هممت بانى حينما شمت برقه اهنى بما عن صادق الود ينبىء
اذا بتهانى البشر من كل وجهة بدائعها ثم الخناذىذ تنشئىء(2)
فلم يبق لى الا الدعاء وانسى برائق هاتىك التهانى اهئىء
فلا زلتى مرمى العصى وكلكم هلال بافلاك الهدى متبوىء

وقد كان خاطبنى حين زارنى بمراكش. ثم فى الرباط بقواف هى بين
ثناىا الكتب لم اجدها الآن وله مؤلفات شتى رحمه الله وديوان شعر
لم يحضر عندى الآن منه ما نختار منه ووفاته بعد عصر يوم الثلاثاء
26 من رجب 1376 هـ بمراكش

(1) اصله من الان . وذلك لفة . والضئضىء . الاصل
(2) الخناذىذ هنا : الشاعر المجيد الملقب

محمد بن عبد العزيز

العلامة الورع كاتب الهبة وقاضيه وكذلك كان مع مرييه ربه ولد نحو 1290 هـ. فكان كل اخذه عن الشيخ (ماء العينين) وكان له في تقوى الله والورع اوصاف يتناقلها الناس بالاعجاب صبر مع اولاد شيخه في كل ما تتقلب به احوالهم الى ان سكنوا (افني) فلزم خويصة نفسه يدرس في المسجد ويخطب الى ان توفي وقد كان له اتصال بالالفيين لم بهم احيانا فكانت حوله قوافي الترحيب من الالفيين ومما خاطبه به بعض الالفيين

انما المرتضى ابن عبد العزيز مثل تقصارة من الابريز (1)
كل فضل وكل خير لديه كان رغم العداة خير محوز
ميزته العلياء والدين والفضـ ل وخير الخصال بالتميز
عالم حافل المجالس بالبحـ ث المصطفى كخلقه المفروز
حل الفا فحل فيه سحاب جاد فيه بعلمه المكنوز
نهز المكرمات طفلا فبات الـ مجد في كفه من المنهوز
نطلب الله ان يمد علاه فيرى في يديه كل عزيز

وهذه الابيات على ما فيها - ما اخترناه من قصيدة فھيه ممن لا تخلو من امثاله حتى الغ الادبية وفي ترجمة الاستاذ علي بن عبد الله الالفى ما خاطبه به (وقد بلغنا وفاة ابن عبد العزيز بعد 1370 هـ بعد ما كان خطيبا في (افني)

المحفوظ بن الخضر مي

سبط الشيخ ماء العينين من بنته وابن عالم كبير من اصحاب الشيخ ماء العينين - كان المحفوظ يرد على الغ فينزل عند الاستاذ علي ابن عبد الله كما كان يرد علينا في مراکش . اذ كان لا يزال شابا بين شبان اهله بسوس وهو من افاضل اسرة آل (ماء العينين) خلقا وتحببا الى الناس وقد اخذ كما احسبه يذكره لي عن الشيخ محمد بن عبد العزيز وعن اخواله ابناء الشيخ ومدركه في العلوم غير متسع وكذلك عادابه الا انه ولوع ذو ذوق سليم في الشعر خصوصا الغزل فان الرجل يكاد يخرج من اهابه عند ما يسمع الشعر الرقيق من النسيب وامره في ذلك

(1) التقصارة بالكسر : القلادة .

غريب وعنده رأيت اشعارا كثيرة لاهله كما رأيت ذلك عند غيره
وقد ذكر لي انه ورد مرة الى الغ فنزل عند ابي الحسن الاستاذ الكبير
فصادف عنده مولاي عبد الرحمان البوزاكارني الاديب يسرد من كتاب
(الذهب الابريز) مقدمه له الاستاذ معرفا له بمقامه وشأوه وكان المحفوظ
ممن اعتاد ان لا يذكر احدا الا بخير شيمة تخلق بها فكان بها يتقرب الى
القلوب فيحتلها ثم لا يفادرها وكان من احفظ من رأيت لقصائد المتقدمين
ولاشعار اهله واكثر الناس انشادا في المناسبات للابيات وللقطع وقد
يتعاطى نظما فقد قال يخاطبني في الحمراء بقوله في 6 رمضان 1355هـ:

امن سلك النصيحة في الدروس	ويا زين الدفاتر والطروس
ومن حاز الفضائل من صباه	بنشر العلم في فاس وسوس
وفي مراکش الحمراء تبدي	علوما جملة وسط الدروس
فانت الحافظ الاستاذ من لا	يسامى في الفهوم لدى الجلوس
جليس العالم المختار ابشر	فيا لله درك من جليس
هو العقد النفيس من اللآلي	فشديدا على العقد النفيس
قدم للعلم والعليا جميعا	لتخليد المفاخر من طروس

نثبت مثل هذا المدح محافظة على فكر قائله لا اننا - حفظنا الله -
من المتبجحين فان المدح او القدح كلاهما لا يؤثر في الواقع والحقيقة
بنت الواقع وكان يوما المحفوظ قد زارنا هناك هو ورفيق له متأدب
يسمى بالفاضل وذلك في 26 صفر 1354 هـ فرحبت بهما بهذه الكلمة
الساذجة بديهة

اهلا بمحفوظ وبالفاضل	منية كل طالب ءامل
الحائزي معارف جملة	ورائة الكامل عن كامل
والطاميين ادبا عاليا	يا فوز كل واردا هـل
حلا بنا فنشر احلة	موشية في مجلس حافل
فذكرا المنسى قبلهم	من بيننا في جيلنا الجاهل
ماشيت من قصيدة فذة	الفاظها كالشهد للقائل
وحولها مقطعات لها	طلاوة العذار في السائل
بيناهما في غزل مرقص	اذا بمدح منجز النائل

كأننا والشعر في موجهه	مختلط الحابل بالنابل
ينشدنا الاخطل مستجمعا	امداح كل ملك صائل
والبحتري وصف ايوانه	واحمد في فخره الهائل
وابن الملوح يناجي الهوى	وهو عن الجلاس في شاغل
فاختلست سويعة عذبة	يحرسها السعد عن الواغل
حتى حسبنا اننا في الصبا	في زورة من رشاء واصل
ثم تفرقنا وانا على الاع	جباب بالمحفوظ والفاضل

قلت ذلك وقد مرت لنا مع الزائرين جلسة لطيفة ملأها انشادا من كل انواع الشعر غزلا ومدحا ووصفا وكانت لهما محفوظات فمما حفظته اذ ذاك من المحفوظ ما نسبه للعباس بن الاحنف

اقمنا كارهين لها فلمنا	الفناها خرجنا مكرهينا
وما حب الديار بنا ولكن	امر العيش فرقة من هويننا
خرجت أقر ما كانت لعيني	وخلفت الفؤاد بها رهينا

وانشد ايضا لبعضهم في تلك الجلسة

تشوقتكم سمعا ولم اجتمع بكم	وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وشوقني ذكر الجليس اليكم	فلما اجتمعنا كنتم فوق وصفه

وهذا ماخوذ من قبول بشار اعني البيت الاول

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا

واما البيت الثاني فمن قول ابن هانئ الاندلسي وهو شعر مشهور حفظناه عن شيخنا الشيخ شعيب رحمه الله

كانت مساءلة الركبان تخبرنا	عن جعفر بن فلاح احسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت	اذني باحسن مما قدر اي بصري

وللمتنبي ايضا في هذا المعنى

واستكبر الاخبار قبل لقائكم فلما التقينا صدق الخبر الخبر

ذلك هو الاخ سيدي محمد المحفوظ بن الحضرمي الشريف النسبة.
كما كتبه بخطه وكان من الفرائب انه كان بات عندنا في زاوية الرميعة ليلة
12-28-1355 هـ وقد تعشيت انا والاستاذ الاخ الشقيق ابو المزايا سيدي
ابراهيم الكتاني وهذا السيد ثالثا ثم اوى الى غرفة يضطجع فيها
فبقينا نحن ما بقينا ثم مشيت مع الاخ الكتاني الى مبيت له عند الشريف
الاصيل مولاي احمد المنجرة فرجعت فتمت وفي الصباح قبل متسوع
الضحى كانت سيارة الحكومة تغذي بي صوب مولاي ابراهيم منفي الى الخ
فكانت ذكرى المحفوظ ممزوجة بذكرى ذلك اليوم وكأني به وقد انظر
وحده ثم قعد ينتظرني ليودعني على حين انني انزعج في وادي النفيس
وقد طالت المسافة بيننا فيا لحياة كلها اطياف وذكريات تستحيل
خيالا بعد ما كانت ملموسة بجميع الحواس

كان سيدي المحفوظ يقطن في (وجان) واخاله قد شب هنالك فالفه.
ووالده ما مات الا بعد 1328 هـ وهو علامة كبير مذكور بين آل ماء
العينين ولكن لم استحضر الآن ما اذكره به
وبعد فهذا ما تيسر لنا ذكره حول هذا البيت الكريم آل الشيخ ماء
العينين فرضي الله عنهم واعاد علينا من بركتهم آمين

ولنختم ذكر رجالات هذا البيت الجليل بقصيدة الشاعر الفحل محمد
الامام الذي خلد فيها مآثرهم وانها لقصيدة طنانة طافحة بالفخر وتدل
على مكانة القوم في استحضار اللفظة وكيف لا وهم ابناء شنحيط

الا حيهل بالقوم مربعهم خصيب	لمن امهم والبيت منفسح رحيب
اذا نزلوا محلا ترويض جد به	وتدنو الى الجاني الفواكه والاب ⁽¹⁾
وتهتز اكناف البسيطة تحتهم	فيثري الثرى نبتا ويختلط العشب ⁽²⁾
اولئك آل (الجيه) اكرم معشر	من آل رسول الله يمه ركيب
الم يك (ما العينين) منهم ومنهم	ابوه ابو الاقطاب سادتنا النجب
هما قمرا افق السيادة والعلا	واما بنوهم فلا هلة والشهب
ودوني من قوم مربعهم جدد	وليس لهم واد مريع ولا شهب
اذا اقبلوا لا يطمح الطرف نحوهم	وان ذكروا لا يشرئب لهم قلب

(1) الاب النبات الذي ترعاه البهائم
(2) تربت الارض كفرح : تدريعت ولانت بعد الجدوبة .

وان فقدوا لم تبق في القوم ثلثة
 بعكس بدور تشرق الارض ان بدوا
 وان ظعنوا لا يبرم الامر دونهم
 يقومون بالعبء الثقيل على الورى
 فلم يمرحوا والناس تنسل اثرهم
 لهم جدد بيض بكل ثنية
 تسامت على من قد يروم صعودها
 اصاروا طريق القوم ميثاء لا حبا
 اقروا عمود الدين في مستقره
 عتادهم ايد طوال الى العلاء
 ايادي ايد لا تقصر عن ندى
 منازلهم فوق اليفاع مشيدة
 متى يمموا للشرق يزدد شروقه
 مطاياهم للمجد نجب عزائم
 فلم يثنها عن مورد العزم مهمه
 فما برحت تقفو طرائق للعلاء
 الى ان اناخوها بمجتمع العلاء
 ولو كان بعد المجد للمرء غايصة
 يلم اختلال المستنين نوالهم
 كأن عطاياهم تباعا وكثرة
 هم الخصب للبلدان ان اخلف الحيا
 وقد صيروا نفل المكارم واجبا
 وقد سلبوا بالفضل ايجاب بذلهم
 اداروا على الاعراض سدا عن الخنا
 يذبون عن مجد قديم تراثه
 وقد علم الاقوام ان طريقهم

فسيان من حالهم البعد والقرب
 وان ذكروا فالمسك والمندل الرطب
 عليهم يدان السلم او تعقد الحرب
 ولم يك منهم لا رياء ولا عجب
 ولم يخضعوا والناس في حربهم الب(1)
 من المجد لم ينحت حجارته صلب
 علوا فلم يفرع اعاليها نجب
 فلا يختشي سار ضللا ولا يكبو
 فما زعزعت من عواصفها النكب
 وصارم عزم لا يقل له غرب (2)
 واسيا فمجد في المكارم لا تنبو
 ونيرانهم فوق المحجة لا تخبسو
 وان يمموا للغرب فالشرق الغرب
 تزيد نشاطا كلما حسر الركب
 ولم تثنها الحزان كلا ولا السهب (3)
 قد اندرست قدما فمسلكتها صعب
 ولم ينتقص منها سنام ولا صلب
 لما قنعوا حتى تناخ بها النجب
 متى ما المت بالورى الحجج الشهب
 غنائم في طرق المكارم او نهب
 فلا يخلف البلدان من خصبهم خصب
 عليهم فلا استحباب فيها ولا ندب
 الا هكذا الا يجاب فليك والسلب
 فلم يستطع للسد ظهر ولا نقب
 وعن مثل ذاك العلق يستحسن الذب
 هي الحق لا زيغ هناك ولا شغب

(1) هم عليه الذب كفسلس وحمل مجتمعون عليه

(2) غرب السيف : حده

(3) المهمه القفر . والحزان من الارض الشديد الحزونة ، وهي ضد السهولة
 والسهب كقفل : المستوى من الارض

وقد علم الاقوام ان ليس غيرهم
فما ابتدعوا في جانب الشرع بدعة
وما عد لواعن واضح الحق جانبا
بهم ينجلي ليل الريون عن الحجا
فيعتاض بعد القبض بسطا ويحتسي
فتسري حميا الذوق فيهم وتنتشي
وتنفى رعونات النفوس بقربهم
وما زالت الاقطاب منهم ولم تدر
متى جيئتهم لقوك اهلا ومرحبا
بيوتهم لابن السبيل مشاعة
وقد سالموا اعراضهم غير انهم
ولم ينزعوا عن جذم عرضهم اللحا
يساميهن بعض من القوم ضللة
فهلا يساميهن مكانا ورفععة
وهلا يساميهن اذا اغبرت البرى (4)
وهلا يساميهن بكل فضيلة
لقد حملوا ما لو تحمل بعضه
وشادوا لكل العرب عزا بأمة
لهم راحة في ضمنها راحة الورى
وقد نزل المرتاد منهم سيادة
ثقال لدى النادي خفاف الى الندى
مجالسهم وقف على الحلم والحجا
اساتذة في مجلس العلم والهدى
اذا ما جواد رام ادراك شأنهم
قد اكتسبوا بالمجد كل مزينة
فما منهم الا ولي مقسرب

يرجى لدفع الخطب ان فدح الخطب
تؤولها كتب وتنكرها كتب
فمنهجهم لحب ومشر بهم عذب (1)
وترفع عنهم بعد اسبالها الحجب
رحيق شهود ليس يشبهه شرب
قلوبهم حتى كأنهم شرب
ويحصل قرب لا يكيفه قرب
لمجد رحي الا ومنهم لها قطب
ويلقاك في مغناهم الاهل والرحب
فلا يزجر المولى ولا ينبج الكلب
لاموالهم في كل مكرمة حرب
نطاب من الفرع الخلاصة واللب (2)
وياعجا هل يستوي الانف والعجب (3)
وفي علم ما جاءت به الرسل والكتب؟
وضت على البادي بمعروفها السحب؟
لها طرق عنها رجال الورى نكب؟
ذرى الهضب من رضى لمادت به الهضب
يعز عليها ان تعز بها العرب
وسيف حجي في كل مشكلة غضب
مواهبهم سهل وغاياتهم صعب
متى ثوب الداعي لمكرمة هبوا
فلا تسمع العوراء فيها ولا السب
واما ترافقهم فاهلك والصحب
ثنته الرعان الشم والامعز الصلب (5)
فكسبهم فضل وفضلهم وهب
مرب لادواء النهى كلها طب

- (1) لحب : واضح
- (2) اللحا بالفتح : قشرة الشجرة ، وجذم الشجرة جذعها
- (3) عجب الذنب : منبته
- (4) البرى بالفتح : التراب
- (5) الرعن كفلس : انف يتقدم الجبل . والزعان جمعه والامعز المكان الصلب

اولئك اباي وذلک نهجهم ولست الى نهج سوى نهجهم اصبو
فلا زلت للدهر انسان عينه بكم يرفأ الثأى ويلتئم الشعب (1)
ولا زلت حرز البلاد واهلها ولا زال يقفو اثر اسلافه العقب
بجاه شفيع المذنبين محمد عليه صلاة الله ما انهلت السحب

خاتمة

رأى القارىء فيما تقدم ما كنا كتبناه عن حياة الشيخ ماء العينين
رضي الله عنه وقد قلنا اننا كنا نخاف ان تضع اخباره ان لم يعتن
بها ثم ذكرنا اننا وقفنا على كتاب لولده مربيہ ربه فاختصرنا منه
اشياء ثم بعد ان تقدم الجزء فى الطبع اراني صاحبنا البحاثة الشيخ
ابراهيم بن احمد الكتاني ابو المزايا اسماء جميع مؤلفات فى الشيخ وها
هي ذي

- 1 - (سحر البيان فى شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان)
لماء العينين بن العتيق
- 2 - (مؤلف) للفقيه محمد سيدي ابن مولود من آل الفاغ الخطاط
وهو اول ما الف فى الشيخ
- 3 - (نبذة من فوائد الشيخ) لاحمد التكرور يعقوبي اثناء كتاب له
- 4 - (مؤلف) آخر لمحمد بن الامين بن عبيدات
- 5 - (مؤلف) آخر لتقي الله ابن الشيخ
- 6 - (منظومتان) اخريان فى الموضوع لتقي الله ايضا
- 7 - (مجمع البحرين فى مناقب ماء العينين) لاحمد العاقب بن الشيخ
سيدي عبد الله المايابى
- 8 - (خاتمة كتاب النبذة الاحمدية) للشيخ احمد بن الشمس
- 9 - (الفواكه) للشيخ النعمة بن الشيخ فى كلامه الذى سمعه منه
- 10 - (الابحر المعينية فى بعض المدايح الماعينية) له ايضا
- 11 - (قرة العينين فى كرامات الشيخ ماء العينين) لمربيہ ربه وهو
المذكور فيما تقدم
- 12 - (مؤلف فى اولاد الشيخ) لماء العينين بن الحضرمي بن بنت الشيخ
وهذه المؤلفات ذكرها كلها ابن العتيق والكل موجود الى الآن عند
اهل الشيخ رضي الله عن الجميع

(1) الثأى محرکا . الافساد . ورفأ الثوب المخرق : خاطه . وانشعب الاناء : انصدع

سيدي سعيد بن همو المعدري

نحو 1215 هـ = 2 - 2 - 1300 هـ

هنالك في المعدر أسرٌ كثيرة استوطنته . منتقلة اليه من قبيلة سملالة من الشرفاء السملاليين من بينها اسرة آل همو والد المترجم الذي نبغ في التصوف في اواسط القرن الماضي . ثم لم ينشب ان كان مع اميته رئيس طريقته الدرقاوية التي تضم بين يديه كثيرا من العلماء المشهورين اذ ذاك يقول الشيخ الالفى ان طريقة الصوفية العليا المؤسسة على الاصطلاح المنتخب عند ارباب الفن قد افلكت شمسها عن سوس منذ توفى الشيخ احمد بن موسى التازاروا التي الى ان شرقت ايضا على يد الشيخ سيدي سعيد بن همو المعدري ثم ان من سعد المترجم ان اهتم بترجمته اقلام صوفية هي التي يمكن ان تجلو حقيقته كما هي بلسان التصوف الذي لا يعبر عن الصوفية مثله وافر انني احس عندما اترجم احد هؤلاء الصوفية بقلمي بأنني المس التقصير كثيرا في العبارات التي يالفها قلمي وتألفه ولذلك ابتهجت كثيرا اليوم حين وجدتني مكفي المئونة في ترجمة هذا الشيخ فبين يدي الآن فصل كبير من رحلة الشيخ الالفى يحوم حول هذا الشيخ المعدري كما وقعت ايضا على خطبة كتاب ابتداه الشيخ الالفى بقصد ترجمة شيخه هذا ولكنه كبا دون المقصود على انه ان كان الشيخ الالفى كتب خطبة في الشيخ المعدري بلا كتاب فللاستاذ العلامة محمد بن مسعود المعدري كراسة هي كتاب بلا خطبة ولذلك اسوق انا الآن كل ذلك بين يدي القارئ فأكون فقط ناقلا لما قاله الصوفية في شيخهم الصوفي وعادتهم ان يملأوا تراجمهم بذكر احوال ربما بعدها غيرهم مما لا يليق ان يهتبل به فابدا بما قاله الشيخ الالفى في رحلته ثم ائني بتلك الخطبة التي ظفرت ببعضها بقلمه فانها على ما هي عليه لا تخلو من فائدة ثم اثلث بما كتبه العلامة ابن مسعود ، وبعد ذلك الحق ما سقط الى مما تعلق بالشيخ المترجم مما لم يذكر فيما تقدم .

قول الشيخ الالفسي في رحلته

قال بعد ما ذكر مبيته في (أساكنا) عند الإيبلاتيين ، يذكر نزوله بالمعسر

ثم الى منبع عين سرننا
ومركز السر وخير الامكنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد
شيخ لاهل راية الصوفية
وقدوة الانام في الارشاد
تاج لاهل الله والعرفان
صاحب ذكر السر ليس يلهو
فوجد الاله بالعيان
فصار يجتني جنى المعارف
وكل من عرف حق المعرفة
اذ ليس موجودا على الطريقة
ولو رايت به مع الاكوان
لأنك الذي رايت الكوننا
فالكل لم يوجد بغير الله
فاعتبر اليجاد والامدادا
فهذه الرتبة للخواص
ولم تكن لغير ذي اخلاص
وشيخنا احرز ذا المقامنا
قد صار بدء عمره حلف الخمول
بصحبة الاشياخ اهل الفن
فتارة ياوى الى السواحل
الى ان انطوت له الاكوان
فانشرحت به قلوب الخير
ولست تعرف من المشايخ
هذى جبال متشابهات
فكيف يعرفهم من لا يرى

وجنة تلالات في دهرنا
وزهرة الدنيا بهذه الازمنة
شيخ المشايخ الامام الاوحد
في سوس فاق غيره كيفية
الى طريق الله والرشاد
حجة من بحضرة الرحمان
عن ذكر مولاه وليس يسهو
مع الشهود في حلى الاكوان
وهي تنسي جنة الزخاف
الاهه فغيره لن يعرفه
بل انه المعلوم في الحقيقة
بظاهر فهو مع الرحمان
بنفسك التي كستك البونا
ولم يقم الا به يا ساهي
من اين كان ودع العنادا
من الخواص فاستمع للقاص
من كان بالتسليم في الصياصي
لزهد وتركه الانامنا
حتى حوى كل الكمال والوصول
بالصدق والشوق صغير السن
وتارة ياوى الى المنازل
وشهدت بقدره الاعيان
وانقبضت عنه قلوب الشر
الا الذي تدرك في الرواسخ
وهم رجال كلهم ذوات
بنظرات صدقه ما استترا

وكل معدن فليس يظهر
الحفر في السادات بالتصديق
فمذهب الفقر على التصديق
فاسرعت لنحوه القصص
ووفدت وفود كل من اراد
فاكتسبوا بالصحة المرام
فرسخوا لديه في العرفان
قد جمعوا الجذب مع السلوك
جم غفير قد تلمذوا له
جزاه ربنا على الانعام
ونصر الدين بقدر الجهد
سيرته الارشاد والاذكار
وليس ينظر الى الاولاد
يدوم الاسفار للارشاد
الى ان التقى مع الرحمن
تعرفه الايام والاعوام
مكتفيا بالله في الامور
مقاله يجلو صدى الاغيار
تبدو لنا من فيضه علوم
كم عالم جالسه بالصدق
سمع علما لم يكن بعارفه
وغيره لم ير الا الزندقة
لان سوء الظن اعظم حجاب
صاحبه حاو جميع الشر
وقد روى في سائر الصحاح
صاحبه لم ير في الانعام
فمن رأى صلاحه صباحا
فصار يبرم وينقض على
قد جاءه الخطأ من قياس
قد وزنوا بوزنهم فاخطأوا

ما لم تكن في الترب عنه تحفر
ان كنت من ايد بالتوفيق
ومذهب الفقه على التحقيق
واذنت لزهده الزهاد
ان يعرف الله مريدا ومراد
ووصلوا فخالطوا الانام
ولم يروا سواه في الاكوان
وقد رضوا بمالك الملووك
فحاز كل قصده وسوله
ارشدهم بالحوال والكلام
بالجد والحزم وفيض الوجد
شهد ذاك الليل والنهار
والاهل والاموال والبلا
لكل من لقي في العباد
وهو يسبح في قرى افران
بذا كما يعرفه الاقوام
مجانبا صاحبة الفرور
لما اكتسى من كسوة الانوار
تجل ان تصطادها الفهوم
وحسن ظن نحوه والشوق
ولم يكن في كتبه بئالفه
متى تشم العنبر الفويسقة
كفى الذي ورد فيه من عتاب
وسد عنه باب كل خير
اياك منه طالب الفلاح
اخا ولاية على السدوم
ففي مسائه يرى الطلاح
كر الزمان عاسفا وسط الفلا
اركانه اختلت من الاساس
ان قياس ذا على ذا خطا

فهل تكايل دنان بقـدح
فانه يـخبط في المـذاهب
حتى راوا ان لاولي في الوجود
الاولياء عـدد منقـسول
لكن اذا ذكر فردا نـكروا
لواحد من خلقه معلوم
وحسن ظن لم يكن ينصرهم
لم يك من شرابهم ريانا
على شفا يورثني الشقاوة

كيف يقاس حكم روح بالشبع
من قاس بالشاهد كل غائب
ثم رمت بهم قذائف الجحود
ومع ذا فكلهم يقسول
وبعضهم يرون ان قد كـثروا
وليس يصعب سوى التسليم
لكون وصف بشر يقهرهم
فكل من لم يكن الصديانا
قد كنت في غياهب الفباوة

الى آخر ما تقدم في ترجمة الشيخ الالفى وقد ذكر فيه كيف
التقى معه وفنى فناء مطلقا فيما ءانسه من عنده وقد قال في
آخر ذلك :

الى وصول خالق العباد
ومن غيون النفس والاسقام
من التأنس برب الكل
بشبهه ولا بفهم منكنا

ولم يزل بنا على الارشاد
فزال ما بنا من الالام
ورجعت ارواحنا للاصل
ولذة الحضرة ليست تحكى

الى ان قال

من كل ما يقطع عن سنا ونور
والختم بالحسنى وكثرة المنن
عين الوجود قطب كل مدد
والال والصحب ومومنى البشر
فريد عقد الواصلين الاوحد
ازاء خير المرسلين الاصفى
من المراحل الى خير الانام
فانتعش القلب لديه جهرا
وقاه ربنا من الضلالة
بنا ورحب بنا ولدانه
حسنا ومعنى واضنا الزمان

رزقنا الله سلامة الصدور
والصدق والتديق والظن الحسن
بجاه سيد الورى محمد
صلى عليه الله ما لاح القمر
وجاه شيخنا السعيد الاسعد
جزاه ربنا الجزاء الاوفى
اثنى العنان للذي فيه الكلام
بدار شيخنا نزلت ظهرا
بمعدر قبيلة السملالة
ومد نزلنا فرحت اوطانه
وكثر الفرح والاحسان

فصادفت نزولنا الافراح	والبشر والحبور وانشراح
بولد الخليفة المسدد	للفقراء سيدي محمد
مدته لم يلد الذكورا	فامتلا الاهل بذأ سرورا
انبته الله نباتا حسنا	وليسبلن عليه منه مننا
متبعا لسنة العدنانسي	مجتنبا طريقة الشيطان

هذا ما قاله الشيخ في رحلته التي هذبناها وسميناها (اصفى الوارد
في الرحلة الحجازية للشيخ الوالد)

الخطبة

وقعت في اضبارة من الاوراق في خزانتنا امكن لها ان تسلم من
الحريق المسلط على كل الاوراق المبعثرة في خزانتنا على بعض هذه
بخط الشيخ وفيها اربع صفحات فقط وقد سقط ما وراءها ولا
يعلم الا الله كم سقط من الصفحات وراء ما وجدناه والعجيب انني ما
سمعت بهذا المؤلف قط . حتى وجدت هذه الخطبة فجاءني ذلك عجا
ولو لم تبق الصفحات الاربع لما كان لذلك ذكر ولكن ان اراد الله الإبقاء
على اثر شيء ابقى منه ما يدل عليه فهاك ذلك كما هو

الحمد لله الذي اعطى اوليائه من الكرامات عوض ما اعطى انبياءه
من المعجزات وزينهم بخصائص يخص بها من يشاء من عباده ويفيضاها
على اهل محبته ووداده والصلاة والسلام على سيدنا محمد يا قوتة
الاسرار والانوار ومعدن كل خير يكون في الاخيار والابرار ومنبع
علم تجلى به الاصدقاء والاغيار . وعلى آله واصحابه وتابعيهم باحسان ما
دام الليل والنهار . وما جرت بخمر لذة للشاربين وعسل مصفى في الجنان
الانهار وطلعت في وجوه المتحابين على سرر متقابلين الاقمار وتفتقت
عن الحلل على ما اشتته نفوسهم فيها الازهار وتفردت في دوحتهما
الفيانة بالحن تنعش ارواحهم الاطيار وحطت عنهم في دار الهناء والامان
والخلود التكليف والاوزار وعلت بالحدود العيس عند ورود الحبيب
واحبابه الى باب الجنة الاسوار . يرحبن شوقا وعشقا بمحمد واتباعه وفيهم
المهاجرون والانصار وتنافسن في حبهن وعشقهم ولا كعشق اهل الدنيا
الذي تحكيه الاشعار وهي هدايا لهم ازواجا لكن مهرها ليس كمهر

بنات الدنيا الذي تغليه الاسعار وهي ذوات الغنح والدلال قاصرات
الطرف اتراب على كراسي تطير بهن ايكار . لم يطمئنهن انس قبلهم ولا جان
ولا حل من حللن لاحد الازرار وقضيت لاهل الجنة رغبة ومحبة
وعشقا من جميع الاشياء الاوطار ووافتهم بالدخول في اي صورة
حسنة اعجبتهن في اسواق الجنة الاطوار وجادت باثمار اصلها من
السماء وفروعها متفرعة على رؤوسهم الاشجار وتطيب بعابق المسك
الذي هو تراب لها كما تلالا الدر الذي هو لها احجار وتنعمت للعارفين
بالله في جنات المعارف لا الزخارف في مقعد صدق الافكار وغابوا عما
تزخرت به الجنة من الحور والولدان والويدان والكيسان والاوناس
بمحبوبهم اذ اسبغ عليهم من نعمه ما لم يسبغ على غيرهم مما لم تحط به
الاقلام والاحبار وكانوا مع الله وفقدوا عن اهل الجنة كما فقدوا عن
اهل الدنيا فلم يوجد لهم خبر ولا اثار وذلك لمن كان ظاهره وباطنه لله
وبالله ومن الله وفي الله من الكبير المتعالى اكرام لهم وايشار وانقطعت
عنهم بلذة شراب كأس التوحيد والتفريد الليالي والايام والاعصار وتدفقت
عليهم حياض المعارف واللطائف بلا تكييف وتتابع عليهم بها الامطار
لما نالوا في الدنيا من مناجاة الله تعالى لما هجروا الاوطان والاخوان والولدان
وهاموا في البلدان والويدان وسلبتهم المحبة والشوق والاذكار وانتبهوا
اذ غفل الانام واستيقظوا اذ ناموا وارتحلوا اذ اقاموا واحسنوا اذ اساءوا
وشكروا اذ كفروا وصبروا اذ حقروا واقلعوا اذ كان للناس في المعاصي
المراتع والاصرار واشتاق اليهم لما تجلى فيهم حسن الكمال الارض
والسماء والاشجار والاحجار والاطيار والاقمار والامطار والاسحار
وتزاحمت عليهم بالكرامات الظاهرات الباهرات النيرات الاشفاق والاورار.
وتولاهم بولايتهم اذ صدقوا في محبته وخدمته لما ابتلاهم بما فيه لهم الاخطار،
ومنهم من سجن او قتل مصبورا او هجرا وحقر مقهورا وجلب عليهم
بخيله ورجله الانكار . وطابت لهم بلذة محبة الحبيب التي غيبتهم بسكر
شرابها في كيسان الالخان بحانها النار فقرأ لوح الكون كما قرأه خير
البرية باسم ربه اذ نزل عليه جبريل وحواه الفار وتوجوا بتاج الوراثة
النبوية الباطنية التي لم تفشها الاخبار وما ذلك على الله بعزيز انه على
كل شىء قدير وبالاجابة جدير وبعد فيقول العبد الفقير الدليل
المحتاج الحقير . علي بن احمد الدرقاوي طريقة غفر الله له ولوالديه
ولشايعه وللمسلمين بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى من

تبعهم باحسان الى يوم الدين قد تكررت علينا اشارة الى تقييد مناقب شيخنا الاسعد وقدوتنا الاوحد فريد عصره ووحيد دهره مربى المريدين وموصل السالكين الجامع بين الحقيقة والشريعة والجذب والسلوك والفناء والبقاء . والسكر والصحو . على احسن احوال الواصلين سيدي سعيد بن محمد المعدري وطنا السملالي قبيلة وقد كان اخونا في النسب الفائق في الادب الاغر النزيه محب اهل الله حيث كانوا وباذل جهده في اصول المعالي اذ بعد الناس عنها وبانوا الذي سلمت له في زمانه الاجادة واوت الى عرصاته الافادة وشاد من قصور الدين مع قلة عمره ما لم يشد غيره مع كثرته على خرق العادة وخلف ما يجري عليه من تعليم العلم والاحباس والولادة . سيدي ابو عبد الله ابن عبد الله بن صالح رحمه الله تعالى ورضي عنه قال لي انا اعمل لكم اسم كتاب مناقب شيخكم وهو (المبدىء المعيد) ومضى عليه ثلاث سنين او اربع الى الآن وكان في حياته يحرضنا على تأليفه جدا لما فيه من المحبة الراسخة والمودة الشامخة وتأنيت لما رأيت في نفسي من عدم الاهلية لذلك . وبعد امثالي عما هنالك الى ان رأيت الاذن من الغيب الذي لا يجىء منه شك ولا ريب . واخبرني بعض من اثق به من اخواني انه رأى ذلك فأكد عليّ في تقييد مناقبه فجمت رجلي في طريق التقييد واخليتها من التغميض والتعقيد . لتنعش بذكر احواله ارواح جميع الاخوان ، الذين شربوا الخمرة الربانية على يده على رؤوس الاشهاد والاعيان وحصلت لهم منه رتبة الصحبة التي بها تنال المن من المنان فان اصحاب الاولياء كأصحاب الاخيار يرثون الاسرار والانبياء بقدرهم والاولياء بقدرهم ولذلك قيل من كفر بولي زمانه فهو كمن كفر بنبي زمانه لانه يحرم ما عنده من الخير ومن صدق ولي زمانه فهو كمن صدق نبي زمانه فانه يغنيه حياة ومما وما خص من خصه شيء الا من عدم التصديق وعدم الظن والتصديق يكون من عدم التحقيق وعدم الظن وعدم حسن في الشيء يكون من عدم المعرفة بانه اجود ما يكون واما من علم افضلية شيء فلم يمكن ان لا يرغب فيه هذا ما وجدناه محفوظا في تلك الاضبارة ولا يخلو من فوائد حسنة وقد انقطع اسفل الورقة ما في تلك الاضبارة

كراسة العلامة ابن مسعود

لكن الذي تيسر له أن يخلف لنا اثرا لا بأس به في ترجمة الشيخ المعدي هو الاستاذ محمد بن مسعود فاصح اليه وتنبيهه لتثبته في النقل لتعلم مقدار ما له من التحري قال (هذا ذكر ما تيسر من الاخبار الماثورة) على السنة الفقراء عن الشيخ الكبير العارف الشهير ذي القدم الراسخة والاثار الشامخة في طريق القوم رضوان الله عليهم ابي عثمان سيدي سعيد بن محمد السملالي ثم المعدي قدس الله روحه مما تعلق بما اظهره الله على يده من الكرامات او بما يحتاج اليه في علم الطريقة من سنى المذاكرات وسردته سردا على حسب الوقت من غير ترتيب ولا تبويب فالحق ينفع بذلك الواقف عليه ءامين فمن ذلك ما اخبرني به ولده ابو عبد الله قال : اخبرني بعض الفقراء ان الشيخ رضي الله عنه ذهب الى قرية فخرج اليه صبيانها فأعطاهم ما يفرحون به وجعل يباسطهم فخرج اليه بعض اهل القرية وقال له اذ كان لا يعرفه هل انت طبيب فان لي ولدا مشرفا على الموت بحال غير مرضية فقال الشيخ نعم انا طبيب فذهب معه الى ذلك المريض فجعل يده عليه وجعل يقول الله الله الله قال ولده ابو عبد الله وكان يعني الشيخ من عادته انه انما يرقى باسم الجلالة قال ففي الساعة شفي المريض وجلس ثم انه جاء من عرف الشيخ فقال لهم هذا فلان فقال لهم الشيخ اني طبيب للقلوب ايضا فتبركوا به اعني اهل القرية وتلقنوا منه الذكر وظهرت عليهم بركة ذلك والحمد لله تعالى (ومنها) ما اخبرني به ولده ابو عبد الله ان الشيخ سيدي سعيدا قال لزوجه السيدة خديجة رضي الله عنهما من اراد ان يربح اليوم في سيدي عبد الله بن سعيد يعني الشيخ المدفون خارج البلدة فليذهب ليصرف الماء عن رأسه وكان اليوم مطيرا جدا وبين محل سكناهم ومدفن الشيخ المذكور مسافة بعيدة لها بال قال فذهبت السيدة زوجته بمكتل وءالة حفر فوجدت سقف القبة التي عليه اذ ذاك قد دخل منه ماء المطر وقرب ان يدخل الى رأسه من جهة رأسه فاصلحته وكان الموضع خاليا لا عمارة به. قال فقال لها الشيخ سيدي سعيد ان سيدي عبد الله بن سعيد من الصوفية وهو محبنا في الله او من احبابنا في الله قلت وكذا سمعت بعض الاخوان ممن صاحب الشيخ سيدي سعيدا يذكر عنه انه قال في

سيدي عبد الله بن سعيد المذكور انه من الصوفية او ما يودي معنسى ذلك والله اعلم (ومنها) ما اخبرني به ولده سيدي ابو عبد الله عن بعض الفقراء ممن صحب الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه انه قال الشيخ ان سيدي فلانا يعني بعض الفقراء المعاصرين له زعم ان الذي في مغربنا هذا من اولياء الله تعالى خمسة وسبعون وليا ، فقال له الشيخ سيدي سعيد ذلك هو العدد الذي اطلعه الله على عدده . بل ذلك القدر موجود في خصوص هذه القرية يعني المعدر من الاولياء الذين لم يكتب القلم عليهم شيئا يعني من خصوص الصبيان . يعني فضلا عن غيرهم وغير من في القرية ثم قال له الشيخ ما معناه يمكن ان يجتمع الف ولي لله تعالى يتساءلون فيما بينهم عن ولي مخصوص فلا يعلم احد منهم بولاية غيره وقد لا يعلم بها هو ايضا في نفسه وقال ايضا ان الاولياء على وجه الارض مثل النجوم في السماء في الليلة المصحية . يعني في الكثرة والله اعلم (ومنها) ما اخبرني ولده سيدي ابو عبد الله عن اخبره من حضر وفاة الشيخ من الفقراء ببلدة افران ان بعض الفقراء سألوه وهو مريض مرض موته هل يحملونه الى بلدته بعد موته ليدفن فيها ؟ فاجاب بما قال في اخره العبد لله، والارض لله يشير لهم الى دفنه حيث يتوفى قال ومما جرى على لسانه قرب الوفاة من المذاكرة انه قال خرجت روحي من محلها منذ يوم الجمعة وما بقى يخاطبكم ويجاوبكم الا الروح فوق الشبح بقدرة الله تعالى وقال اذ ذاك ايضا قد اجتمع يعني في تلك الحال عليه اولياء الله تعالى الاحياء والاموات وقالوا لي يا فلان ما استخرج احد في بلاد المغرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم ما استخرجته فيها من المياه يعني اسرار القلوب وما يفتح الله على اربابها من انوار الايمان والعرفان والحكمة الربانية والمعاني الوهية وقال ايضا كل من رزقه الله لقاءنا قد كحلنا عينه يعني انه استمد منه كل من صحبه حتى استنارت بصيرته كل على قدره وهمته وقابليته وقال ايضا كل محل زرنا فيه البذر قد انبتته الله تعالى وما خبنا الله فيه حتى ما زرناه في دمنة المزبلة يشير بذلك الى من ضعفت قابليته وتوجهه واخبرني ولده ابو عبد الله المذكور ايضا قال سمعت بعض من صحبه من الفقراء يحكي رؤيا حصلها انه رأى في النوم بعض اعيان قبيلة الشيخ في حالة حسنة وثياب مستحسنة وهو بين جماعة من الفقراء فقال له كيف انت ؟ فذكر خيرا قال فقلت له بأي شيء نفعتك الله ؟ قال بهؤلاء السادات الذين انا

بينهم قال وقص الرؤيا بعد تلك الليلة على الشيخ سيدي سعيد فقال له الرؤيا صحيحة . فان الرجل المذكور ممن ينتسب الينا ولقناه الذكر وقال ايضا ومما قاله الشيخ سيدي سعيد في مرض وفاته للفقراء : ان كان ما نحن عليه بالله فلا ترون فيه الا الزيادة فوق ما رايتموه وان كان من الظلمة فانه سيحمد ويضمحل . قلت يشير الى ان ما هو عليه من ارشاد العباد ودعائهم الى الله تعالى ان كان حقا من حق فلا يزداد الا سموا وانتشارا بانتشار نور الاتباع رضوان الله عليهم وان كان باطلا فللباطل جولة ثم يضمحل وهذا نحو ما في حديث البخاري الذي فيه ان هرقل سأل ابا سفيان عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ايزيدون ام ينقصون؟ فقال بل يزدون الحديث وذلك مما عرف به هرقل صحة نبوته صلى الله عليه وسلم من العلامات قال ولما تحقق منه الفقراء قرب الوفاة بكوا فقال ما يبكيكم ؟ قالوا كراهة الفراق فقال ان عرفناكم الله فالله باق وان عرفناكم نفوسنا فقد ظلمناكم يعني ان احلناكم ودللناكم على التعلق بالله والانحياس اليه والتوكل عليه كما هو فائدة الصحبة فلا يضركم مفارقة غيره وهذا نحو ما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته المعروفة للصحابة لما طاشت الاحلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل (الاية) قال وقال الفقراء حينئذ للشيخ سيدي سعيد ما معناه انهم يسئلونه تعيين من يقوم بامر الفقراء بعد فقال لهم ان طلعت الشمس فكل احد يراها حتى الاعمى يحس بحرها في ظهره . قلت يشير رضي الله عنه الى ان المدار على ظهور الانتفاع في الطريق فكأنه يقول لهم من ظهر انتفاعكم بامداده وكلامه لا تنكرونه انتم ولا غيركم اي لا يخفى عليكم وهذا كقول بعض العارفين شهود النفع بهم يحصل القطع بخصوصيتهم وقد قرروا هذا المعنى بما يراجع في محله . وهذه هي الكرامة في الحقيقة . والبرهان الساطع على انتهاج محجة الطريقة . واخذه بعض الصوفية من حديث عرفت فالزم . قلت وهو نحو قولهم من فتح له في شيء فليلزمه والله تعالى اعلم والله در من قال :

فمن سرى سره في سر تلميذه فذاك هو فلا تبغ به بدلا

فاذا استبان السالك وتحقق من نفسه الاستمداد من نور من رزقه

الله صحبته . فليعلم انه رزق البغية فليشد عليها يد الضنين فانه باب
الله تعالى في حقه فان فارق الباب فقد اساء الادب وانتهج طريق
الهلاك والعطب واستوجب سوء الحرمان ولو اتى الحضرة من غيره
من الابواب والله تعالى يلهمنا حسن الانابة والمثاب ويأخذ بأيدينا
ءامين قال ولما توفى الشيخ رضي الله عنه اجتمع الناس للصلاة عليه
من اسفل وادي افران . بسبب اخراج البارود في قراه في كل جهة . على ما
هو العادة عند ارادة اجتماع الناس من بعيد . مع انه لم يأمرهم بذلك احد .
ولا اعلّموا بوفاته حينئذ وكان صائحا صاح فيهم بذلك مع كون الوقت
مظنة ان لا يجتمع مثل ذلك لكون الوقت وقت سحب ومطر وقد قال
بعض السلف يخاطب المبتدعة : بيننا وبينكم الجنائز يشير الى ان كثرة
الناس فيها اماره على حسن حال الميت وصلاح سريره وهذا امر
معروف وفي كتب التاريخ موصوف واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله
المذكور عن والدته السيدة خديجة رضي الله عنها انها رأت رؤيا والشيخ
سيدي سعيد اذ ذاك مريض مرض وفاته في افران وهي في بلدة الشيخ
(المعذر) حاصلها انها رأت عروسا ارادت الركوب على شيء فرفعت
السيدة رجل العروس بيدها لتعينها على الركوب قالت وكنت اظن
ان المركوب هو الفرس فنظرت فاذا هو النعش الذي يحمل عليه الميت
فقالت لولدها ابي عبد الله المذكور وقصت عليه الرؤيا لعل والدك قد
مات ثم اخبرت بعض الاخوان الافاضل ممن حضروا وفاة الشيخ سيدي
سعيد وقالت له رايت بعد ذلك النعش مطروحا على الارض والناس
يحفرون القبر للميت الذي عليه . وتلك الارض من صفتها كذا وكذا فقال
لها ان الارض التي دفن فيها هناك هي على تلك الصفة قلت ذكر العلامة
العايشي في (الرحلة) ما اظن ان حاصله ان بعض مشايخ العجم اصطلاحهم
في التعبير عن وفاة مشايخ الطريق انهم يقولون اعرس فلان وقت كذا
ولا شك ان اكبر الافراح عند اولياء الله تعالى هو فرحهم بقاء مولاهم
فان الدنيا انما هي سجن لهم واشباحهم فيها قفص لارواحهم وان كانوا
فيها في نعيم الشهود فزال بقية الحجاب بالرحيل عن الاشباح وهو
غاية نعيم الارواح ولما كانوا هم صفوة الله من خلقه وواسطة سلك
المتقين من عباده وهم محل نظر الله من العالم وبهم يرحم الناس
ويمطرون وهم احباؤه المقربون صاروا في التشبيه التقريبي كالعروس
في النساء المهديات في الزفاف ولذا جاءت الرؤيا في عالم النوم على نمط

التشبيه المذكور وجرى الاستعمال على ذلك ايضا في كلام اهل الطريق
كقولهم اولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون وكما في نحو ما
ذكره بعض المؤرخين ان الشيخ العارف الكبير الشهير سيدي احمد
الرفاعي رضي الله عنه . لما مرض مرض موته . قال له خادمه تجلى العروس
في هذه المرة قال نعم قال فقلت له لماذا ؟ قال جرت امور اشتريناها
بالارواح اقبل بلاء عظيم على الخلق فنحمله عنهم الى غير ذلك والله
اعلم واخبرني سيدي ابو عبد الله المذكور انه حضر لما استخرج والده
الشيخ سيدي سعيد رضي الله تعالى عنه من قبره بعد عامين الا نحو
شهرين من وقت دفنه وقال انهم وجدوه كما دفن لم يتغير منه
شيء قال : ولما اردنا حفر قبره . وقعنا على قبر اخر نظنه قبره فشرعنا
في حفره فانقبضت من ذلك قلوبنا فتنبهنا الى انه ليس قبره قال
ففتشت فوجدت قبره فحصل لنا حينئذ بسط وفرح ونور انس
وانسراح نحو ما يقع عند ملاقة ارباب القلوب من الاحياء فما شككنا
انه من تلقائه قال وفي غد الليلة التي رفعناه فيها من قبره رأى بعض
الفقراء من اهل افران رؤيا حاصلها انه رأى الشيخ وهو كالقمر باعلى افران.
وهو يقول ما جرت به العادة في التوديع ويخاطب اهل افران ويقول ما
معناه . استودعكم الله هاانا ذا ذاهب الى بلدتي . او ما يقرب منه . وقص
الرؤيا على الفقراء بالزاوية هناك وبمجرد ما قصها عليهم جاءت امرأة
واخبرتهم ان على قبر الشيخ اثر النباش فذهبوا فنبشوه بفتوى بعض
الفقهاء فلم يجدوه في القبر قال الراي المذكور . ولما نبشنا القبر تلقته
منه رائحة طيبة لا اعلم لها نظيرا واخبرني السيد ابو عبد الله ولد الشيخ
انه لما قرب رفعه من قبره الى بلدته . رآته زوجته السيدة خديجة في النوم .
وهو يقول لها قد اتفق اولياء الله تعالى الاحياء والاموات على ان ننقل من
هنا الى هناك يعني من بلدة افران الى بلدة (المعدر) باذن الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم قالت فقلت له ألسنت بميت ؟ فكيف نفعل بك فقال
لها اصنعوا صندوقا من هذه الخشبة من الارز التي في مربوط الدواب هناك
اي في داره بالمعدر واغسلوا الصندوق قال ولده ابو عبد الله وكانت
هناك خشبة مطروحة فوق الزبل بمربط البهائم فيسر الله تعالى صنم
الصندوق منها في اقل مدة على وجه جزم صانعه انه من خرق العادة مع
انه لم يعلم ما اريد من الصندوق واتفق ان الطرف الموالي من الخشبة
لزبل الدواب كان داخل الصندوق فاحتيج الى غسله وظهر ما اشار

اليه الشيخ في الرؤيا رضي الله تعالى عنه ورأت زوجته ايضا قبيل رفعه من افران . رؤيا حسبما اخبرني ولده ابو عبد الله المذكور حاصلها انها رأت انه امتد من بلد افران الى مدفن الشيخ الآن بالمعذر قوس قزح . وهو الذي يسمى بلسان عامتنا عروس المطر ثم انقلب انبوبا عظيما يجري منه ماء صاف ابيض من الثلج وينصب في تلك البقعة التي هي مدفن الشيخ في المعذر والماء يجتمع ويرتفع الى جهة السماء ولا ينتشر في الارض ثم رأت الشيخ سيدي سعيدا اتى من الانبوب المذكور ووقف في الموضع الذي ينصب فيه الماء وقال ان الماء قد جمعناه جميعه هنا وهذه الرؤيا هي سبب تعيين السيدة للبقعة المذكورة التي دفن فيها الشيخ رضي الله عنه . واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله قال حاكيا عن والدته المذكورة ان سبب رجوع الشيخ الى طريق الصالحين في بدايته وهو شاب انه كان لهم جار صالح في مسكنهم اذ ذاك وهي القرية التي تسمى (بوتوميت) خارج المعذر . فورد على ذلك الجار الصالح بعض اخوانه الصالحين فجعلوا يتحدثان والشيخ سيدي سعيد يسمع محادثتهما ومذاكرتهما فيما يتعلق بطريق الصالحين فأحب الاجتماع على تلك المذاكرة الا انه لم يتيسر له الجلوس معهما وكان ذلك الجار فقيرا فذهب اليه سيدي سعيد ببعض ما عندهم من الاوطاب الكبيرة المعدة لمخض اللبن . وهو مملوء لبنا مخيضاً . وفيه من الزبد ما خرج من ذلك اللبن فنقر باب الجار المذكور . فخرج اليه فأعطاه ما ذهب به اليه فلم يقدر على رفعه من الارض . فقال له احمله معي الى داخل الدار . فحمله له . فوجد زوجته وكانت صالحة ايضا قد هيات لزوجها وضيغه طعاما بلا ادام فلما رأت ما اتى به الشيخ سيدي سعيد دعت له بأن قالت يا اخي يا سعيد سقاك الله من عين النبي صلى الله عليه وسلم . وجعل عينك من عينه صلى الله عليه وسلم تستقي منها الامة . او ما يقرب من هذا قال الشيخ : فاحسست اذ ذاك بذاتي لها ارتعاش . وورد علي من دعوتها حال . فخرجت فوجدت ضيفهم الرجل الصالح في دهليز الدار فخفض رأسي وضرب بيده بين كتفي ثلاث مرات ودعا لي بمثل ما دعت به المرأة المذكورة سواء . وخرجت من عنده . فلبثت بقية الليلة ساهرا وانا بحال خشوع وبكاء . وتوجه الى الله . والقي الله في قلبي كراهة من كنت اصاحبهم على الغفلة واللهو وكان له اقران يشتغل معهم بما هو العادة في الشباب . من اللهو والصبوة . قال : وفي غد تلك الليلة رأى ناقة لبعض جيرانهم وجلد

امراته اخرجتها للرعى وكان الوقت صيفا ولها طفل رضيع يخشى عليه من حرارة الهواء فأمرها سيدي سعيد ان ترجع بالطفل وكفاهها مئونة رعي الناقة فدعت له بمثل تلك الدعوة ايضا قال فأحسست بذلك الحال . وقد زاد علي جدا قال وفي غد ذلك اليوم وجد زوج تلك المرأة صاحبة الناقة المذكورة وقد رعاها ولحقه من رعيها ضرر الشوك في الغابة اذ ذاك ولا نعل له . وكان اعرج يمشي بظاهر قدمه . فاعطاه الشيخ سيدي سعيد نعلا ينتعلها قال فدعا لي بمثل تلك الدعوة ايضا واحسست ايضا بزيادة ما ورد على قلبي . ومن حينئذ كرهت الدنيا وما انا عليه من رعي البهائم . وجئت انا وصاحب لي الى بيت في دارنا بالمعذر وانقطعنا الى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى ادرك منها صاحبي حلاوة العسل . بحيث كان فمه يجري بها وهو لا ياكل ولا يشرب . استغناء بذلك عن الاكل والشرب . قال ثم بدا له فلحق اعني الشيخ سيدي سعيد بالصالح المشهور المتبرك به الفقيه سيدي ابراهيم (1) الولياضي رحمه الله فتلقن منه ذكر السادة الناصرية وجلس عنده في بلدته ليتعلم القرءان ثم اتاه والده واتى به الى المعذر كرها فقعد في المعذر يتعلم القرءان . وكان في (المعذر) اذ ذاك الصالح المشهور المتبرك به صاحب الكشوفات المشهورة . ابو عبد الله الفقير محمد بن عبد الله . دفين (المعذر) رحمه الله تعالى فذهب سيدي سعيد اليه ونيته الاخذ عنه واتخاذه شيخا فاجابه مكاشفة بمثاله بان قال له هذا الماء القليل الذي عندي ليس لك فيه مقنع . هذا يسير . ما استخرجت انا منه الا ما ينقذني من العطش . قال فقلت له كيف وقد سجت نفسك في هذه الخلوة اربعين عاما قال فقال لي هذا ما وصل اليه مقامي . واما انت فالعين التي تشرب منها وتأتي منها بالماء وتسقي بها الى السودان هي فيما وراء وادي ام الربيع يعني النهر المعروف وانما انا شيخ نساء يزار لطلب الاولاد وتدفع اليه نذور يسيرة كالدجاج ونحوها وانت شيخ بقر واكباش يعني تنذر لك النذور المعتبرة وهذا على عادة السيد الفقير ابي عبد الله محمد بن عبد الله المذكور من خلطة الجد بالهزل مع ان كلامه اشارات كما هو معروف من حاله رضي الله تعالى عن الجميع قال وكان سبب اتصال الشيخ سيدي سعيد بشيخه الامام العارف الشهير الفقيه ابي

(1) توفى نحو 1248 هـ

العباس سيدي احمد بن عبد الله المراكشي رضي الله عنه مريد الشيخ
سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه . انه كان مع زوجته السيدة
المتقدمة في خدمة حصاد فمر عليهما بعض تلامذته من فقراء المدر
ممن كان يرد عليه في مراكش فسأله الشيخ سيدي سعيد هل تعرف يا
فلان شيخا يأخذ بأيدينا ويوصلنا الى الله تعالى فانك سلكت البلاد
بالسياحة . فقال له ذلك الفقير : متى تهيأت لذلك ذهبت معك الى حاجتك
فقال له سيدي سعيد : نذهب غدا فذهب ساعته واتى بدين له على
رجل قدره ثمانون مثقالا وضمه الى شيء آخر من نحو امتعة ولباس
فذهب وانفق ذلك كله عند شيخه المذكور في مراكش وبقي عنده تلك
المرّة الاولى اكثر من عام . قال وسمعت يوما الفقراء هناك يقولون ما حاصله:
من لم ينقطع الى الله . ويتخل عن الاهل والمال والولد فليس له من هذا
المعنى نصيب قال فهمت بما اشاروا اليه وارتدت تطليق الزوجة
والتخلي عن الاولاد والبلدة بالكلية . فكوشف الشيخ سيدي احمد بن عبد
الله بما في نفسي فناداني وقال يا سيدي سعيد يا سيدي سعيد لا لا
يا سيدي سعيد اترك زوجتك بحالها ومالك بحاله وامش وجيء فما
ملكك الله من هذا المعنى ورزقك سياتيك يعني تردد الينا ولا تتخلف عن
صحبتنا بحسب الامكان مع قضاء حق الاهل والولد ايضا فقبلت رأس
الشيخ قال سيدي سعيد وهذا هو ملاك الامر وهي بقاء المريد تحت
نظر شيخه ولا يعمل باشارة كل فقير وما يسمعه من مذاكرتهم قلت
ونحو هذا مذكور في رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله تعالى
عنه . ووجهه ظاهر لاختلاف الانظار والافهام . وكل احد لا يشير الا بحاله .
والمتطبب قد يفسد اكثر مما يصلح اللهم الا فيما تتفق عليه الجماعة من
غير شوب ولا حزازة او فيمن يوكله الشيخ على التعيين يقدمه للنظر في
الامور جملة والله تعالى اعلم وسمعت ان الشيخ سيدي سعيدا زجر
فقيرا امره الفقراء بخرق العادة في المدر . على وجه يخاف عليه فيه من
الرجوع الى وراء . وقال له لا تفعل الا ما امرك به ولا تنظر الى ما يقوله
لك الفقراء في غيبتني او كما قال قال ولده سيدي ابو عبد الله حاكيا عن
والدته انه لما رجع من تلك السياحة الاولى وجد ولده ابا عبد الله طفلا
رضيعا يقوم على قدميه فقال لزوجته اخبرني الشيخ سيدي احمد بن
عبد الله لما ودعني انك ستجد ولدا يزيد عندك فسموه محمدا او كما
قال . وقد وجدتم سميتموه كذلك . وسألته زوجته هل يخطر في قلبك

في سياحتك امر ما تركته من والديك وزوجتك ومالك فقال لا ولو طرفة
 عين الا مرة واحدة كنت في خلوة الذكر عند الشيخ سيدي احمد بن عبد
 الله وكان الوقت وقت مطر كثير فتذكرت مطمورة لي مملوءة من
 الشعر وخفت ان يدخلها ماء المطر لكونها تحت ميزاب ماء المطر
 فارسل الي الشيخ في الحين وقال لي هل خطر امر من بلدتك في قلبك ؟ فقلت
 نعم يا سيدي فقال اذهب اليها وارجع اليها قال فجئت الى البلدة
 فوجدت المطمورة سالمة. واخبرني ولده ابو عبد الله عن الشيخ سيدي سعيد
 انه لما حضرت الوفاة الشيخ سيدي احمد بن عبد الله سألته فقراؤه من
 هو وارث سرك ؟ فترك الجواب. فلما الحوا عليه. وقالوا خفنا الخلاف فيما بيننا
 ان لم تعين لنا من هو الوارث فقال لهم : هو سيدي سعيد السوسي
 يعني المعدري وبذلك يعرف عندهم فقالوا ما حاصله : ماذا يفعل اهل
 سوس بطريق الصوفية ؟ فانهم اهل شح وبخل لا كرم لهم فقال لهم
 والله والله والله ان الشمس ظهر ضوءها في سوس باذن الله ورسوله صلى
 الله عليه وسلم على رغم انف من ابي او كما قال مما يؤدي هذا المعنى
 فقالوا له الى متى يبقى هذا السر عنده ؟ فقال لهم الى وفاته فان ورثه
 عنه اولاده فقد بقي لكم هناك والا رجع اليكم ولما توفي الشيخ سيدي
 احمد بن عبد الله صار الشيخ سيدي سعيد رضي الله تعالى عنهما يتردد
 بالزيارة الى الشيخ العارف الشهير مولاي الطيب ابن العارف الشهير
 البدر المنير القطب الاشهر السر الازهر ابي حامد مولاي العربي بن
 احمد الدرقاوي رضي الله عنهما وذلك بوصية من شيخه سيدي احمد بن
 عبد الله المذكور وامره له بذلك وقد جاء مع الشيخ سيدي مولاي الطيب مرة
 الى المعدر ومكث في دار سيدي سعيد ثلاثة ايام ثم ذهب الى زيارة
 ضريح الشيخ الشهير سيدي احمد بن موسى السملالي نفعا الله به في
 (تأراوات) فزاره ورجع وكان الشيخ سيدي سعيد تلقن ذكر الطريقة
 الدرقاوية اولا من الشيخ العارف بالله سيدي الحاج محمد ابي البيضات
 الهشتوكي البلغاعي رحمه الله تعالى وهو عن الشيخ سيدي احمد بن عبد
 الله المذكور ثم ندبه بعض الفقراء الى الاخذ عن سيدي احمد بن عبد الله
 المذكور واخبرني بعض الفقراء ان سيدي سعيدا زار سيدي احمد بن
 عبد الله في جملة فقراء في صحبة سيدي الحاج محمد البلغاعي فلما رجعوا
 وكانوا ببعض الطريق سألهم سيدي الحاج محمد وقال لهم ايها الفقراء
 اي طريق نسلك من هاتين ؟ فقال له سيدي سعيد يا سيدي انت شيخنا

فأي طريق امرتنا بها سلكنها فقال له كيف اكون شيخك وقد استبدات بي ؟ قال سيدي سعيد ما حاصله : انما حفظني الله تعالى والا فقد خيف علي وعلى حالي ان يكون هباء منثورا او كما قال يشير الى ما قيل في مثل ذلك غر فسلم وواقعة الشيخ زروق مع شيخه الزيتوني رضي الله عنهما معروفة واخبرني سيدي ابو عبد الله عن والده الشيخ سيدي سعيد قال ان سيدي الحاج محمدا المذكور كان يستشير النبي صلى الله عليه وسلم في كل امر يريد ان يفعله قلت وسمعت من بعض الفقهاء ان سيدي الحاج محمدا المذكور كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وكذلك كان الشيخ سيدي سعيد وحكى لي قصة تدل على ذلك وذكر مع ذلك ما يفيد ان سيدي سعيدا اكبر منه مقاما جدا وهذا المخبر من فضلاء الفقهاء المصاحبين للشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه واخبرني ولده ابو عبد الله عن الفقير الفاضل المعروف بالكشوفات الصادقة سيدي مبارك بن بكّة التزني رحمه الله تعالى انه قال له : كنت مع الشيخ سيدي سعيد مرة في مسجد فرأيت المسجد ممتلئا برجال كلهم على صورة سيدي سعيد الخاصة به . بحيث تقول في كل منهم انه هو قال فاخبرت سيدي سعيدا بما رأيته من ذلك فقال يقع للولي اكثر من ذلك بحيث يتفرع عن ذاته من الذوات الموافقة لها ما يملأ الكون واخبرني ولده ابو عبد الله عن امه انها قالت ذهب الشيخ سيدي سعيد مرة الى الجبال بلدة الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه فاخبرنا الجيران بعد ذلك بمدة انهم رأوه في سوق (المعدر) فانتظرناه وقت الرواح فلم يجرى الى الدار وبعد ذلك بمدة مديدة جاء من سفره فاخبرته بما قال الجيران من رؤيته في المعدر فقال يقع للولي خروج ذوات من ذاته ويظن كل واحدة منها انها هو . ويرى في بلد بعيد منه (1) . وقد لا يشعر الولي بذلك كله . واخبرني ولده ابو عبد الله عن الفقير الفاضل سيدي مبارك بن بكّة المذكور ان بعض الشرفاء قال للشيخ سيدي سعيد اخبرني اين يلتقي اولياء الله تعالى في الليلة الآتية وان لم تخبرني وضعت التراب على اذنك واخبرتك وهذا على لسان عامتنا يعبرون بوضع التراب على الاذن عن الاشعار بالغلبة . واعتراف المرء على نفسه بالاذعان للخصم فقال له الشيخ سيدي سعيد هذه اذني ضع عليها التراب فوضع الشريف التراب على اذنه وصار

(1) للسيوطي مؤلف في (تطور الولي والملك) وفي استبصار تيزم - عام الارواح - اليوم ما يؤيد هذا

الفقير سيدي مبارك المذكور ينفض التراب عنه ثم قال له سيدي سعيد
 ما الذي اردت بالاولياء عامتهم ام خاصتهم ؟ فان اردت عامتهم فمجتمعهم
 اي في تلك الليلة هو مسجد المعدر واما خاصتهم فهم في الاجتماع دائما
 لا يتفرقون قال بعض الافاضل من الفقراء يعني ان اهل الخصوصية
 دائما مجتمعون في حضرة الله تعالى لا ينفكون عنها ولا يتفرقون . واخبرني
 ولده ابو عبد الله عن اخبره من الفقراء المصاحبين للشيخ سيدي سعيد
 ان رجلا قال له في سوق تزيت : ارني هذا اليوم اولياء الله في هذه السوق .
 فأشار الشيخ سيدي سعيد الى رجلين يبيعان الفخار . وقال هذان منهم
 اما احدهما فمتسع الصدر واما الآخر فضيقه فذهب ذلك الرجل
 اليهما ووقف على الضيق الصدر منهما يساومه الفخار فأظهر انه سقطت
 من يده فخارة من اوانيه فانكسرت فطالبه ذلك الولي بشدة بغرم قيمتها
 فغرمها ثم ساوم الآخر المتسع الصدر وفعل معه مثل ما فعل مع الاول
 وكسر من اوانيه فخارتين فلم يبال ذلك الولي وكلما انكسر له اناء
 منها قال له انقضى اجله فارفع اخر غيره وقلبه ثم بعث الشيخ
 سيدي سعيد الى الرجل وامره بالانتهاء عن كسر اوانيه واخبرني
 ولده ابو عبد الله انه قال له والده الشيخ سيدي سعيد مرة ان الاولياء
 سيجتمعون هذه الليلة في مسجد المعدر قال ولده ابو عبد الله فذهبت
 سحر تلك الليلة الى المسجد المذكور فلما رجعت قال لي من لقيت في
 المسجد ؟ فقلت فلان وجدته في ميضاة المسجد وكان يتظاهر بنوع
 تفغل وبله . فقال هو منهم . قلت وسمعت مثل ذلك عن غير الشيخ سيدي سعيد
 في حق فلان المذكور والله اعلم واخبر ولده ابو عبد الله عنه انه اخبر
 جماعة من الفقراء انه لما لقي الفقيه الصالح المتبرك به ابا علي سيدي الحسن
 ابن احمد التيمنجيدشني رحمه الله تعالى سأله ابو علي المذكور وقال له
 من بلغ مقام ان تصرف ارزاق جميع الخلق على يده هل بلغ مقام ان يدعو
 العباد الى الله تعالى ؟ يعني بالتسليك والتربية المتعارفة قال له سيدي
 سعيد انما هو بمنزلة من جعله السلطان على علف بهائم فهو الذي تعرفه
 البهائم واما السلطان فيمر بينها ولا تلتفت اليه فقال له ابو علي فمن
 يصلح لدعوة العباد الى الله تعالى ؟ فقال له من يلقي واحدا منهم وقلبه
 مسود كقدر الطباخ فينظر فيه نظرة فتخرج تلك الكدرة كلها والظلمات
 منه قلت وهذه النظرة باطنية كما يخفى وهي في الحقيقة همة الولي
 العارف المخصوص تقلب بها الاعيان وتنفعل لها اشياء بقدرة الله تعالى
 ورائة نبوية

كل امر تعنى به قلب الاعيان فيه وتعجب البصراء
رب عين ثقلت في مائها الملح فاضحى وهو الفرات الرواء

وكأن ابا علي يشير بما ذكره من ذلك الى نفسه رحمه الله تعالى
واخبرني ولده ابو عبد الله عمن اخبره من افاضل الفقراء انه لما لقي الفقيه
الصالح العارف بالله تعالى ابو علي سيدي الحسن التملي ثم الايرازاني
برأس الوادي سكنى ومدفنا . الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه وتلقن
منه الذكر حصل له الفتح الرباني اذ ذاك من غير عناء ولا تعب قال
ابو عبد الله اخبرني الفقيه المذكور انه ختم القرءان الكريم اربعين ختمة
في اربعين يوما بنية ان يأتيه الله تعالى بشيخ عارف مسلك يلقي اليه
قياده وفي يوم اتمام العدد المذكور ورد عليه الشيخ سيدي سعيد وهو لا
يعرفه فسمعه وهو جالس مع بعض الفقراء في مسجد الفقيه المذكور يتكلم
على مسألة من الحقائق فالقى الله تعالى في قلبه ان هذا هو البغية المطلوبة .
فتلقن منه اذ ذاك واخبرني ابو عبد الله المذكور عن الفقيه التملي المذكور
ان الشيخ سيد سعيدا رضي الله عنه راوده على مصالحة الفقيه ابي علي
التمچيدشتي المذكور قبل اذ كان بينهما من التنافر والمهاجرة ما هو معروف
وكانت مدة ذلك سبع سنين وقد الم بعض الفقهاء الفاسيين في تاريخ له
بذلك ولم اثبت على تفصيل ما ذكره فوافق الفقيه التملي على ذلك
واجاب الى ما ندبه اليه الشيخ سيدي سعيد . فذهب سيدي سعيد الى الفقيه
ابي علي التيمچيدشتي فعرض عليه امر المصالحة ايضا وقال له ان احدكما
قريب الوفاة (1) فان لم تتوبا من هذا كانت وفاته على سوء خاتمة والعياذ
بالله . فقال له ابو علي التيمچيدشتي نشاور من كنا نشاركهم في هذا الامر .
فقال له الشيخ سيدي سعيد لا هذا الامر انما هو لله فلا يحضره الا انا
وانتما فاجابه ابو علي الى ذلك فقال سيدي سعيد والملاقة هنا في
بيتك فسأتيك بالفقيه التملي فذهب الى التملي فامر به بالذهاب معه
الى دار التيمچيدشتي لاتمام الامر فكأنه خاف من الذهاب اليه في داره
وقال له ما يؤمنني من القتل فقال له الشيخ سيدي سعيد فأي شيء
يقع ان قتلت الست بشيخك ؟ فقال بلى فذهب معه وتصالحا وانطفا
ما بينهما من ذلك الوقت وكذلك ما بين اتباعهما ببركة سيدي سعيد رضي

(1) كان التيمچيدشتي هو المتوفى وشيكا 1297 هـ . واما الآخر فلم يتوف الا 1308 هـ

الله عنه قال ولده ابو عبد الله اخبرني الفقيه التلميذ المذكور عن الشيخ
 سيدي سعيد انه قال اطلعني الله تعالى على ملائكة السموات السبع في
 تلك الساعة التي التقى فيها الفقيهان المذكوران وتصالحا وتسامحا فرايتها
 في غاية من الفرح بذلك السرور واخبرني ولده ابو عبد الله ان بعض
 الافاضل من الفقراء جلس مع الشيخ سيدي سعيد على شراب اتاني . فقال
 في نفسه سأطلب من هذا السيد ان يعطيني الله تعالى السر الرباني بلا
 مجاهدة ولا عناء . وذلك اول ما لقي الشيخ وكان له جليس حاضر في
 ذلك المجلس فقال في نفسه ايضا حاجتي من هذا السيد ان كان وليا لله
 ان لا اعدم ما اصرفه على الشراب في شراء ما يحتاج اليه وكان ذلك في
 دار الاخير قال فاعطى الشيخ سيدي سعيد الفاضل الاول كأسا من
 الشراب وقال له هالك المعنى الرباني الوهبي بلا شرط ولا مجاهدة
 واعطى الاخير كأسا اخرى وقال له هالك ما تنفق على الشراب فلا تهتم
 به ابدا وكأنك تغرف من النهر قال الفاضل الاول وكان من الفقهاء
 وقد كمل الله مرغوب كل منا . على ما أشار اليه الشيخ رضي الله عنه
 واخبرني ولده ابو عبد الله انه جلس مع الشيخ سيدي سعيد وزوجته
 في داخل داره بالمعذر واشتغل واحد منهم ببعض خدمة الدار فورد
 على الشيخ حال عظيم اضطربت منه ذاته وقف شعر رأسه ولحيته
 وصوتت ذاته من شدة الاهتزاز والاضطراب وصار تختلف عليه الالوان .
 وصاح صيحة بمد فقامت السيدة زوجته هاربة ودخلت الى البيت
 فلما سكن منه ذلك الحال رجعت اليه وقالت له ما الذي دهالك ؟
 افزعتنا فقال لها الآن رأيت سيدي علي بن احمد دفع الباب ودخل
 الى حضرة الله تعالى . وقد جعله الله تعالى في مقام الشيخ سيدي علي الجمل
 رضي الله عنه يعني بسيدي علي بن احمد شيخنا الامام العارف بالله
 القطب الرباني والفوثن الصمداني ابا الحسن سيدي الحاج علي بن احمد
 الجعفري ثم اللفي رضي الله تعالى عنه وعنا ءامين وكان اذ ذاك ارسله
 الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه في طائفة من الفقراء الى زيارة الشيخ
 سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه بالجمالة وغيره وذلك في
 آخر حياة سيدي سعيد ولما رجع شيخنا ومن معه وجده توفي الى
 رحمة الله تعالى ووفاته رضي الله عنه صبيحة يوم الاربعاء الثاني من
 صفر عام 1300 هـ ثم قالت له السيدة زوجته سمعتك تقول اطلعني
 الله على مقام بعض فقرائنا فرايته فوق مقامي فهل تحب ان يكون

احد اعلى منك مقاما ؟ فقال لها ما معناه اليس ان المرء يحب ان يكون ابنه اعلى منه ويذكر بين الناس بخير فقالت بلى قال فكذلك اولاد القلوب ثم قال لها ما معناه : كما ان الامراء يحب كل واحد منهم ان يكثر ما يقدمه بين يدي السلطان فكذلك الاولياء العارفون كل واحد منهم يحب ان ينصلح على يده ويهدي الله به ما يعظم به جاهه عند الله تعالى يوم القيامة .

والمرء في ميزانه اتباعه فاقدر بذرا قدر النبي محمد

صلى الله عليه وسلم واخبرني ولده ابو عبد الله عمن رافق من الفقراء الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه لما ذهب الى (ايلغ) بتازاروالت عام 1299 هـ لما قدم سلطان المغرب مولانا الحسن بن محمد رحمه الله تعالى في العام المذكور الى بلاد سوس . وكان الشريف الرئيس الاجل سيدي الحسين بن هاشم التازاروالت يتوقع من قبل السلطان شرا وعزم على الرحيل والهرب الى الجبل . بل نقل اليه بعض ثقله . فذهب الشيخ سيدي سعيد مع الفقير المخبر عنه بهذا الى ايلغ مسكن الشريف المذكور فادركتهم القائلة بقرب (ايلغ) فنزلا عند السدرة المعروفة بالوادي هناك ليقبلا تحتها ويناما للاستراحة ثم قام سيدي سعيد بمجرد اضطجاعه منزعا وقال لرفيقه قم فقد انزعج باطني واشتعلت فيه النار يشير الى قوة الوارد عليه بذلك فقاما ليدخلا الى (ايلغ) فلقيا بعض الفقهاء خرج من دار الرئيس الشريف المذكور فأخبرهما انه تركه يتهاى للسفر والرحيل بنفسه الى الجبل فدخلا فوجداه يريد الركوب فرحب بالشيخ وقال له وجدتنا نريد الرحيل فقال الشيخ انما اتيت لا كفك عن الرحيل فان اولياء الله اتفقوا على ان لا يصل السلطان الى موضعك هذا ولا يقربه ثم قال له وهذا الذي قلته لك انا اعلم انه لا يطمئن اليه قلبك ولكن سترى صدق قولي في المستقبل وكان الامر كما قال الشيخ رضي الله عنه قال وكان الشيخ سيدي سعيد قبل ذلك قال لرفيقه المذكور : اجتمع اولياء الله تعالى وجعلوا امر التصريف في السلطان بيدي لانظر في امره حتى يرجع من سوس واخبرني ولده ابو عبد الله عنه انه قال في زوجته السيدة خديجة بنت محمد الايسية ثم المعدرية ولم يكن له زوجة سواها رضي الله عنها ان مقامها اعلى من مقام الصالحة المشهورة ببلاد هشتوكة المعروفة بتاواعلايت باللام المفخمة الا ان الله تعالى حجب عنها ذلك السر . واظن ان الشيخ سيدي محمد بن احمد الحضيكي ذكر في تاريخه ترجمة

للصالحة المذكورة (1) فليُنظر واخبرني ابو عبد الله عن والدته المذكورة انها قالت له قرب مرض وفاتها ما معناه. كنت قبل هذا اخاف من الموت وسؤال القبر وظلماته واهوال الآخرة واهتم بامر الرزق واخاف على الاولاد والآن اذهب الله عني ذلك كله بالمرة وزال عني ذلك بالكلية فلم التفت الآن الى الدنيا ولا ما فيها وليس عندي الآن الا الغيبة والفناء في عظمة الله وهيبته والاستغراق في حضرة الله والفرح بالله والانس به والغنى به ولا اعلم شيئا يفرح به في الدنيا اشبه به هذا الذي انا عليه الآن مما لم اشاهده قط في عمري ولم يمض الا يسير ثم مرضت مرض وفاتها قال ولما قرب خروج روحها كنت في بيت قريب من موضعها فذكرت الله تعالى فورد على حال الفناء وغبت عن الكون ولم يسبق عندي شيء اشعر به الا ذكر اسمعه بصوت ما سمعته قط وكنت اظن اذ ذاك انه ذكر الملائكة ثم غبت عن ذلك الذكر ايضا وتخللتني برودة كحال من رش بماء بارد فافقت من تلك الغيبة ورجعت بعض الرجوع الى احساسي وشعوري بالكون ووجوده فرايت والدتي حينئذ على جبل مشرف على الدنيا كلها فقالت هذا هو مقامي وانا في الحياة في دار الدنيا اشرفت منه على جميع الامة النبوية وكنت اسأل الله تعالى فيه ويستجيب لي والذي اسأله هو المغفرة للامة المحمدية ثم اشارت الى بحر في جهة الجنوب وقالت هذا هو البحر الذي اعطاه الله والدك قال فنظرت الى ذلك البحر وله سور محيط به يشبه قوس قزح وهو المسمى باسان العامة بعروس المطر ولذلك السور باب وعلى الباب رجل لا اتحقق من هو وكل من قال لذلك الرجل خذ بيدي لله دفعه الى ذلك البحر ورد ذلك الباب الى داخل السور قال وماء ذلك البحر ابيض من اللبن والشاج ورايت المحرمات وهي ما نهى الله عنها قد ردها ذلك السور خارج البحر قال فقلت في نفسي حينئذ من سلك هذه الطريق وولج باب هذا السور فقد نجى من المحرمات قال ثم سرى عني بالكلية ففكرت فيما وقع لي وقلت لعل والدتي قرب خروج روحها فدخات اليها فوجدتها بحال النزع فسألتها عن حالها فقالت الجسد كما ترى . والقلب في فرح بلقاء الله تعالى ثم خرجت روحها في تلك الساعة ولم يظهر عليها اثر الشدة ولا مقاساة سكرات الموت

(1) ذكرها عرضا ولم يترجم لها . وقد توفيت بعده سنة 1207 هـ وتوفى هو 1189 هـ

واخبرني ولده ابو عبد الله عنه : انه لما ابتدا بناء الدار التي سكن فيها اخيرا
ودفن في شرقها قال ما معناه نبني هنا باذن الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم دارا تقضى فيها حوائج الامة المحمدية الى قيام الساعة وذكر عن
جدتي للام رحمها الله السيدة (تعزي) (1) البعقيلية وكانت مشهورة
بالصلاح والكشف انها قالت في بقعة الزاوية القديمة المبنية في تلك الدار
التي بناها الشيخ سيدي سعيد : انها مجمع الاولياء وانها موضع تجارب
فيه الدعوات وتقضى الحوائج وذلك قبل ان يبني سيدي سعيد رضي
الله عنه تلك الدار هناك واخبرني ولده ابو عبد الله عمن اخبره ممن
حضر وفاة الشيخ سيدي سعيد من الفقراء انه قال حينئذ ما حاصله
اعطانا الله الشفاعة في كل من دخل دارنا او دخلنا داره او اكل طعامنا
او اكلنا طعامه او نظرنا فيه او نظر فينا ولو نظر فينا نظر سوء
هذا او قريب منه هو الذي اظن انه ذكره لي ولده ابو عبد الله واخبرني
ايضا واظنه سمعه من والده الشيخ سيدي سعيد انه سافر مع جماعة من
الفقراء واظنه الى زيارة الجبال بلدة الشيخ سيدي مولاي العربي
الدرقاوي رضي الله عنه . وكان الشهر رمضان كانوا يصومون ويتعبسون
في الطريق وسيدي سعيد يفطر ويخدمهم بما يحتاجون اليه ويقوم
على دوابهم قال فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له انت الذي
على سنتي يعني حيث افطر في سفر يشق فيه الصوم يشير الى
الحديث ليس من البر الصيام في السفر واخبرني سيدي ابو عبد الله
المذكور عن والدته انه لما ورد الشيخ العارف الشهير البدر المنير سيدي
مولاي الطيب ابن الشيخ سيدي مولاي العربي الدراقاوي رضي الله عنهما الى
بلد سوس (2) وكان مع طائفة من الفقراء ونزلوا في دار الشيخ سيدي
سعيد واتى بقبضات من العسل من عند بعض اهل القرية اما تسلفه
واما اشتراه والقبضة مكيال معروف عندهم وطحنت السيدة
زوجته المذكورة مكتلا كبيرا من القمح فصارت تطعمهم من ذلك القمح
وذلك العسل ودقيق القمح بحاله لم ينقص منه شيء الا قدر مرقد الهر
حتى صار من يعينها من النسوة على الطبخ يسألنها هل هذا المکتل هو عين
الاول ؟ وكأنهن فطن لتلك الكرامة فما زال على حاله حتى ذهبوا وهم
جماعة اكثر من عشرة بل نحو عشرين وكذلك العسل وكان الشيخ

(1) توفيت 1288 هـ

(2) سنة 1273 هـ

سيدي سعيد يفرغه على الخبز الرقيق حتى تمتلئ الاواني ولما انصرفوا كال العسل فوجده بحاله لم ينقص منه شيء فردده بالكيل الاول الى من قبضه منه قال ولم اتحقق المدة التي مكثوا فيها عند الشيخ سيدي سعيد ولا اظنها تنقص عن الثلاثة الايام واخبرني الفقير الفاضل الخير الم رابط الاصيل سيدي الحاج العربي بن حمو بن احمد الاقراني الاصل من عال يعزي وهدى انه شاهد من بركة دار الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه مرة مما جاء به بعض الفقراء من ذبيحة هدية للشيخ فتطعم زوجته منها الفقراء نحو نصف شهر ثم تعمل منها بعد ذلك قديدا واخبرني ايضا انه بات مع الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه عند بعض الطلبة ممن كان يرد عليه سيدي سعيد كثيرا فالح عليه ذلك الطالب ان يظهر له بعض ما يذكر من سر الكيمياء في كتب اهلها او نحوها واقسم عليه في ذلك فساعفه بان كتب بعض اسمائه تعالى في جدول ووضعته في قدر فيه ماء فوق نار وقرأ عليه ما شاء الله ساعة يسيرة ثم امره ففتح القدر . فوجد فيه شيئا من الدراهم وقطعة من الفضة ثم قال له هذا لا ينبغي الاشتغال به ولا اذن لك فيه وحذره منه وقال ان اشتغلت به اهلكك الجن قال وكذلك وقع للطالب المذكور اعاذنا الله من كل سوء وفتنة عامين . وقال الشيخ نحن انما ندل على الله لا على نحو هذا . او ما يقرب من هذا الكلام واخبرني ايضا انه ورد مع الشيخ سيدي سعيد على بعض الاشراف نفعا الله بهم وكان في بلد معطش بعيد من الماء فوجداه لا ماء عنده نفذ ما عنده من الماء فامر الشيخ الفقير المذكور بالذهاب الى الوادي وكان بعيدا ليستي منهم بهائم الشريف المذكور ويأتي بالماء منه في ظروفه فبينما هم في التهيؤ لذلك وكان الوقت ليلا وذلك وقع في المصيف اذ جاءت سحابة فأمطرت في الحين ما ملأ ما عنده من الضفائر والحفائر فجعل الشريف يقول هذه كرامة ظاهرة يا سيدي سعيد فقال له سيدي سعيد اذكر الله يا سيدي فلان واخبرني ايضا ان الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه ارسله مرة وقال له اذهب الى فلان يعني بعض رؤساء القبائل بسوس ممن ظهر منه الجور والفساد وقد كانت القبائل قامت عليه وقتلته فقال له الشيخ ما حاصله ان اهل الله اشاروا بان امره في انحلال وشأنه الى اضمحلال . وكأنه اشار له بأن يذهب اليه ويفعل ما ينتج ما اشار به فذهب الفقير المذكور الى الرئيس المذكور فوجده مشغلا بالجموع ورؤساء من تحزبوا

لنصره بين يديه فقال له اعطني عشرة مثاقيل لله فلم يفعل وكسر
عليه السؤال وانصرف عنه فلم يمض الا قليل وانقضت جموعه وخربت
دياره وقبض عليه ومات مسجوناً والعياذ بالله وسمعت من غير
واحد من الفقراء ان الشيخ سيدي سعيداً وطائفة من فقرائه باتوا بموضع
من بلاد الشرج يقال له (ايجيواز) فلم يطعمهم اهل القرية . وفي غد تلك
الليلة تكلم معه بعضهم في شأن عدم مبالاة اهل القرية بجماعة الشيخ
وكأنه اعتذر عنهم بأن قريتهم تتأخم الصحراء ويرد عليها الوارودن كثيراً.
واهلها لم يزالوا في غرامات من ينزل عليهم بالجور من رؤساء الاعراب
ونحوهم او ما يشبه هذا من الكلام فقال لهم الشيخ سيد سعيد من
لم يقم بعمارة موضع فليخرج منه فلم يمض الا قليل حتى خربت القرية.
وانجلى عنها اهلها مدة واعلم ان اهل الله ينطقون لا عن هوى ولا عن حظ
نفساني بل هم بالله في كل شيء فيه يتكلمون وبه يفعلون وبه
يتحركون ويسكنون فلا اعتراض عليهم ممن كان محجوباً قاصراً فلا
تفتّر (وما يعقلها الا العالمون) واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله انه اعني
الشيخ سيدي سعيداً رضي الله عنه خرج مدة الى السياحة وقال
لبعض الفقراء اخرج معنا الى السياحة . وكان الوقت وقت الحرث . والناس
يتهيئون للحراثة فقال له ذلك الفقير وكان من خيار اصحابه ليس
عندي دابة احرث بها ولا عامل يحرث بها فلا محيد عن المكث في البلدة
لذلك ثم اعاد عليه الشيخ الاستدعاء الى السياحة مع الفقراء فاعاد
الفقير الكلام الاول وظن ان الشيخ لم يسمعه فأجابه بما حاصله انكم لا
تعقدون الا في الاموات الذين تمشون على قبورهم دون من كان حياً
بين ظهرانكم سيأتيك الله بدابة الحرث وبمن يقوم بالحرث بها قال
فكان الامر كذلك وسخر الله له رجلين من جيرانه جاءه احدهما ببعير
وقال له احرث به وجاءه الآخر بنفسه وقال له ان شئت الذهاب الى
الفقراء حرثت لك بنفسي فاني فارغ لا شغل لي الآن وكان الفقير
المذكور ببلدة بعيدة عن بلدة الشيخ خاملاً لا دنيا له وهو ممن اشار
الشيخ سيدي سعيد بالفتح عليهم من فضلاء اصحابه واخبرني ولده
ابو عبد الله قال بات الشيخ في قرية بدار فقير فاجتمع مع الفقراء في
مجلس الذكر فدخل عليهم نسوة في زي الرجال ليحضرن مجلس الذكور
لورود وارء جذب وقاهر حال عليهن بذلك وكان ذلك ليلاً وكان مجيئهن
من قرية اخرى . فاخرجهن سيدي سعيد . وذهب معهن ليلاً الى قريتهن

ثم جمع الى القرية التي ترك بها جماعة الفقراء فبات في اتدّر او نحوه في وسط شعير محصود مجموع فاصابته الجنابة من الاحتلام تلك الليلة. قال فأحسست بنفسى يثقل عليها علم الفقراء باغتسالي خوف اتهامها بسوء في حق من ذهب معهن من النسوة المذكورة فجاء واغتسل بحيث يرون موضعه واظهر ان عليه جنابة فتشوش بعض الفقراء من ذلك وظن به السوء حتى اظهره والقاء اليه فلم يجب الشيخ عن نفسه ولم ينتصر لها ولم يكذب ظان السوء به . نظير ما اوصت به العجوز ذا النون المصري في قصة المصريين المعروفة (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة) وهذا احق ما وقع لبعض المشايخ من الامتحان بنظيره في حكايات مشهورة سلمنا الله من الانتقاد وسوء الاعتقاد ءامين قال وكان تلك الواقعة سببا في انكسار بعض الفقراء الحاضرين وهو مضيفهم تلك الليلة والامر بيد الله

نبذ اخرى من حياته

ذلك ما تيسر كتبه للعلامة ابن مسعود وقد تيسرت لي من اخباره نبذ اخرى تستتم بها الترجمة كما هي واذا تمشى فيما تقدم بلا تنظيم حسبما اتفق فلنقتفه في ذلك محاولين ما امكن التنظيم وجل اعتمادي على ما اخذته عن الفقير سيدي محمد الزكري الذي انخرط بين يدي الشيخ الالفى سنة 1304 هـ بعد وفاة الشيخ سيدي سعيد بخمس سنوات فقط وقد ادرك كل اصحابه فامكن له ان يسمع منهم كثيرا مما يتعلق به.

كان همو والد الشيخ من كبار اغنياء قريته ومن رؤسائهم فنشأ ولده كما ينشأ اولاد الاغنياء سادرا في الاعبيه منغمسا في ملاهيه ثم لما اتصل بشيخه احمد بن عبد الله المراكشي مع فقراء سوسيين صاروا يخدمون عنده في بستان في صفة عملة كما يفعل الفقراء المتجردون عند اشياخهم ثم اشار الشيخ الى اصحابه ان يفعلوا شيئا يضيقون به على صاحبهم سيدي سعيد. فاقترحوا عليه ان ينزع ثيابا له صحيحة جيدة من الصوف مما صاحبه معه من سوس ليفسلوها له فاعاره فقير منهم مرقعته فلبسها الى الغد ثم تطلبها منه فاستمهاه حتى يوتى اليه بكسوته التي ذهب بها الفقراء لتفسل ولم يدر ان الفقراء باعوا كسوته فأقاموا بها بينهم حفلة كان سيدي سعيد ممن حضرها من غير ان يعرف

على حساب من اقيمت ثم لما الح عليه الفقير صاحب المرقعة في ان ينزع له مرقعته فتش عن كسوته فأعجابه الفقير فاتاه بعضهم يكيس من القنب ضيق فابسه قميص . ثم بعد ذلك عرف ما صنع بكسوته فطابت نفسه بكل ما فعله به اخوانه فكان ذلك امتحانا من شيخه صادف منه تثبتا ورسوخا في حسن النية فاستحق بذلك ما استحق وكسان يتردد الى مراکش مع اخوانه الفقراء السوسيين الذين اخذوا عن ابن عبد الله وهم سبعة

- 1 - الحاج مبارك البعيري
- 2 - الحاج محمد بونتجلاني - ابي البيضات - البلفاعي
- 3 - الحاج الأمين المعدري - وبهذا يعرف ولا ادري اسمه الحقيقي-
- 4 - الساحلي ولا يعرف من حكى لي اسمه
- 5 - الحاج محمد بونتجارف الرسموكي - ثم صاحب سيدي سعيد بعد ذلك

- 6 - سيدي الحسن الهشتوكي الشهير
- 7 - الشيخ سيدي سعيد هؤلاء السبعة هم المعروفون بانهم اصحاب الشيخ ابن عبد الله. وينتابونه بالزيارة. وقد اوصاهم ان يبنوا زاوية في المحل الذي يتوسط قبائلهم فبنوها في قرية وسط هشتوكة وفي اثر مرجعهم من مراکش مرة دخل سيدي سعيد الخلوة بداره باذن شيخه فبقي فيها اربعين يوما وكانت ازاءه دجاجة ربضت على بيضها قال فكنت اقول لنفسي لا تسبقنك الدجاجة فتقضي حاجتها قبلك وكانت زوجته السيدة خديجة اذ ذاك تنكر عليه كل الانكار فيما زج فيه نفسه وقد اعرض عن مزاوله شؤون داره وعن اقامة اسباب المعاش لاهله ففي اخريات ايام الخلوة جلست السيدة فاطمة زوجة الشيخ سيدي مسعود المعدري وام العلامة محمد بن مسعود مع امرأة في سطح دارها تنقيان زرعا للطحن فسمعت السيدة مناديا ينادي باعلى صوته على ما عهد من البراحين - المنادين فوق المسجد اذا اريد اعلان شيء عام للناس - فبعد ان هال وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم على العادة اعلن ان سيدي سعيدا قد امره الله على البلاد وجعله على العباد فقالت لصاحبته اسمعين ما يقال ؟ فقالت ما ذاك ؟ انني لا اسمع شيئا

فعرفت ان ذلك امر سري ما اطلع عليه غيرها وقد كانت صالحة ذات روحانية ورثتها من امها تعزي المشهورة المتوفاة 1288 هـ فجمعت عليها كسوتها لدار جارها الفقير سعيد فاستأذنت على زوجته فطلبت منها ان تزور من زوجها فقالت لها يا هتناه . اتزورين احمق مأفونا قد ربض في دكانة بالمطبخ منذ اسابيع والناس في اشغالهم وهو جاثم هنالك بلا فائدة فقالت لها لا بد ان اراه على كل حال فدخلت عليه فافضت اليه بما سمعت بعد ان استأذنته ثم طلبت منه ان يلقنها الورد فللقنها اياه فكانت اول من اخذ عنه والسابقة الى معرفة ما اعطاه الله اياه ثم انه كان منذ دخل في الطريقة يدور في الاسواق متكففا مما يسميه الفقراء « خرق العادة » وكان ابوه الغني الكبير القدر بين قومه يتمتع لذلك فربما يدخل سوقا باحمال من الحبوب لبيعها فان رأى ولده يتكفف الناس . يجمعها في الحين فيخرج حياء من الناس ان يظنوا به انه يبخل على ولده حتى يحتاج الى ان يسأل الناس ما يسد به رمقه - وكان يفعل ذلك في سوق الخميس بتزنيته وكان ما بين التزنيتين والمعدرين غير ملتئم فقال له تزنيتي نطلب الله ان يجعل كل المعدرين امثالك فقال له سيدي سعيد ءامين يقصد التزنيتي ان يكونوا كلهم حمقى حتى يكفي التزنيتين مئونتهم ويقصد سيدي سعيد ان يرجعوا كلهم الى الله فامن على دعائه وكان له اولاد منهم محمد بن سعيد وهو الذي يحكي عنه ابن مسعود فيما تقدم وءاخران احدهما عدا عليه انسان من المعدرين فقتله فأمر سيدي سعيد ان يخبز الخبز الكثير وان يذبح كبش فأمر زوجته ان تجعل ذلك في قفتها وهي تظن انه سيفقد على بعض اهل رحمه على عادة الناس فاذا به يسير معها الى باب القاتل صباح يوم فارادت زوجته ان ترجع فحلف لها لئن رجعت لا تكونن لي زوجة بعد اليوم فذهبت معه مرغمة فدق الباب على اهل القاتل فيطلون فيجدونه فيتصارخون هذا احمق ءال همو والد القتل فيكثر دق الباب متطلبا فتحه ولا بد فبعد لأي خرج اليه بعض ءال القاتل فقال له سيدي سعيد اننا وفدنا اليكم فلا بد ان ندخل الى داركم فدخل فقال اين فلان القاتل فلا بد ان يحضر امامي ؟ فاختبأ الآخر وقد عراه من الخجل ما عراه فألح سيدي سعيد اني جئت اليك اتطاب من فضلك ان تحيي لي ولدي فقال له القاتل لا قدرة لي بذلك فقال له اذن لست بقاتله فلم يقتله الا الذي يقدر ان يحييه وهو الله فلم تخاف مني

حيثُذ ؟ فمد اليه قرطاسا فيه تبرئته ومسامحته في الدم لوجه الله
الكريم فكان ذلك عجبا عجبا في الناس فانطفأت نائرة كادت تستعر
بين اسرتي القاتل والمقتول ومما يؤثر ايضا من سعة صدره انه كان
يختاف الى بعض المتصدرين لارشاد الناس فكان يذاكر في الذوق الصوفي
العالي بعض من يجدهم عنده فيستولي على البابهم فينحشرون اليه
تباعا وهو في كل ذلك يكثر التردد الى ذلك المرشد ومن بين من انحشر
اليه اذ ذاك الفقير مبارك بن بكة التزني الشهير ففي يوم دخل ايضا
مجالس ذلك المتصدر فقابله بمخاصمة عنيفة وقد سماه الشيطان
ووسمه بكل وصف ذميم فسكت سيدي سعيد حتى افرغ جعبته
والقى كل ما في صدره فقام اليه فقبل رأسه فقال له لقد صدقت
يا سيدي ولم يعرفني حق المعرفة سواك وما خفي عنك من اوصافي
المذمومة اكثر مما ظهر لك فشده الرجل فقال له اين منك النفس يا
هذا الرجل ام انت جماد ؟ والا فمن ذا الذي لا يستفز اذا سمع ما سمعته
مني فقال له : لم اعد ان كنت بشرا أتأثر بكل ما يتأثر به البشر غير
انني رايتك اكثرث الوقود لقدرك حتى كثر غليانها ففاضت بما فيها فاردت
ان افوز بما فاضت به قدرك لتمتليء به قدري فتعجب الرجل والناس
من هذا الدرقاوي الغريب العجيب وقد دخل مرة على العابد الشهير علي
بن عبد السلام من الرجيلات في خلوته فاراد ان يقبل رأسه فابى العابد
من ذلك كانه يخاف ان يسلب ما عنده من الاسرار - كما يعتقد كثير من
العباد من ان الكبير يسلب ما عند الصغير - فقال له سيدي سعيد فاذا
ابيت ان اقبل رأسك فقبل انت رأسي فانتفض العابد فقال له اية
داهية انت بك يا عفريت ؟ فقال له انما اتيت اليك لازيل منك تلك الحمة
التي تلسع بها الناس وكان مشهورا ان الناس يصابون منه كثيرا ثم
قال له : اياتي الشيطان الناس من جهة ويأتيهم امثالك من جهة اخرى ؟
وسمع بان الشريف محمدا المكي نزيل رباط ماسة في اواخر القرن الماضي
يزعم انه المهدي فذهب اليه فقال له اما العلوم الظاهرة فمسلمة لك -
واما سوى ذلك فليس لك وكان مرة يعظ تلميذه الفقيه الحبيب السكراتي
فقال له التواضع التواضع فيكرر عليه ذلك وهو يحنو برأسه الى الارض .
حتى مست لحيته التراب وكان يحفظ كثيرا من المنظومات الغرامية
الشلحية في ايام صباه فراح مرة مع طائفته فنزلوا في قرية لا تعتاد الا
الاجتماع في ملعب (اخوآش) - الرقص البربري - فاقترح عليه اهل

القرية ان اراد الضيافة هو ومن معه ان يرقصوا لهم فامر الفقراء ان يصطفوا في الملعب فابتدا يتغنى بالاهازيج الفرامية والدف في يده وكان ذا صوت رقيق مؤثر حتى استولى على المشاعر ثم افتتح المواعظ الدينية بمنظوماتها ثم الاذكار فلم ينشب ان استتاب كل الحاضرين فتابوا عن اخرهم فراجعوا الديانة ثم كانت قريتهم من احسن القرى دينا وقد استبدلوا بمجالس الاذكار ملاعب (احواش) وكان من عادته ان يستخدم فقراءه في شئون زاويته فاتفق مرة ان خرج في حمارة قيظ الى بسيط امام زاويته يحصد فيها الفقراء فوقف عليهم فوجد ضعفته من الطلبة كسيدي الحاج الحسن التاموديزني والشيخ الالفي والحاج صالح الاكماري وامثالهم قد نال منهم ما يزاولونه ما نال واصابعهم تتشقق وتسيل دما فاغرورقت عيناه بالدموع فقال لهم اءاه يا اخواني لو لا ان الذي تطلبونه لا يحصل لكم الا بهذه المشقة لما كان مني قلب يستسلك مع ما اراكم عليه ووقع لتلميذه الفقيه محمد بن المحفوظ التازيمامي الشهير انه ركب مرة بقلته الى زيارته فخرج صباحا فوجد الفقراء ذهبوا بها الى الحطب فثار ثأره فكان ذلك مما اخرجته من بين الفقراء ولكنه مع ذلك لا يزال متمسكا بحبل شيخه وبعضهم ينسب تلك الحكاية للواعظ سيدي ابراهيم الساموچني الشهير فكان ذلك سبب نفص يده من طريقة سيدي سعيد وشاع ايضا ان ابن المحفوظ المذكور تراءت له مقامات حتى حسب ان مقامه اعلى من مقام شيخه فقال له يوما او ليس يمكن ان تلد الشاة خروفا ثم يكون اكبر منها ؟ فقال الشيخ يمكن ولكن متى اراد ان يرضع فلا بد ان يبرك على ركبتيه ليتأتى له ان يمتص من ضرع امه يعني لابد من التواضع من التلميذ للشيخ على اية حالة كانت وكان سيدي عبد الله النجاري الحاحي من المنقطعين الى الشيخ فكان يتردد الى الشيخ في الوداع فكان الشيخ يقول له ان استطعت ان تذهب فاذهب فبقي كانه مربوط وحكى النجاري ان الفقراء مرة اشتغلوا ببناء حائط فكان هو الباني صاحب اللوح وكذلك يبنى في (المعدر) فيأخذ المركز فيركز التراب فوق الحائط وفي وسط نهار مشمس والحرارة كأنها زفير اتون تباطأ الفقراء الذين يطاعون بالتراب الى النجاري البناء الواقف في وسط اللوح فخرج الشيخ من داره فوجد النجاري واقفا فوق الجدار متكئا على المركز وقد ابطأ عنه التراب فناداه ان انزل لئلا تطحنك الشمس حين لا يأتيك التراب قال فنزلت بسرعة

فاهويت عليه تقبيلًا أقول له ما دمت يا سيدي تدعو لي بالمغفرة فأنني لا أبالي بكل ما الإقيه من مشقة فقال له الشيخ الا تزال انت هنالك ؟ بل نطالب الله لك مقامات فوق مقامات واما المغفرة فربما تكون اقرب شيء لكل من معنا او كما قال مما يؤدي مثل هذا المعنى وخرج ايضا يوما في وسط نهار حار فوجد في ظل حائط تلميذه الشيخ الالفى وقد وصاته الشمس فمد فوقه رداءه يظله به والآخر مستغرق في نومه لا يشعر

وكانت تربية سعيد مزدوجة فاما المتسببون اي الذين لم ينقطعوا اليه فانه يلقنهم الورد ويأمرهم بملازمة الطريق واداء الفرائض والعمل بقدر المستطاع مع قيامهم بشؤون اهاليهم ثم لا ينقطعون عنه يتعهدون زاويته فينة بعد فينة واما المتجردون الذين انتطعوا اليه فانهم يكونون عند نظره في الشاذة والفاذة فيستخدمهم فيما اراد ويرقيهم بالاذكار وكثيرا ما يدخل اصحابه الخلوة ويأمرهم بذكر الاسم الذي هو الله بشروطه عند ارباب الفن وذلك محور عبادة المتجردين عنده وراء مجالس الاذكار الجهرية التي يجتمعون عليها في اوقات معلومة . وكثيرا ما يأمر ذوي الهيئات منهم بخرق العادة في الاسواق . وعلى ذلك تدور تربيته وكان التواضع لب الطريقة في نظره والاقبال الكافي على الله وكان يفهم من كل ما سمعه ما يحثه على ما هو بصدده دخل مرة مع اصحابه مسجدا فصادفوا فيه هداويين فجلس اليهم فوجدهم يدخنون ويمعنون في ذلك فقال لاحدهم اي لذة تجد لهذا الدخان الذي اولعت به فقال له وقد ملأ فاه فنفخ الى جهته نفخة طويلة هيهات هيهات ان يدرك غيرنا ما في هذا الدخان ولا يدل على ما فيه من اللذة الا هو نفسه فاشرب منه تجد ما هناك ففهم هو من ذلك ما فهم فكان يقول لاصحابه هيهات ان يفهم غيرنا ما في هذا الذي نحن فيه ومن اراد فهمه فليشرب معنا في شرابنا وكان مع انه امي يستحوذ على الباب العام اذا لا قوه وجل حياته امضاه في السياحات بين القرى يدعو الناس الى الله فيستتيب اللصوص والدعار فكم لص خطير رجع بسببه الى الهداية وكم ظالم جبار ارعوى بسبب مواعظه عما هو فيه وقد انتشرت به الدرقاوية في جوانب سوس اكثر من غيره من معاصريه كالحاج مبارك الهواري فان اصحابه قليلون لم يعدوا جيرانه بخلاف سيدي سعيد الذي انتشرت زواياه في قبائل ازغار ووادي نون وافران ومجاط

واقفا ورأس الوادي وهشتوكة وإدّاوْتَنان وحاحة ففي كل هذه القبائل أصحابه الكثيرون ويقيم لهم موسما عاما في زاويته بالمعدر فأخذ عن رؤساء المعدر ان تكون لزاويته حرمة . يأمن قاصدها ولا تمتد اليه يد . فاعلثوا بذلك فوق مسجدهم الكبير . وكذلك اناله مثل هذا رئيس (ايليغ) العظيم في ذلك العصر سيدي الحسين بن هاشم فكان أصحابه يردون على موسم تازاروالت فلا يمس واحدا منهم احد ولا يوخذ بجريرة من اجرم من قبيلته . وفي اول موسم اقامه بالزاوية المعدرية اقبلت الطوائف من كل جهة فكان الفقراء مئات فلما دخلوا جميعا الى الزاوية . وحطوا رحالهم . دخل على زوجته خديجة وكانت الى ذلك الحين لا تزال تجاذبه الحبل في الذي يشتغل به وتنكر عليه فيما زج فيه نفسه فقال لها هل هيأت شيئا للفقراء ؟ فقالت له من اراد ان يتهاى لهؤلاء الجماهير فليشتغل بالحرث والحصاد والاسباب واما انت فقد نفضت يدك من كل شيء وليس عندنا الا طحين قليل فقال لها انصبي المعصدة فصارت تعصد ويملا بيده القصاع حتى ملا 25 قصعة من نحو صاع من دقيق فاذا ذاك فقط اكبت زوجته على رأسه فتابت الى الله فرجعت من ذلك اليوم عن الانكار عليه . حكى ذلك سيدي محمد ابن الشيخ عن امه وحكاه عنه الزكري وجها لوجه وكان سيدي سعيد كثيرا ما ينشد بالشلحة

لَفَضْلِنِكَ اَكَا نَ اَسِيْدِ رَبِّي دَلْبَرَكْتُونِ اَسِيْدِ رَسُوْلِي

(ليس الا فضلك وحده يا رب * وبركتك يا سيدي يا رسول الله) كان لا يتظاهر بالدعوى ولا يرفع بما عنده الرأس بين الناس بل كان دائما متواضعا يمثل الصوفية بجميع اوصافهم وكانت لبسته لا تتجاوز قميصا يكون غالبها من الصوف الغليظ ورداء عليه ويعتم وله لحية طويلة مديد القامة عريض ما بين الكتفين يأخذ الامور بالتوسط لا يجهد نفسه ولا أصحابه بكثرة المجاهدات الا اذا انشروحت نفس احدهم لذلك فقد قال للفقيه سيدي ابراهيم بن الحسن التناني وقد وجده في مشقة فادحة في العبادة اننا نريد ان نريحك فلقيه الورد بالتوسط قال سيدي ابراهيم ففتح لي على يده بما لم يفتح لي بسبب المجاهدات الهائلة التي كنت اقوم بها وكان يركب على بغلة . ويقدم أصحابه . ويكونون غالبا نحو العشرين فيتقرون القرى وكان متى اراد المذاكرة يقرب اليه العلماء من أصحابه . ليأتوه من الاستدلال بما شاء من القرءان والحديث

وهذا ما فعله حين التقى مع سيدي الحسن التملي الايرازاني فقد استدعى اليه العلماء بعد ما لقنه الورد . فاراد ان يذاكره في معنى التصوف فقال الآخر انني لك منذ الآن فافعل بي ما تشاء في حكاية سنذكرها ان شاء الله في ترجمة سيدي الحسن الايرازاني في (القسم الخامس)

وكان الشيخ الالفي يقول ان من اطل على المدر فدعا بما شاء فان ذلك الوقت مظنة الاستجابة وكان يقول لاصحابه ليس العجب فيمن احنى هامته لمن يظن به علما وانما العجب فينا حين احنينا هاماتنا لشيخنا الامي وكان الشيخ الالفي احد الفقراء الذين نبشوا قبر سيدي سعيد من افران ليلا فذهبوا به الى المدر . ثم جعل قبره مجصا حتى كسر عليه الجص وازاله سيدي الحاج الحسن التأموديزتي وقد كان الرئيس سيدي الحسين الاليفي يحسن ظنه في سيدي سعيد وفي اصحابه . فاستخبر عن يعرف عنه منهم الكشف فدل على سيدي مبارك المجدوب فجالسه فظل يسأله عن امور غيبية ففتح الآخر طوق قميصه فأزاله عنه فبقي كما ولدته امه فتبادر الاعوان فاخرجوه وقد القوا عليه ما يستر عورته فكان ذلك سبب ان تقززت نفسه من هؤلاء الناس فذهب اليه سيدي سعيد يوما باصحابه فجلس معه والفقراء في ناحية بمعزل عنهما ثم استدعى سيدي سعيد مباركا المجدوب فقال له ماذا عملت ذلك النهار امام الشريف سيدي الحسين ؟ فقال استدعاني الشريف بقصد ان اميط الستار عما في الغيب فاخترت ان اميط عني الستار عن ان اميطه عما في غيب الله . فأدرك سيدي الحسين اذ ذاك ان الفلظ منه فتاب من مثل ذلك فرجع الى حسن ظنه باصحاب سيدي سعيد

كان يقول في ولده سيدي محمد ان له مقاما حسنا ولكن ليس من ارباب هذا الشأن . وقد سأله سيدي الحسن الايرازاني عن يقتدى به ان توفي قبله فاشار الى الشيخ الالفي وهو معه فقال له بهذا فلتقتد فبقى كذلك الى ان مات يصرح به على رؤوس الاشهاد

هذا ما تيسر لي الى الآن مما يتعلق بهذا الشيخ الغريب الاحوال فلم اعد ان نقلت ما اسمعه من ثقات الفقراء والغالب اخذته عن الزكري . وهو ثقة عقول واع لا يسمع عارف لما يقول وولده سيدي محمد تأخرت وفاته الى 1330 هـ سقط من سطح فقضي عليه . وكان من افضل

الناس عبادة واقبالا على شأنه لا يدعي لنفسه مقاما وقد سلم لاصحاب والده الذين تصدروا ولم يمد معهم اصبعاً ولا عرفت منه دعوى فحفظه الله مما يبتلي به ابناء المشايخ غالباً وللشيخ اخ لبيه يسمى بريك وهو الرئيس على المدر ايام الكنتافي وعلى يده تسربت تلك المغارم الباهظة الى الكنتافي وهو ملازم للصف. ويمكن بعد الصبح في الصلاة في مصلاه الى ان يصلي الضحى غالباً وله احوال تنبني على ذلك ولم يرزق الاولاد وماله متسع فرزق الله ذلك المال المجموع ، لانسان تزنيته خلفه في الرياسة كما خلفه على زوجته فامتص كل ذلك ووفاة الرئيس بريك سنة 1350 هـ في المحرم منه وقد ذكره المؤرخ الرفاكي في روضته بكلمة قليلة . ومعنى ما قال فيه انه لم يخلف خيراً ولا شراً

شيوخ سيدي سعيد

رأينا فيما تقدم ان للمترجم شيوخا ثلاثة

- 1 - سيدي ابراهيم الولياضي
- 2 - محمد بن عبد الله العابد المعدري
- 3 - احمد بن عبد الله المراكشي

اما الولياضي فسيأتي ذكره في فرصة اخرى (1) واما محمد المعدري فليس عندي الا انه رجل اعتكف في بيت سنوات كثيرة يقصده الناس بالزيارات وتوثر عنه الكشوفات الكثيرة يخلط فيها الجد بالهزل كما تقدم عن العلامة ابن مسعود . ثم لما توفي دفن في ذلك البيت نفسه في المقبرة المتوسطة بقرية المدر . وقد اشتهر بسيدي محمد صاحب البيت وقد عمى آخر عمره ووفاته بين السبعين والتسعين في القرن الماضي ولا ادري هل ادركه ابن مسعود فتكون وفاته في النصف الاخير من العقد التاسع اولاً هذا ما اعرفه عنه الآن

واما الشيخ احمد بن عبد الله المراكشي فهو من اصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي ومن لا شهرة له عظمة بين اصحابه وناهيك

(1) ذكر في معرض تلاميذ الاستاذ سيدي الحاج عابد البوشواري في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع)

في ذلك انه غير مشهور بالمشيخة في وطنه مراکش وكان عالما حسن الفهم يشتغل في دكان العدالة شاهد من الشهود الرسميين . حكى لي الفقيه سيدي ابراهيم اليزيدي المشهور بببيبي ان عدلا سماه ادركه يحكي له انه كان يجالس سيدي احمد بن عبد الله . فيعطف احدهما على الآخر ويحكي عنه امورا لم اثبت فيها حق التثبت فتستحق التسطير ومسكنه بمراكش في (أزبنزض) وتلك الزاوية الدرقاوية الموجودة هنالك اليوم كانت داره . يسكن فيها فوصى بها ان تكون بعده زاوية فنفذت وصيته لانه لا عقب له . وشاع عند الفقراء السوسيين ان الشيخ مولاي الطيب بن مولاي العربي قال له رد اليّ السر الذي اعطاكه والذي فقال له اما والدك فلم يعطني شيئا ولكن المعطي هو الله . ولكن ان اردت ما عندنا فكن لنا مثل ما كنا لوالدك هذا ما سمعته يحكى والله اعلم بصحته ووفاته في نحو 1270 هـ حزرا وزاويته محل فسيح طالما كنا نتدارس فيه مع صاحبنا العلامة سيدي عبد الجليل بن القزير من سكان تلك الحومة بعض انصة مما كنا نتدارسه اذ ذاك حوالي 1340 هـ

هذا ما امكن مما يتعلق بسيدي سعيد المدر رحمه الله الذي تخرج به الشيخ الالفي في التصوف كما تخرج به آخرون كمولاي محمد البوزاكروني والحاج الحسن التاموديزتي وغيرهم من مشايخ الطريقة الدرقاوية بسوس

الآخون عنه

- 1 - العلامة التاموديزتي
- 2 - الشيخ الالفي
- 3 - الحبيب السكراي
- 4 - الحسن بن عبد الله البوزكارتي
- 5 - الطيب بن خالد الاجماري
- 6 - عبد الله بن الطيب
- 7 - احمد بن صالح الاجماري
- 8 - الحاج صالح الاجماري
- 9 - محمد بن ابراهيم التامانارتي

- 10 - الطيب الاعضيبي اوي
- 11 - محمد بن المحفوظ السملالي الافراني
- 12 - الحسن الايرازاني
- 13 - احمد التامنچوتسي
- 14 - الحسين التامنچوتسي
- 15 - علي الدمناتي
- 16 - سيدي احمد بن مبارك التزيتي
- 17 - احمد بن عبد الله بن محمد الادوزي العويني
- 18 - الحاج محمد البوزاكارتسي
- 19 - الحاج احمد اليزيدي
- 20 - محمد بن مبارك الدشيري المعدري
- 21 - عبد الله النجاري الحاحي
- 22 - محمد احيضر المدر
- 23 - ابراهيم بن الحسن الايتقالي
- 24 - سيدي ابراهيم بن سعيد العواد الايتقالي التناي
- 25 - سيدي خالد الترجيني البعيلي
- 26 - احمد بن عبد الله التمر اوي الرسموكي
- 27 - محمد بن احمد الاسنچاوري الكرسيقي
- 28 - البشير بن الصديق الفاسي الاقاوي
- 29 - سيدي الطيب البوشيكري الاجماري
- 30 - سيدي علي بن عدي الايتقالي الاجماري
- 31 - اخوه محمد بن عدي
- 32 - الطيب السكرادي
- 33 - سيدي احمد بن عبد الله الاساكي الافراني
- 34 - سيدي ابراهيم بن المحجوب الساحلي
- 35 - عبد الله بن محمد التمر اوي
- 36 - سيدي ابراهيم الايتقاني المجاطي

هم العلماء الذين عرفنا اسماءهم الآن ممن اخذوا عنه وهناك
آخرون لم نستحضرهم واما كبار اصحابه الذين لم يضربو
في العلوم بسهم مع كونهم حظوا عنده بما حظوا به
فمنهم - ممن نستحضر -

- 37 - مولاي احمد الوادوني
- 38 - سيدي محمد بن الحسين المجذوب الاجماري
- 39 - الفقير محمد بن بكّي الافراني
- 40 - مبارك المجذوب الماسي
- 41 - سيدي احمد المجاطي الساحلي
- 42 - مولاي بيهي
- 43 - الحاج محمد التامانارتي
- 44 - الفقيرة عائشة الحامدية
- 45 - فاطمة زوجة سيدي مسعود
- 46 - الحاج العربي الافراني
- 47 - الحسن الاغنداني المجاطي
- 48 - سيدي حامدون التزنيستي
- 49 - فاطمة موهادئوز الشريفة من اغنيولا
- 50 - سعيد بن هو الحندقي التنكرتي
- 51 - مولاي بنّلا الاستقاركيسي
- 52 - سيدي ابراهيم بن الحسن العداني المجاطي
- 53 - عائشة البقيلية
- 54 - القائد محمد الجراري
- 55 - محمد امغار ايت عبلا البعمراني
- 56 - مبارك بن بكة التزنيستي

انتهى (الجزء الرابع)

وبالله (الجزء الخامس)

بحول الله

الفهارس اربعة

- * اولا اسماء المترجمين اصالة او تبعا
- * ثانيا الفهرس العام
- * ثالثا فهرس القوافي
- * رابعا فهرس الرسائل

الفهرس الاول

الصفحة	
5	الشيخ يحيى بن عبد الله الدويملائي التملي
26	العلامة سيدي الحاج الحسين الافراني
83	الشيخ ماء العينين الصحراري
247	مريه ربه بن ماء العينين الاديب الكبير
273	الشيخ النعمة الرجل الصالح
284	محمد الامام بن ماء العينين الشاعر الفحل
294	محمد بن العتيق الشاعر المفوه
299	محمد بن عبد العزيز الصحراري الورع
299	المحفوظ بن الحضرمي الحافظ
306	الشيخ سيدي سعيد المعدري

الفهرس الثاني

وهو الفهرس العام لعناوين ما في الجزء الرابع من (المعسول)

1	اسم الكاتب وعنوانه
3	المذكورون في الكتاب
5	الشيخ يحيى بن عبد الله الدويملائي

5	نسبه والتكلم حول فروع الرركراكيين بسوس وحول حكايتهم المتداولة
12	رسالة المرغيتي في (الرركراكيين) وزعمه صحبتهم للرسول
17	اشادة التاريخ بسيدي يحيى الـئوينملاـئني
20	عبد الرحمن بن عاصم الرركراكي
20	يحيى بن عبد الله الـئوينملاـئني - وهو المترجم
20	يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمن
20	سعيد بن يعقوب بن سعيد
21	محمد بن يعقوب بن سعيد
21	احمد بن سعيد بن يعقوب
21	محمد بن محمد بن عبد الرحمن
22	سيدي محمد بن محمد بن محمد - ثلاثا - بن عبد الرحمن
22	احمد بن محمد بن محمد
23	احمد بن حسين بن ابي القاسم
23	عبد الرحمن بن احمد من بني محمد
23	محمد بن احمد من بني محمد
24	الحسن بن محمد - فتحا -
26	سيدي الحاج الحسين الافراني
26	نسبه - وكلمة حول مكانته العليا
28	عبد الله بن بلقاسم السوقي الافراني
28	محمد بن عبد الله بن بلقاسم السوقي
29	العلامة الحاج الحسين (المترجم)
29	متعلمه للقراءان
29	اساتذته السوسيون - سعيد الاساكي الافراني - احمد بن عدي العربوكي - سعيد بن علي البراييمي - العربي بن ابراهيم الادوزي - احمد بن عبد الرحمن الجشتيمي
31	في الحواضر
31	في سوس متصدرا
34	محنته الاولى
36	مراجعة الاستاذ لداره
38	في الحجاز
39	مع الكلولي
39	محنته الثانية
40	في تزيت

الصفحة

مع انفلوس	40
عبرة على ارتحال الاستاذ من تانكرت - قصيدة رائية لسيدي الطاهر مع رسالة	41
في الحضرة الحفيظية بقصائد متعددة من انشاء سيدي الطاهر - رائية ودالية	44
تهنئته بالرجوع من احدى وفاداته ببائية لسيدي الطاهر	50
متفرقات عنه	52
مراسلات رسمية اليه	55
عائاره الادبية من رسائل وقطع منظومة	57
كبراء اصحابه في الطريقة	67
(ترياق القلوب) مؤلفه المشهور وما قيل فيه من القوافي وفاته	68
مراثيه	70
اولاده - وما قيل عنهم في التاريخ	71
اقوال المؤرخين : علي بن الحبيب - والرفاكي	73
الشيخ ماء العينين الصحراوي الامام العظيم	76
الشيخ الالفي وماء العينين وما خاطبه به من قافية عينية	83
نبذة اخرى مما يتعلق به	89
بعض اعماله في الصحراء	91
ملخص حياته	92
تأبينه ببائية لسيدي الطاهر	96
اولاده	99
احمد الهيبة	101
بعد وفاة والده	101
ارهاصات امارته والحافز اليها	102
كيف بويع	103
القبائل تتري الى تزنيت - وما قيل في بعضها من القوافي	105
تحية الادب السوسي للامير الجديد بقواف متعددة	107
الالفيون عند الهيبة	109
مولاي احمد الهيبة يغادر تزنيت الى خارجها	117
مربيه ربه يتقدم الى الامام	119
القائد حيدة في تزنيت وما قيل في ذلك من القوافي	120
الهبية يتهيا للخروج من تزنيت الى مراکش	121
في طريقه الى الحمراء - وذكر منازل من تزنيت الى ان دخل مراکش وهي 15	124

الصفحة

131	كيف فتحت مراکش أبوابها بهذه السهولة ؟
135	في وسط مراکش
137	قواف جديدة في الامير
139	عمل الهيبة واصحابه في مراکش
149	الحاحيون في مراکش
149	الصفحة الاولى
150	كيف هرب الهيبة من مراکش - وكذلك اصحابه وشاعره سيدي الطاهر
158	الهيبة الى تارودانت
160	في تارودانت - وقوافي التسليمة التي قيلت فيه
164	اعماله في تارودانت
165	جنوبي سوس اذ ذاك
171	الشيخ النعمة يطرد من تزنيث وبعض ما خطب به من القوافي
178	القائد الحبيب باقا يفرق في طريقه الى تزنيث
179	القائد ابن دحان في تزنيث
180	الهيبة يطرد من تارودانت
182	وثائق رسمية الى القائد محمد الاغباليوي في هذا العهد
185	حالة سكتانة الآن
186	ماذا في حاحة ؟
187	الهيبة في اسرسييف وقواف حوالية اذ ذاك
192	احتلال اكادير
193	الهيبة في تيمكر
194	عود الى ابن دحان في تزنيث ومحاربتة لمريه ربه - وما قيل اذ ذاك من القوافي
196	حيدة وابن دحان الذي قيلت فيه ايضا قواف
198	القائد الحاج عبد الرحمن بتزنيث
198	الهيبة في كردوس - وما سلى به من القوافي
201	هلاك حيدة - وما قيل اذ ذاك من القوافي
205	وقعة الجنرال لاموط
209	الكتنافي في تزنيث
211	نبذة اخرى من احوال الهيبة - وبقية ما حوالية من القوافي الكثيرة
242	وفاة الهيبة وبعض احوال اخرى
244	رثاء الهيبة
247	امارة مريه ربه - وما حييت به من القوافي
249	اعمال الامير الجديد وخلقه

الصفحة

ادبيات لمرييه ربه وامداح فيه	252
نبذ متفرقة حول مرييه ربه	264
الاحتلال النهائي لجزولة	267
الشيخ النعمة بن ماء العينين	273
قول الرفاكي فيه	274
بعض آثار النعمة وبعض ما خطب به نثرا ونظما	275
محمد الامام بن ماء العينين الشاعر المفوه من بين اهله	284
بعض اقواله من القوافي الرائعة او ما خطب به	285
ماء العينين ابن العتيق سبط الشيخ ماء العينين - وبعض قوافيه العالية	294
محمد بن عبد العزيز التلميذ الاكبر للشيخ ماء العينين	299
المحفوظ بن الحضرمي سبط الشيخ ماء العينين - وقواف حواليه	299
خاتمة في ذكر المؤلفات في الشيخ ماء العينين	305
سيدي سعيد المعدري	306
قول الشيخ الالفي فيه اثناء منظومة رحلته	307
خطبة كتاب كان يؤلف قبل في سيدي سعيد ثم لم يبق الا هي	310
كراسة العلامة محمد بن مسعود في اخبار سيدي سعيد	313
نبذ اخرى من حياته - ذيل لما في تلك الكراسة	331
شيوخ سيدي سعيد المعدري	339
الاخذون عنه البارزون	340

الفهرس الثالث

للقوافي مرتبة على حروف المعجم . ويقتصر على الشرط الاول ان كان المطلع مصرعا . والا فيوتى بالكلمة الاخيرة من البيت الاول ايضا . لتعرف القافية

- الهمزة -

الصفحة

محمد بن عبد الله ؟	212
لي للحسان صباية لا تهدأ	
الحسن الكوسالي	218
سيرى مطية فالثواء تواء	
بعض الالفيين	219
انزلت رحلي في ذرى الكرماء	
محمد الامام	291
الا فاعجب متى امتطى الهواء	
ابن العتيق	298
هلال الدجا بالبدر ملان ينبيء	

- البياء -

50	سيدي الطاهر الافراني	بشرى لنا برجوع بدر الغيب
68	له ايضا	اذا اضنى الحجا داء الذنوب
69	بعض الالفيسن	هذا لعمري سيدي الكتب
99	سيدي الطاهر	المجد يعول والسيادة تندب
112	له ايضا	هذي مرابع ليلي فاقض ما وجبا
116	لبعضهم	لقد عاد الزمان الى الصواب
116	محمد التونلي التلمي	شمس الهداية اشرقت من مغرب
127	سيدي الطاهر	يا خليفة ربه يا مجير الدين - بابيه
147	له ايضا	هو الشوق يبيديه من الدمع سكه
187	ابو زيد البزّي	تأخرت لكن كي تعيد لهم وثبا
204	له ايضا	يا ملكا يدعو الظبا فتجيب
216	له ايضا	الا ابشروا ان الاماني في قرب
248	سيدي الطاهر	عيون الهدى قرت وفرج كربه
252	الحسن الكوسالي	هب وهنا نسيم وجد فثبا
279	بعضهم	فؤادي باشجان الصباة في نهب
285	محمد الامام	الا من ليل حالكات غيا هبه
302	له ايضا	الا حيهل بالقوم مربعم خصب

- التاء -

62	الحاج الحسين الافراني	نسمات السلام والبركات
197	بعضهم	لعمرك ما ادى حقوق المروءة
257	مرييه ربه	بشرى لدهر كان من حسناته
275	الشيخ النعمة	برزت فقلت البدر في وجناتها

- الشاء -

172	سيدي الطاهر	الا قل لقلب هذه الدهر بالعيث
191	له ايضا	حمدنا على غيث ازال اذى العيث

- الحاء -

163	ابو الحسن الالفى	عليه سلام مثل ما جرت الصبا - صباحا
215	سيدي الطاهر	مولاي بشراك بقرب النجاح

- السدال -

دعوني دعوني ان في القلب لوعة - الجود	بعض الالفيين	34
تبسم ثغر البرق من جانبي نجد	سيدي الطاهر الافراني	48
اليك فقد اودى فتى العلم والندى	له ايضا	71
قد قام نجل رشيدهم - الرشد	له ايضا	131
صوابية قدت فؤادك فانقدا	مرييه ربه	249
فبوركت عبد الله نجل محمد	محمد الامام	286
بني وطني قوموا على اسوق الجد	محمد الامام	289

- السراء -

اتت فاشتفت من لثمها الكبد الحرى	سيدي الطاهر الافراني	42
لاحت تباشير الهنا لما سرى	له ايضا	46
شموس الهدى ابدت ضياء لمن سرى	له ايضا	54
هنيئا بنجم زار افقك يا بدر	له ايضا	73
فما هو الا البحر بالسر قد جرى	ابن الحبيب الجراري	81
سرى في الدجا فالتاج من وجهها بدر	محمد بن مسعود	90
ليهنك يا مولاي نصر موزر	الحبيب السكرادي	122
هبت صبا نجد بطيب عرار	سيدي الطاهر	188
	وله يخمس قصيدة	222
لمية اطلال عفاء ايها المطر	احمد الهيبة	
لمن طيبة ترنو بادعج ذي حور	اخرى له يقرظها	240
انخها فقد طابت وطاب مسيرها	له ايضا	252
سرى الظلم في ثغر الحبيبة والاشر	مرييه ربه	257
طاف الخيال فحياني الا اذكرا	ابن العتيق	295

- السزاي -

انما المرتضى ابن عبد العزيز	بعض الالفيين	299
-----------------------------	--------------	-----

- السيين -

الحمد لله قد اشرقت الشمس	الحسن بن عبد الرحمن	121
تعز امير المؤمنين وطب نفسا	سيدي الطاهر	200
الا قل لمن قد مسه الم البؤس	محمد بن الطاهر	217
خليلي سلما على اربع تنسى	ابو زيد البزي	278
امن سلك النصيحة في الدروس	المحفوظ بن الحضرمي	300

- الطاء -

59 للحاج الحسين الافراني سلام على الاخوان والصحب والرهط

- العين -

82	محمد سيداتي	حلت بمثواك المحل الارتفاع
90	الشيخ الافي	اقول نجوم بل بدور سواطع
115	سيدي الطاهر	نور الهداية والتوفيق قد سطعا
161	محمد بن الحاج - لعل -	لعا يا امير المومنين لعالمنا
171	سيدي الطاهر	تألق وهنا برق نعمان يلمع
257	مريه ربه	وصل التي عن هواها القلب مرتدع
277	مساجلة - اولها	هذا الاتاي علا صناعة وعلا - صنعا

- القاف -

110	سيدي الطاهر	بنود بريح النصر والعز تخفق
157	له ايضا	يا بارقا بحمي الفوير تالقا
201	له ايضا	تأوئب طيف من اميمة طارق
288	محمد الامام	سيري امامك بالذميل وبالعنق
288	سيدي الطاهر	يا مرحبا بك من امام قد سبق
289	محمد بن علي الافي	اهلا بمن جمع المكارم في نسق
294	مساجلة	انشدن لي من مرقص ابن عتيق

- السلام -

52	بعض الافيين	بحقك ان جئت الامام فقبل
54	سيدي الطاهر	هنيئا لقلبي والهنا على مثلي
115	له ايضا	ايا مولاي قد وافت هلاله
137	له ايضا	منت سعاد فئاذنت بوصال
144	له ايضا	ايا ملكا سما بفضل وافضال
160	له ايضا	هو الدهر ان يمر رفعن عجل يحلو
203	له ايضا	الحمد لله اما بعد قد نزلا
253	له ايضا	الم بنا اهلا بمقدمه اهلا
255	لبعضهم	محيالك ام شمس الضحى تهال
298	محمد الامام	بنو الغ اهل العلم والمجد والفضل
300	المؤلف	اهلا بمحفوظ وبالفاضل

- الميم -

52	سيدي الطاهر الافراني	احمل اعباء النسيم سلاما
72	محمد بن عبد الله ؟	كسف البدر في السماء والنجوم
82	محمد بن عبد الله الالفى	انظر الى تزيت في قاعها - السما
110	سيدي الطاهر	يا خير من مدت له الاعلام
115	له ايضا	اقسمت بالمجد والعلواء والهمم
130	له ايضا	ايا شمس الضحى يا بدر تم
139	بعضهم	مراكش تحنى امامك هامها
162	موسى الرداني القاضي	صبرا فما هم الخطوب بدائم
166	سيدي الطاهر	امولاي يا سيف الصرامة والعزم
195	له ايضا	ايا اندى الورى كفا وأكرم
244	له ايضا	سرور الدنيا طيف الم فسلما
254	له ايضا	مولاي ابشر فالمنى تتبسم
286	محمد الامام	يا طاهر العرض يا كنز الوداد الم
286	عبد الله الالفى	اهلا اسيدنا الامام والعلم
286	ابن العتيق	جزيت بالخير يا من دأبه الكرم
286	محمد الامام	ازهر نجوم ام بدور تمام
287	ابو الحسن الالفى	طلعتم طلوع الشمس بعد غمام
287	محمد بن علي الالفى	سلام يزدري زهر الكمم
295	ابن العتيق	الى من له فى السادة المنصب الاسمى

- النون -

38	محمد بن مسعود	احقا لشمس العصر عزم على الشروق - بهتان
38	بعض الالفيين	اشرق حقا كي تبل حشا شتى - هتان
60	الحاج الحسين الافراني	فطب نفسا وقر بذاك عينا
79	الرفاكي	سيدي حسين ان حبك ذاهب - والحسيان
114	سيدي الطاهر	دعت للهوى بعد الصبا عين العين
197	له ايضا	رياح الهنا هبت بروح وريحان
213	بعضهم	طلوا صحبكم من قبل ان يفلق الرهن
220	سيدي الطاهر	يا امير المومنيننا
260	الرفاكي	لناصرى اليفرنى مسكنا
263	سيد الطاهر	منى على الخل الرفيع الشأن
276	الشيخ النعمة	لعبت بقلبي بالفرام حسان
287	ابن العتيق	الا يا حبذا سفر حدانى

لابدع ان حن ذولب الى وطن	292	محمد الامام
سلام في المزار ينوب عني	293	له ايضا

- الياء -

سدي الطاهر الافراني	30	على مفنى العلاء ابى علي
له ايضا	44	سلام يزدرى صوب الولي
له ايضا	191	يا كتابي بالله قبل يديه
له ايضا	200	امولاي هذا الفتح بانت مباديه

- اراجيز -

النظيفي	67	ثم اجازني بها الرباني
سدي الطاهر	100	مات الامام الشيخ ما العينين
الرفاكي	116	ببابكم زور عبيد الدار
الهيبة	116	يا مرحبا بكم واهلا مسهلا
مريه ربه	259	الحمد لله الذي الاسلام
ابو الحسن الالفى	281	يا ايها الخليفة الاجل
الشيخ الالفى	307	ثم الى منبع عين سرنا

الفهرس الرابع

في الرسائل المذكورة في هذا الجزء . ذكرت الارقام التي كانت فيها . وقد يكرر الرقم ليدل على وجود اكثر من رسالة واحدة

سدي الحاج الحسين الافراني	33 - 59 - 60 - 61 - 62 - 63 - 64
سدي الطاهر الافراني	42 - 142 - 190 - 250 - 260
سدي علي بن عبد الله الالفى	163 - 221 - 281 - 282 - 282 - 283
لبعضهم	169
رسائل رسمية	55 - 56 - 182 - 184 - 184 - 185

طبع بمطبعة فضالة - المحمدية
المقرب الاقصى

عام 1380 هـ. الموافق سنة 1960